الذخائر ٧٠

نوادر المخطوطات

تحقيق

عبد السلام هارون

تقديم

أ.د/ محمد زغلول سلام

الهيئة العامة لقصور الثقافة

الذخائر ٧٠

نوادر المخطوطات

تحقيق

عبد السلام هارون

تقديم

أ.د/ محمد زغلول سلام

الهيئة العامة لقصور الثقافة

الذخائر

تعريف

عزيزى القارئ.. باقة جديدة من حديقة (الذخائر) نقدمها إليك، هى مجموعة (نوادر المخطوطات) التى اختارها وقام بتحقيقها المرحوم عبد السلام هارون، إنّ تأمُل هذه المجموعة التى صدرت فى جزءين - نقدم أوّلهما فى هذه الحلقة - يعيد إلى الأذهان عدداً من الحقائق عن تراثنا العربى الإسلامى، من هذه الحقائق :

- عمق وعى المثقف العربى بالحياة حوله فى شتّى أبعادها.. إنسانيّة وثقافيّة وسياسية وطبيعية واجتماعية.

- التطرّق - انطلاقا من ذلك الوعى المرهف - إلى الكتابة فى كلّ ما يشغله من هذه الأبعاد التى يدخل كثير منها فى عداد ما هو طريف، ولافت، ودالٌّ فى نفس الوقت.

- سعة الأفق والقبول بالحوار والاختلاف مع الاعتراف بالرأى الآخر ومناقشته.

ولا تتضح هذه الحقائق من مجرد المضامين التى تنطوى عليها كل رسالة فى ذاتها فحسب.. وإنما تتضح أيضا من مجموعة الكتب والرسائل مضموماً بعضها إلى بعض فى عمل واحد حيث يظهر التنوع جليا فى مادتها وثقافة مؤلفيها وأوطانهم وأزمانهم.

وليس من هدفى تفصيل الحديث فى أى من هذه الجوانب، يكفى أن نقول : إننا - فى هذه المجموعة - أمام حشد من الموضوعات منها ما يهم دارس اللغة وما يهم دارس الأدب وتاريخه وما يهم صاحب التاريخ العام وتاريخ الفكر والسياسة وما يهم

صاحب الاجتماع. هذا إلى بعض الرسائل التى قد يتجاذبها أكثر من مجال معرفى وربما أكثر من نوع أدبي، كالذى نلاحظه فى أولى رسائل هذا المجلد، وهى (الرسالة المصرية) التى يتجاذبها التاريخ العام، وأدب الرحلات، وتاريخ الأدب، إلى جانب الترجمة الذاتية. فإذا جئت إلى عصور مؤلفيها - مجموعة الرسائل - رأيتها تمتد بك من القرن الثانى الهجرى إلى القرن الحادى عشر وربما إلى ما بعده، وإذا نظرت إلى بلدانهم وجدتها تمتد من شرق العالم الإسلامى إلى أقصى غربه، ومن شماله إلى أقصى جنوبه، وهكذا يجيء تفاوت أزمان المؤلفين وتعدد مواطنهم مطرداً مع تعدد موضوعات مؤلفاتهم.

لكل ذلك كان وصفنا لهذه المجموعة بأنها (باقة) من حديقة (الذخائر)، ويبدو أنه لكل ذلك أيضا، ولغيره، كان اختيار المرحوم الأستاذ هارون لهذه المجموعة وقيامه بتحقيقها ونشرها منذ عقود عدة، وهو ما قام لدينا بمثابة قرينة إضافية على القيمة التاريخية التى لاشك فيها لهذه المجموعة.

كان الأستاذ هارون رحمه الله (١٩٠٩ - ١٩٨٨) واحداً من أبرز كبار المحققين ، وقد غطت تحقيقاته مختلف مجالات التراث: النحو واللغة والأدب، وحين نقول (الأدب) فإنما نقصد كلا من معناه الخاص المتحقق فى النصوص الإبداعية، كما نقصد معناه العام الذى يتضمن ما أنتجته قرائح أبناء هذه الأمة وعقولها فى كثير من مجالات الفكر والثقافة، ولأننا نترقب مناسبات أخرى لتعداد أعمال ذلك العالم الثبت، فإننا نكتفى هنا بتقديم هذه المجموعة القيمة من محققاته.

وقد تخرج رحمه الله فى دار العلوم العليا سنة ١٩٣٢ وتدرّج فى سلّم التدريس بالجامعة مدرسًا بآداب الإسكندرية، ثم أستاذاً مساعداً فأستاذا بدار العلوم، فرئيسا لقسم النحو والصرف والعروض بها، كما عهد إليه بإنشاء ورئاسة قسم اللغة

العربية بجامعة الكويت، وانتخب عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ثم تولى منصب الأمين العام للمجمع، وبقي في هذا المنصب إلى أن لقى وجه ربه في سنة ١٩٨٨.

وكما شرفت هذه المجموعة بمحققها المرحوم الأستاذ عبد السلام هارون فإنها تشرفُ بمقدِّمها الأستاذ الدكتور محمد زغلول سلام الذي عمل أستاذاً لكرسي اللغة العربية وآدابها بجامعة الإسكندرية منذ سنة ١٩٦٩، كما تولى رئاسة قسم اللغة العربية بكلية آداب القاهرة – فرع الخرطوم، ثم رئاسة قسم اللغة العربية بآداب جامعة الإسكندرية، ثم كان عميداً لكلية آداب بنها – جامعة الزقازيق. وهو حالياً أستاذ متفرغ بالكلية ذاتها.

وللأستاذ الدكتور سلام عطاء علمي متنوع ما بين التأليف والتحقيق، ويمتد كل من نوعي النشاط إلى مجالات النقد والبلاغة والأدب المصري وتاريخ الأدب العربي عامة وبعض ما يتصل بهذه المجالات من فروع التراث. فمن مؤلفاته : (أثر القرآن في تطور النقد العربي)، و(ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد والبلاغة)، و(تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن العاشر)، و(النقد الأدبي الحديث)، ثم (الأدب العربي في عصر العباسيين)، وموسوعة تاريخ الأدب المصري التي تضم (الأدب في العصر الفاطمي)، و(الأدب في العصر الأيوبي)، و(الأدب في العصر المملوكي). أما في مجال التحقيق فله (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) – للخطابي والرماني وعبد القاهر – بالاشتراك مع الأستاذ محمد خلف الله، و(عيار الشعر) لابن طباطبا العلوي، بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور طه الحاجري و(جوهر الكنز) لنجم الدين بن الأثير الحلبي و(نكت الانتصار لنقل القرآن) للصابوني و(معاني المعاني) لمحمد أبي بكر الرازي و(ديوان الصبابة) لابن حَجَلة.

ونعود إلى مجموعتنا فنقول : إنه إذا كان محققها المرحوم الأستاذ هارون قد لفتته صفة (الندرة) في مخطوطات المجموعة - بمعنى عزة وجودها - فأطلق عليها اسم (نوادر المخطوطات) .. فإن من المقطوع به أنه لم تخطئه صفة الطرافة والندرة فى موضوعاتها أيضا، بحيث لا نكون مبالغين إذا قلنا : إننا نقدم لك - عزيزى القارئ - مجموعة من (نوادر المخطوطات فى طرائف الموضوعات).

عبد الحكيم راضى

تقديم

الأستاذ الدكتور محمد زغلول سلام

مجموعة نوادر المخطوطات التي تقدم للمجلد الأول فيها والتي جمعها محققها الأستاذ عبد السلام هارون في طبعتها الكائنة في مجلدين - تعتبر من أعمال التحقيق الهامة لتراث المخطوطات العربية التي تربط بين ماضي الأمة الثقافي وحاضرها .

واهتمام الأستاذ عبد السلام هارون بتحقيق التراث المخطوط يعتبر امتدادا لحرص علماء السلف على العلم ونقله فقد خطوا لهذا النقل منهجاً عرف بين الدارسين بـ المنهج النقلي، في العلم والمعرفة، والتلقي .

وكان القدامى يهتمون برواية العلم بطريق السماع المباشر على المؤلف، والكتابة عنه إملاء، ومن ثم إجازته روايته لمن حضر مجلسه وسمعه عنه ورواه .

ويختلف درجات الرواية والسماع، على ما فصله العلماء في طرق تحصيل العلم، ويهمنا هنا نقل العلم عن طريق ما يسمونه الوجادة، أي أخذ العلم عن طريق الصحف أو الكتب دون السماع والرواية المباشرة عن المؤلف، ذلك أن عصر الرواية انقضى ومضت قرون دونه، ووجد علماؤنا في عصر النهضة كما من المخطوطات أرادوا أن يتعرفوا عليها وينشروا ما ضمت من العلم لتنتفع به الأجيال وتتواصل .

وكان للمستشرقين فضل إعادة تحقيق ونشر كثير من كتب التراث وإتاحتها لجمهور الدارسين بعد اختراع الطباعة التي نشرت نسخ عدد من النسخ دون اللجوء إلى الكتابة اليدوية المعتادة في نشر الكتب بواسطة النساخ والوراقين.

وانتهج أولئك المستشرقين نهجاً لضبط النقل، وتحقيق النص بصورة تقربه من

الأصل، وتتيح للقارئ فهمه واستيعاب مادته وطبع بعضهم هذا النهج فى كتيبات لتضع أمام المبتدئين الطريقة المثلى لتحقيق النصوص .

وقد أخذ بعض من قاموا على تحقيق المخطوطات ونشرها فى عالمنا العربى بهذا المنهج الاستشراقى، وأضافوا إليه من تجاربهم. وكان الأستاذ عبد السلام هارون ممن أسهم فى هذا المجال بنشره كتيبا فى كيفية تحقيق النصوص ونشرها.

ويحدثنا عن تجربته فى هذا الميدان فيقول :

« .. وكان مما صنع لى الله أن ألقيت نفسى فى أطراف ميدان النشر العلمى أكافح فيه، والسلاح ضعيف، فما أزال أجمع سلاحاً إلى سلاح، وأقتحم الصعاب إثر الصعاب، وأنا فيما بين ذلك أستلهم الله العون والتوفيق فيمدنى بسبب منه، وفيض كريم وكلما ظننت أنى رويت غلة النفس زاد ما بى من ظمأ إلى مزاولة هذا الجهاد الصادق ».

ويحدثنا عن اتجاهه إلى هذا النوع من المخطوطات الصغيرة غير الشهرة ولا المعروفة ليعيد إليها الحياة باستخراجها من مكامنها فيقول :

« .. وقد رأيت أن همة الناشرين المحققين تتجه فى أغلب ما تتجه إلى المخطوطات ذات الشهرة الظاهرة، وإلى ما جل مقداره من كتب السلف مغفلين فى أكثر الأمر هذه الرسائل الصغيرة.

فصح منى العزم على أن أكشف عن طائفة من هذه الكتب الصغيرة وأقدم منها إلى جمهرة الباحثين مادة نادرة، وأن أجعل هذا فى مجموعات متتالية متسلسلة الأرقام والصفحات.» .

وعنون لهذه المجموعات بـ «نوادر المخطوطات». والندرة هنا قد تعنى قلة تداولها بين الدارسين. أو بعدها عن تناولهم. وقد تعنى الندرة أيضاً فيما تعنى نفاستها وغناها، كقولنا عن الشىء النادر إنه نفيس لندرته إضافة إلى عظيم قيمته .

وتجتمع فى هذه المجموعة تلك المعانى قلة تداول، وندرة وجود، إذ قلما يوجد

منها أكثر من نسخة بينما تتعدد نسخ غيرها من الكتب التي درج السلف على تداولها. والمعنى الثالث عظم القدر والفائدة لما قد تضيفه إلى المعرفة من أشياء كانت ناقصة فأتمتها أو غائمة فكشفتها .

واتبع الأستاذ عبد السلام هارون في تحقيقها النهج الذى أشرنا إليه مهتدياً بمن سبقه من عمل المستشرقون وتجارب الأولين ممن كان لهم يد طولى، وكان قريب الصلة بهم من أمثال الشيخ أحمد محمد شاكر والعلامة محمود محمد شاكر وأضرابهم ومن تقدمهم وكان لشخصية الأستاذ عبد السلام وثقافته آثارهما فيما عمد إليه من تطبيقات لمنهج التحقيق .

وأولى خطوات تحقيق النص سلامة القراءة، أو قراءة النسخة المخطوطة قراءة صحيحة. وقد يقع المحقق في مزالق كثيرة إذا افتقد القدرة على قراءة النص قراءة صحيحة، والعقبات كثيرة والطريق محفوفة بالمخاطر .

فالخط العربي، وطرق الكتابة للحروف، وتنوع الخطوط بين قديم وحديث، مشرقي ومغربي، نسخي أو كوفي، معجم أو غير معجم. فضلاً عما قد يقع في النص من أخطاء إملائية أو لغوية، أو نحوية، وما يسقط من النساخ من ألفاظ أثناء الكتابة تشوه السياق، أو ما قد يقعون فيه من سهو أو تحريف نتيجة الجهل وعدم التدقيق، وعدم الإلمام أحياناً بأساليب الكتابة وعروض الشعر. كل هذه المخاطر والمحاذير تتطلب من المحقق التدقيق والمراجعة فضلاً عن العلم والإحاطة وطول الممارسة والتجربة .

وقد جمع الأستاذ هارون من الأدوات ما أهله لأن يقرأ النص المخطوط قراءة صحيحة فهو أستاذ عالم في اللغة والنحو، قارئ مطلع واسع الاطلاع على أساليب القدماء وطرائقهم في القول .

ويعين على تقويم النص وجود نسخ متعددة أو أكثر من نسخة «الأم» التي يعتمد عليها المحقق وفي المجموعة التي نحن بصددها مخطوطات مفردة ليس لها ما يقين

على قراءتها . وإن لجأ المحقق تقصى ما نقل منها في كتب منشورة.

ولم يوفق المحقق في بعض هذه المجموعة إلى نسخة أصلية للنص فقام بنشر مختصر له، ولم يتبين ذلك إلا بعد الطبع، وأشار إلى أنه سيستدرك ذلك ويقوم بنشر النص الكامل عند إعادة الطبع ؛ وهذا مزلق من مزالق عدم وجود نسخة تعزز النص المفرد .

على أن الدكتور عبد السلام لم يأل جهداً في تقصى أكثر من نسخة، وفى المجموعة أمثلة غير قليلة لاعتماده على أكثر من نسخة .

ومما يطمئن على صحة النص العمل على توثيقه، وإثبات صحة نسبته إلى صاحبه مع التعريف به وبمكانته العملية وعلاقة النص به، وبموضوعاته .

ونرى إفاضة في تقديمه لبعض الكتب والرسائل في المجموعة في ترجمة المؤلف، وعصره، وحياته، وثقافته، ومكانته العلمية ومكان الرسالة أو الكتاب بين مؤلفاته، وقد يفيض في أسباب تأليف النص، وملابساته كما فعل في «كتاب العصا» لأسامة بن منقذ، ورسالة «ابن غرسية» في الشعوبية، والردود عليه في جملة من الرسائل التى ردت عليه .

ويحتاج النص المحقق إلى إضاءة، أو تفسير بعض جوانبه التى تغمض على القارئ أحيانا من مصطلح أو لبس في معنى اللفظ أو تعريف بحدث أو واقعة أو علم، أو مكان، كما يحتاج النص إلى توثيق ما يرد به من أبيات الشعر، وصحة نسبتها إلى قائله. فكثيراً ما يحدث أن ينسب الشعر إلى غير صاحبه أو يقع بالشعر تحريف أو تصحيف يحتاج من المحقق إلى أن يرده إلى أصله في ديوان الشاعر، أو صحيح ما نقل عنه في مصادر غير الديوان، وقد يحتاج الشعر إلى إقامة وزنه بتصحيح لفظه .

تلك ملامح منهج تحقيق النصوص كما يأخذ بها العاملون في هذا المجال من الباحثين والعلماء، وكما عمل به الأستاذ عبد السلام هارون في هذه المجموعة .

وننتقل إلى الحديث عن المجموعة نفسها إذ يضم المجلد الأول أربع مجموعات هي:

المجموعة الأولى :

١ ـ الرسالة المصرية لأبى الصلت أمية بن أبى الصلت الأندلسى المتوفى عام ٥٢٨هـ، وتقع فى ٤٥ صفحة .

٢ ـ المردفات من قريش للمدائنى المتوفى عام ٢٢٥هـ فى ٢٠ صفحة .

٣ ـ من نسب إلى أمه عن الشعراء صنعة محمد بن حبيب المتوفى عام ٢٤٥ فى ١٣ صفحة .

٤ ـ تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه للفيروز بادى المتوفى عام ٨١٧ هـ فى ١١ صفحة .

وتتفاوت هذه المجموعة الأولى فى عدد صفحاتها بين خمسة وأربعون، وإحدى عشرة صفحة، ومنها رسالة واحدة فى موضوع يجمع بين التاريخ والاجتماع والأدب وهى الرسالة الأولى لأمية بن أبى الصلت، وبقية الرسائل الثلاثة تتناول التاريخ والأنساب والتراجم .

وأهمها وأطرفها الأولى «الرسالة المصرية» لأمية، ذلك أنها تعرض لموضوع يتحدث عن مصر فى القرن السادس الهجرى إبان العصر الفاطمى، وهى حقبة غامضة مليئة بالأحداث والمؤامرات والوقائع داخل مصر وخارجها، تتشابك فيها الصراعات بين المصريين والفاطميين والصنهاجيين فى تونس، والمصريين والصليبيين فى الشام والعباسيين والسلاجقة والزنكيين فى الشام وشمال العراق .

وصاحب الرسالة ضالع ومشارك فى بعض تلك الأحداث وليس مجرد مشاهد شاهد على العصر .

وأمية شاعر أديب، اتصل بالسياسة، وتعرف على الرجال الذين صنعوا الأحداث، جاء إلى مصر فى النصف الثانى من القرن الخامس وحل بالاسكندرية بعد رحلة

بحرية لاقى فيها المشاق، من بلد الأندلس حيث أقام بالثغر زمنا تعرف على جماعة من العلماء والأدباء، وفى مقدمتهم الشاعر السكندري ظافر الحداد ربطت بينهما صداقة وطيدة حيث تلازما بالاسكندرية، وسافرا معاً إلى القاهرة فالفسطاط واتصلا بالوزير الأفضل بن بدر الجمالي فمدحاه ومدحا الخليفة آنذاك. لكن أمية لم ينل، الحظوة التي نالها صديقه عند الأفضل، وغضب عليه الأفضل لأمور، فحبسه مرتين بالاسكندرية والقاهرة، مما أوغر صدره، وخرج من مصر مغرباً نحو المهدية بتونس ليلتقي بصاحبها يحيى بن تميم بن المعز بن باديس، وكان على غير وفاق مع خلفاء المصريين فوجد في الأديب أبي الصلت ضالته للتشفي من مصر والمصريين. إذ طلب إليه أن يكتب هذه الرسالة ليقف على ما شاهده في رحلته إلى مصر وإقامته بها .

والرسالة على ما بها من معلومات ومعارف هامة عن مصر والمصريين آنذاك إلا أنها تحفل بتلميحات وغمزات وتعريضات تصدر عن صدر مسجور ينفث حقداً وغضبا على ما لقى من السجن والتكيل بشخصه .

بدأ رسالته بوصف الرحلة حتى بلغ الاسكندرية بحراً قائلاً : «وكم بر خرقت مخارمه وفجاجه، وبحر شققت غواربه وأمواجه، وليس لي غير مصر مقصد، ولا وراءها مذهب، ولا دونها للغنى مطلب :

وكم في الأرض من بلد ولكن   عليك لشقوتي وقع اختياري. »

ويمضي ويقول : «ولم تطل مدة اللبث حتى تبينت بما شاهدته أني فيها منحوس البضاعة، موكوس الصناعة، مخصوص بالإهانة والإضاعة وأن عيشها الرغد مقصور على الوغد، وعطاءها الغمر موقوف على الحر، فلو تقدم فعلمت ذلك لخف عنه مركبي، وصرفت إلى سواها وجه مطلبي..» حتى يقول.. بل نشطت حتى تورطت، وحتى عوملت بما يعامل به ذوو الجرائر والذنوب، وجرعت من الذلة بأوفى نصيب، هذا مع ما حبرته من المدح التى اشتهرت شهرة الصباح وهبت هبوب الرياح ولهج

بها الحادي والملاح .

فسار بها من لا يسير مشمراً   وغنى بها من لا يغني مغرداً».

فالرجل جاء إلى مصر طامعاً طامحاً، لكنه اتخذ سبيله إلى غايته بوسائل خارج علمه وطاقته، مدعياً ما لا يتقن حتى اكتشف أمره، فكان جزاؤه ما كان، وما كان ذلك ذنب المصريين، بل إن الذنب يقع عليه وعلى جرأته وادعائه مالا يحسن، وتقربه بالزلفى أحياناً بما نظم من القصائد قصداً إلى ما يريد، متوقعاً من سامعه الغفلة وتصديق ما يدعي، فلما انكشف أمره لقي جزاء ما فعل والذنب ذنبه .

ولتتم فصول وصوليته، وطموحه لجأ إلى من رأى عندهم مأوى يأويه، وعطفاً يبديه، وهو أبو طاهر يحيى صاحب المهدية لما بينه وبين المصريين من إحن ومحن منذ عهد المنتصر بالله ، فقدم القول في الرسالة المصرية بخيبة الأمل في مصر التي ظنها جنة المأوى، فخاب سعيه، وتقرب إلى أعدائها لعله يبلغ عند من نزح إليهم مغنماً افتقده، وإنه ليالغه بما تقرب إليهم به من مديح يبدو واضحاً بعد ذمه فيمن ترك بمصر إذ يقول :

«إلا أن الله جلت آلاؤه، وقدست أسماؤه، تدارك برحمته، فأزال تلك المنحة بالمحنة، ونسخ تلك النقمة بالنعمة، وختم بالوصول إلى حضرة الملك الأجل أبى طاهر يحيى بن تميم ابن المعز بن باديس الذى لم تزل حضرته معاذ الجناة، ومراد العفاة ومجتمع الفضائل، ومنتجع الأفاضل، ومشرع الجود ومشعر الوفود .. إلى آخر هذه الزلفى الواضحة التى تكشف حقيقة دوافع أمية وراء تأليف هذه الرسالة، وتنم بوضوح عما بين سطورها من هوى وقول لا يصدر عن منصف لبلد استضافه زمنا يطول إلى ما يقرب من عشرين عاماً، ينهم بنعمه، ويلقى من أهله كل ترحاب، وكان يمكنه أن يظل كذلك مستظلا بظله لو أحسن العمل وصدر عن صدق فيما أمل ورغب.

ويصف ما جاء برسالته من موضوعات فيقول :

«وأنا أبتدئ بذكر هذه البلاد وموقعها فى المعمورة، ومجرى النيل منها، وغنائه فيها، وأشفع ذلك بنبذ من ذكر أحوال أهلها فى أخلاقهم وسيرهم، وعاداتهم، وما يتصل بذلك وينجز معه، ويجئ بسببه، ويدخل فى تضاعيفه .

ولا يقدر فى مجال الحديث على نكران فضائل مصر وأهلها، لكنه يأبى من حين إلى حين إلا أن يغمز ويلمز، ويمزج طيب ما هو الحق بباطل ما يضمر من نفثات الهوى والحقد.

فمن طيب ما لم يستطيع إنكاره طبيعة مصر بنيلها وبساتينها وما قيل فيها من الشعر وأنشده هو فيها إعجاباً، لكنه لم يصرح بأنه القائل بل قال : فقال فى ذلك بعضنا – لو لم يكن هذا البعض سواه – لأنه خشى التصريح حتى لا يقال إنه معجب بما ترك، وإن كان الإعجاب يغلبه على الإنكار، لكن الزلفى إلى السيد الجديد تحجبه .

ومما غمز فيه ولمز بغير حق اتهامه المصريين فى عصره بخلو علومهم من الحكمة التى كانت لقدمائهم، يقول بعد ذكر جماعة من حكمائها الأولين : «.. فهؤلاء هم المشهدون من أهل الحكمة بمصر فى ذلك الزمان، وأما زماننا هذا فقد دثر منها كل علم، وامحى رسمه، وجهل اسمه، ولم يبق إلا رعاع وغثاء، وجهلة دهماء، وعامة عمياء، وجلهم أهل زعارة، ولهم خبرة بالكيد والمكر» .

هذا الغمز واللمز والسب والصريح الذى يصدر من عالم أديب مثله أعماه الهوى عن أن يرى ما فى مصر من علماء وحكماء درسوا بدار الحكمة وتخرجوا فيها، ومنهم الحسن بن الهيثم وغيره من أطباء كابن رضوان .

ولا نود أن نعدد ما جاء بالرسالة من هذا اللون الذى انطوت عليه من هجاء أعاد به إلى الأذهان هجاء من جاء قبله إلى مصر من الشعراء والأدباء، ولم يحققوا ما جاءوا من أجله، فانقلبوا حاقدين يسبون ويشتمون كأبى نواس والمتنبى، وإن كانت شتائم المتنبى سارت بسيرورة شعره، وبكثرة ما قال فى مصر وأهلها فى سياق

حجاته لكافور؛ فالرسالة بعد هذا كله هامة لأنها تتحدث عن كثير من شئون مصر وبعض رجالها وشعرائها وتحفل بنصوص ومعارف كثيرة تضيف إلى معارفنا بالعصر وتزيدنا به علما .

وقد اعتمد الأستاذ هارون فى تحقيق هذه الرسالة على النسخة الوحيدة فى العالم والموجودة بالتيمورية. ونقلت بعضاً منها مصادر أخرى أفاد منها فى قراءة النص إلا أن بعض القراءات التي وردت فى النص المطبوع لا توافق السياق، وليس هذا مجال الحديث عنها .

وهذا بالضرورة مما يقع للمحقق نتيجة الاعتماد على نسخة مفردة .

وأما عن بقية رسائل هذه المجموعة فهى أقل أهمية من هذه الرسالة لاتصالها ببعض أسماء الأعلام وتراجمهم مما لا يقع فى دائرة اهتمام جماعة القراء من غير الباحثين فى التراث .

والمجموعة الثانية تشمل :

١ - كتاب خطبة واصل بن عطاء المعتزلى المتوفى عام ١٤١ هـ

٢ - كتاب أبيات الاستشهاد لأحمد بن فارس المتوفى عام ٣٩٥ هـ

٣ - رسالة فى أعجاز أبيات تغنى فى التمثيل عن صدورها لأبى العباس محمد يزيد المبرد المتوفى عام ٢٨٥ هـ

٤ - كتاب العصا لأبى المظفر أسامة بن منقذ المتوفى عام ٥٨٤ هـ

٥ - رسالة التلميذ لعبد القادر بن عمر البغدادى المتوف عام ١٠٩٨ هـ

ومعظم هذه المجموعة غير نادرة فى موضوعها، فهى مبذولة وبعضها متكرر فى كتب قديمة وموسوعات أدبية، وأعنى خطبة واصل بن عطاء المشهورة التى حذفت منها حرف الراء أوردها الجاحظ فى كتاب البيان والتبين وأشاد بها الشاعر بشار بن برد ويصاحبها حيث يقول :

أبا حذيفة قد أوتيت معجـزة　　　من خطبـــة بدهت من غير تقدير

ويقول مرة أخرى عن واصل ممتدحاً :

فقـــام مرتجلاً تغلى بداهتـه · كمرجـل القين لمـا حف باللهب
وجانب الراء لم يشعر به أحد · قبل التصفح والإغراق فى الطلب

وأما الرسالتان الثانية والثالثة فيما يستشهد به من أبيات شعرية وأعجاز أبيات تجرى مجرى الأمثال، وجلّها أو معظمها مما تضمنته كتب الأمثال المعروفة أو بعض الكتب الأدبية الجامعة، فموضوعها ليس جديداً ولا نادراً، وربما كانت ندرتها فى تقدير المحقق لعدم شهرتها ولمكانة صاحبيهما أعنى أحمد بن فارس والمبرد، وهما من تعرف من تقدمهما فى اللغة والأدب .

وأما الرسالة الرابعة «كتاب العصا» لأسامة بن منقذ فهى وإن كانت غير نادرة الموضوع، فقد سبق إليه الجاحظ فى كتاب البيان والتبين الجزء الثالث، وإنما جرى ابن منقذ على أعقابه، ونقل عنه، وإن لم يقف على مؤلف الجاحظ كما حدثنا المحقق فى تقديمه إذ يقول : «وليس هذا العنوان من ابتداع أسامة ... ويدور فى خلدى أن ذلك الكتاب عن «العصا» الذى ظل أسامة يبحث منه دهراً - كما ذكر - إنما هو كتاب «العصا» للجاحظ، وهو من مشتملات كتاب البيان والتبين».

ومحور الحديث فى كتاب العصا للجاحظ، وكما هو عند أسامة هو الدفاع عن العرب ضد مزاعم الشعوبيين الذين ذكروا بين مثالب العرب أنهم يعتمدون فى خطبهم على العصا ويتكئون على القوس وليس بين الكلام والعصا سبب.

ويتبرى الجاحظ لبيان فضائل العصا، وشرح أسباب إمساك العرب بها فى حلهم وترحالهم، وبالضرورة فى خطبهم فى المحافل والمنافرات.

وكان الجاحظ يتصدى للدفاع عن العرب والإسلام ضد هجمات الشعوبيين من الفرس وغيرهم . وربما استدعى رغبة أسامة فى إعادة الحديث عن العصا باعتبارها رمزاً للعروبة وموطن معجزة موسى عليه السلام كما حدث القران الكريم بسبب تعرض العرب فى عصر أسامة لهجمات الفرنج ومحاولة التقليل من شأنهم فى

حربهم الدعائية التي قدموها بين أيدي حروبهم الصليبية .

ولم يزد كتاب ابن منقذ فيما أورده من حجج على ما ذكره الجاحظ بل ربما كان كتاب الجاحظ أوفى وأشمل، وأكثر براعة فى الجدل والبرهان .

وإنما أضاف ابن منقذ إلى كتابه بعض ما عرض له فى حياته من أحداث، وما تلقاه من أخبار «ولا سيما أخبار الصالحين والزهاد» مع بعض أخبار الفرنجة وإبداء رأيه فى أخلاقهم وسياستهم فضلاً عما أورده فى ثنايا ذلك من شعره . فالكتاب مفيد من هذا الجانب .

وقد اعتمد فى تحقيقه لهذا المخطوط على نسخة من ثلاث نسخ قال إن الدكتور أحمد أمين أرسلها إليه، وأشار إلى أن يقوم بتحقيقها .

والرسالة الخامسة والأخيرة فى هذه المجموعة وهى «رسالة التلميذ» فريدة فى اسمها وتقتضينا الوقوف عندها للتعرف عليها واستيضاح مضمونها .

يبدأ عبد القادر البغدادى فى مقدمته بالتعريف بكلمة التلميذ ومن يرى أنها غير عربية الأصل «فإنى لم أجد هذه الكلمة مذكورة فى كتب اللغة المتداولة .. كالجمهرة لابن دريد، والصحاح للجوهرى، والمحكم لابن سيده، والعباب للصاغانى والقاموس لمجد الدين الفيروزبادى وغيرها إلا فى لسان العرب لابن مكرم، فإنه أورده فى مادة تلمذ وقال التلاميذ الخدم والأتباع، واحدهم تلميذ».

وهكذا يتضح من فحوى الرسالة أنه يحاول البرهان على صحة أصل الكلمة فى العربية متخذا لذلك مختلف سبل البرهان وأدلته . ويبدو أن المحقق يرى مع غالبية علماء اللغة ضعف صلة الكلمة بالعربية وأنها ربما كانت فى الأصل سريانية معربة. فهو يخالف بذلك مؤلف الرسالة عبد القادر البغدادى .

ويعتمد الأستاذ هارون على ثلاثة نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية .

وأما المجموعة الثالثة فتشمل على رسالة ابن غرسية فى الشعوبية وأربع رسائل فى الرد عليها .

وقضية الشعوبية قديمة فى التاريخ العربى الإسلامى، ولها تداعيات وآثار كثيرة فى الحياة والمجتمع، وفى الفكر والأدب منذ القرن الأول للهجرة، وكان من أسباب اشتعالها ما اتجه إليه الأمويون من عصبية للعرب ومعاملة الموالى من الأصول غير العربية معاملة غير كريمة أحيانا مما أثار حفيظتهم، وكان معظم هؤلاء من الفرس الذين عز عليهم هذا الوضع وهم أصحاب الحضارة والسلطان أيام أن كان العرب رعاة شاة وإبل. وكان من بين من عرفوا بالشعوبية من كبار العلماء فى القرنين الثانى والثالث بشار بن برد الشاعر وأبو عبيدة الأخبارى اللغوى الذى ألف الكتب فى مثالب العرب، كما اتهم الكاتب سهل بن هارون بذلك .

وتحدث الجاحظ عن الشعوبية، ورد عليهم فى كثير من كتبه .

ورسالة ابن غرسية من ذيول تداعيات هذه القضية فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى عصر ملوك الطوائف. وصاحبها من الموالى من أصل غير عربى، وكان من الكتاب البلغاء تشهد على ذلك هذه الرسالة .

ويشارك ابن غرسية شعوبية المشرق فى بعض آرائهم، لكنه ينفرد عنهم فى جوانب، أهمها أن الرسالة شخصية، وجهها إلى زميل له من الكتاب وكان أكثر حذرا فى موقفه من الإسلام، وأكثر تركيزا على العرب وبداوتهم وقلة حظهم من الحضارة قبل الإسلام، ووازن بين الصفات الطبيعية والخصال الخلقية عند العرب وغيرهم من العجم وأصحاب الحضارات القديمة. فمن حيث الصفات الخلقية فضل بياض العجم «الإفرنج» على سمرة العرب، وقارن بين حياة العرب البدائية وحياة الحضر والعيش الرضى الذى تنعم به العجم .

كما رمى العرب بحبهم للشهوات .. إلى غير ذلك مما نجده مبثوثا فى الكتب التى تعرضت للموضوع .

ويعرض لفخر العرب بالإسلام والنبى محمد صلى الله عليه وسلم، فيرد عليهم غرسية أنه لا فخر فى ذلك للعرب «فإن التبر من الترب، والمسك بعض دم الغزال» .

وقد رد جماعة من علماء الأندلس والمغرب وغيرهم على ما قال في الرسائل الأربع التي جاءت في هذه المجموعة .

يبقى المجموعة الرابعة والأخيرة في هذا المجلد وتضم رسالتين هما :

– رسالة في شرى الرقيق، وتقليب العبيد لابن بطلان

– وهداية المريد في شراء العبيد لمحمد الغزالي

وصاحب الرسالة الأولى ابن بطلان من نصارى العراق في القرن الخامس الهجري. عرف بالطب والحكمة، وعمل بالطب في العراق زمنا، رحل بعده إلى حلب وبعض مدن الشام، وجاء إلى مصر فدخل الفسطاط سنة ١٤١ هـ في عصر الفاطميين، وأقام بها زمنا ثم خرج منها إلى الشام واستقر بأحد أديرة أنطاكية حتى وفاته .

ويعرض في رسالته لتجارة الرقيق فيرى أنها كغيرها من التجارات يحاول أصحابها أن يدلسوا على المشترين أحياناً ليروجوا تجارتهم، وكانوا يلجئون إلى مختلف الحيل من ذلك مما أوجب أن يؤلف ابن بطلان رسالته ليبصر المشترين ببعض ما يلجأ إليه أولئك النخاسون لإخفاء العيوب في أجساد وأوجه من يجلبون من الإماء والعبيد. وباعتباره طبيباً خبيراً فقد دل الناس على ما ينبغي التنبه إليه عند الشراء، حتى لا يقع المحظور وتكتشف الخدعة بعد ضياع المال في بضاعة فاسدة كعبد السوء الذي يجلب لصاحبه الندم والحسرة، أو الأمة التي يتستر قبحها تحت قناع مصنوع فتصبح علة لشاريها بعد أن أمل فيها متعة وخيراً .

والرسالة الثانية تدور في الموضوع نفسه إلا أن صاحبه رجل مغمور ليس في شهرة صاحب الرسالة الأولى متأخرة الزمن من العصر العثماني، ليس له خبرة ولا علم صاحب الرسالة الأولى الأمر الذي انعكس على رسالته شكلاً وموضوعاً .

وهكذا نرى أن موضوع الرسالتين مما لا يوافق العصر الذي نعيشه في القرن الواحد والعشرين، وقد قضى على الرق منذ القرن التاسع عشر. وربما واجه المحقق

الأستاذ عبد السلام هارون بعض الحرج فى إقدامه على نشر الرسالتين لمنافاتهما لروح العصر وإن كانتا قد ألفتا فى زمن شرع فيه الرق. لهذا رأى من المناسب أن يقدم للرسالتين بحديث يرفع عنه الحرج بنشر الرسالتين إذ يعرض بقدم هذا النظام، وتأصله فى المجتمعات والحضارات القديمة منذ أقدم العصور عند المصريين القدماء والفرس والإغريق والرومان، وهو عند اليهود والعرب من قديم، فهو من ركائز الأنظمة والحضارات الإنسانية المعرقة، أخذ به العرب، وسمح به الإسلام ولم يواجهه التشريع مواجهة حاسمة كما واجه بعض العقائد والعبادات فحرمها تحريما تاماً ووقف من بعضها موقفاً متدرجاً، خاصة فيما لا يتصل بلب عقيدة «التوحيد»، وحول بعض الطقوس العربية القديمة كالحج إلى طقس إسلامى بعد أن كان طقساً وثنيا، ووقف من عادة شرب الخمر وهى قديمة منتشرة فى المجتمعات الإنسانية منذ القدم، وتساهلت معها بعض الديانات فوقف الإسلام من الخمر وتحريمها، موقفا متدرجاً، وكذلك فعل مع الرقيق، وإن كان الإسلام قد انتهى إلى تحريم الخمر، ولم يقض بتحريم الرقيق بل دعى إلى التخفيف منه، وشجع على القضاء عليه أو الامتناع عنه بوسائل شتى وإن لم يحرمه بنص قاطع كما فعل مع الخمر ومن هنا ظل الرق فى المجتمعات الإسلامية معمولاً به طوال ثلاثة عشر قرناً حتى انتهى باتفاق العالم على تجريمه .

وعلى ما فى الرق من جوانب سلبية إلا أن الرقيق من الجوارى والموالى كانت لهم آثار إيجابية فى الطرب والغناء والموسيقى وإشاعة روح الجمال وتربية الذوق بغرس حب الفنون ونقل ما توارثوه من مجتمعاتهم المتحضرة، أو احتراف بعض تلك الفنون بما تحرج العرب من ممارستها فسلموا بها للموالى والإماء .

وبعد فإن هذه المجموعات الأربع من الرسائل على اختلاف عصورها وتنوع موضوعاتها تحيى جوانب من التراث وتلقى الضوء على بعض جوانبه بجل نفعها، وتصل ماضينا بحاضرنا .

نوادر المخطوطات

المجموعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هـذه المكتبة العربية التي كانت منار الثقافة الإنسانية دهراً طويلا ، ولا تزال تشع من نورها وضيائها على جنبات الدنيا ، وتتغلغل تغلغلا عميقاً في زوايا الحضارات على شتى أصولها . هـذه المكتبة لم تلق بعد ما تستوجب من عناية ، ولا ما تستحق من خدمة واجبة . وكنت ولا أزال أتحدث بجهد إخواننا في العلم المستشرقين ، الذين بادروا إلى إنقاذ الكنز فكان لهم بذلك فضل التنبيه .

وكان مما صنع الله لهذه الكنوز أن قيّض لإثارتها ، ونفض غبارها، طائفةً ممن نصبوا أنفسهم لهذا العمل المجهد الشاق ، يبغون بذلك الإسهامَ في نشر العلم ، وفي بيان أمجاد الغابرين من الأجداد ، وتوطيد الصلة بين علمهم الأصيل ومعارفنا المستحدثة . وأذكر في طليعة هؤلاء الناشرين الرجل العبقري المرحوم « السيد محمد أمين الخانجي » ، الذي أمد المكتبة العربية بعدد هائل من المطبوعات العربية التي لو لم تمتد يده إليها لبقيت إلى الآن مطمورة في النسيان . وأذكر معه العلامة المحقق الجليل المغفور له « أحمد زكي باشا » ، وهو أول عربي أشاعَ أساليب النشر الحديثة ونظم الطبع الجديدة في كتبنا هذه العربية ؛ فلهما من الله الرحمة والجزاء لقاء ما قدما من فضل عظيم .

وإنه لما يثلج الصدر أن تتجه جامعاتنا المصرية اتجاهاً جديداً إزاء طلابها المتقدمين للإجازات العلمية الفائقة ، إذ توجههم إلى أن يقدموا مع رسالاتهم العلمية تحقيقاً لمخطوط يمت بصلة إلى موضوع الرسالة ، وعسى أن يأتي اليوم الذي يكون فيه هذا الأمر ضريبة علمية لابد من أدائها .

وكان مما صنع لي الله أن ألقيت نفسي في أطراف ميدان النشر العلمي أكافح فيه والسلاح ضعيف ، فما أزال أجمع سلاحًا إلى سلاح ، وأقتحم الصعاب إثر

الصعاب ، وإنا فيما بين ذلك أستلهم الله العون والتوفيق ، فيمدني بسَيْب منه وفيض كريم ، وكلما ظننت أني قد رويت غلة النفس زاد مابي من ظمأ إلى مزاولة هذا الجهاد الصادق .

وقد رأيت أن همة الناشرين المحققين تتجه في أغلب ماتتجه إلى المخطوطات ذات الشهرة الظاهرة ، وإلى ما جلّ مقداره من كتب السلف ، مُغْفلين في أكثر الأمر هذه الرسائل الصغيرة . وقديماً كان الناس كذلك ، إنما يروقهم مايملأ أبصارهم، ومايروعهم بجسامته وعظَمه ، ورب أسد مَزْبر في أثواب رجل نحيف !

فصحّ مني العزم على أن أكشف عن طائفة من هذه الكتب الصغيرة غطاءها ، وأقدم منها إلى جمهرة الباحثين مادة نادرة . وأن أجعل هذا في مجموعات متتالية متسلسلة الأرقام والصفحات . وسيكون من كل أربع مجموعات مجلد يقع في نحو خمسمائة صفحة ، تنتهي بفهرس عام لما فيها من الرسائل .

هذا . وليس يفوتني أن أذكر أن هذا العمل قد لقي منذ اللحظة الأولى في التفكير فيه ، ترحيباً بالغاً من رجال العلم ، ووجدت فاتحة معاونة جميلة من الأصدقاء الكُثْر ، إذ تكرم الأخ العلامة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع المكّي فبادر بإرسال مخطوط نادر نفيس نسخه بقلمه مقابلا على أصله ، هو « كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار ، وما فيها من المياه » لعرام بن الأصبغ السُّلَمِيّ . وسيظهر إن شاء الله في المجموعة الثانية من نوادر المخطوطات .

وإني إذ أسجل لهذا الصديق شكراً عظيما على ما أسدى — لرتقب إن أجد لهذا العمل التعاوني صدًى عند من تضم مكتباتهم أمثال هذه الكتب الصغيرة النادرة .

والله أسأل العونَ ة وإلزام الصواب ، وصالحَ التوفيق ؟

القاهرة في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ عبد السلام محمد هارون

الرسالة المصرية

لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي

٤٧٠ ـ ٥٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

نزح كثيرون من رجال الأندلس إلى الشرق طلباً للعلم أو المال أو الجاه ، أو رغبةً في أداء فريضة الحج ، وكان من أولئك النازحين إلى مصر رجلٌ جَمع إلى الأدب الحكمة ، وإلى الطب التنجيمَ والموسيقى والرياضةَ والبراعة في علم الحِيَل . هذا الرجل هو أبو الصَّلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت ، المولود في مدينة دانية ، من بلاد الأندلس سنة ٤٧٠ هـ .

قدِمَ أبو الصلت إلى الإسكندرية ومعه أمُّه — فيما يروى ابن خَلِّكان — سنة ٤٨٩ ، أي في أيام الخليفة الفاطمي المستنصر بالله أبي تميم معدّ بن الظاهر بالله علىّ بن الحاكم بأمر الله ؛ ووزيرُه إذذاك والقائمُ بأمر دولته الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني .

وكان يأمُل أبو الصلت من وراء رحلته هذه بسطة في العيش ، وثَرَاء من المال ، كما أشار إلى ذلك في صدر رسالته . ويبدو أنه ظل دهراً خاملا يتحيّن الفرص ، إلى أن أتيح له أن يتّصل بأحد المقرَّبين إلى الوزير الأفضل[1] ، في أيام الخليفة الآمر[2] ، وذلك الرجل هو تاج المعالي مختار[3] ، فخدمه بصناعتَي الطبّ

---

(١) بدأت وزارة الأفضل للمستنصر الفاطمي سنة ٤٨٧ بعد وفاة أبيه بدر الجمالي ، ثم وزر للمستعلي بالله أحمد سنة ٤٨٨ ، ثم للآمر بأحكام الله سنة ٤٩٦ . وقد استبد بهؤلاء الخلفاء جميعاً إلى أن تمكن منه الآمر ودبر مقتله ، فقتل سنة ٥١٥ . النجوم الزاهرة (٥ : ٢٢٢) .

(٢) هو الآمر بأحكام الله منصور بن المستعلي بالله أحمد بن المستنصر بالله . ولد في سنة ٤٩٠ واستخلف وله خمس سنين ، وقتل سنة ٥٢٤ . انظر النجوم الزاهرة (٥ : ١٧٠) والخطط المقريزية عند ذكر « الجامع الأقمر » .

(٣) معجم الأدباء (٢ : ٥٤) .

والتنجيم ، فأعجب به ، ووصفه بحضرة الأفضل وأثنى عليه ، وكان كاتبُ الأفضل يتفّس عليه ذلك ، ويخشى بأس تاج المعالى ، وحدث أن تنابعت من تاج المعالى السقطات فأدى ذلك إلى أن يقبض عليه الأفضل ويعتقله ، فيجد كاتب الأفضل الفرصة سانحة للقضاء على أبى الصلت ، فيختلق له ما يدفع الأفضل إلى أن يلقى به فى سجن المعونة[١] بمصر ، مدة ثلاث سنين وشهر[٢] ، بعد الذى دبج فيه من المدائح والشعر[٣] .

ويروى ابن أبى أصيبعة فى طبقات الأطباء ، أن دخول أبى الصلت إلى مصر كان فى حدود سنة ٥١٠ هـ ، وأنه حبس فى الإسكندرية فى خلافة الآمر بأحكام الله ووزارة الأفضل[٤] . فإن صحت هذه الرواية كانت سنداً فى أن أبا الصلت ورد مرة أخرى بعد وفاة ولى نعمته أبى الطاهر يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس[٥] المتوفى سنة ٥٠٩ ، وهى سنة خروجه من مصر .

---

(١) ذكر المقريزى هذا السجن عند ذكر الدار المأمونية المنسوبة إلى المأمون البطائحى . قال : « وكان بجوار الدار المأمونية حبس المعونة » . ثم قال : « ولم يزل هذا الموضع سجناً مدة الدولة الفاطمية ، ومدة دولة بنى أيوب ، إلى أن عمره الملك منصور قلاوون قيسارية أسكن فيها الشرابيين فى سنة ٦٨٠ » . وقال : « وكان حبس المعونة هذا يحبس فيه أرباب الجرائم ... وأما الأمراء والأعيان فيسجنون بخزانة البنود » . والدار المأمونية هى المعروفة بالمدرسة السيوفية .

(٢) وقد روى المقرى فى نفح الطيب (١ : ٥٣٠ ليدن) رواية عجيبة : أن عمر أبى الصلت ٦٠ سنة ، منها ٢٠ فى أشبيلية ، و ٢٠ فى أفريقية عند ملوكها الصنهاجيين ، و ٢٠ فى مصر محبوساً فى خزانة الكتب .

(٣) انظر بعضها عند ابن أبى أصيبعة (٢ : ٥٣ ، ٥٦) .

(٤) ذكر ابن أبى أصيبعة سبب حبسه فى الإسكندرية : أن الأفضل طلب إليه أن يعمل الحيلة فى رفع مركب غارق فى البحر ، فاجتهد أبو الصلت ، ولكنه حينما قارب النجاح خانه جهده ، فهبط المركب إلى قعر البحر ، بعد ما تكبد الدولة خسائر فادحة ، فحبسه الأفضل لذلك .

(٥) ملك أبو الطاهر يحيى بن تميم ، المغرب سنة ٥٠١ واستقر فى ملكه إلى أن توفى سنة ٥٠٩ . انظر تاريخ طرابلس الغرب لابن غلبون (ص ٣٩ — ٤٠) .

ضاق أبو الصلت ذرعا بمصر ، وما لقي فيها من الخيبة والعنت . قال القفطي[1] :

« ودخل مصر في أيام أفضلها فلم ينل منه إفضالا ، وقصده للنّيل فلم يجد لديه نوالا » . فحينئذ شد رحاله إلى المغرب في سنة ٥٠٦ ، واستماد صلته بحضرة أبي الطاهر يحيى بن تميم بن باديس ، الذي وضع له هذه « الرسالة المصرية » يصف له فيها ما عاينه في مصر وما عاناه ، وتناول في هذه الرسالة القيمة :

١ — الوصف البلداني للديار المصرية ونيلها .

٢ — ثم أخذ في تصوير جمال ربوعها ومغانيها تارة بالشعر وأخرى بالنثر .

٣ — وعقّب على ذلك بالكلام في سكانها وأجناسهم ومذاهبهم وأخلاقهم وعقائدهم ، منذ عهد الفراعنة إلى ظهور الإسلام .

٤ — وتحدث بعد ذلك فيما تحتويه من الآثار العجيبة ، كالهرمين والبرابي .

٥ — وذكر عواصم مصر في القديم والحديث .

٦ — وقدامى العلماء من اليونان والروم ، مستطرداً بذلك إلى ندرة من لقيه بمصر من المشتغلين بالعلم والحكمة والطب .

٧ — وعجب من جهل من لقي بها من الأطباء ، ونوه بفضل بعض الأطباء البارعين .

٨ — وتحدث في ولوع المصريين بأحكام النجوم وكثرة استعمالهم لها ، وأورد في ذلك نوادر وطرائف .

٩ — ثم عرّج على ذكر من لقيه بها من الأدباء والظرفاء .

فهذه الرسالة تضرب بأسباب إلى علوم وفنون شتى ، وتعدّ اليوم كما عدت

---

(١) انظر إخبار العلماء للقفطي (ص ٥٧) طبع السعادة .

بالأمس ، وثيقة يرجع إليها البلدانى ، والمؤرخ ، وباحث الآثار ، والاجتماعى ، والحكيم ، والطبيب ، والمنجم ، والأديب .

* * *

هذه الرسالة الصغيرةُ الحجمِ العظيمة القدر كانت متعارَفة متداوَلةً بين كبار العلماء والمؤرِّخين ، ثم أضحت نادرةً مجهولة ، إلى أن تمكَّن المغفور له العلامة أحمد تيمور باشا — طيب الله ثراه — من اقتنائها فى مكتبته الخاصة ، وهى برقم ٦٠١ أدب . وعلى هذه النسخة الوحيدة فى العالم — كما يتَّضح من مراجعة فهارس بروكلمان[1] — أعتمِدُ فى نشر هذه الرسالة الفريدة ، التى أورد طرفاً منها ياقوت فى « إرشاد الأريب » ، والعماد فى « الخريدة » ، والقفطى فى « إخبار العلماء » ، وابن أبى أُصيبعة فى « عيون الأنباء » والأسعد بن مَمَّاتى فى « قوانين الدولة » ، والمقَّرى فى « نَفح الطيب » ، والمقريزى فى « الخطط » ، والأدفوى فى « الطالع السعيد » ، والسيوطى فى « حسن المحاضرة » ، كما سيتضح لك عند تحقيق نصوصها .

ولأبى الصلت غير الرسالة المصرية « كتاب الحديقة » على أسلوب « يتيمة الدهر » للثعالبى ، وقد نقل منه العماد فى « الخريدة » . وله أيضاً « الأدوية المفردة » وهو محفوظ فى مكتبة بودليان ، و « رسالة فى العمل بالأسطرلاب » فى برلين وليدن و بودليان ، و « تقويم الذهن » فى المنطق ، بمكتبة الإسكوريال ، و « أوراق من كتاب فى الفلك » بالإسكوريال ، و « كتاب فى المعانى المختلفة لفظة نقطة » فى مكتبة ليدن ، « قصيدة » بمكتبة برلين .

---

(١) انظر بروكلمان (١ : ٤٨٦ — ٤٨٧) وملحقه الأول (ص ٨٨٩) . على أنى عثرت فيما بعد على قطعة من الرسالة المصرية فى دار الكتب المصرية برقم ٣٠٤ تاريخ ، سأنبه على موضع بدئها ونهايتها فى الحواشى .

وقد صنف معظم هذه الـكتب وهو فى اعتقال الأفضل بمصر ، كما نص ابن خلـكان .

***

انتهت أيام أبى الصلت فى المهدية ، وقد اختلف المؤرخون فى سنة وفاته ، فقيل سنة ٥٢٠ وقيل سنة ٥٢٨ (١) .

وإليك الرسالة :

---

(١) انظر ترجمته عند ياقوت (٧ : ٥٢) وابن خلـكان (١ : ٨٠) والقفطى (٥٧) والمقرى (١ : ٥٢٠) وابن أبى أصيبعة (٢ : ٥٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت رحمه الله تعالى :
كنت إبانَ عصرُ الشباب مونقٌ ، وغصن الصِّبا مورقٌ .

إذ لِمّتي مســودةٌ ولماء وجهي رونق[١]

ممن سامحه الدهرُ بغفلةٍ من غفلاته ، وتجافى له عن غفوةٍ من غفواته ، فعاش آمِنَ السِّرْب ، سائغَ الشِّرب ، لا يفرّغ من أدبٍ يرود رياضه ، ويردُ حياضَه ، إلا إلى طربٍ يعمُر ميدانَه ، ويسحب ذيولَه وأردانه . ثم تلوّن فقلب لي ظهر مِجَنّه ، وسقاني دُرْدِيَّ دنّه ، فتدارك ما أغفلَه ، واستردَّ ما بذلَه ، واضطُرِرْتُ إلى مفارقة الوطن ، والخروج عن العطن ، فتماسكت إشفاقا من مفارقة أولِ أرضٍ مسَّ جلدي ترابُها ، وشُدَّتْ عليَّ التمائم بها[٢] . وجاءت أمورٌ لا تطاقُ كِبار . فلما لم يمكن القرار ، ولم يبقَ إلا الفرار ، قلت : ليس لي إلا أن أرميَ بنفسي كلَّ مرمًى ، وأطرحَها كلَّ مَطّرَح .

لأبلغ عُذراً أو أنالَ رغيبةً ومُبلغُ نفسٍ عذرَها مثلُ مُنجحِ[٣]

وسكنت إلى البيت المشهور :

---

(١) اقتبسه من قول أبي الطيب المتنبي وتصرف فيه :
ولقد بكيت على الشـباب ولمتي مسودة ولماء وجهي رونق
(٢) اقتباس من قول رقاع بن قيس الأسدي :
بلاد بها نيطت عليّ تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها
اللسان (نوط) ، وأمالي القالي (١ : ٨٣) .
(٣) اقتبسه كذلك من قول عروة بن الورد ، ورواه أبو تمام في الحماسة (١ : ١٨٨) :
ومن يك مثلي ذا عيال ومقتراً من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عـذراً أو يصيب رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

تلقَى بكلِّ بلادٍ إن حللتَ بها أهلاً بأهلٍ وأوطاناً بأوطانِ[1]

وإن كان يقول العامّة ليس بين بلد وبلد نسب ، فخير البلاد ما حملك .

فجعلت أستقرى البلادَ لأتيمّمَ أوفقَها للمُقام ، وأعونَها على مقارَعة الأيام ، فكانت مصرُ مما وقع عليه اختيارى ، وصدَّقَتْ حسنَ ظنّى قبل اختبارى ، وسرتُ قاصداً إليها أعتسِف المجاهل والتنائف ، وأخوضُ المهالك والمتالف ، فطوراً أمتطى كلَّ حالكة الإهاب[2] ، مسودّة الجلباب ، نابتة كصِبغة الشباب ، قد فُسِح ميدانُها ، ووُضع براحة الرّيح عنانُها ، فجرت جرىَ الطِّرف الجموح ، وفاتت مدى الطَّرف الطموح ؛ وطوراً كلَّ نقِب الأياطل ، كالهياطل[3] ، منبّط الشافر جعد الأشعار ، احتذى العقيقَ ، أو الصّخر الشقيق ، إن علا قلتَ ظليمٌ خاضب ، وإنْ هوَى قلت شهابٌ ثاقب ، يصل الذّميل بالوخاد[4] ، ويلتهم التهائم والنِّجاد . فكم جزْع وادٍ جزَعتُه ، وجلبابِ ليل ادّرعته ، وكم برٍّ خرقت مخارمه ومجاهله ، وبحرٍ شققت غواربَه وأمواجه ، وليس لى غيرَ مصر مقصدٌ ، ولا وراءها مذهَب ، ولا دونها للغنى متطلَّب .

وكم فى الأرض من بلدٍ ولكن عليك لشقوتى وَقَع اختيارى

فلما تمرّتْ ركابى من النيل ، واستقرّت بظلّ المقطم ، ألقيتُ عصا التّسيار ، واستقرّتْ بىَ النّوى ، وخفّت ظهورهن من الرّحال ، وأرحتُهنّ من الحِلِّ والتَّرحال ، وقلت : ضالّتى المنشودة ، وبُغيتى المقصودة ، هاهنا ألبثُ وأقيم ، فلا

---

(١) البيت من أبيات الحماسة (١ : ٩٨) ، وقبله :

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة نزوع نفس إلى أهل وأوطان

(٢) يعنى السفينة .

(٣) إنما نقبت أياطله من إدمان السير . والنقب ، هنا : تنفط الجلد . والهياطل : جمع هيطل ، وهو الثعلب ، يشبه به الفرس فى شدة العدو . وفى الأصل : « نقب الأياطيل كهياطيل » .

(٤) النسوع فى مصدر وخد هو الوخد والوخدان .

أبرح ولا أريم ، « بلدةٌ طيّبة وربٌّ غفور » . وحيث الغضّ فروضةٌ وغديرٌ ، وخورنقٌ وسديرٌ ، وظلٌّ ظليل ، ونسيم عليل .

وكم تمنيت أن ألقى بها أحداً … يُسلي من الهم أو يُعدي على النُّوَب[1]
فما وجدتُ سوى قومٍ إذا صدقوا … كانت مواعيدهم كالآل في الكذب[2]
وكان لى سببٌ قد كنت أحسَبنى … أحظى به فإذا دانٍ من الشّجَب
فما مقلّمٌ أظفاري سوى قلمى … ولا كتائبُ أعدائى سوى كتُبى[3]

ولم تطلْ مدة المُكث حتى تبيّنتُ بما شاهدتُه أنى فيها مبخوسُ البضاعة ، موكوس الصناعة ، مخصوصٌ بالإهانة والإضاعة ؛ وأنّ عيشَها الرغدَ ، مقصورٌ على الوغد ، وعقابَها المرّ ، موقوف على الحُرّ ، فلو تقدّمت فملت ذلك نفضتُ عنها مركبى[4] وصرفت إلى سواها وجهَ مطلبى ، ولكان لى فى الأرض مرمىً شاسع ، ومُنتابٌ واسع ، بل تثبّطت ، حتى تورّطت ، حتى عوملت بما يُعامَل به ذوو الجرائر والذنوب ، وجرّعت من المذلة بأوفى ذَنوب . هـذا مع ما حبّرته من المِدَح التى اشتهرت شهرةَ الصّبَاح ، وهبّت هبوبَ الرياح ، ولهِج بها الحـادى والملّاح[5] .

فسار بها من لا يسـير مشمّراً … وغنّى بها من لا يغنّى مغرِّداً

إلاّ أنّ الله جلت آلاؤه ، وقُدّست أسماؤه ، تدارك برحمته فأزال تلك المحنة بالمنْحة ، ونسخ تلك النقمة بالنعمة ، وختم بالوصول إلى حضرة الملك الأجلّ أبى الطـاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، الذى لم تزل حضرته مَقَاد

(١) فى الأصل : « من النوب » صوابه فى ياقوت (٧ : ٨٠) والقفطى (٥٧) وابن أبى أصيبعة (٢ : ٦٠) . وقد اقتبس هـذه الأبيات من شعر له قديم ، كما يفهم من رواية ابن أبى أصيبعة .
(٢) فى الأصل : « كالآلف » ، صوابه فى ياقوت والقفطى وابن أبى أصيبعة .
(٣) فى الأصل : « كتائب أعوانى » ، والصواب من المراجع المتقدمة .
(٤) فى الأصل : « مقلبى » .
(٥) انظر مديحه للأفضل فى ابن أبى أصيبعة (٢ : ٥٦) .

القَناة[1] ، ومَراد العُفاة ، ومجتمَع الفضائل ، ومنتجَع الأفاضـل ، ومشرعَ الجود ، ومشتَر الوفود . فلما استترت بجناحه ، واستظهرت باستاحه ، أعذب لى بساحة الدهر جناه ، واعتذر لى عما جناه ، فكفَّ دونى كفَّه ، وصرف عنى صَرفه .

كريم رفضت الناس لما بلغته كأنهم ماخفَّ من زاد قادم

فكنت فيما مضيت عليه ، وآلت حالى إليه ، من إشراقها بعد الأفول ، وإيراقها بعد الذبول ، كنصل أهمَلَ أمرَه ، من جهل قدره ، ولما وقع إلى الخبير به صان صفحتَه وحدَّه ، وحلَّى حمائله وغِمدَه ، ثم ادَّخره فيما يدَّخر وأعدَّه ، فإن انتضاه ، يوماً ارتضاه ، وإن جرَّده ، أحمَدَه ، وإن هزَّه ، سرَّه فى الضريبة حزُّه . ولـكن أبى الله أن يكون الفضل إلا لمن نشأ فى مدارسه ، ونجم فى منابته ، وربِّىَ فى حجره ، وغُذِى بدَرِّه .

فلم أستسِغ إلاَّ نَداه فلم يكن ليعدِلَ عندى ذا الجنابَ جنابُ
فما كلُّ إنعام يخفُّ احتمالُه وإن هَطلت منه علىَّ رباب[2]
ولـكن أجلُّ الصنع ما جلَّ ربُّه ولم يأتِ بابٌ دونه وحِجاب
وما شئت إلا أن أدُلَّ عواذلى على أنَّ رأيى فى هواكَ صواب[3]
وأُعلِمَ قوماً خالفونى فشرَّقوا وغرَّبتُ أنى قد ظفرت وخابوا

والأولى أن أضربَ عمَّا سلف ، وأتركَ ما فرَّط ، وآخذَ فيما أجريت إليه وقصدتُه ، ونحوتُه واعتمدته ، ممَّا آثرت به الحضرة السامية[4] — أدام الله

(١) القناة : موضع الصيد . والعناة : جمع عان ، وهو الأسير .
(٢) الرباب : سحاب يركب بعضه بعضاً ، الواحدة ربابة . وفى الأصل : « لدى ولامته على » صوابه من ياقوت (٢ : ٥٩) ، وقافيته فيه « سحاب » .
(٣) البيت وتاليه للمتنبى فى ديوانه (١ : ١٩٧) برواية العكبرى .
(٤) فى الأصل : « الشامية » .

موّها — من وصف ما عاينتُه من أرض مصر وعاينته ، والاقتصار على الذى رأيته دون مارويته ، فليس من يقول : علمتُ هـذا من طريق العلم والسماع ، كمن يقول : تحققتُه بالمشاهدة والاطلاع ؛ فإنّ ذا اللب الأمينَ لا ينخدع بمحال ، ولا يرضى بانتحال .

* * *

وأنا أبتدئ بذكر هذه البلاد وموقعها فى المعمورة ومجرى النيل منها ، وغَنائه فيها ، وأشفع ذلك بنبذ من ذكر أحوال أهلها فى أخلاقهم ، وسيَرهم وعاداتهم ، وما يتصل بذلك وينْجرّ معه ، ويجىء بسببه ، ويدخـل فى تضاعيفه . وهأنذا آخذ فى ذلك ، وبالله أستعين ، وعليه التوكل .

* * *

(١)أرض مصر بأسرها واقعةٌ من المعمورة فى قسمى الإقليم الثانى والإقليم الثالث ، ومعظمها فى الثالث .

وحكى المعتنون بأخبارها وتواريخها أن حدها فى الطول(٢) من مدينة برقة التى فى جنوب البحر الرومى ، إلى أيلة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين . ومسافة ذلك قريبٌ من أربعين يوما .

قالوا : وحدُّها فى العرض من مدينة أسوان وما سامتها من الصعيد الأعلى المتاخم لأرض النوبة ، إلى رشيد(٣) وما حاذاها من مساقط النيل فى البحر الرومى ، ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوماً . ويكتنفها من مبدئها فى العرض إلى منتهاها جبلان [أحدهما فى الضفة الشرقية من النيل ، وهو المقطم ، والآخر فى الضفة الغربية منه . والنيل منْسرب فيما بينهما . وهما(٤)] أجردان غير شامخين ، يتقاربان

(١) الكلام من هنا إلى كلمة « الاستقامة » نقله المقريزى فى (١ : ١٠ — ١٦) .
(٢) هذا التحديد التاريخى يطابق لما كانت عليه حدود مصر فى عهده .
(٣) فى الأصل : « لأرض الشام ورشيد » صوابه من الخطط .
(٤) التكملة من الخطط .

جدًّا في وضعيهما ، من لدنْ مدينة أسوان إلى أن ينتهي إلى الفسطاط ، فثَمّ تتسع مسافةُ مابينهما وتنفرج قليلا ، ويأخذ القطع منهما مشرقًا والآخر مغربا على وراب في أخذيهما[١] وتفريج[٢] في مسلكيهما ، فتتسع أرض مصر من الفسطاط إلى ساحل البحر الرومي الذي عليه الفرماء[٣] وتنيس ودمياط ورشيد والإسكندرية ، وهناك تنقطع في عرضها الذي هو مسافة [مابين] أوغلها في الجنوب و [أوغلها[٤]] في الغرب والشمال . وإذا ما مُسِحت بالطريق البرهانية في طريق هذه المسافة [من الأميال] لم تبلغ ثلاثين ميلا[٥] ، بل تنقص عنها نقصاً ماله قدر ، وذلك لأن فضل مابين عرض أسوان التي هي أوغلها في الجنوب وعرض مدينة تنيس التي هي أوغلها في الشمال ، تسعة أجزاء ونحو سدس جزء من الأجزاء التي بها تحيط الدائرة العظمى ، [وهي[٦]] ثلثمائة وستون جزءا . وليس بين طوليهما فضلٌ يقع بسببه في هذا الحساب مالَه قدرٌ يعتدّ به . فإذا ضاعفنا هذا العدد بما يخصّ الدرجة الواحدة من محاذاة ذلك من الأميال ، وذلك ستة وخمسون ميلا وثلثا ميل على مادل عليه البرهان ، كان ذلك[٧] نحو خمسمائة وعشرين ميلا بالتقريب ، وذلك مسافة سير عشرين يومًا أو قريب من ذلك[٨] . وفي هذه المدة من الزمان يقطع السُّفّار أبداً ما بين هذين البلدين بالسير المعتدل في أكثر من ذلك قليلا ، لما في الطريق من التعريج وعدم الاستقامة[٩] .

---

(١) في الخطط : « بأخذيهما » .
(٢) في الأصل : « وتعريج » صوابه في الخطط .
(٣) في الأصل : « الفرمان » وتصحيحه من الخطط .
(٤) هذه التكملة والتي قبلها من الخطط .
(٥) في الأصل : « يوماً » ووجهه ما أثبت من الخطط .
(٦) ليست في الأصل .
(٧) في الأصل : « من ذلك » .
(٨) نقل عنه في النجوم الزاهرة (١ : ٣٦) أنها ثلاثون يوماً .
(٩) إلى هنا ينتهي نقل المقريزي .

وليس تشتمل أرضُ مصر بعد الفسطاط الذى هو مقرُّ الملك وكرسيُّ الدولة ، على مدائنَ لها قدرٌ فى كثرتها ولا لضخامتها ، لكن أجلُّ مدائنها وأفخرها أما فى الجهة الشمالية من الفسطاط فالإسكندرية وتنيس ودمياط ، وأما فى الجهة الجنوبية إلى أقصى الصعيد فقوص وقفط . فهذه صفة أرض مصر على الجملة.

* * *

[1] وأما النيل فينبوعه من وراء خط الاستواء ، من جبل هناك يعرف بجبل القمر ، فإنه يبتدئ بالتزيُّد فى شهر أبيب[2] ، الذى هو بالرومية يولية[3] . والمصريون يقولون : « إذا دخل أبيب ، كان للماء دبيب » . وعند ابتدائه فى التزيد[4] تتغير جميعُ كيفياته وتفسُد ، والسبب الموجب لذلك مُرورُه بنقائع مياهٍ آجنة[5] يخالطها فيجتلبها ، ويستخرجها معه ويستصحبها ، إلى غير ذلك مما يحتمل[6] . فتصير مثل الحال التى وصفه بها الأمير تميم بن المعز لدين الله :

أما ترى الرعدَ بكى فاشتكى ... والبرقَ قد أومض فاستضحكا[7]

فاشربْ على غيمٍ كصِبغ الدُّجى ... أضحكَ وجهَ الأرضِ لما بكى[8]

[وقد حكى العودُ أنينَ الهوى ... لكنّــــه جوّدَ فيما حكى][9]

---

(١) من هنا يبتدئ نقل آخر للمقريزى فى (١ : ٥٩) .

(٢) فى الخطط : « فى التزايد » . والتزيد والتزايد بمعنى .

(٣) ما بعد « أبيب » ليس فى الخطط . وفى الأصل : « قوليه » .

(٤) فى الخطط : « التزايد » .

(٥) فى الأصل : « بقاء مع مياه آجنة » ، والصواب فى الخطط .

(٦) الكلام والشعر بعد هذا لم يورده المقريزى .

(٧) فى الأصل : « الجو من ظلامه قد اشتكى » ، ولا يستقيم به الوزن ، إذ هو من السريع . وأثبت ما فى ديوان تميم الورقة (١٢٠) من مصورة دار الكتب ذات الرقم (١٦٠٢٠ ز) ، وهذه الرواية هى التى ذكرها الثعالبى فى يتيمة الدهر (١ : ٣٤٩) الطبعة الأولى .

(٨) فى الأصل : « يشبه التحقيق كمسح » تحريف ، وأثبت ما فى الديوان ويتيمة الدهر .

(٩) إثبات هذا البيت من ديوان تميم .

وانظرْ لماء النيـــل في مدّه كأنما صُـــندِل أو مسّـكا

أو كما قال غيره من أهل العصر، من قصيدةٍ يصف فيها أرض مصر:

ولله مجرى النيل منها إذا الصَّـبا أرتنا به في مرّها عسكراً مَجْراً[1]

فشَـــطٌّ يهزُّ السمهريّةَ ذُبَّلا وموجٌ يهزُّ البيضَ هنديّةً بُترا

إذا مدّها كى الورد غضًّا وإن صفا حكى ماءه لونا ولم يَعْدُه نشرا[2]

وهذا نظير ما أنشدنيه عبد الله بن سريّة لنفسه:

راقنى النهرُ صـــفاه بعـــد شوق لصفائه

كانَ مثل الورد غضًّا ثم قد صـــار كمائه

ولأبى بكر الصَّنَوبرى[3] في مثل هذا المعنى:

ولقـــد طربتُ إلى الفرا تِ بكلِّ ذى كرمٍ ومجدِ

والشمسُ عنـــد غروبها صـــفراء مذهبةُ الفِرِندِ

والمـــاء حاشيتاه خضـــراوانِ من آسٍ ورَنْدِ[4]

تحبـــوه أيدى الريح إن هبّت على قربٍ وبُعـــدِ

بطرائقٍ من فضـــــة وطرائقٍ من لازَوَرد

والسـفن كالطير انبرت في الجوّ من مَثْنَى وفرد

حـــتّى إذا جزْنَ الفرا تَ مضى وأعقبـــه بَعْدُ[5]

---

(١) يقال للجيش العظيم: مجر، لثقله وضخمه.

(٢) حكى ماءه، أى أشبه ماء الورد في لونه. وفي الأصل: «حكى ماؤه» وأظنه تحريف.

(٣) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار، المعروف بالصنوبرى الحلبى. قال السمعانى في الورقة (٣٥٥): نسبة إلى الصنوبر. وانظر تعليلا آخر في مختصر تاريخ دمشق (١ : ٤٥٦). ووفاته سنة ٣٣٤ هـ، كما في شذرات الذهب. وانظر فوات الوفيات (١ : ٧٢).

(٤) الرَّنْد: شجر من أشجار البادية طيب الرائحة، ويقال للآس «رند». وفي الأصل «وورد» ولا وجه له.

(٥) في الأصل: «يورد» ووجهه ما أثبت.

أبصـــــرته وكأنه ... ملقى عليــــه رداء ورد
متململا كالصبِّ أو ... ذنَ من أحبّته بصَـــدّ
وكأنما يحشـــاه ما ... بحشاى من قلقٍ ووَجـــد

وقال تميم بن المعز، وأحسن التشبيه[1] :

يوم لنا بالنيـــل مختصرُ ... وبكلِّ يومٍ مسرةٍ قِصَرُ
والسُّفْنُ تصعدُ كالخيول بنا ... فيه وجيشُ الماء ينحدرُ
فكأنّما أمواجُه غُرَف ... وكأنما داراته سُرر

وقال محمد بن الحسن :

النهر مكسوٌّ من الأزهار ... برداً أنيقاً مثل ثوب . . .
. . . . يجرى بمسك أو بذوب نضار[2]
وإذا استقام رأيت صفحة مُنْصُل ... وإذا استدار رأيت عطف سوار

وقال أبو الحسن محمد بن الوزير، فى تدرُّج زيادة الماء إصبعاً إصبعاً، ومضعفِ ذلك التدرُّج :

أرى أبداً كثيراً من قليل ... وبدراً فى الحقيقة من هلال
فلا تعجبْ فكلُّ قليلِ ماء ... بمصرَ مسبِّب تخليج مالِ
زيادةُ إصبعٍ فى كلّ يوم ... زيادةُ أذرعٍ فى حُسن حال

فإذا كان فى الخامسَ عشرَ ذراعاً وزاد من السادسَ عشر إصبعاً واحدة كُسِر الخليج[3] .

ولكسره يوم معدود، ومقام مشهود، ومُجتمع عامٌّ، يحضُره العامّ والخاص . وإذا كُسِر فتحت التُّرع — وهى فوّهات الخُلجان — ففاض الماء

---

(١) الأبيات التالية لم أجدها فى ديوان تميم .
(٢) فى الأصل : « يجرى لسلك ذوب نضار » .
(٣) فى الأصل : « فتحت فتحاً عظيما » ، وأثبت ما عند المقريزى فى (١ : ٥٩) .

وساح ، وعم الغيطانَ والبطاح[١] ، وانضمّ الناسُ إلى أعلى مساكنهم من الضِّياع والمنازل ، وهي على آكام وربًى لا ينتهي إليها الماء ، ولا يتسلط السيل عليها ، فتعود عند ذلك أرض مصر بأسرها بحراً غامراً لما بين جبليها المكتنفين لها . وتثبت على هذه الحال ريثما يبلغ الحدّ المحدود ، في مشيئة الرب المعبود . وأكثر ذلك يحوم حول ثمانيةَ عشرَ ذراعاً ، ثم يأخذ عائداً في منصبه ، إلى مجرى النيل [ومسربه ، فينضب أولا عما كان[٢]] من الأرض مشرفاً عالياً ، ويصير فيما كان منها متطامناً[٣] ، فيترك كلّ قرارة كالدرهم ، ويغادر كلّ تلعة كالبُرد المسهَّم . وفي هذا الوقت من السنة تكون أرض مصر أحسن شيء منظراً ، ولاسيما متنزَّهاتها المشهورة ، ودوراتها المطروقة ، كالجزيرة ، وبركة الحبَش[٤] وماجرى مجراهامن المواضع التي يطرقها أهل الخلاعة ، ويغشاها ذوو الأدب والطرب.

واتّفق أن خرجنا في مثل هذا الزمان إلى بركة الحبَش ، فافترشنا من زهرها أحسنَ بساط ، واستظللنا من دوحها بأوفى رواق ، وطلعت علينا من زُجاجات الأقداح شموسٌ في خِلَع البدور ، ونجومٌ[٥] بالصفاء تنور ، إلى أن جرى ذهبُ الأصيل على لجين الماء ، ونشبت نار الشفق بفحمة الظلماء ، فقال في ذلك بعضُنا[٦] :

(١) في الخطط : « وغمر الغيطان والبطاح » .
(٢) مكان هذه التكملة التي أثبتها من الخطط بياض في الأصل .
(٣) بدل هذه الجملة في الأصل « ... متحفظ ... لـطاليا » وإكماله وصوابه من الخطط.
(٤) كانت في ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين النيل والجبل . وسميت بركة الحبش نسبة إلى قتادة بن قيس بن حبشي الصدفي ، ممن شهد فتح مصر ، وكانت له حدائق بجوار هذه البركة تعرف بالحبش فنسبت البركة إليها . وهـذه البركة موقعها اليوم منطقة الأراضي الزراعية الكائنة قبلي قرية دير الطين وجزء عظيم من الأراضي الزراعية التابعة لقرية البساتين . انظر الخطط (٢ : ١٥٢) والنجوم الزاهرة (٥ : ١٤) .
(٥) في الأصل : « وجوم » .
(٦) يعني نفسه . وجاء في الخطط (٢ : ١٥٥) : « وقال ابن سعيد في كتاب المغرب: « وخرجت مرة حيث بركة الحبش التي يقول فيها أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي عفا الله عنه » . وأنشد الأبيات التالية . وجاء في (٢ : ١٦٠) : « بئر أبي سلامة وتعرف ببئر النعش ، وهي من قبل النوبية ، وموضعها أحسن موضع في البركة ، وهي التي عني أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بقوله » وأنشد الأبيات ، ورواها ياقوت في ترجمة أمية منسوبة إليه .

لله يومى ببركة الحَبَش *** والأفق بين الضياء والغَبَش
والنيلُ تحت الرياح مضطربٌ *** كصارم فى يمين مرتعش
قد نسجتها يدُ الغمام لنا *** فنحن من نسجها على فُرُش
ونحن فى روضة مفوّفة *** دُبِّج بالنَّوْر عِطفُها ووُشى[1]
فعاطنى الراحَ ، إنّ تاركها *** من سورة الهم غير منتعش
وسقِّنى بالكبار مترعةً *** فهنّ أروى لشدّة العطش[2]
فأثقلُ الناس كلِّهم رجلٌ *** دعاه داعى الصبا فلم يَطِش[3]

وقال أيضاً :

علِّلْ فؤادك بالّلذات والطرَبِ *** وباكر الراحَ بالنايات والنُّخَب
أما ترى البركة الغنّاء لابسةً *** وشْيًا من النَّوْر حاكته يد السُّحُب
وأصبحتْ من جديد النَّبت فى حُلَل *** قد أبرز القَطرُ منها كلَّ محتجب
من سوسنٍ شرقٍ بالطّلّ محجرُه *** وأقحوانٍ شهىّ الظَّلْم والشَّنب
وانظر إلى الورد يحكى خدَّ محتشمٍ *** من نرجس ظلَّ يبدى لحظَ مرتقب
والياسمينَ وقد أربَى على درر *** والراح من دُرَر تطفو على ذهب
كم مرّة قد شفينا فيه غُلّتنا *** بجامٍ من فم الإبريق منسكب[4]
شمسٌ من الراح حيّانا بها قمرٌ *** موفٍ على غصُن يهتزّ فى كُثُب
أرخى ذوائبه ، وانهزّ منعطفاً *** كصعدة الرمح ، فى مسودّة العذَب
فاطربْ ودونكها فاشربْ فقد نُصبت *** على التصابى دواعى اللهو والطرب

ومما يتعلق بوصف النيل من أبيات له كتبها إلى الأفضل ليلة المهرجان :

---

(١) فى الأصل : «دبج بالقطر» ، صوابه من الخطط ومعجم الأدباء .
(٢) فى الأصل : «لعل أروى» . وفى معجم الأدباء : «فهن أشفى» .
(٣) فى الأصل : «يدعوه داعى الصبا» وأثبت ما فى الخطط ومعجم البلدان .
(٤) فى الأصل : «عللنا» بالمهملة .

أبدعتَ للنـاس منظراً عجبا لا زالتَ تُجني السرورَ والطربا

ألّفتَ بين الضدّين مقتدراً فمن رأى الماء خالطَ اللهبا

كأنّما النيـل والشموعُ به أفقُ سمـاء تألّقت شهبا

قد كانَ من فضّةٍ فصار سمّا وتحسبُ النارَ فوقه ذهبا

وقد تعاور الشعراء . . . . . . شعاع على صبيح . ومن مليح ما قيل في ذلك قول بعض أهل العصر ، وهو أبو الحسن علي بن أبي البشر الكاتب :

شربْنا مع غروبِ الشمس شمساً مشعشعةً إلى وقت الطلوع

وضوء الشمع فوق النيل باد كأطراف الأسنة في الدروع

وأنشد أبو منصور الثعالبي (في يتيمة الدهر) لمنصور بن كيغلغ[1] :

قام الغلامُ يديرها في كفّه فحسبتُ بدر التمّ يحمل كوكبا

والبـدر يجنح للأفول كأنّه قد سَلّ فوق الشطّ سيفاً مذهبا[2]

وأنشد فيه[3] للقاضي أبي القاسم علي بن إبراهيم بن أبي الفهم التنوخي :

أحسِنْ بدجلةَ والدُّجى متصوّبُ والبـدر في أفق السماء مغرّبُ

فكأنّها فيـه بساطٌ أزرقٌ وكأنّه فيها طراز مذهبُ[4]

وقال ابن وكيع التنّيسي :

غـدير يترجّع أمواجـه هبوبُ الشمال ومرّ الصَّبا

إذا الشمسُ من فوقه أشرقتْ توهّمته جوشـناً مُذهَبا

---

(١) في الجزء الأول من يتيمة الدهر (ص ٦٥) . وقبل البيتين :

جاد الزمان بمن هويت فأعجبا يا صاحبي فتقبلا واشربا

كم ليلة ساهرت فيه بدرها من فوق دجلة قبل أن يتغيبا

(٢) في الأصل : « فوق الحيط » وفي اليتيمة : « فوق الماء » . وانظر ما سيأتي في شعر ابن التار الواسطي .

(٣) أي في هذا المعنى ، أو في كتاب يتيمة الدهر . انظر اليتيمة (١ : ٦٥) .

(٤) في الأصل : « وكأنه فيه طراز » والوجه ما أثبت من اليتيمة .

وقال بعض أهل العصر من قصيدة :

باطي نهر كان الر ... وهو اللجين به ذوبا[1]
إذا حشته الصبا رأيته ... كأنه زرداً مذهبا

وقال أبو عُبادة البحتريّ يصف بِركة :

إذا علتها الصبا أبدت بها حُبُكاً ... مثلَ الجواشن مصقولاً حواشيها[2]
إذا النّجُوم تراءت في جوانبها ... ليلاً حسبتَ سماء رُكّبت فيها

وقد أحسن عبدُ الله بن المعتز في قوله :

وتبدّى لهن بالنجف الأقـ ... ـفر ماء صافي الجمام غريّ[3]
فإذا قابلتْه دُرّةُ شمس ... خلته كثّرت عليـــه الحليّ[4]

وقال ابن التّمّار الواسطي يصف ضوء القمر على دجلة :

قفْ فانتصفْ من صُروف الدهر والنُّوَبِ ... واجمعْ بكأسك شملَ اللّهو والطّربِ
أما تَرَى الليلَ قد ولّتْ عساكرُه ... مهزومةً وجيوشُ اللّهو في الطلب
والبدرُ في الأفق الغربيّ تحسبه ... قد مدّ جسراً على الشّطّين من ذهب

وقال محمد بن عبد الله السّلامي :

ونهرٍ تمرح الأمواجُ فيــه ... مِراحَ الخيـل في رَهَجِ الغبار
إذا اصفرّت عليه الشمس خِلْنا ... نميرَ الماء يُمزج بالعُقــار

***

وأمّا سكّان أرضِ مصرَ فأخلاطٌ من الناس مختلفةُ الأصناف[5] : من قِبط وروم وعَرب وبربر وأكرادٍ وديْلم وحُبشان وأرمن[6] ، وغير ذلك من

---

(١) كذا ورد البيتان على ما بهما من تحريف .
(٢) البيتان من قصيدة له يمدح فيها المتوكل ويصف بركته . الديوان ٣١٩ .
(٣) الغرى : البارد ، يقال غرى الغدير : برد ماؤه .
(٤) في ديوان ابن المعتز ٦١ : « فإذا ضاحكته » .
(٥) في الخطط (١ : ٤٨) : « مختلفو الأصناف » .
(٦) هذه الكلمة ليست في الخطط .

الأصناف والأجناس على حسب اختلافاتهم ، وقالوا : إن السبب فى اختلافهم ، والموجب لاختلاطهم ، اختلاطُ المالكين لها ، والمتغلّبين عليها ، من العمالقة واليونانيين والروم والعرب وغيرهم ، فلهذا اختلطت أنسابُهم فاقتصروا من التعريف بأنفسهم على الانتساب إلى مواضعهم[١] ، والانتماء إلى مساقطهم ومواقعهم .

وحكى جماعةٌ من المؤرّخين أنهم كانوا فى الزمن السالف عُبّادَ أصنام ، ومدبرى هياكل ، إلى أن ظهر دينُ النّصرانية وغَلب على أرض مصر فتنصّروا ، وبَقُوا على ذلك إلى أن فتحها المسلمون فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأسلم بعضُهم وبقى بعضٌ على دين النصرانية ، ومذهبهم مذهب اليعاقبة .

وأما أخلاقهم فالغالب عليهم اتباع الشهوات ، والانهماكُ فى اللذات ، والاشتغال بالتُّرّهات ، والتصديقُ بالمحالات ، وضعفُ المرائر والعزّمات ، إلى غير ذلك مما حكاه أبو الحسين على بن رضوان فى ذلك واقتصّه ، وأورده من الأمور الطبيعية وموجبه[٢] ، وكفى به حَكَماً منصفاً ، وشاهداً عدلاً .

وحكى الوصيفُ فى كتابه الذى ألّفه فى أخبار مصر أنّ أهلَها فى الزمن السابق كانوا يعتقدون أنّ هذا العالم ، الذى هو عالمُ الكون والفساد أقام برهةً من الدهر خالياً من نوع الإنسان ، عامراً بأنواع أُخَر غير الإنسان ، وأن تلك الأنواعَ مختلفةٌ على خِلق فاذّة[٣] ، وهيئات شاذّة ، ثم حدث نوعُ الإنسان فنازَعَ تلك الأنواعَ فغلبها واستولى عليها ، وأفنى أكثرَها قتلاً ، وشرّد ما بقى منها إلى القفار ، وأن تلك الشرّدة هى الغيلان والسعالى وغير ذلك ، مما حكاه من اعتقاداتهم المستحيلة ، وتصوّراتهم الفاسدة ، وتوهّماتهم النافرة . إلا أنّه يظهر من

(١) فى المخطوطة : « على الإشارة إلى مواضعهم » .
(٢) كذا وردت هذه الكلمة .
(٣) الفاذة : المنفردة . وفى الحديث : « هذه الآية الفاذة » ، أى المنفردة فى معناها .

أمرهم أنه كان فيهم طائفةٌ من ذوى المعارف والعلوم ، خصوصاً بعلم الهندسة والنجوم(١) . ويدلُّ على ذلك ما خلفوه من الأشغال(٢) البديعة المعجزة ، كالأهرام والبرابي ، فإنها من الآثار التى حيّرت الأذهان(٣) [الثاقبة ، واستعجزت الأفكار الراجحة] ، وتركت لها شغلاً بالتعجّب منها ، والتفكّر فيها . وفى مثلها يقول أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرى فى قصيدته التى يرثى بها أباه(٤) :

تضلُّ العقول الهِبْرِزيّاتُ رشدها ... ولا يسلمُ الرأى القويم من الأفْن

وقد كان أربابُ الفصاحة كلّما ... رأوا حسَناً عدُّوه من صَنعة الجنّ

وأىُّ شىء أعجبُ وأغرب بعد مقدورات الله ومصنوعاته ، من القدرة على بناء جسم [جَسيم(٥)] من أعظم الحجارة ، مربع القاعدة مخروط الشكل ، ارتفاع عموده ثلثمائة ذراع ونحو سبعةَ عشر ذراعاً(٦) يحيط به أربعة سطوح مثلثات متساويات الأضلاع ، طول كلِّ ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعاً(٧) وهو مع هذا العظم(٨) ، من إحكام الصَّنعة وإتقانها(٩) ، فى غاية من حسن التقدير بحيث لم يتأثر(١٠) إلى هلمّ جرّا(١١) بعصف الرياح وهَطْل السحاب ،

---

(١) فى الخطط (١ : ١١٨) : « وخصوصاً علم الهندسة والنجوم » .

(٢) فى الخطط : « من الصنائع » .

(٣) فى الأصل : « الآثار البعيدة من الأذهان » صوابه من الخطط .

(٤) فى سقط الزند (١ : ١٩٦) بشرح التنوير .

(٥) هذه من الخطط .

(٦) فى الخطط : « تسعة عشر ذراعاً » . والذراع يذكر ويؤنث .

(٧) فى النجوم الزاهرة (١ : ٩٨) نقلا عن أبى الصلت : « وسبعون ذراعاً » .

(٨) فى الأصل : « مع هذا الطول منه » وكتب إزاءه : « فى العظم » بدلا من « الطول منه » وأثبت ما فى الخطط .

(٩) بدله فى الخطط : « وإتقان الهندام » .

(١٠) فى الأصل : « وهو لا يتأثر » ، وأثبت ما فى الخطط .

(١١) كذا ورد فى الأصل والخطط . ولعلها : « إلى اليوم وهلمّ جرا » .

وزعزعة الزلازل . وهذه صفة كلِّ واحد الهرمين المحاذيين للفسطاط من الجانب الغربي ، على ما شاهدناه منهما[1] .

وقال بعضهم وقد ذكر عجائب مصر : « وما على وجه الأرض بِنْيَةٌ إلا وأنا أرثي لها من الليل والنهار ، إلا الهرمين فإني أرثي لليل والنهار منهما » . وهذان الهرمان[2] لهما إشرافٌ على أرض مصر وإطلالٌ [على] بطائحها ، وإصعادٌ على ذُراها . وهما اللذان أراد أبو الطيب المتنبي بقوله :

أين الذى الهرمانِ من بُنيــانه ... ما قومُه ، ما يومُه ، ما المصرع[3]
كنا نظنُّ دياره مملــوءةً ... ذهباً فمات وكلُّ دارٍ بلقع[4]
تتخلَّف الآثارُ عن أربابها ... حيناً ويُدركها الفَناء فتتبع[5]

واتفق أن خرجنا يوماً إليهما ، فلما أطفنا بهما واستدرنا حولها كثُر تعجبنا منهما ، فتعاطينا القولَ فيهما ، فقال بعضنا[6] :

بعيشك هل أبصرتَ أعجبَ منظرا ... على طُول ما أبصرتَ من هرمَيْ مصر[7]
[أناقا عنـــاناً للسماء وأشرفا ... على الجوِّ إشرافَ السِّماك أو النَّسر[8]

(١) في الأصل : « منها » ، والصواب في الخطط .

(٢) في الأصل : « أرثي الليل والنهار منها على وهذان الهرمان من أعظمها » وأثبت الصواب من الخطط .

(٣) من القصيدة له في ديوانه (١ : ٤٠٠) بشرح العكبري ، يرثي بها أبا شجاع فاتكا .

(٤) هـذا البيت لم يورده المقريزي ، وهو هنا في غير وضعه الطبيعي . وموضعه في الديوان بعد بيت يتلو الثالث هنا ؛ لأن ضمير « دياره » عائد إلى أبي شجاع في البيت الشار إليه ، وهو :

لم يرض قلب أبي شجاع مبلغ ... قبل الممات ولم يسعه موضع

(٥) في الخطط : « عن سكانها » . وفي الديوان : « عن أصحابها » .

(٦) في بدائع البدائه ١٣٦ أن الذي قال الشعر هو أبو الصلت نفسه .

(٧) بعد هذا في الأصل بياض بقدر صفحتين ، وقد وقفت لسد هذا الفراغ على ما نقله المقريزي في الخطط (١ : ١١٨ — ١١٩) ؛ ووضعت هـذا الساقط بين معقفي التكملة : [ ] .

(٨) في بدائع البدائه : « أناقا بأكناف السماء » .

وقد وافيَا نشزاً من الأرض عالياً كأنهما نَهْدانِ قاما على صدر[1]

وزعم قومٌ أن الأهرام قبورُ ملوكٍ عظام ، آثروا أن يتميَّزوا بهـا على سائر الملوك بعد مماتهم ، كما تميّزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم ، كما تميزوا عنهم فى حياتهم ، وتوخَّوا أن يبقى ذِكْرُهم بسببها على تطاول الدهور وتراخى العُصور .

ولـا وصل الخليفة المأمونُ إلى مصرَ أمر بنقْبها ، فنُقب أحدُ الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جُهد شديد ، وعناء طويل ، فوجدوا داخله مهاوِىَ ومراقىَ يهولُ أمرُها ، ويعسُر السلوك فيها ، ووجدوا فى أعلاها بيتاً مكعباً ، طول كل من أضلاعه نحوٌ من ثمانية أذرع ، وفى وسطه حَوْض رخام مطبّق ، فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غيرَ رمّة بالية ، قد أتت عليها العصور الخالية ، فعند ذلك أمر المأمون بالكفّ عن نقب ما سواه . ويقال إن النفقة على نقبه كانت عظيمة ، والمؤونةَ شديدة .

ومن الناس مَن زعم أن هرمس الأوّل ، المدعو بالمثلَّث بالنبوة والملك والحكمة ، وهو الذى يسميه العبرانيون خنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام — وهو إدريس عليه السلام — استدلّ من أحوال الكواكب على كون الطُّوفان يعمُّ الأرض ، فأكثرَ من بُنيان الأهرام ، وإيداعها الأموالَ وصحائف العلوم ، وما يُشفق عليه من الذَّهاب والدُّروس ، حفظاً لها ، واحتياطاً عليها . ويقال : إنّ الذى بناها ملك اسمه سوريد ابن سهلوق بن سرياق . وقال آخرون : إن الذى بنى الهرمين المحاذيين للفسطاط شدّاد بن عاد ، لرؤيا رآها . والقِبط تنكر دخولَ العمالقة بلد مصر ، وتحقّق أن

(١) بعده فى بدائع البدائه : « وصنع أبو منصور ظافر الحداد :

تأمل هيئة الهرمين وانظر وبينهما أبو الهول العجيب
كعماريتين على رحيل بمحبوبين بينهما رقيب
وفيض البحر بينهما دموع وصوت الريح بينهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب تخلف فهو محزون كئيب »

بانيهما سوريد[1] ، لرؤيا رآها ، وهي أنّ آفة تنزل من السماء ، وهي الطوفان . وقالوا إنه بناها في مدة ستة أشهر ، وغشّاها بالديباج الملون ، وكتب عليهما :

« قد بنيناها في ستة أشهر ، قل لمن يأتي من بعدنا يهدمهما في ستمائة سنة ، فالهدم أيسر من البنيان ، وكسوناها الديباج الملون فليكسُهُما حصراً ، فالحصر أهون من الديباج » .

ورأينا سطوحَ كلٍّ واحد من هذين الهرمين مخطوطةً من أعلاها إلى أسفلها بسطورٍ متضايقة متوازية ، من كتابة بانيها ، لا تُعرف اليومَ أحرفُها ، ولا تُفهم معانيها . وبالجملة الأمر فيها عجيب ، حتى إنّ غاية الوصف لها والإغراق في العبارة عن حقيقة الموصوف منها ، بخلاف ما قاله علي[2]] بن العباس الرومي ، وإن تباعد الموصوفان ، وتباين المقصودان ، إذ يقول :

إذا ما وصفتَ امرأً لا مرئ ... فلا تغــــــلُ في وصفه واقصِدِ
فإنك إن تغـــــلُ تغلُ الظنو ... نُ فيــه إلى الأمد الأبعدِ
فيصغر من حيث عــظّمته ... لفضل المَغيب على المشهد

وكذلك أمر البرابي ، كبربا إخميم ، وبربا سمنود[3] ، وبربا دندرا[4] ، فإن فيها من الإحكام وجودة الشكل وحسن التصوير ، ما يدلّ على أن عُمّارها

(١) في النجوم الزاهرة : « سوريد وقيل سوريد » .

(٢) إلى هنا ينتهي السقط الذي نبهنا عليه في الحاشية ٧ من صفحة ٢٦ .

(٣) في الأصل : « سمنو » صوابه من المقريزي عند ذكر البرابي ، وقال ياقوت : « كورة السمنودية كان فيها بربا وكانت إحدى العجائب . قال القضاعي : ذكر عن أبي عمرو الكندي أنه قال : رأيته وقد خزن فيه بعض عمالها قرطاً ، فرأيت الجمل إذا دنا من بابه وأراد أن يدخله سقط كل دبيب في القرط ، ولم يدخل منه شيء إلى البربا . ثم خرب عند الثلاثين وثلاثمائة » .

(٤) في الأصل : « دبدرا » وإنما هي « دندرا » أو « دندرة » أو « أندرا » كما في معجم البلدان . وفي بربا دندرة يقول المقريزي : « وهو بربا عجيب ، فيه ثمانون ومائة كوة تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ، ثم الثانية حتى تنتهي إلى آخرها ، ثم تكر راجعة إلى موضع بدئها » . وأنشد ياقوت في مطلع أبيات :

بان نقص بدندرا ... قال بيتين سطرا

ذوو عقول راجحة ، وأنّه قد كانت لهم بالحكمة عنايةٌ بالغة ، لا سيما بصناعتى الهندسة والنجوم .

وقال بعضُ أهلِ العناية بأخبار الأمم وتواريخهم : كان بمصرَ بعد الطُّوفان علماء بضروب الحكمة ، من العلوم الرياضيّة والطبيعية والإلهيّة ، ومتحقّقون بعلم الزّايا المحرقة ، وبالطّلسمات والنّيرنجيات وغير ذلك .

والمُلك بمصرَ من قديم الزمان بمدينة منف ، وهى فى غربى النيل ، على مسافة اثنى عشر ميلاً من الفسطاط . ولما بنى الإسكندرُ مدينةَ (الإسكندرية) منذ نحو ألفِ سنة وأربعمائة سنة وأربعين سنة ، رَغِبَ الناسُ فى عمارتها[1] ، وكانت دارَ العلم ، ومقرَّ الحكمة ، إلى أن تغلّب عليها المسلمون فى خلافة عمرَ بنِ الخطاب ، رضوان الله عليه ، واختط عمرو بن العاص مدينته المعروفة (بالفسطاط) فانسرب أهلُ مصرَ وغيرُهم من العرب والعجم إلى سكناها ، فصارت قاعدةَ ديارِ مصر ومركزَها إلى وقتنا هذا .

فيقال إنّ من قدماء أهل العلم بها هرمس الثالث[2] ، وكان فيلسوفاً جوّالاً فى البلاد ، طوافاً فى المدائن ، عالماً بنُصبتها[3] ، وطوالعها وطبائع أهلها ، وله تصانيف جليلة مفيدة فى فنون من الحكمة .

ومنهم ديوفنطس[4] صاحب المقالات الموضوعة فى علم العدد وخواصه على طريق الجبر والمقابلة .

---

(١) فى الأصل : « وأعجب فى عمارتها » صوابه من المقريزى (١ : ١٣٥) .

(٢) فى الأصل : « هرمس الثانى » والصواب ما أثبت من عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة (١ : ١٧) حيث ذكر الهرامسة الثلاثة ، وقال فى هرمس هذا : « وأما هرمس الثالث فإنه سكن مدينة مصر ، وكان بعد الطوفان » . وأما هرمس الثانى فهو كلدانى من أهل بابل . وهرمس الأول مصرى كان قبل الطوفان ، وهو عند العرب إدريس عليه السلام .

(٣) فى الأصل : « بنصبها » ، وفى عيون الأنباء : « عالماً بنصبة المدائن وطبائعها » .

(٤) ذكره ابن أبى أصيبعة فى (١ : ٢٤٥) فى أثناء ترجمة « قسطا بن لوقا » ، قال : « كتاب فى ترجمة ديوفنطس فى الجبر والمقابلة » . وذكره أيضاً عرضاً فى ترجمة ابن الهيثم (٢ : ٩٨) .

ومنهم الإسكندرانى[1] صنف كتاب الأفلاك ، وكتاب القانون فى تقويم الكواكب .

ومنهم روسم[2] صاحب التصانيف فى الكيميا .

ومنهم أنقلاوس الإسكندرى[3] وأصحابه ، الذين اختصروا كتب جالينوس فى صناعة الطب ، وألفوها على طريق المسألة والجواب ، يدلُّ حسن اختصارهم لها على وفور علمهم ، وفضل معرفتهم .

ومنهم واليس[4] صاحب الكتاب المعروف بالبريدج الرومى ، المصنَّف فى المواليد وما يتقدمها من المدخل إلى علم أحكام النجوم . ويقال إنه الذى استخرج بطول التحرّى[5] ومواصلة العناء ، جدودَ المصريين .

فهؤلاء هم المشهورون من أهل الحكمة بمصر فى ذلك الزمان . وأما زماننا هذا فقد دثر منها كلُّ علم وامّحى رسمُه ، وجُهل إسمه ، ولم يبق إلّا رَعاع وغُثاء وجَهَلة دهماء ، وعامّة عمياء ، وجُلُّهم أهلُ رعانة[6] ولهم خبرةٌ بالكيد والمكر ، وفيهم

---

(١) لعله « أفطيمن الإسكندرانى » . قال القفطى فى أخبار الحكماء (٥٠) : « كان عالماً بالرياضة محققاً للأرصاد خبيراً بعمل آلاتها » . اجتمع هو ومبطن على الرصد بمدينة الإسكندرية من الديار المصرية ، ورصدا وأثبتا ما عقلاه ، وتداوله العلماء بعدهم إلى زمن بطليموس القلوذى الراصد بالإسكندرية . وكان زمنهما قبل زمانه بخمسمائة وإحدى وسبعين سنة » .

(٢) ذكره القفطى فى ص ١٢٧ ، بلفظ « روشم » قال : « روشم المصرى ، هذا الرجل كان بمصر قبل الإسلام ، وهو قيم بعلوم الكيمياء وأصولها وتفصيلها وأحكام أمر تركيبها ... وله فى ذلك كتب جليلة مشهورة عند علماء هذا النوع يتنافسون فى تحصيلها والظفر بها » .

(٣) ترجم له القفطى فى (٩١ — ٩٢) وابن أبى أصيبعة فى (١ : ١٠٣ — ١٠٤)

(٤) ذكره القفطى فى (١٧٢) قال : « واليس المصرى ، وربما قيل واليس الرومى ، كان حكيما فاضلا فى الزمن الأول بعلوم الرياضة وأحكام النجوم . وله فى ذلك المؤلفات الجليلة المشتملة من هذا النوع على المقاصد الجليلة . وهو مؤلف الكتاب المشهور بين أهل هذه الصناعة ، المسمى بالبزيدج الرومى » .

(٥) فى الأصل : « التجربة » .

(٦) المعروف فى هذا المصدر : الرعن ، والرعونة .

بالفطرة قوةٌ عليه وتلطفٌ فيه وهدايةٌ إليه ، لِما في أخلاقهم من المَلَق والسياسة[1] التي أربَوا فيها على كلِّ مَن تقدَّم وتأخَّر ، وخُصُّوا بالإفراط فيها دون جميع الأمم ، حتَّى صار أمرهم في ذلك مشهوراً ، والمَثَلُ بهم مضروبا .

وفي خبثهم ومكرهم يقول أبو نُواس[2] :

مَحَضْتُكُمُ يا أهلَ مصرَ نصيحتي   ألا فخُذُوا من ناصحٍ بنصيبِ[3]

رَمَاكُم أميرُ المؤمنين بحيَّةٍ   أكولٍ لحيَّاتِ البلادِ شَرُوبِ

[ولا تثِبوا وثبَ السَّفاةِ فتركبوا   على حدِّ] حامي الظهر غيرِ ركوبِ[4]

فإن يكُ باقٍ إفكُ فرعونَ فيكم   فإنَّ عصا موسى بكفِّ خصيبِ

* * *

وأما حال المنتسبين إلى العلم منهم فأنا ذاكرٌ منها ما وقفتُ عليه ، وكشفتُ بالمحنة عنه . كنتُ في أول جلوسي بها شديدَ العناية بكتب جالينوس وبقراط ، باحثاً عن مُشْكِلها ، فاحصاً عن مستغلقها ، فحرَصتُ كلَّ الحرص ، وجَهدتُ كلَّ الجهد على أن أجدَ من أهل هذه الصناعة مَن أستفيد منه وأستزيد بمذاكرته ، وأقدح خاطري بمفاوضته ، فلم أجدْ غيرَ قومٍ طبع الله على قلوبهم وأعمى أبصارهم ، وطمس أفهامهم ، وحال بين الحكمة وبينهم ، فكانوا وإيَّايَ ، كما قال الشاعر :

قومٌ إذا جالستُهمْ   صدئتْ بقربِهمُ العقولْ

لا يُفهمونِي قولَهم   ويدقُّ عنهم ما أقولْ

فهمُ كثيرٌ بي كما   أنِّي بجمعِهمُ قليلْ

---

(١) في المخطط (١ : ٤٩) : « الملق والبطالة » .

(٢) الأبيات الأربعة في ديوانه (١٠٣ — ١٠٤) يمدح بها الخصيب أمير مصر .

(٣) في الديوان : « محضتكم يا أهل مصر » .

(٤) التكملة من الديوان (١٠٣) ، وموضعها بياض في الأصل . حامي الظهر : هو البعير الذي حمي ظهره فيترك فلا ينتفع منه بشيء ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وفي الأصل : « حاق الظهر » صوابه من الديوان . والبيت لم يرد المخطط .

وقد تخلّقوا بكثرة الخلاف ، وقلة الإنصاف ، ولزموا البُهْتَ والمعاندة ، والشغب والمكابرة ، وجهلهم بصناعة الكتب وخلوهم من أدواتها ، وعدمهم لمددها وآلاتها ، وإهمالهم لشرائطها ، وإغفالهم للوازمها ، وقصورَ أذهانهم عن إدراك دقائقها ، وبُعدَ عقولهم عن تصوُّر حقائقها ، ولم يعلموا أنّ الطبيبَ محتاج إلى أشياء تعينُه فى صناعته وتفتح له مغالقَها ، وتوضّح مُشْكِلها ، وتشرح مشتبهها ، وتبيّن له مستعجمَها ، وتذيقه بردَ اليقين[1] ، وتجلو عن عين بصيرته ظُلَمَ الشُّكوك والظُّنون ، وهى العلوم الطبيعية التى تعرّفه مبادئها وأوائلها ، وتعطيه استقصّاتها وعناصرَها[2] ، والقوانينُ القياسية التى تسدّد ذهنه نحوَ الصواب فيما يلتمس علمَه ، ويتطلّب فهمَه ، وتعرّفه كيف يُحيل[3] مطلوباتها إليها ، ويبنى قياساته عليها ، وكيف يتطرّق من جليّها إلى خفيّها ، ويستدلّ بظاهرها على غائبها ، ويأمن الزّلَل ، ووقوعَ الخطل والخلل ، ويحقّق الأسبابَ والعلل .

ولا بدّ لمن أراد أن يكون طبيبا كاملا ، وحكيما فاضلا ، من النظر فى العلوم الرياضية ، ولا سيما النجوميّة منها والموسيقاويّة . وأولى الناس بأن يكون على هذه الصّفة أطباء الملِك الشُّبْعى الأبلجَ ، الذى إنما يستعمل الطبيب والمنجّمَ على جهة الاستظهار ، لا على جهة الافتقار والاضطرار . وكيف ونظرُه الأعلى ، وقِدحُه المعلّى ، وسَهمُه الأسدُّ ، وباعه الأمَدّ . ومن كان مثلَه — ولا مثلَ له فى تطبيق المفاصل ، وإصابة الشواكل — فخليقٌ به أن يَختار ، ولا يُختار ، ويستبدّ ، ولا يُستمَدّ .

---

(١) فى الأصل : « برد النفس » والوجه ما أثبت .

(٢) الأستقس ، ويقال الأسطقس ، هو الشىء البسيط الذى منه يتركب المركب ، كالحجارة والطرابيد والجذوع التى يتركّب منها القصر ، وكالحروف التى منها يتركّب الكلام ، وكالواحد الذى يتركّب منه العدد . والاسطقسات الأربعة هى النار والهواء والماء والأرض . انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى (٨٢) .

(٣) فى الأصل : « يحلل » .

هيهاتَ أن يأتِيَ الزمانُ بمثله   إنّ الزمانَ بمثله لبخيلُ

فلمّا [لم] يأخذوا نفوسَهم بالإتقان لما قد سلَف تحديدُه ، بل استطالوه ، واستبعدوا الأمدَ إليه ، ورأوا أنّ غرضَهم من صناعة الطب الذي هو عندهم وبحسب رأيهم ، التكسُّبُ بها يتمّ لهم بأقربَ مما شرَطه الأوائل متناولاً ، وأسهلَ مراماً ، لم يحفظوا(1) غيرَ أسماء أدويةٍ قليلة العدد يصرّفونها في مداواة كلّ مرض دونَ إعمالِ فكرهم في حقيقة نوعه وسببه ، ومقتضيه وموجِبه .

وقد ذمّ جالينوسُ من فِرَق الطبّ الثلاثِ الفرقةَ الحِيَليّة(2) ، لحذفها جميعَ لوازم الصناعة الطبية ، واقتصارِها في المداواة على النّظر في المرض ، هل من جنس الاستفراغ فيقابل بالإمساك ، أو من جنس الإمساك فيقابل بالاستفراغ ، دون الفحص عن أمر المزاج والسنّ والسحنة ، والبلد والعادة والماهيّة . فما ظنك بجالينوسَ لو شاهدَ هؤلاء الذين لا يثْبُتون على نِحلة ، ولا ينتسبون إلى فرقة ، فإن برئ على أيديهم عليلٌ فبرؤُه على جهة الاتفاق ، وإن هلك فبالواجب والاستحقاق ، وهم كما قال الشاعر في مثلهم :

وطبيبٍ مجرِّبٍ ما له بالــــنُّجح في كلّ ما يجرب عادة
مرّ يوماً على عليلٍ فقلنا   قرَّ عيناً فقد رُزِقتَ الشهادة

أو كما قال الآخر في بعض حكّامنا المشهورين عند العوام بالحذق والتقدم :

قل لقُرّة أنت وابنُ زُهرٍ   قد جزتما الحدّ والنهاية
ترفّقا بالورى قليـــلا   في واحدٍ منكما كفاية

أو كما قال بعضُ أهل العصر أيضاً فيهم :

وطبيبٍ مُشَــــمِّرٍ   يمزُج الطبّ بالرُّقى

---

(1) في الأصل : « لم يحفظوا » .
(2) في الأصل : « الفرق الجبلية » .

ما رأيناه قط طبيباً عليلاً فَوُفقا
بل عَدِمَ الصحّةَ في الجسم والقلب والبقا
ذو صفاتٍ تُغادر الجسمَ مما به تقى
عادمًا الحَراك والحسَّ والخِفّة والنقا[1]
قد سقاه بها الحما م ولم يَدرِ ما سقى

وقال آخر :

ما خَطَرَ النبضُ على باله يومًا ولا يَعرف ما الماء[2]
بل ظنّ أن الطبَّ دُرّاعةٌ ولحيةٌ كالقطن بيضاء[3]

* * *

ومن ظريف ما سمعتُه أنه كان بمصرَ منذُ عهدٍ قريب رجلٌ ملازمٌ المارستان يُستدعَى للمرضى كما تستدعَى الأطبّاء ، فيدخلُ على المريض فيحكي له حكايات مضحكةً ، وخُرافاتٍ مسلّية ، ويُخرج له وجوهاً مضحكةً ، وكان مع ذلك لطيفاً في إضحاكه وبه خبيراً ، وعليه قديراً ؛ فإذا انشرح صدرُ المريض وعادت إليه قوّتُه تركه وانصرف ، فإن احتاج إلى معاودة المريض عاده إلى أن يبرأ ، أو يكون منه ما شاء الله .

فليت أطبّاء عصرنا هذا بأسرهم قدَروا على مثل هذا العلاج الذي لا مضرّة فيه ولا غائلةَ له ، بل أمرُه على العليل هيّن ، ونفعُه ظاهر بيّن ؛ كيف لا وهو ينشّط النفس ويبسط الحرارةَ الغريزية ، ويقوّي القوى الطبيعية ، ويقوّي البدن على دفع الأخلاط الرديّة المؤذية والفضول ، مع الاستظهار بحفظ الأصول .

وأكثر أطبائها المبرزين[4] نصارى ويهود ، وفي ذلك يقول بعضهم :

---

(١) موضع هذه الكلمة بياض في الأصل .
(٢) يعني اختبار ماء المريض ، وهو بوله .
(٣) الدراعة ، كرمانة : جبة مشقوقة المقدم .
(٤) في الأصل : « المبرزين » .

أقول للمسلمين طـــرّاً تبغُون في طبِّنا[1] اشتهارا
هيهـــات حاولتمُ محالا كونوا إذاً هوداً أو نصارى

[2] وأشبهُ مَن رأيتُه منهم وأدخلُه في عِداد الأطباء ، رجلٌ من اليهود يدعى أبا الخير سلامةَ بن رَحمون ، فإنه لقى أبا الوفاء[3] المبشِّر بن فاتك[4] ، فأخذ عنه شيئاً من صناعة المنطق تخصّص به وتميّزَ عن أضرابه ، وأدرك أبا كثير بن الزفّان[5] تلميذ أبي الحسن علي بن رضوان[6] ، وقرأ عليه بعضَ كتبِ جالينوس ، ثم نصبَ نفسه لتدريس جميع كتب المنطق ، وجميع كتب الفلسفة الطبيعية والإلهية ، وشرح بزعمه وفسّر ولخص ، ولم يكن بذاك[7] في تحصيله وتحقيقه ، واستقصائه عن لطيف العلم ودقيقه ، بل كان يَكثُر[8] كلامُه فيضلّ ، ويُسرع جوابُه فيَزِلّ . ولقد سألتُه في أول لقائي واجتماعي به ، عن مسائلَ استفتحت مباحثه[9] بها مما يمكن أن يفهمها مَن لم يَعدُّ بعد في العلم باعُه ، ولم يكثر تبحُّره واتساعُه ، فأجاب عنها بما أبانَ عن تقصيره ونطق بعجزه ، وأعربَ عن سوء

(١) في الأصل : « طبها » .
(٢) النص التالي نقله القفطي في إخبار العلماء (١٤٢ — ١٤٣) ، وكذلك ابن أبي أصيبعة (٢ : ٦-١٠) .
(٣) بعد هذه تبتدئ القطعة المحفوظة بدار الكتب برقم ٣٠٤ تاريخ من الرسالة المصرية وسأشير إليها في التعليقات برمز « ق » .
(٤) ترجم له القفطي (١٧٦ — ١٧٧) وقال : « هـذا رجل أصله من دمشق وموطنه مصر ، وهو من الحكماء الأماثل في علم الأوائل ... وكانت له ابنة عمرت بعده وروت بالإسكندرية أحاديث نبوية . وكان في آخر المائة الخامسة للهجرة » .
(٥) عند القفطي : « الـكثير البرقاني » تحريف . وأبو كثير كنية له ، واسمه أفرائيم ابن الزفان ، قال ابن أبي أصيبعة في (٢ : ٥-١٠) : « إسرائيلي المذهب ، وهو من الأطباء المشهورين بديار مصر » . وقد اشترى منه الأفضل بن أمير الجيوش عشرة آلاف مجلد من كتبه ، كان قد ساوم عليها بعض العراقيين .
(٦) انظر ترجمته عند ابن أبي أصيبعة (٢ : ٩٩) .
(٧) ق وابن أبي أصيبعة : « ولم يكن هناك » . وعند القفطي : « ولم يكن هنالك » .
(٨) في الأصل : « تراه يكثر » ، وأثبت ما في سائر المصادر .
(٩) في الأصل : استفتحت مباحثه بها » ، صوابه في سائر المصادر .

تصوّره وفهمه . وكانَ مثله في عِظَم دعاويه ، وقصوره عن أيسر ما هو متعاطيه[١] كقول الشاعر :

يشمّر لِلُّجِّ عن ســـاقه ويغمره الموجُ في السّاحلِ

أو كما قال آخر :

غنيمُ مائتَيْ فارس فردٌ كمْ فارسٌ واحدُ[٢]

وكان[٣] بمصر طبيب من أهل أنطاكية يسمى « جرجس » ، ويلقب بالفيلسوف ، على نحو ما قيل في الغراب : أبو البيضاء ، وفي اللديغ : سليم ، وقد تفرغ للتولّع [بأبي الخير سلامة بن رحمون اليهودي الطبيب المصري[٤]] والإزراء عليه ، وكان يزوّر فصولا طبّية وفلسفية يُبرزها في مَعارض ألفاظ القوم ، وهي مُحالٌ لا معنى لها ، وفارغة لا فائدة فيها ، ثم يُنفِذها[٥] إلى مَن يسأله عن معانيها ، ويستوضحُه أغراضَها ، فيتكلّم عليها ويشرحها بزعمه دون تيقُّظ[٦] و[لا[٧]] تحفظ ، بل باسترسالٍ واستعجال ، وقلّةِ اكتراثٍ وسوء اعتبال ، فيُؤخذ منه[٨] ما يُضحك منه ويشرح الصّدر .

[وأنشدت[٩]] لجرجسَ هذا فيه ، وهو من أحسنِ ما سمعته في هجو طبيب مشؤوم[١٠] ، وأنا متّهم له فيه :

---

(١) في الأصل : « نفر ما هو متعاطيه » صوابه في سائر المصادر .

(٢) إلى هنا ينتهي نقل القفطي في ١٤٢ — ١٤٣ . وانظر البيان (١ : ٢٤٩) .

(٣) النص التالي نقله القفطي في ١٠٩ وابن أبي أصيبعة في (٢ : ١٠٦ — ١٠٧) .

(٤) التكملة من القفطي . ونحوها عند ابن أبي أصيبعة : « بابن رحمون » .

(٥) في فقط . « ثم ينفذ بها » .

(٦) في فقط : « تيقن » .

(٧) هذه من القفطي وابن أبي أصيبعة .

(٨) القفطي وابن أبي أصيبعة : « فيوجد فيها عنه » .

(٩) هذه من ق والقفطي وابن أبي أصيبعة .

(١٠) كلمة « مشؤوم » وما بعدها ساقط من ق . وفي نسخة الأصل : « ومن أحسن ما قيل في ذم الطبيب الجاهل » .

إنّ أبا الخير على جهله   يخفّ في كفّته الفاضلُ
عليلُه المسكينُ من شؤمه   في بحر هُلْكٍ ما له ساحلُ
ثلاثةٌ تدخل في دفعةٍ   طلعتُه والنعشُ والغاسلُ

ولبعضهم :

لأبي الخير في العلا   ج يدٌ ما تقصّرُ
كلُّ من يستطبُّه   بعد يومين يُقبَرُ
والذي غاب عنكمُ   وشهدناه أكثرُ[1]

ومما قيل فيه :

جنونُ أبي الخير الجنونُ بعينه   وكلُّ جنونٍ عنده غايةُ العقلِ
خُذوه فغُلّوهُ وشُدّوا وَثاقَه   فما عاقلٌ من يستهين بمختلّ
وقد كان يؤذي الناسَ بالقول وحدَهُ   فقد صار يؤذي الناسَ بالقول والفعل

وأما المنجّمون الآن بمصر فهم وأطباؤهم كما قُدّ الشِّراكُ من الجلد ، بل كما حُذِيت النّعلُ بالنعل ، لا يتعلّق أمثلُهم من علم النجوم بأكثرَ من زايجة يرسُمها[2] وسراكرٍ يقوّمها . فأما الإمعان والتبحّر في معرفة الأسباب والعلل[3] ، والمبادي

(١) في نسخة الأصل : « وسمعنا بوصفه » . وأثبت ما في ق وابن أبي أصيبعة . ولم يرو القفطي هذه الأبيات .

(٢) جاء في « مفاتيح العلوم » للخوارزمي ١٢٧ : « الزايجة هي صورة مربعة أو مدورة تعمل لمواضع الكواكب في الفلك لينظر فيها عند الحكم للمولد أو غيره . واشتقاقه بالفارسية من زائش ، أي المولد ، ثم أعربت الكلمة فاستعملت في المولد وغيره » . وجاء في معجم استينجاس (٦٠٨) : « زايجة astronomical tables » أي الجداول الفلكية . وفي نسخة الأصل : « زايرجة » وأثبت ما في ق . والزايرجة ، هي — كما ذكر ابن خلدون في المقدمة — فرع من فروع علم السيميا ، يمكن بها استخراج الأجوبة من الأسئلة بارتباط بين الكلمات . فن الزايرجة المنظومة يستطاع معرفة الأجوبة بطرق خاصة ، وحساب معين يدخل فيه الجمع والطرح والضرب . وهناك كلمة أخرى مماثلة ، وهي الزيج ، وتجمع على أزياج . والزيج : صناعة حسابية بقوانين عددية يمكن بها معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية والمستقبلة ، وهو الدستور لما يسمى عند الفلكيين بالتقويم .

(٣) هذا ما في ق . وفي نسخة الأصل : « ومعرفة الأسباب والعلل » .

الأوّل ، فليس منهم مَن يرقَى إلى هذه الدرجة ، ويسمُو إلى هذه الرتبة ، ولا يحلّق في هذا الجوّ ، ويستضيء بهذا الضوء[1] إلا أبو الحسن علي بن النضر[2] المعروف بالأديب ، رضي الله عنه ، من أهل صعيدِ مصرَ الأعلى ، فإنه كان من الأفاضل [الأعيان[3]] ، المعدودين من حسنات هذا الزّمان[4] . وسنذكره فيما نستأنفه إن شاء الله تعالى .

* * *

وأما الطائفة المقلِّدة التي حظُّها من المعارف القُشور دون اللبوب[5] ، والظواهر دون البواطن ، والأشباح دون الأرواح ، فأمثَلُ مَن بها منهم الآنَ رجلٌ يعرف بِرزقِ الله النحاس[6] ، فإنّ له في فروع هذه الصناعة بعضَ دُرْبة وتجربة ، وبتجربياتها[7] بعض خبرة ، وهو أكبر المنجّمين بها وكبيرهم الذي علّمهم ، وأميرهم الذي يلوذون به[8] ، فجميعُهم إليه منسوب ، وفي جريدته مكتوب ، وبفضله معترف ، ومن بحره[9] مغترف ، وهو شيخ مطبوع يتطايب ويتخالع[10] .

ومن حكاياته الظريفة عن نفسه قال : سألتني امرأةٌ مِصرية أن أنظرَ لها في مسألة جُمْلية تخصُّها ، فأخذتُ ارتفاعَ الشمس للوقت ، وحقّقت درجة الطالع والبيوتَ الاثنى عشر ومراكزَ الكواكب ، ورسمتُ ذلك كلّه بين يديّ في

---

(١) في الأصل : « ولا يحلق » و « لا يستضيء » وأثبت ما في ق .
(٢) في الأصل : « ابن النصر » بالصاد المهملة . وأثبت ما في ق .
(٣) هذه من ق .
(٤) ق : « من حسنات الزمان » .
(٥) في اللسان : « ولب الجوز واللوز ونحوها : ما في جوفه ، والجمع اللبوب » . ق : « الألباب » . وما أثبت من الأصل أوفق .
(٦) في الأصل : « بن النحاس » وصوابه في ق والقفطي ١٢٢ .
(٧) في الأصل : « وبتجرثياتها » وأثبت ما في ق . وعند القفطي : « وبتجربياتها » .
(٨) ق : « الذي نوه بهم وقدمهم » وعند القفطي : « وكبيرهم الذي علمهم السحر » فقط .
(٩) في الأصل : « ومن علمه » وأثبت ما في ق .
(١٠) يتخالع : يظهر الخلاعة . وفي الأصل : « يتخالق » صوابه في ق .

تَحْت الحساب[1] ، وجعلت أتكلّمُ على بيتٍ بيت منها على العادة ، وأنا فى خلالِ ذلك أتحسّسُ أمرَها[2] وهى ساكتةٌ لا تنبِس ، فوجِمْتُ لذلك وأدركَتْنى فترةٌ عظيمة ، وألقتْ إلىّ درهما[3] . قال : فعاودتُ الكلام وقلت : أرى عليك قَطْعاً فى بيت مالِك[4] فاحتفِظى واحترزى ! فقالت : الآن أصبتَ وصدقت ، قد كان والله ما ذكرت . قلت : وهل ضاع لك شىء ؟ قالت : نعم ، الدرهمُ الذى ألقيتُه إليك ! وتركَتْنى وانصرفَت .

* * *

والمصريّون أكثرُ الناسِ استعمالاً لأحكام النجوم وتصديقاً لها وتعويلا عليها ، وشغفاً بها وسكوناً إليها ، حتّى إنه قد بلغَ من زيادة أمرِهم فى ذلك إلى أن لا يتحرّكَ واحدٌ منهم حركةً من الحركات الجزئية التى لا تُحصَر فنونُها ولا تُحصَّل أجزاؤها وأعدادُها ، ولا تُضبط جهاتها ، ولا تقيَّد غاياتها[5] ، ولا تعدُّ ضروبها إلا فى طوالعَ يختارونها ، [ونُصُب يعتمدونها[6]] .

ولقد شهدتُ يوما رجلاً من الوقّادين فى أتُون الحمّام[7] ، يسأل رزق الله المذكورَ عن ساعةٍ جيدة لقصِّ أظفاره ، فتعجّبتُ من سموّ همته على خساسة قدره[8] ، ووضاعة مهنته .

ومن الحكايات العجيبة فى فرط استعمالهم لأحكام النجوم وعنايتهم بها ،

---

(١) هذا ما فى ق ، وفى الأصل : « فى التخت » .
(٢) ق : « أتحسس لها » .
(٣) القفطى : « وكانت قد ألقت إلى درهما » .
(٤) هذا ما فى ق والقفطى ، وفى الأصل : « ضياع بيت مالك » .
(٥) ق : « ولا تقدر أساليبها » .
(٦) هذه من ق .
(٧) ق : « أتون حام » .
(٨) ق : « مع خساسة قدره » .

ما شهدتُ بالصعيد الأعلى . وذلك أنّ بعضَ الولاة حبس رجلاً من [بعض[1]] أهل تلك الناحية كان ينظرُ في علم النجوم ، وشفّع[2] إليه فيه مَن يكرُم عليه ، فشفّعه فيه ، وأمر بإطلاقه وكان من الحبس في عذاب واصب ، وجَهدٍ ناصب ، فلما أتَوْه وقالوا له : انطلِقْ لشأنك[3] ، أخرَجَ من كُمّه أسطرُلاباً فنظر فيه ثم أخذ طالعَ الوقت فنظر فيه ، فوجده مذموماً ، فسألهم أن يتركوه مكانَه[4] إلى أن يتّفق وقتٌ يصلح للخروج من السجن ، فعادوا إلى الوالى فأخبروه بخبره[5] ، فضحِكَ منه وتعجّب من جهله ، وفساد عقله ، وأجابه إلى سؤاله ، وتركه على حاله ، وأطال مدّة اعتقاله .

وفيما أوردْتُه من أخبار الأطباء والمنجمين الآن بمصرَ كفايةٌ وبلاغ ، إلى أن انتصبَ له انتصاباً ثانياً ، فأقول فيه قولا شافياً .

* * *

وأما الآن فإنى ذاكرٌ على الشرط من لقيتُه من أدبائها وظرفائها ، وفضلائها في الأدب وعلمائها .

وأولاهم بالتقديم ، وأحقهم بالحظ الأوفر من التعظيم « القاضى أبو الحسن على ابن النضر[6] » المعروف بالأديب ، ذو الأدب الجم والعلم الواسع ، والفضل البارع . وله في سائر أجزاء الحكمة اليد الطولى ، والرتبة الأولى . وقد كان ورد الفسطاط يلتمس من وزيرها الملقب بالأفضل تصرفاً وخدمة فخاب فيه أمله ، وضاع

(١) عنه من ق .
(٢) ق : « فشفع » .
(٣) ق : « لسبيلك » .
(٤) في الأصل : « أن يصبروا عليه » ، وأثبت ما في ق .
(٥) في الأصل : « خبره » ،وأثبت ما في ق .
(٦) في الأصل : « النصر » بالمهملة ، تحريف صوابه في ق والخريدة (٢ : ١٩٥) من مخطوطة دار الكتب رقم (١٠٠٩٨ ز) والطالع السعيد للأدفوى ، حيث ذكر أنه كان أحد عمال الديار المصرية في زمن الأفضل شاهنشاه .

رجاؤه ، وأخفق سعيُه ، فقال من قصيدةٍ يعاتب فيها الزمان ، ويشكو الخَيبة والحِرمان :

بَيْن التعزُّزِ والتذلُّلِ مسلكٌ ... بادى المَنار لعينِ كلّ موفَّقِ
فاسلُكْه فى كلّ المواطن واجتنبْ ... كِبر الأبىّ وذِلّةَ المتملّق
ولقد جليت من البضائع خيرَها ... لأجَلّ مختارٍ وأكرم مُنْتقِ[1]
ورجوتُ خَفْض العيش تحت رِواقه ... لا بدّ إن نفقَت وإن لم تنفُق[2]
ظنًّا شبيهاً باليقين ولم أخَلْ ... أنّ الزمان بما سقانى مُشْرِق
ولمانى بالحرص قولُ يَقِن ... لو كنت شِمتَ سحابةً لم تطرق[3]
ما ارْتَدْتُ إلاّ خيرَ مرتادٍ ولم ... أصِلِ الرجاء بحبل غير الأوثَق[4]
وإذا أبَى الرزقَ القضاءُ على امرئ ... لم تُغْنِ فيه حيلةُ المسترزِق
ولَعَثْرُ عادية الخطوب وإنْ رمت ... شملى بسهم تشتُّتٍ وتفرُّق[5]
لأقارعنّ الدّهرَ دون مروءتى ... وحُرِمتُ عزّ النصر إن لم أصدُق[6]

وله فى سَفرته هذه[7] وقد قوى يأسُه من بلوغ أمله ونيل بُغيته ، وعزَم على الصَّدَر[8] عن الفُسطاط إلى مستقرِّه ، يحضّ على الزَّهادة ، ويحرِّض على القَناعة

---

(١) فى الأصل :

ولقد جلبت من البضائع جلّها ... من كل مختار وأكرم ما انتقى

وأثبت ما فى ق والخريدة والطالع السعيد . بيد أن الكلمة الأخيرة فى الطالع السعيد : « موفق » .

(٢) ق : « ووجدت » . وكلمة « رواقه » هى فى الأصل : « ظلاله » وأثبت ما فى ق والخريدة . وفى الطالع السعيد : « تحت رواقه » تحريف .

(٣) فى الأصل : « ولماني » صوابه فى ق . وفى الخريدة : « ولماني » .

(٤) ق : « بغير حبل الأوثق » وفى الخريدة : « بحبل غير موثق » .

(٥) فى الأصل : « رمت حظى » صوابه فى ق والخريدة .

(٦) فى الأصل : « لأصبرن اليأس » صوابه فى ق والخريدة .

(٧) فى الأصل : « وله من قصيدة غير هذه » وأثبت ما فى ق والخريدة .

(٨) ق : « الصدور » وهما صحيحان ، يقال صدر يصدر صدراً وصدوراً .

ويدع الضراعة ، ويتأنّف على إذالة خدّه ، وإراقة ماء وجهه :

لَهفي لذاك قناعةٍ لو أنني ... مُتِّعت فيه بعزّة المتملِّكِ
ولكن يأسي كنتُ قد أحرزتُه ... لو لم تبثّ فيه الخطوبُ وتفتِكِ
آليتُ أجعلُ ماء وجهي بعده ... كدمٍ يُطَلُّ به الشجيجُ عتيك
وأخٍ من الصبر الجميل قطعتُه ... في طاعة الأمل الذي لم يُدرَك
يا قاتَلَ الله الضرورة حالةً ... أيَّ المسالكِ بالفتى لم تَسلكِ(1)
كم بات مشكوٌّ إليه [تحيفت ... حلقاته قرعا] براحة ممسك(2)
وقرٍ على قدم رمت ، ونواظر ... كُحلت محاجرُها بوطء سُنْبُك(3)
ومُسربَلٍ بالصبر والتقوى دعت ... فأجابها في معرِض المتنسِّك(4)
ظلّت تصرّفه كتصريف العصا ... رأسَ البعير لبرك عن مَبرك

وله إلى رئيس كان يكلّفه زيارته ويقعد عن ذلك تغافلا وتكبراً :

أكبرتَ نفسك أن تسعى مصادفةً ... وسُمْتَنيه لقد كلّفتني شَطَطا(5)
لا تكذبنّ فما كنّا لنُوجِب من ... حقٍّ وأنت تراه عنك قد سقطا
لو بعتُك النفس بيعاً كنت تملكها ... به لكان عليك العدل مشترَطا(6)
فهل سبيلٌ إلى أن لا تواصلني ... ولا تكلّف مثلي هذه الخططا(7)
عسى صحيفةُ ما بيني وبينك أن ... تُطوى وما ضمّنتْ غير الذي فرطا(8)

---

(1) هذا ما في ق والخريدة ، وفي الأصل :
يا قاتل الله الضرورة إنها ... سلكت مسالك بالفتى لم تسلك
(2) في الأصل : « لم يأت » ، وصواب البيت وتكملته من ق والخريدة .
(3) هذا البيت ساقط من الأصل .
(4) في الأصل : « ومسربل بالصبر » صوابه في ق والخريدة .
(5) في الأصل والخريدة : « مصارفة » بالراء ، وأثبت ما في ق .
(6) ق والخريدة : « به على لكان العدل » .
(7) في الأصل : « ولا تكلف مثلي الطرق والخططا » صوابه في ق والخريدة .
(8) في الأصل : « وما قد من أمرنا فرطا » صوابه في ق والخريدة .

وله[١] في صدر رسالة :

أتى كتابُك عن سُخط فآنسنى ... بما تضمّن أُنس العين بالوسن[٢]
قرأتُه فجرت في كلّ جارحة ... منّى معانيه جرىَ الماء في الغُصُن[٣]
فما أقول بعثتَ الروح فيه إلى ... قلبي ولكنْ بعثتَ الروح في بدني

وله في شدّةٍ أصابته :

يا مستجيبَ دعاء المســـتجير به ... ويا مفرّج ليل الكُرْبة الداجي
قد أُرْتِجت دوننا الأبوابُ وامتنعت ... وجَلّ بابُك عن منعٍ وإرتاج
تخافُ عدلَك أن يجرى القضاء به ... ونَرْجيك فكنْ للخائف الراجي[٤]

ومن شعرائها المشهورين أبو الطاهر بن إسماعيل بن محمد المعروف بابن مكنسة[٥] ، وهو شاعر كثير التصرُّف ، قليل التكلُّف ، مفتّنٌ في وشي[٦] جدّ القريض وهزله ، وضارب بسهم في رقيقه وجزله . وكان في رَيعان شبيبته ، وعُنفوان حداثته ، يعشق غلاماً من أبناء عسكريّة المصريين ، يدعى عز الدولة فاتق ، وهو الآن بمصر من رجال دولتها المعدودين وأكابرها المقدمين . ولم يزلْ مقيما على عشقه له ، وغرامه به إلى أن محا محاسنه الشَّعر ، وغيّرَ معالمَه الدهر . ولم يزل مُعزُّ الدولة[٧] هذا متعهِّداً له محسناً إليه ، مشتملا عليه ، إلى أن فرّق الدهر بينهما . وكان في أيام أمير الجيوش بدر الجمالي منقطعاً إلى عامل من النصارى يعرف بأبي مليح ،

---

(١) بعد هذه الكلمة في الأصل بياض بقدر صفحتين من الأصل ، وقد أمكنني سد هذه الثلمة من ق والخريدة . والقدر المشترك بين ق والخريدة ينتهي إلى كلمة « الراجي » ختام الأبيات الجيمية التالية ، ثم تفرد « ق » بإتمام النص الذي سأنبه على نهايته .

(٢) في الخريدة : « فآنسني » ، تحريف صوابه في ق والطالع السعيد . وصدره في الطالع السعيد (٢٢٢) : « وافى كتابك » .

(٣) في الطالع السعيد : « فتحت الروح » .

(٤) إلى هنا ينتهي القدر المشترك من التكملة بين ق والخريدة ، ثم تفرد « ق » .

(٥) ترجم له ابن شاكر في الفوات (١ : ٢٦) وقال « توفي في حدود الخمسمائة » .

(٦) في الأصل : « وشى » .

(٧) سبق قريباً بلفظ « عز الدولة فاتق » وهكذا وردا بالأصل .

وأكثرُ أشعاره فيه ، فلما انتقل الأمر إلى الأفضل تعرّض لامتداحه ، فلم يقبله ولم يقبل عليه ، وكان سبب حرمانه ما سبق لأبي مليح ومراثيه ميتاً ، لا سيما قوله :

طُويت سماء المكرما ت وكُوِّرت شمسُ المديح

ما كان بالنكس الدنـــــيّ من الرجال ولا الشحيح

كفَر النصارى بعد ما عَقـــدوا به دين المسيح

وكفَله عزُّ الدولة بن فاتك ، ودام بحاله إلى أن مات .

ولم يُقبل الأفضلُ على أحدٍ من الشعراء كإقباله على رجل من أهل مَعرَّة النعمان(١) يدعى أبا الحسن على بن جعفر بن النون(٢) فإنه أفاض عليه سحائبَ إحسانه ، وأدرّ له حلوبةَ إنعامه ، ولقّبه بأمين [الملك(٣)] وأدناه واستخلصه ، ولم يكن شعرُه هناك(٤) بل كان متكلّفاً متعسّفاً ، ولست أعرف أحداً من أهل تلك البلاد يَروي له بيتاً واحـداً فما فوقَه ، لمنافرة الطِّباع كلامَه ، ونُبوِّ الأسماع عن طريقته . وقد كان أمَرَه الأفضلُ يوماً أن يصف مجلساً عُبِّيَت فيه فواكهُ ورياحين ، فقال من مزدوجته(٥) يصف الأترجَ المصبّع :

كأنّما أترُجُّه المصـــبّعُ أيدى جُناةٍ من زُنودٍ تقطعُ

فغلط ولم يفطَن ، وأساء أدبَه ولم يشعر ؛ لأنه قصـد مدحَ الأترجّ فقزّزَ نفس الملك منه ، وصرفَها عنه ، ولو قصد ذمّه لما زاد على ما وَصَف به ، من الأيدى المقطوعة من زنودها .

والبليغ الحاذقُ من إذا وصَفَ شيئاً أعطاه حقَّه ، ووفّاه شرطَه ، ووصفه بما

(١) إلى هنا ينتهي السقط الذي نبهت عليه في أول الصفحة السابقة .
(٢) ق : « النون » .
(٣) هذه من ق .
(٤) في الأصل : « هناك بالجيد » صوابه في ق ، وكلمة « بالجيد » مقحمة .
(٥) في الأصل : « مزدوجات » صوابه في ق .

يناسبه فى حالتَىْ مدحه وذمّه ، ووضعِ كلّ شىء فى مكانه فى نثره ونظمه[١] .

فأين هذا الشاعر فى أدبه وحذقه بالصناعة[٢] وفطنته ، من أبى على الحسن ابن رشيق ، وقد أمره المعزّ بن باديس أن يصف أترجّة [مصبّبة[٣]] كانت بين يديه[٤] ، فقال مرتجلاً على البديهة :

أترجّة سبطة الأطرافِ ناعمةٌ   تلقى العيونَ بحُسنٍ غير مبخوسِ[٥]
كأنّها بَسطت كفًّا لخالقها   تدعو بطول بقـاء لابن باديس

ولو أنّ ابن الرومىّ قصد مَدح الوَرد بقوله :

يا مادحَ الورد ماينفكّ من غَلطه[٦]   أما تأمّلتَه فى كفّ ملتقطه
كأنّه سُرم بغلٍ حين يُبرزُه   عند الخراء وباقى الرّوث فى وسطه

لكان غالطا أو جاهلا أو غافلا ، بل قال ذلك حين قصد ذمّه وأراد تخبيثه .

فانظر هذا التشبيهَ الذى لم يُسمع أعجبُ منه . فلعن الله شيطانه[٧] .

وكذلك عبد الله بن المعتز فى قوله يصف القمرَ من أبيات :

وباتَ كما سرّ حُسّـــادَه   إذا رام قُرباً من النوم شدّ[٨]
تقرّزهُ سروات البعوضِ   فى قرٍ مثـــل ظهر الجرذ[٩]

وقول ابن المعتز فى القمر من أبيات :

ياسارقَ الأنوارِ من شمس الضحى   يامُثكلى طيبَ الكرى ومُنغّصى

(١) ق : « من نثره ونظمه » .
(٢) ق : « ومعرفته بالصناعة » .
(٣) عنه من ق .
(٤) فى الأصل : « كانت فى يده » وأثبت ما فى ق .
(٥) مبخوس : منقوص . وفى الأصل « منحوس » ، صوابه فى ق .
(٦) هذا ما فى ق وفى الأصل : « من غلط » .
(٧) هذا ما فى ق . وفى الأصل : « فلعن الله ذلك » .
(٨) فى ديوان ابن المعتز (٢ : ١١٦) : « كما سر أعداءه » .
(٩) فى الأصل : « فى قر » صوابه من الديوان .

أمّا ضياء الشمس فيك فناقصٌ ... وأرى حرارة نارها لم تنقُص
لم يظفر التشبيهُ فيـــك بطائل ... متسلّخاً بَهَقاً كجلد الأبرص[1]

وهذا بابٌ لو استقصيناه لطال واتّسع[2] ، فلنتركه ولنصلْ من حبلنا ما انقطع[3] .

وقال إسماعيل بن مكنسة[4] من قصيدة :

أعاذلُ ما هبّت رياحُ ملامــةٍ ... بنـــار هوًى إلا وزادت تضرُّما
فبكّى إلى عين إذا جفّ ماؤها ... رأتْ من حقوق الحبّ أن تذرف الدّما
فكم عَبرةٍ أعطت غرامى زمامَها ... عشيّةَ أعطانَ المطىَّ الزِّمَا
وَهْنٍ حماها أنْ يُلِمَّ بها الكرى ... أحاديثُ أيام تقضّين بالحمى
ولله قلبٌ قارعته همومُـــه ... فلم يبق حدٌّ منه إلا تثلّما[5]

وله من أخرى :

دقّت معاقد خصره فكأنّها ... مشتقّة من عهده وتجلُّدى[6]
وتجعّدتْ أصداغُه فكأنّها ... مسروقة من خَلقه المتجعّد[7]

[ومنها[8]] :

---

(١) فى الديوان : « منك بطائل » . وفى الأصل : « يسلخ » صوابه فى ق . وفى الديوان : « متسلخ » .
(٢) هذا ما فى ق . وفى الأصل : « لو استقصيته لاتسع » .
(٣) هذا ما فى ق . وفى الأصل : « من غرضنا ما انقطع » .
(٤) ق : « أبو الطاهر بن مكنسة » ، وكلاهما صحيح .
(٥) فى الأصل : « مثلما » وأثبت ما فى ق والخريدة (٢ : ٣٠١) .
(٦) فى الأصل : « من قده » صوابه فى ق . وفى الخريدة (٢ : ٢٩٩) « من تيهه » ، وليست بشيء .
(٧) فى الأصل : « من شعره » وأثبت ما فى ق والخريدة .
(٨) هذه من ق .

ما باله يجفو وقد زَعَم الورى   أنّ الندى يختصّ بالوجه الندِى[1]
لا يخدعنّك وجنــةٌ محمرّة   رقّت ففى الياقوت طبع الجلمدِ

وله من قصيدة :

وعَسكرىٍّ أبداً حينا   تلقاه يلقاكَ بكلّ السلاحْ
حاجبُــه قوس وأجفانُه   نبلٌ وعِطفاه تثنّى الرّماح
[راح وفعلُ الراح فيه كما   يفعل بالغصن نسيمُ الرياح[2]]

أغار فى هذا البيت الأخير على خالدٍ الـكاتب فى قوله :

رأتْ منه عينى منظرينِ كما رأت   من الشّمس والبدر المنيرِ على الأرضِ[3]
عشيّةَ حيّـــانى بوردٍ كأنه   خدودٌ أضيفَت بعضُهن إلى بعض[4]
[وناولنى كأساً كأنّ مزاجها   دموعىَ لمّا صدَّ عن مقلتى الغمضُ[5]]

* * *

وراحَ وفعـلُ الرّاح فى حركاته   كفعل نسيم الرّيح فى الغصن الغضّ

وأما البيت الذى قبله[6] فقد تداولَه الشعراء . ومن مليح ما وقع فيــه قولُ بعضِ أهل العصر :

بى مِن بنى الأصفر رِيمٌ رمى   قلبى بسهم الطّرْف الصائب
سهمٌ من اللحظ رمتنى به   من كَثَب قوسٌ من الحاجب
كأنّما مقلته فى الحشى   سيفُ علىّ بن أبى طالب

وله فى ورق كاغد أهدى إليه :

---

(١) كلمة « يجفو » ساقطة من الأصل ، وإثباتها من ق والخريدة .
(٢) البيت ساقط من الأصل ، وإثباته من ق والخريدة (٢ : ٣٠٦) .
(٣) فى الأصل : « كأنما هو الشمس » ، وأثبت ما فى ق والخريدة .
(٤) فى الأصل : « على بعض » ، وأثبت ما فى ق .
(٥) هذا من الخريدة فقط .
(٦) يعنى قوله :
حاجبه قوس وأجفـــانه   نبل وعطفاه تثنّى الرماح

أهدى لنا ورقاً أرَ قَّ من الشراب المستحيل
خَلَقاً تمزّقه الخطو ط كأنه عِرضُ البخيل
لا بالصّقيع ولا الصّقيـ ل ولا العريض ولا الطويل
إلاّ بياضاً خلته وضَحاً على جسم نحيل(1)

وقد استوفى بعضُ أهل العصر هذا المعنى ، فقال يذكر رِزْمة كاغد أخرجت إليه من خزانة السلطان ، تستعمل في ديوان الإنشاء ، وكان بعض كتاب الديوان يسرق الكاغد ، فتبلت تلك الرِّزْمةُ منه لدمامتها وخِسّة ثمنها :

وكاغدٍ يشبه حالاتنا في كلّ معنى ونحاكيها
جُنّي للخطّ به صورة لا عيبَ في القبح يدانيها(2)
ينفُذ في صفحته كلُّ ما ترشحهُ أقلامُنا فيها
نُودِعهُ مكنونَ أسرارنا وهو إلى الألحاظ يُفشيها
مختلفُ الأجزاء مستخشَنٌ تلمسهُ الكفُّ فيُدميها
كجلدة الأبرص في لونه وصفاً على الحق وتشبيها
لو كان خُلقاً كان مستبشَعاً أو كان خَلقاً كان تشويها
يعثّر الأقلامَ حتّى ترى مفلولةً فيه مواضيها(3)
يتركها تشبهُ أعجازُها في عدم البَرْي هَواديها(4)
من بعد ما ضاهى بأطرافها أطرافَ سُمر الخطّ باريها(5)

---

(1) هذا البيت ساقط من ق .
(2) في الأصل : « فيها ما يدانيها » صوابه من ق .
(3) يقال أعثره إعثاراً وعثّره تعثيراً . وفي الأصل : « يفتر الأقلام » والمثبت ما في ق .
(4) الكلمة الأولى ساقطة من الأصل ، كما سقطت كلمة « البرى » ونصف الكلمة التي بعدها ، وإثباته من ق . وفي ق : « في قدم البرى » ، ووجهه ما أثبت من الأصل . وهواديها يعني أوائلها ، أي رءوسها .
(5) ورد البيت في الأصل مبتوراً ، منتهياً بكلمة « أطراف » وإثباته من ق .

وتفعل الأَنْمُلُ في جريها ... كالــــبرق .... بها[1]
وكم غدا يسلُبها جاهداً ... مَن كان بالنفس يفدّيها
يقول مَن يبصر أطباقه ... شَلّت يدٌ باتت تعبّيها
قد عَبِث السوسُ بأوساطها ... وقرّض الفأرُ حواشيها[2]
لو عُرِضت رِزمتُهُ لم تجد ... مشتريًا في الخَلْق يشريها
لو بَذَل الفَلْسَ بها غالطًا ... أوسع تضييعًا وتسفيها[3]
لا يرزأ السارقُ منها ولا ... يغتالها من حيلة فيها[4]
تُحْصي الحصى مستوفيًا عدَّه ... من قبل أن تُحْصِي مساويها[5]
من ذمَّ ذا نقص وذا خسّة ... فهو بذاك الذمّ يعنيها[6]

وقال أبو الطاهر[7] :

قلتُ إذ عقربَ الدلا ... لُ على خده الشَّعَرْ
هــــذه آيةٌ بها ... ظهر الحسنُ وانتشر
ما رُئي قبلَ صُدغه ... عقربٌ حلّت القمر[8]

هذا معنًى مليح ولكنّه سرقه من بيتين أنشدَنيهما بمصر رجل يسمى أبا محمد الكربتي من تلاميذ أبي حامد الغزالي لأبي حامد ، ولم أسمعهما من غيره :

---

(١) كذا جاء البيت في الأصل ، وهو ساقط من ق .
(٢) في الأصل : « بأطرافها » ، والوجه ما أثبت من ق .
(٣) تضييعا ، كذا وردت .
(٤) في الأصل : « نغيا لها » صوابه في ق . و « من حيلة » هي في الأصل وق : « في حيلة » .
(٥) مستوفياً عده ، مكانها بياض في الأصل ، وإثباتها من ق .
(٦) كلمة « وذا خسة » موضعها أبيض في الأصل ، وإثباتها من ق .
(٧) هو أبو الطاهر إسماعيل بن محمد ، المعروف بابن مكنسة ، وقد سبق التنبيه على اسمه في ص ٤٣ .
(٨) في الخريدة (٢ : ٢ - ٣) : « ما رأى الخلق قبل ذا » .

حلّتْ عقاربُ صُدغه في خدّه ... قمراً فجلَّ بها عن التشبيه[1]

ولقد عهدناه يحلُّ ببُرجها ... فمن العجائب كيف حلّت فيه

وقال أبو الطاهر أيضاً من قصيدة وقد عزم عليه بعضُ الأمراء في الخروج[2] معه إلى الشام لقتال الغزّ[3] ، أوّلها :

غير عاصٍ عليكِ تقويمُ عُودي ... فانقُصي من ملامتي أو فزيدي[4]

قل لمولاي إذ دعاني لأمـ ... ـرٍ قمتُ فيه له مقامَ العبيد

ضعفَتْ حيلتي وقلَّ غنائي ... ودنت غايتي وَرَثَّ جديدي[5]

أنا مالي والشأم وإني ... لأرى نار حربها في وَقود

بلدٌ جِنّهُ عفاريةُ الغُـ ... ـزِّ وأرضٌ وحوشُها من أُسود[6]

والجِفار التي تقول إذا ما ... قيل هَلّا امتلأتِ : هل من مزيد[7]

وكأنّي بي على بعيرٍ تراني ... آخرَ الناس في لفيف الحُشود[8]

أسودَ الوجه ناظراً في أمورٍ ... معضلاتٍ من الحوادث سُودِ

---

(١) وكذا روى في وفيات الأعيان ، في ترجمة أبي حامد الغزالي . وفي الخريدة وق : «يجلّ به عن التشبيه» . قال ابن خلكان : «ورأيت هذين البيتين في موضع آخر لغيره» .

(٢) ق : «في المسير» .

(٣) في اللسان والقاموس أن «الغز» جنس من الترك .

(٤) في الأصل : «غير عاص» صوابه من الخريدة (٢ : ٣٠٨) . وفي ق : «عاس» يقال عسا إذا اشتد .

(٥) الغناء ، بالفتح : النفع . وفي الأصل : «عنائي» صوابه في ق والخريدة (٢ : ٣٠٨) .

(٦) في الأصل : «جنة» صوابها في ق والخريدة . والعفارية بياء قبل الآخر : جمع عفرية ، وهو العفريت . وفي الأصل : «عفاريه» وفي ق والخريدة : «عفارتة» صوابهما ما أثبت . انظر اللسان (عفر ٢٦٣) .

(٧) الجفار : جمع جفرة بالضم ، وهي الحفرة الواسعة المستديرة . وفي الأصل وق : «التي يقول» صوابه في الخريدة . وفي الخريدة : «قيل امتلأت هل مزيد» وفي ق : «قيل هل امتلأت» ولا يستقيم الوزن بأحدهما . والوجه ما أثبت .

(٨) في الأصل : «وكأني على» وأثبت ما في ق والخريدة .

وإذا قيــل فى قدرٍ يلتقى النا سُ فلا تنسَ فهو بيتُ القصيد
حيثُ لا ناظرى تراه حديداً حينَ يبــدو له بريقُ الحديد
حيثُ لا يُتَّقى لسانى ولا يَثْـ ـنِى عنانَ الغيرِ عنِّى نشيدى[1]
إنّ رأيى إذا يُســدَّد نحوى سهمُ رامٍ لغيرِ رأيى سديد[2]
فإذا ما قُتِلتُ كنتُ خليقــاً بدخولى جِنانَا وخــلودى
فأقلِى عثــارَها وابقَ للمجـ ـد وكبتِ العدى وغيظِ الحسود[3]

وقال من قصيدة فى طريقة أبى الشَّمَقْمَق[4] :

أنا الذى حدّثتكم عنــه أبو الشَّمقمقِ
وقال عنِّى إننى كنتُ نديمَ المتّقى
وكنت كنت كنتـ ـتُ من رماة البُنــدق
حتّى متى ألقَى كذا تيساً طــويلَ العنق[5]
بلحيةٍ ســــــابلة وشــارب محلَّق[6]
[يا ليتَهــا قد حُلِقت من وجه شيخٍ خَلَق[7]]

وقال[8] من أخرى :

عشتُ خمسين بل تزيـ ـدُ رقيعاً كما ترى

---

(١) ق : « رأس العير عنى » ، وفى الخريدة : « زمام العير » .
(٢) ق والخريدة : « إذا لسدد نحوى » ، يقال سدده فتسدد .
(٣) ق والخريدة : « وابن الحسد » .
(٤) ق : « أبو الرقعمق » وهو شاعر آخر وليس مراداً . أما أبو الشمقمق فهو مروان بن محمد وكان معاصراً لبشار وأبى نواس . وترجمته فى « تاريخ بغداد » ٧١٢٨ وابن خلكان فى تضاعيف ترجمة يزيد بن مزيد ، ولم يفرد له ترجمة . وأما أبو الرقعمق فهو أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكى ، وترجم له الثعالبى فى اليتيمة (١ : ٢٣٨) وابن خلكان فى الوفيات (١ : ٤١) .
(٥) ق والخريدة : « حتى متى أتى » .
(٦) فى اللسان : « يقال سبل سابل » . وفى الخريدة : « بلحية مسبلة » .
(٧) البيت من ق والخريدة . والخلق : الأملس ، وجاءت فى أصلها : « حلق » محرفة .
(٨) فى الأصل : « وقوله » ، صوابه فى ق .

أحسبُ القُلَّ بندقاً وكذا المِلحَ سكّرا(١)
وأظنُّ الطويلَ من كلِّ شيءٍ مدوّرا
قد كبِرْ بِرْ بِرْ تُ وعقلى إلى ورا
عجباً كيفَ كلُّ شيْ ءٍ أراه تغيّرا
لا أرى البيضَ صار يؤ كَل إلاّ مقشّرا
وإذا دقَّ بالحجا رِ زجاجٌ تكسّرا
وإذا مات ميّتٌ لا يشمّنّ عنبرا(٢)

* * *

ومن شعراء المصريين فى زماننا هذا من يقول — وهو أبو مشرف الدجرجاوى(٣) ، وهو منسوب إلى دجرجا ، وهى ضيعة(٤) بالصعيد الأعلى :

قاضٍ إذا انفصل الخصمان ردَّهما إلى الخصام بحكمٍ غيرِ منفصلِ
يبدى الزهادةَ فى الدنيا وزُخرفها جهراً ويقبل سراً بعرةَ الجملِ

ومنهم من يقول ، وهو أبو الحسن علىّ بن البرق ، من أهل قُوص :

رمانى الدهرُ منه بكلِّ سهمٍ وفاجأنى ببينٍ بعدَ بينِ(٥)
وجمّع فى فؤادى كلَّ حزنٍ وفرّق بين أحبابى وبينى
ففى قلبى حرارةُ كلِّ قلبٍ وفى عينى مدامعُ كلِّ عينِ

وله من أبيات :

ولى سَنَةٌ لم أدر ما سِنَةُ الكرى كأنَّ جفونى سمسمى والكرى العسل(٦)

---

(١) القل : تمر النوم . وفى الأصل : « البقل » ، وفى ق والخريدة : « العسل » والوجه ما أثبت . وفى الأصل : « سكرا . وأحسب الملح سكرا » ، صوابه فى ق والخريدة .
(٢) البيت ساقط من ق والخريدة . وفى الأصل : « لا يسن » تحريف .
(٣) قال ياقوت ، عند الكلام على دجرجا : « قد خرج منها شاعر متأخر يعرفه المصريون يقال له (أبو) المشرف . وله شعر جيد » وفى الأصل : « الدجرجرى » صوابه فى ق والخريدة .
(٤) فى الأصل : « إلى ضيعة دجرجرا وهى » صوابه فى ق .
(٥) فى ق ركب صدر هذا البيت على عجز تاليه فصارا بيتاً واحداً . وكذا جاء فى الطالع السعيد للأدفوى ٢٩٩ .
(٦) فى الأصل : « وبين جفونى » صوابه فى ق والخريدة والطالع السعيد . والكلمة الأخيرة من البيت ساقطة من الأصل وإثباتها من النسخ الثلاث .

ومنهم من يقول ، وهو أبو محمد عبد الله بن الطباخ الكاتب ، يهجو رجلاً أوقص . أنشدنيهما لأبي الحسن [علي بن (١)] الصوفي الخليل (٢) :

قَصُرت أخادعُه وغاض قذالُه … فكأنه متوقّعٌ أن يُصفَعا (٣)
وكأنه قد ذاق أوّل دِرّة … وأحسّ ثانية لها فتجمّعا

ومنهم من يقول ، وهو أبو عبد الله محمد بن مسلم الكاتب :

تعسّفها الحادي وقد هَجَر الفلا … ومرّ عليها الخِمسُ يتبعه العِشْر (٤)
وأنحلها لفحُ الهجير كأنّه … هوًى وهو قلبٌ قد أضرّ به الهجر

ومنهم من يقول ، ولا أتحقّق اسمه ، في رجل يلقب بالرشيد (٥) :

شتّان ما بين الرشيد وبين هارونَ الرشيد
هذا يعزَّر بالجلود وذا يعزِّز بالجنود (٦)

ومنهم من يقول ، وهو محمود بن ناصر الإسكندري (٧) كاتب القاضي ابن حديد ، في طبيب أعرَجَ مشوّه الخلق :

صديقنا المتطبِّبُ نادرةٌ … قد أخذت منها أعينُ الناس (٨)
أنيابُ غول ومشفرا جمل … ورأسُ بغل وذَقْنُ نِسناس

ومنهم من يقول ، وهو أبو نصر ظافر بن قاسم المعروف بالحداد (٩) من أهل الإسكندرية ، وكتب إليّ بها في رسالة :

---

(١) هذه من ق . (٢) ق : « الجبل » .
(٣) في الأصل : « وغاب قذاله » ، وأثبت ما في ق .
(٤) في الأصل : تعسفها » ، صوابه ما في ق .
(٥) في الأصل : « يسمى هارون الرشيد » وأثبت ما في ق .
(٦) التعزير : ضرب التأديب دون الحد . وهذا هو الوضع الصحيح للبيت كما في الأصل . وجاء على العكس في ق وليس بشيء :
هذا يعزز بالجنو … د وذا يعزر بالجلود
(٧) ق : « الإسكندراني » .
(٨) في الأصل : « قد أخذتها من أعين الناس » صوابه في ق والخريدة .
(٩) ترجم له ابن خلكان في « وفيات الأعيان » وياقوت في « إرشاد الأريب » وذكرا أنه توفي سنة ٥٢٩ .

وما طائرٌ قصَّ الزمانُ جَناحَه فأعدَمَه وكراً وأفقَـــدَه إلفا
تذكّرَ زُغْباً بين أفنانِ أيكةٍ خوافي الخوافي ما يَطِرن بها ضعفا
إذا التحفَ الظلماءَ ناجى همومَه بترجيعِ لحنٍ كاد من رِقّةٍ يخفى[1]
بأشوقَ مني إذ أطاعت بكَ النوى هوائيةً مائيةً تسبِق الطرفا
تولّت وفيها منك ما لو أقيسُه بما هي فيه كان في ضده أوفى[2]

وقال أيضاً :

رَحَلوا فـــلولا أنّني أرجو اللّقا لقضَيتُ نحبي[3]
والله ما فارقتُكـــم لـكنّني فارقتُ قلبي[4]

ومنهم من يقول ، وهو أبو القاسم بن رشد[5] المصرى :

وكم قائلٍ لىَ سافِرْ إلى بلادِ العراق تَقَعْ في الرَّخاء[6]
لعمرى لقد صدقوا قد وقعـ ـتُ وسط الرخاء بتقديم خاء

ومنهم من يقول — وهو الناجى المصرى — يهجو حمّاماً :

إنّ حمّامنا الذى نحنُ فيه هو فى حاجةٍ إلى حَمّام
قد دَخلنا ونحن أولاد سامٍ وخرجنا ونحن أولاد حام

وقال بعضُ أهل العصر فى هذا المعنى :

حمّامنا هذا أشدُّ ضرورةً ممن يحلُّ به إلى حمّام
تبيضُّ ألوانُ الورى فى غيره ويَعيرها هذا ثيابَ سُخام
قد كنتُ من سامٍ فحين دخلته أشقاه جَدّى رَدّنى من حام[7]

ومنهم من يقول ، وهو أبو الحسن مروان بن عثمان :

تمكّنَ منى السُّقم حتى كأننى توهُّمُ معنًى فى خفيِّ ســـؤالِ

---

(١) ق : « من دقة » . (٢) ق : « كان فى وصفه وفى » .
(٣) ق : « أرجو الإياب قضيت نحبى » . (٤) ق : « والله ما فارقتهم » .
(٥) فى الأصل : « بن زيد » وأثبت ما فى ق .
(٦) ق : « الرخا » بالقصر ، وكذا « خا » بالقصر فى البيت التالى .
(٧) فى الأصل « دخلتها » صوابه فى ق والخريدة (٢ : ٣٠٥) .

[ولو سامحت عيناه عينيّ في الكرى … لأشكل من طيف الخيال خيالي[1]]

سمحتُ بروحي وهي عندي عزيزةٌ … وجُدتُ بقلبي وهو عنديَ غالي

وقد خفتُ أن تقضي عليّ منيّتي … ولم أقضِ أوطاري بيوم وصال[2]

وهوّنَ ما ألقى من الوَجد أنّه … صدودُ دلالٍ لا صدودُ مَلال

فلو كان ذاك الصدُّ منه ملالةً … شددتُ عن الدنيا مطيّ رحالي[3]

هذا من قول العباس بن الأحنف :

لو كنتِ عاتبةً لسكّنَ لوعتي … أملي رضاكِ وزرتُ غير[4] [مراقب

لكن صددتِ فلم تكنْ ليَ حيلة … صدُّ المَلول خلاف صدّ العاتب

ولمروان :

ما بال قلبك يستكينْ … أبه غرام أم جنونْ[5]

بَرِحَ الخفاء بما تُجِنُّ … ، فأذهبَ الشكَّ اليقين

حتّى متى بين الجوا … نح والضلوع هوًى دفين

وإلى متى قلبُ المتيم … في يد البلوى رهين

يا ماطلي بديونِ قلـ … ـبي آنَ أن تُقضَى الديون

شخَصَتْ له فيك العيو … نُ وقسّمت فيك الظنون

وسلبتَ ألبابَ الورى … بلواحظٍ فيها فُتون

وقَوام أغصـــان الريا … ض وأين تدركُك الغصون

الحسنُ في الأغصان فـــنٌّ … وهو في هــذا فنون

---

(١) البيت من الخريدة (٢ : ٢٠٣) .

(٢) في الأصل : « منية » وأثبت ما في ف والخريدة .

(٣) هذا البيت ساقط من ف .

(٤) بعد هــذا بياض في الأصل بقدر نحو سنتيمترين ، وقد أكملته من ف والخريدة (٢ : ٢٠٤) ، والقدر المشترك بينهما في التكملة هو السطر الأخير فقط مما وضع بين معكفين ، وأما سائر التكملة فهو من الخريدة فقط .

(٥) يجوز في رويه الإسكان والتحريك .

من أين للأغصان فا ... ك الغُنْجُ والسحر المبين

أم ذلك الورد الجَنِـيُّ بخـدِّه والياسمين

ومنهم من يقول ، وهو أبو إسحق إبرهيم بن الأشعث] :

إذا حلَّ محمودٌ بأرضٍ فإنه ... يفجِّر فيها من ندَى كفِّه عينا[1]

فتُنبت نوراً مشبهًا لهِباتِه ... يُرى وَرِقًا بعضٌ وبعضٌ يُرى عينا[2]

وله في غلام مليح أسمر :

يا ذا الذي يُنفق أموالَه ... في حبِّ هـذا الرشأ الفائق[3]

ما الذهب الصامتُ مستكثرًا ... إذهابُه في الذهب الناطق[4]

ومنهم من يقول في معشوق له نمّام ، وهو محمود بن إسماعيل بن حميد الدِّمياطي :

نَمّمةٌ نمَّ غرامي بهـا ... وعارضٌ عرَّضـني للسَّقام

ووَفرةٌ همَّ بها وافـر ... وحاجبٌ حجَّب عنِّي المنام[5]

وله من أبيات يصف الخمر :

وبتُّ ليلي أرى النار التي سجدت ... لها المجوسُ من الإبريق تسجد لي

هذا — أطال الله بقاء الحضرة السامية — ما أملاه الخاطر ، على اليد ، في مدة متقاربة الطرفين ، ضيقة ما بين الحاشيتين . فإن تراخت المدة استدركت الفائت[6] واستلحقت الناقص ، إن شاء الله تعالى .

نجزت يوم الثلاثاء تاسع عشر ذي القعدة عام ١٠٩٦ بأدرنة .

---

(١) في الأصل : « عيناً » صوابه في ق والخريدة . والعين في هذا : الينبوع الجاري .

(٢) في الأصل : « عيناً » صوابه في ق والخريدة . والورق : الفضة ، قال بفتح الراء وكسرها ، وفتح الراء هنا أوفق للصناعة . والعين في هذا البيت بمعنى الذهب . وفي ق والخريدة : « يرى ورقا بعضاً وبعضاً يرى » وعيناً : « يرى » بهذه الرواية على أنها مضارع أرى .

(٣) ق : « الأسمر الفائق » .

(٤) في الخريدة : « مستكثراً » ، وفي الأصل : « ذهابه » وأثبت ما في ق والخريدة (٢ : ٢٠٥) .

(٥) في الأصل : « اللام » صوابه في ق . (٦) في الأصل : « الفائق » صوابه في ق .

كتاب المُردِفات من قريش

لأبي الحسن علي بن محمد المدائني
١٣٥ ـ ٢٢٥

رواية أبي الحسن علي بن محمد بن عبيد الكوفي، عن أبي القاسم عبدالله بن محمد، عن أبي جعفر أحمد بن الحارث، عن المدائني

مقـــدمة

هذه الرسالة القيّمة الطريفة فى موضوعها — وهو موضوعٌ حيوى اجتماعى فيه الإفصاح عن كثير من غوامض الحياة الاجتماعية فى الصدر الأول من الإسلام — صنفها راويةٌ جليل من رواة الأخبار ، يعدُّ فى الصدر من رجالات التأليف فى العصر العباسى ، هو أبو الحسن المدائنى على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف .

وأبو الحسن هذا بصرى سكن المدائن ، ثم انتقل عنها إلى بغداد فلم يزل بها حتى وافاه الأجل . وكان مولًى لعبد الرحمن بن سَمُرة القرشى ، وهذا يكشف لنا القناع عن سرّ تأليفه لهذه الرسالة يتناول فيها أخبارَ النساء المردفات من قريش .

وكان أبو الحسن ميّالا إلى التأليف فى أخبار العرب وأنسابهم وأيامهم ، عالمًا بالفتوح والمغازى ، وكان لما أنعم الله به عليه من عمر مديد جاوز التسعين ، أثرٌ عظيم فى ضخامة مكتبته التى أخرجها للناس ، وتناولها ابنُ النديم فى الفهرست بالسرد ، فأربت على (مائتين وأربعين مصنفاً) يلمح القارئ فى عنواناتها جلالَ علم هذا الرجل ، واتساعَ معارفه ، وتبحُّره فى فنون التأليف والرواية .

ولد أبو الحسن سنة ١٣٥ وترعرع فى كنف مولاه عبد الرحمن بن سمرة القرشى ، وعندما انتقل إلى بغداد وصَلَ حبلَه بإسحاق بن إبراهيم الموصلى فكان لا يفارق منزلَه . ومما هو جدير بالذكر أن أبا الحسن أغمض إغماضته الأخيرة فى منزل صاحبه إسحاق الموصلى فى سنة ٢٢٥ ، وكان إسحاق يبر أبا الحسن برًا ظاهرًا ، ويروى أن يحيى بن معين سأله مرة وقد جاز عليه وهو على حمار فاره : إلى أين يا أبا الحسن ؟ فقال : إلى هذا الكريم الذى يملأ كمى من أعلاه إلى أسفله دنانير ودراهمَ . يعنى إسحاق الموصلى .

هذه المكتبة المدائنية التى ابتلعتها أحداث التاريخ فيما طوت من كنوز

الثقافة العربية ، يقف الباحثُ من بعدها موقف الحسرة والأسى ، وهو إنما يستروح بشيء من العزاء حينما يلمح بعض هذه الآثار فى مقتبسات المؤلفين الذين رووا من تلك الكتب أطرافاً ، وفى طليعتهم أبو الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى . واليوم نظفر بعزاء جديد حين ننشر على هذا الملأ من المتأدبين والعلماء قطرة من نبع آثار المدائنى ، هى تلك الرسالة التى تزدان بها المكتبة التيمورية التى حفظ فيها المغفور له العلاّمة أحمد تيمور باشا كثيراً من نفائس الإنتاج العربى ، وهى فى صحبة مجموعة تشتمل على ١١ رسالة رقمها ٨٠ مجاميع ، وعليها خط المغفور له الشيخ طاهر الجزائرى . وقد جعل عنوان هذه الرسالة : « رسالة المتزوجات من قريش » .

وهذا العنوان موضع نظر ، فإن «المتزوجات» من قريش لا يحصيهن العدّ ، وليس يخطر ببال مصنف أن يضع فى ذلك كتابا ، فإن الزواج أمر عام جدًّا ليس له طابَع من الغرابة يسترعى النظر والاهتمام ، فهذه الكلمة محرفة لا ريب . وحين ننظر إلى موضوع الكتاب نجد أنه يتناول النساء القرشيات اللاتى أردفن زوجا بعد زوج ولم يكتفين بزوج واحد ، لظروف متباينة ساقتهن إلى ذلك أو ساقت ذلك إليهن .

ثم نعود بعد ذلك إلى ثَبَت كتب المدائنى فنجد بين كتب مناكح الأشراف وأخبار النساء « كتاب المردفات من قريش » ، فكلمة « المردفات » التى يراد بها اللائى أردفن زوجا بعد زوج ، هى الكلمة التى تصحح كلمة « المتزوجات » وهى الكلمة التى تنطبق على موضوع الكتاب أتمّ الانطباق .

وتبدأ سلسلة رواية هذه النسخة بأبى الحسن على بن محمد بن عبيد السكوفى صاحب ثعلب المولود سنة ٢٥٤ والمتوفى سنة ٣٤٨ ، وتنتهى بتلميذ المدائنى وراويته أحمد بن الحارث بن المبارك الخزاز المتوفى سنة ٢٥٧ . وهذه هى الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد قال : أنبأنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز ، قال أنبأنا أبو الحسن المدائني عليّ بن محمد ، قال :

١ — تزوّج أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام ، عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ، وقُتِل عنها فخطبها سعيدُ بن العاص فقالت : إن مثلي لا تزوّج نفسي ، فائت أهلي . فأتى الحسنَ بن علي عليهما السلام فخطبها فقاربه . فبعث إليها سعيدٌ بمائة ألف ، وكلّم الحسنُ الحسينَ فأبى . وقد كان الحسن وعد سعيداً وعداً ، فأتاه سعيدٌ وحده فقال : أين أبو عبد الله ؟ قال الحسن : لم يحضرْ ولن يخالفني إذا فعلت . فقال سعيد : إني أكره أن أدخل بينكم بشيء تكرهونه . فرجع ولم يرجع في المال ولم يطلبه . ثم تزوّجها عونُ بن جعفر ، ثم تزوّجها محمد بن جعفر . وقد ولدت لعمرَ زيداً ورقيّة ، فتزوج رقيّة إبرهيم بن نعيم النّحّام[1] ، وماتت هي وابنها زيد في يوم واحد .

٢ — حدثنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال :

أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط تزوّجها زيد بن حارثة ، ثم خَلَف عليها الزبير بن العوّام فحملت . وكان الزبير شديداً على النساء ، فأقام عندها سبعة أيام فولدت له ابنة ، وقالت له حين ضربها المَخَاض : طيِّبْ نفسي بتطليقة ، فطلّقها وخرج إلى الصلاة ، فلحقه رجلٌ فقال : قد ولدت أمّ كلثوم . فقال : خدعَتْني خدَعَها الله ! ولم يكن له عليها رَجعة . وخطبها فأبت أن تزوّجه . ويقال : أتى النبي عليه الصلاة والسلام فأخبره فقال : قد مضى فيه القرآن ، ولكن إن شئت خطبتها إلى نفسها . قال : لا ترجع إليّ أبداً .

وابنتها من الزبير زينب . ثم تزوّجها عبد الرحمن بن عوف بعد زيد ثم

---

(١) انظر خبر زواج إبراهيم بن نعيم النحام في الأغاني (٤ : ١٤٦) والمعارف ص ٨٠ .

الزبير . فولدت لعبد الرحمن محمداً وإبراهيم وحميداً وإسماعيل ، ثم تزوّجها عمرو ابن العاص فأخرجها معه إلى مصر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجها معه في بعض مغازيه تُداوي الجرحى وضَرَب لها بسهم ، فقالت يوما لخبّاز عمرو[1] : لاتهيّئ له اليوم طعاما فإني قد هيأت له غَداءه . ودعا عمرو بالغداء ، فقال الخبّاز : أرسلت إليّ أمّ كلثوم : لا تَتكلَّفْ شيئا فقد هيأت له غداءه . قال : فغدَّنا . فتغدَّى ، فلما فرغوا وخرج مَن حضر قال لأم كلثوم : لا تعودي فإني لم أتزوّجك لتطعميني ، وإنما تزوّجتُك لأطعمك . فماتت عنده .

٣ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : كانت هندُ بنت عتبةَ بن ربيعة أمّ معاوية ، عند الفاكه بن المغيرة ، فقتل عنها بالغُميصاء[2] في الجاهلية ، ثم خَلَف عليها حفصُ بن المغيرة ، فمات عنها ، فتزوجها أبو سفيان بن حرب .

٤ — عاتكة ابنة زيد بن عمرو بن نُفيل ، أنبأنا أبو الحسن عن جويريةَ ابن أسماء وعامر بن حفص قالا :

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل ، أمها ميمونة بنت الحضرمي بن الصعبة[3] كانت عند عبدالله بن أبي بكر بن أبي قحافة فأحبها ، فكان ربَّما ترك الصلاة جماعة ، فأمره أبو بكر رضي الله عنه بطلاقها وقال : قد فتنَتك عن دينك ، وشغَلتْك عن معيشتك . فطلّقها . فطلّقها ، وقال :

ولم أرَ مِثْلي طلّقَ اليومَ مثلَها ولا مثلَها في غير جُرْمٍ تُطَلَّقُ
لها خُلُقٌ سمْحٌ ورأيٌ ومَنصِبٌ وخَلْقٌ سَوِيٌّ في الحياءِ ومَصْدَقُ[4]

---

(١) يطلق الخباز على من كان يعرف على إعداد الطعام وطهيه . انظر التعليق في حواشي الحيوان (٥ : ٤٥٧) .

(٢) الغميصاء : موضع في البادية بالقرب من مكة .

(٣) في الإصابة ٦٩٥ من قسم النساء ، أن أمها أم كريز بنت عبد الله بن عمار بن مالك الحضرمية .

(٤) المصدق : الصدق . وفي الأصل : « في الجبلة » ، وفي الأغاني (١٦ : ١٢٨) « في حياء » .

أعاتِكُ لا أنساكِ ما هبّت الصَّبا ... وما ناح قُمْرِىُّ الحمام المطوّقُ
أعاتكَ لا أنساكِ ما حجّ راكبٌ ... وما لاح نجمٌ فى السماء محلّقُ
أعاتكُ قلبى كلَّ يومٍ وليلةٍ ... إليكِ بما تُخفى النفوسُ معلَّقُ
ولولا اتّقاء اللهِ فى حقّ والدٍ ... وطاعتُه ما كان منّا التفرّقُ

فبلغ أبا بكر شعرُه فأمره فراجعها ، وكانت عنده حتى مات شهيداً ، أصابه سهم فى حصار الطائف فانتقض به جُرحه فمات ، فقال لعاتكة حين احتُضِر : لكِ حديقة من مالى ولا تزوّجى . ففعلت ذلك . وقال حين راجعها :

أعاتكُ قد طُلِّقتِ عن بُغْضةٍ ... وراجَعْتِ للأمر الذى هو كائنُ[1]
كذلكِ أمرُ اللهِ غادٍ ورائحٌ ... على النّاس فيه أُلفةٌ وتباينُ
وقد كان قلبى للتفرّق طائراً ... وقلبى لما قد قرّب اللهُ ساكنُ
أعاتكُ إنّى لا أرى فيكِ سَقْطةً ... وإنك قد حلّت عليك المحاسنُ[2]
وإنّكِ ممن زيّن اللهُ أمرَهُ ... وليس لما قد زيّن اللهُ شائنُ[3]

فمات عبد الله وترك سبعة دنانير ، فقال أبو بكر : إنا لله ، كيف يصبرُ ابنى على سبع كيّاتٍ[4] . فلما مات عبد الله قالت عاتكة :

فُجعتُ بخيرِ النّاس بعد نبيِّهم ... وبعد أبى بكرٍ وما كان قصّرا
فآليتُ لا تنفكُّ عينى سخينةً ... عليكَ ولا ينفكُّ جلدِىَ أغبَرا
مَدَى الدهرِ ما غنّت حمامةُ أيكةٍ ... وما طرَدَ الليلُ الصّباحَ المنوَّرا
فلله عينا مَن رأى مثلَه فتًى ... أكرَّ وأحْمَى فى الجهاد وأصبرا
إذا شُرِّعتْ فيه الأسنّةُ خاضَها ... إلى الموت حتّى يترك الرُّمحَ أحمرا

(١) فى الأغانى : « فى غير ريبة * ورُوجعت » .
(٢) فى الأغانى : « سخطة * وإنك قد تمت » .
(٣) فى الأغانى : « وجهه * وليس لوجه زانه الله » .
(٤) يعنى يخلقه جزاءه على ما اكتنز من الدنانير . (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم) .

فخطبها عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه فقالت : إنّى قد جعلت على نفسى مالا أقدر [معه] على التزويج . فقال : استفتى ابن أبى طالب رضى الله عنه . فاستفتته فقال : ردّى عليهم ما أخذتِه منهم وتزوّجى . فردّت الحديقة ، فتزوّجها عمر رضى الله عنه ، فلما دخل بها أولَم ، فدعا على رضى الله عنه من خِدرها وقال :

فآليتُ لا تنفكُّ عينى سخينةً ... عليكَ ولا ينفكُّ جلدِىَ أغبرا !

فبكت ، فقال عمر : ما أردتَ إلا أن تُفسِد علينا أهلنا[1] . ويقال قال هذه المقالة لها عبد الرحمن بن أبى بكر . فلما قتل عمر قالت :

فجّعنى فيروزُ لا دَرَّ دَرُّهُ ... بأبيضَ تالٍ للقُــرآنِ منيبِ
رؤوفٍ على الأدنى غليظٍ على العدى ... أخى ثقــةٍ فى النائباتِ نجيبِ
متى ما يقلْ لا يُكذِبِ القولَ فعلُهُ ... سريعٍ إلى الخيرات غيرِ قطوبِ

وقالت :

عينُ جُودِى بعــــبرةٍ ونحيبِ ... لا تملّى على الإمام النّجيبِ
فجّعتنى المنونُ بالفارس المُقْـ ... ـدِمِ يومَ الهِياجِ والتذبيبِ[2]
عِصمةُ النّاس والمعين على الدّهـ ... ـرِ وغيثُ المنتـــابِ والمحروبِ
قل لأهل الضَّرّاء والبأس مُوتُوا ... قد سقتْه المنونُ كأسَ شَــعُوبِ

فخطبها طلحة بن عُبيد الله ، فمشى فى أمرها هَبّار بن الأسود فأفسد عليه ، فتزوجها الزبير بن العوام ، فنهاها عن الخروج إلى المسجد فقالت : أتنهانى عن الخروج إلى الصلاة وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله » . فأعرض عن ذلك أياماً ثم قعد لها فى طريقها ليلاً ، فلما مرّت به ضرب عجيزتَها بيده — وكانت عظيمةَ العجيزة جميلة — فرجعتْ إلى بيتها واسترجعت وقالت : سوأة ، إنا لله . وتركت الخروج ، فقال لها الزبير : مالكِ تركت

(١) فى الأصل : « أهلها » .
(٢) التذبيب : إكثار الذب والدفع . وفى الأغانى . « التلبيب » .

الصلاة في المسجد ؟ قالت : قد فسد الناسُ أبا عبد الله ! فقتل عنها فقالت :

غدرَ ابنُ جُرموزٍ بفارس بُهْمَةٍ ... يوم اللِّقاء وكان غير معرَّدِ

يا عمرُو لو نبَّهتَه لوجـــــدتَه ... لا طائشاً رَعِشَ الجَنان ولا اليدِ

شلَّتْ يمينُك إن قتلت لمسلماً ... حلَّت عليك عقوبةُ المتعمِّدِ[1]

كم غمرةٍ قد خاضَها لم ينهه ... عنها طِرادُك يا ابن فَقْعِ القَردَدِ

ثم خطبها على بن أبي طالب رضى عنه فقالت : إنّى أشفق عليك من القتل ، لم أتزوّج رجلا إلا قتل . فتزوَّجها محمد بن أبي بكر فخرجت معه إلى مصر فقُتل ومُثِّل به ، فقالت :

إن تقتـــــلوا أو تمثُلوا بمحمد ... فما كان من شأن النِّساء ولا الحمر[2]

فتزوجها عمرو بن العاص .

أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن ، عن أبي مقرن ، عن محمد بن عمرو ، أن ابن أمية بن خلف[3] رأى رؤيا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافة أبي بكر فقصها فقال : رأيت أن هذا الرجل قد هلك ، وأنت مكانه ، فبعثتَ إلى هذه المرأة فتزوجتها — يعنى عاتكة بنت زيد — فدخلتُ عليك وأنت عروس وعلى باب بيتك ستر . فقال عمر : بل يبقى الله خليفة رسول الله . فلما توفى أبو بكر أرسلَ إليها فخطبها .

٥ — سكينة ابنة الحسين عليه السلام ، أمها الرباب بنت امرئ القيس الكلبية[4] تزوجها عبد الله بن الحسن وهو أبو عُذرتها ، فمات — ويقال قتل مع الحسين — فتزوَّجها مصعب بن الزبير فولدت له ابنةً ، فأرسل إليها : سمِّيها زَبراء

(١) انظر خزانة الأدب (٤ : ٣٤٨ — ٣٥٢) فى الكلام على هذا البيت .
(٢) يقال مثل به يمثل مثلا ، مثل قتل يقتل قتلا ؛ ومثّل به تمثيلا ، إذا نكل به .
(٣) هو ربيعة بن أمية بن خلف ، كما فى طبقات ابن سعد ٨ : ١٩٤ . وانظر خبر ربيعة هذا فى الأغانى ١٣ : ١٠٧ .
(٤) انظر خبر تزويج الرباب للحسين بن على فى الإصابة ٤٨٤ ، قسم النساء .

قالت : أسمّيها باسم إحدى أمهاتي . فسمَّتها خديجة أو فاطمة . فماتت ابنتها من مصعب وهي صغيرة ، فحملها مُصعبٌ إلى العراق فقتل عنها .

وقال ابن قيس الرقيات حين تزوّج مصعبُ سكينة — ويقال قالها الحارث ابن خالد المخزومي حين خرج مصعب بعائشة بنت طلحة :

رحل الأميرُ بأحسنِ الخلقِ ... وغدا بلُبِّكَ مطلعَ الشَّرقِ[1]
وبدَتْ لنا من تحتِ كِلَّتِها ... كالشَّمسِ أو كغمامةِ البَرْقِ
وتنُوءُ تُثقِلُها عجيزتُها ... مَشْيَ النَّزيفِ ينوءُ بالوَسْقِ[2]
فظلِلْتُ كالمقمورِ خُلعتَه ... هذا الجنونُ وليسَ بالعِشْقِ[3]
ما صبّحتْ زوجاً بغُرّتها ... إلا غدَا بكواكبِ الطَّلْقِ

وتروى هذه الأبيات لرجل من ثقيف قالها في امرأة من ثقيف .

وخطب سُكينةَ عبد الملك بن مروان فقالت أمها : والله لا أزوجها منه أبداً وقد قتل ابنَ أختي — تعني مصعباً[4] — فزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام — وأم عبد الله بن عثمان رملةُ ابنة الزبير بن العوّام — فولدت له سكينةُ ابناً يقال له قُرين ، وحكيماً ، وابنة ويقال ابنتين . فمات عنها فتزوّجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ، فأصدقها صداقاً كثيراً ، فقال

---

(١) في الأصل : « بليل » صوابه من ديوان ابن قيس الرقيات ١٠١ . وفي الأغاني (٣ : ١٠٣) : « وغدوا بلبك » .

(٢) الديوان ١٠٣ : « نهض الضعيف » . الوسق : ستون صاعاً ، أو حمل بعير .

(٣) الخلعة ، بضم الخاء وكسرها : خيار المال ، لأنه يخلع قلب الناظر إليه . وفي الأغاني « مهجته » .

(٤) هو مصعب بن الزبير . وكان عبد الملك قد سار إلى العراق ، فالتقى مع مصعب بمسكن ، من أرض العراق ، فقتل مصعب سنة ٧٢ . وفي ذلك يقول عبيد الله بن قيس الرقيات :

إن الرزية يوم مسـ ... ـكن والمصيبة والفجيعه
بابن الحواري الذي ... لم يعده يوم الوقيعه

عبد الملك : إنا تزوجْنا أحسابنا فلِمَ نفرقُ في الصداق ، طلقْها . فطلقها ، فقال أيمن بن خُرَيم :

نكحت سُكينةُ في الحساب ثلاثةً فإذا دخلتَ بها فأنتَ الرابعُ
إنَّ البقيـــــــعَ إذا تتابعَ زرعُه خابَ البقيعُ وخابَ فيه الزارعُ[1]

فتزوّجها زيد بن عمرو بن عثمان — وأمه أم ولد — فأصدقها صداقاً كثيراً ، واشترطتْ عليه أن لا يعصي لها أمراً ولا يُغيرّها ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، ولا يمنع أحداً يدخل عليها ، وأن يقيمها حيث خلّتْها أمُّ منظور[2] . فتزوّجها على هذه الشروط ، فقال له سليمان بن عبد الملك : يا زيدَ بنَ عمرو ، إنك شرطت لسكينة أن لا تطأ جارية ، وعندك أمثالُ لها وأنا أعلمُ أنك لا تصبر وأنك قد وطئت بعضهن ، وشرطت لها شروطاً لا تستطيع أن تفيَ بها ، وقد حرمت عليك سكينة . فطلقْها زيد فتزوّجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فأبى أهلها أن يرضَوا ، فخاصموه وتحاكموا إلى إبراهيم بن هشام ، فقال له : انطلقْ فادخل على أهلك ، فإن حالَ بينك وبينها أحد فامنعه . وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف شرساً كثير الشرّ ، فجاء في رجال من بني زُهرة ، فأعانه قوم من قريش ، وجاء بنو هاشم وبنو أمية ، وأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان مواليه وغلمانه في السلاح ، فقيل للوالي : إن لم تمنعهم تقاتلوا . فأرسل فردّ الفريقين ، وكتب إلى هشام فكتب إليه هشام : خيّروها ، فإن اختارته فاحملها إليه . فاختارت نفسها ، وأتى الخبرُ إبراهيمَ فأتاها فقال : أنا خيرُ الناس لكِ . قالت : ما تقول ، يا بأبي ؟! فعلم أنها تهزأ به ، فانصرف فخيروها فاختارت نفسها ، فجاء عليُّ بن حسين بن حسين عليهم السلام فحملها .

وكانت سكينة تقول لزوجها زيد بن عمرو بن عثمان : اخرج إلى مكة وأخرج

(١) البقيع : الأرض الواسعة ، ولا تسمى بقيعاً إلا وفيها شجر .

(٢) في الأصل : « وأن يقفها حيث جلتها أم منظور » ، صوابه من الأغاني (١٤ : ١٦٣) .

معك أشعب . فيخرجه ويخرجُ من أرادت ، فإذا قضوا حجهم ورجعوا فكانوا في نصف الطريق قالت : يا ابنَ عثمان ، ارجع إلى مكة . فيقول : نعم . فإذا صَرفوا الإبل إلى مكة قال لها : يا سكينة ما أستطيع أن أخالفك وقد انصرف الناس ، فإن رأيتِ أن تمضي معهم . فتقول : نعم . فتمضي معهم يومهم ذلك ، ثم تقول : يا ابن عثمان ، ارجعْ ! فيقول : نعم . فتفعل ذلك مراراً ، ومع هذا مواتاةٌ منها وقرّةُ عينٍ وشفقةٌ ونصيحة ، وإنما كان ذلك كله منها مزاحاً لتسرّه ثم ترجع إلى ما يريد . فغضب عليها يوما في بعض الأمر فصارمها وخرج إلى قصر له في ماله . قال أشعبُ : فدعتني ليلة بعد العِشاء فقالت : ويلك ، هل لك أن تأتيَ ابن عثمان فتعلم لي علمَهُ أيةً خرج وأخذ . قلتُ : لا أستطيع أن أذهب هذه الساعة . قالت : فإني أعطيك ثلاثين ديناراً . قلت : ادفعيها إليّ . فأعطتني ثم مضيتُ فأتيتُ إلى القصر بعد ما هزيع من الليل ، وليس على باب القصر أحد ، فدخلت الدار فإذا هو بين يديه مصباح ، قد نزل عن فُرُشه وهو ينكتُ في الأرض ، فسمع حِسّي أو رأى خيالي فقال : إن في الدار إنساناً فانظروا من هو . فجاؤوني فرأوني فقالوا : شعيب[1] . فدعا بي فقال : ويلك يا شعيب ما قصّتُك ؟ قلت : أرسلتني سُكينة . قال : ولِمَ ؟ قلت : ذكرتُ منك ما ذكرتَ منها فأرسلتني أعلمُ لها علمك . قال : ويحك غنّني فإن جئتني بما في نفسي فلك حلتي الطبرية[2] فقد أخذتها بثلاثمائة[3] . فغنّيته :

عُلّقَ القلبُ بعضَ ما قد شجاه من حبيبٍ أمسى هواناً هَواهُ

(١) يعنون أشعب ، وهو ترخيم ، كما قالوا في أحمد حيد ، لغير نداء .

(٢) الطبرية : نسبة إلى طبرستان ، وفي الأصل : « الصبرية » بالصاد ، تحريف . وجاء في كتاب (التبصر بالتجارة) للجاحظ ٢٢ بتحقيق العلامة حسن حسني عبد الوهاب باشا « وخير الطيالسة الرويانية الطبرية » . وفي الحيوان (٣ : ٢٧) : « قلت لأحمد بن رباح : اشتريت كساء أبيض طبرياً بأربعمائة درهم » .

(٣) أي ثلاثمائة درهم . انظر ما سبق .

ما ضرارى نفسى بهجرانِ من لَيـــسَ مسيئاً ولا بعيـــداً ثَوَاه

قال : ما عدوتَ ما فى نفسى . وأعطانى حلته ، فرجعت إلى سُكينة وهى جالسة تنتظر رجوعى فأخبرتها عنه وعن حاله التى رأيت عليها وما قلت وما صنع . قالت : فأين الحُلة ؟ قلت : معى . قالت : أفتريد يا شعيب أن تلبس حُلة قد لبسها ابن عثمان وتسلبه إياها ، لا ولا كرامة . قلت : والله لألبسنها . قالت : فأنا أشتريها منك . فاشترتها بمائة دينار ، ويقال بثلاثين ديناراً .

وكان تزويجُ إبراهيم بن عبد الرحمن بها أنها مكثت حيناً بعد زيدٍ لا تُخطب ، فقالت لها مولاة لها : جعلت فداك ، لا أرى أهل المدينة يذكرونا . قالت : أما والله لأجعلنَّ لهم حديثاً . فأرسلت إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وكان شرساً كثير الشر ، فقالت له : كيف أنت إن تزوجتك ؟ قال : تجديني خير الناس .

وكانت ظريفة فقيل لها : يا سُكينة أختك ناسكة وأنت مزّاحة . قالت : إنكم سميتموها باسم جدَّتها المؤمنة ، وسميتمونى باسم جدَّتى التى لم تدرك الإسلام(1) .

ويقال إنها لما زُفت إلى زيد فحُملت ، قالت لمولى لها كان يمشى مع دابتها يقال له غنة : ويلك ما لك . وقالت الرجل : قوّم هذا الأديم .

وذكر الفرزدق سكينة وشبَّب بها وعمرُ بن عبد العزيز على المدينة ، فأخرجه منها ونفاه . فقال جرير فى ذلك :

نفاك الأغرُّ ابنُ عبـــد العزيز بحقِّك تُنفَى مِن المسجدِ(2)

---

(1) أختها فاطمة بنت الحسين بن على ، سميت باسم جدتها فاطمة بنت الرسول زوج على ابن أبى طالب . ومما هو جدير بالذكر أن اسم سكينة بنت الحسين ، هو آمنة ، وأما سكينة فلقب لها ، وسميت آمنة باسم جدتها آمنة بنت وهب أم الرسول صلوات الله عليه . انظر الأغانى (١٤ : ١٥٨) .

(2) وكذا رواية النقائض ٧٩٨ . وفى الأغانى (١٩ : ٤٢) : « وشلك بنق » .

وطافت سكينة بنت حسين رضي الله عنه ، فلما انتهت إلى الركن اليماني أعيتْ في أول طواف ، ونظر إليها العرجيّ فقال :

يقْعُدنَ في التَّطوافِ آوِنةً ... ويطُفْنَ أحياناً على فَتْرِ
حتى أستلَمْنَ الركنَ في أُنُفٍ ... من ليلهنَّ يطأْن في الأُزْرِ
فرَغْنَ في سبعٍ وقد جُهِدَتْ ... أحشاؤهن مَوائلَ الخُمُرِ

فسمعت شعرهُ امرأةٌ ووصفته لها ، فحفظت الشعر فأخبرتها ، قالت : « لو أن الجبال طُفْن سبعاً لجهدت أحشاؤهن » .

وقال أبو دَهْبَل يمدح عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام — وهو زوج سكينة ، ولدت منه قُريناً ، وحكيما ، وابنة . وأمّ عبدالله بن عثمان بن عبدالله ابن حكيم رملة ابنة الزبير — فقال :

أكرم بنسلٍ منكَ بين محمدٍ ... وبين عَليٍّ فاسمعنَّ كلامي
وبين حكيم والزُّبير فلا أرى ... لهم شبهًا في مُنْجِدٍ وتِهَام
تَعطَّفَتْ به بيضاء فرعُ نجيبةٍ ... حَصَانٌ وبعض الوالدين عُرام[1]

٦ — أخبرنا أحمــد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : أمّ إسحاق بن طلحة بن عبيد الله كانت عند الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنــه ، فولدت له طلحة ، فلما حضرته الوفاة أمر أخاه الحســين بن عليّ أن يتزوّجها ، فتزوّجها فولدت له فاطمة بنت الحسين . فقُتل الحسين فتزوّجها محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، فولدت له آمنة .

٧ — أحمد قال أنبأنا أبو الحسن قال : ميمونة ابنة عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي بكر ، كانت عند عبــد العزيز بن الوليد ، فولدت له عبد الملك ، وعتيقاً ، ثم خلف عليها محمد بن الوليد ، ثم خلف عليها هشام بن عبدالملك .

---

(١) العرام . الأذى ، وفي البيت إقواء .

٨ — عائشة ابنة طلحة . أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن عن سحيم بن حفص قال : تزوّج عائشة ابنة طلحة عبدُ الرحمن بن أبى بكر ، وهو أبو عُذْرتها ، فولدت له أولاداً ، فابنها طلحة الذى يقول له الشاعر :

يا طَلْحَ إن كنتَ أعطيتنى ... جُمالَيَّةً تستخفُّ الضِّفارا[1]
فما كان نفعُك لى مرّةً ... ولا مرّتين ولكنْ مِرارا
أبوك الذى بايعَ المصطفى ... وسارَ مع المهتدِى حيثُ سارا

قال أبو الحسن : عن سحيم ، صارمت عائشة زوجَها ، وكان فى خُلُقها زَعارة ، فخرجت وهى مصارِمةٌ له فى مِلحفة ، فمرّت فى المسجد حتى دخلت حُجرة عائشة ، فرآها أبو هريرة رضى الله عنه فسبّح وقال : كأنها من الحور . فكانت عند عائشة قريباً من أربعة أشهر ، فأرسلت عائشة إلى ابن أخيها : إنى أخاف عليك الإيلاء إن تمّت أربعة أشهر ، فضمَّها إليك . وكان يلقى منها البلاء ، فقيل له طلّقها ، فقال :

يقولون طلِّقْها ، وأصبحْ ثاويا ... مقيما عليك الهمُّ ، أحلامُ نائمِ
وإنّ فراقَ أهلِ بيتٍ أودُّهُم ... لهم زُلفةٌ عندى لإحدى العظائمِ
فكيف بعفوالعيش من بعد بينهم ... وسُخْطُهُمُ يوما على الأنف خاطِمى

وخطبها مصعب بن الزبير فقالت : إن تزوّجته فهو علىّ كظهر أمى . ثم سألت أهل المدينة فقالوا : أعتقى رقبة وتزوّجيه . فتزوّجها فأصدقها خمسمائة ألف ، وأهدى لها خمسمائة ألف . فقال أنس بن أبى أنس بن زُنيم :

بُضْعُ الفتاةِ بألفِ ألفٍ كاملٍ ... وتبيتُ ساداتُ الجنود جياعا
لو لأبى حفصٍ أقولُ مقالتى ... وأبثُّه ما قد رأى لارتاعا[2]

---

(١) الضفار ، بالفتح : ما يشد به البعير من شعر مضفور .
(٢) فى الأصل : « لولا أبو حفص » ، تحريف .

فبلغ الشعرُ عبد الله بن الزبير فقال : إنّ مصعباً قدّم خيره ، وأخّر أيره . وبلغ الكلامُ عبد الملك بن مروان فقال : لكن عبد الله قدّم أيره وأخّر خيره .

أحمد قال : قال أبو الحسن : قال الشعبي : كان يجالسنا أيام الفتنة رجل فقلت : من أنت ؟ قال : مولى عائشة بنت طلحة ، خطبها مصعب بن الزبير وتزوّجها فأحبها ، وكانت خطية جميلة من امرأة في أذنها عِظَم ، وفي ساقها حموشة(1) وقال قوم : في قدمها عِظَمٌ . فأغارها مصعب يوماً فسكّنه .

أنبأنا أحمد قال : قال أبو الحسن : عن عليّ بن مجاهد عن الشعبي قال : قال الشّعبي : أخذ بيدي مصعب فمضى وأنا معه حتى دخل منزله ويده في يدي فرفع ستراً فإذا عائشة ، فإذا أحسن الناس وجهاً ، فأعرضت وخلاّني ودخل ، فرجعت ثم رحت إليه بالعشيّ وهو جالس فأشار إليّ بيده فقال : رأيت ذاك الإنسان ؟ قلت : نعم . فقال : أفرأيت مثله ؟ فقلت : لا . قال : تلك ليلى التي يقول فيها الشاعر :

وما زلتُ من ليلَى لَدُنْ طرّ شاربي ... إلى اليوم أُخفي حبّها فأُداجن(2)

وأحملُ في ليــــلَى لقلبي ضَغينةً ... وتُحمَلُ في ليلى عليّ الضغائنُ

يا شعبيُّ رأيت عائشة وما بدٌّ لك إذ رأيتها من صلة . ثم قال لابن أبي فروة : أعط الشعبيّ عشرة آلاف درهم وعشرين ثوباً . فقتل عنها مصعب فخطبها بشر ابن مروان . وقدم عمرُ بن عبيد الله بن مَعْمر من الشام فنزل إلى الكوفة ، فبلغه أن بشراً خطب عائشة فأرسل إليها : « أنا خير لك من هذا المبسور(3) ، وأنا ابن عمّك وأحق بك ، وإن تزوّجت بك ملأت بيتك خيراً ، وملأت حِرَكِ أيراً » . فبنى بها بالحيرة فمهدت له فرشاً سعة عرضها أربع أذرع ، فأصبح ليلة بنائها عن

---

(1) الحموشة : الدقة . وفي الأصل : « جوسة » محرفة .

(2) البيتان لكثير عزة كما في الأغاني (٢ : ١٣٣) . وروايته : « وأداجن » .

(3) المبسور : من به الباسور .

نسمة[1] . وكان عمر غليظاً أحمر يحتجم كل سبعة أيام ، فأخرجها معه إلى فديك[2] .

ولها يقول الشاعر :

انعَمْ بِعَيْشَةَ عيشاً غير ذى رَنَقٍ ... وانبِذْ بِرَمْلَةَ نَبْذَ الجوربِ الخَلَقِ

وقال آخر :

من يَعمَل الدِّيباج عِدْلاً الرِّيقْ

أراد الريح ، وهو ريح الخيس[3] .

بين الحَوارِىِّ وَبين الصَّدِّيقْ

فمات عنها فبكته ، فعلموا أنها لا تزوّج .

أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن ، عن سحيم بن حفص قال : قالت رملة بنت طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى لمولاة عائشة : أريني عائشة متجردة ، ولك ألفا درهم . فقالت لمولاتها : إنَّ رملة جعلت لى ألفى درهم إن رأتك متجردة . قالت : فإنى أتجرد لها فأعلميها . وتجردت وجعلت تغتسل مدبرة ومقبلة ، ورملة تنظر إليها ، ثم لبست ثيابها فأعطت رملةُ مولاتَها ألفى درهم ثم قالت : وددت أنى أعطيتك أربعة آلاف ولم أرَها .

قال أبو الحسن : عن أبى عمرو طارق بن المبارك قال : قال عمر بن أبى ربيعة لعائشة بنت طلحة يشبّب بها :

أصبح القلبُ فى الحبال رهيناً ... مُقْصَداً يوم فارق الظّاعنينا

لم يُرَعْ إلا الفتــــاةُ وإلا ... دمعُها فى الرِّداء سَحًّا سَكيبا[4]

عجّلت حُمَّةُ الفراق علينـــا ... برحيلٍ ولم تخف أن تبينا

أنتِ أهْوَى العبادِ قُرْباً وَوُدًّا ... لو تُواتِينَ عاشقاً محــزونا

---

(1) الدراع يذكر ويؤنث .
(2) فديك ، بالتصغير : موضع ، ولم يجئه ياقوت ولا صاحب القاموس .
(3) كذا وردت هذه العبارة محرفة . والخيس : ضرب من ضروب الطيب .
(4) السكب ، بفتح السين : المسكوب المصبوب .

قادةُ الطرف يوم مرّ إلى الحجـ ـن جهاراً ولم يخف أن يَحِينا
وجلا بُرْدُ بِرْكةٍ جَنَــــدِيٌّ ضوءَ وجهٍ يُضيء للناظرينا(١)
فإذا ظبيــــةٌ تراعي نعاجاً ومهاً يُهَيِّجُ الناظرَ عِينــــا
قلت: من أنتمُ فصدّتْ وقالت: أمُبِدٌّ سؤالُك العالميـــنا(٢)
قلتُ: بالله ذي الجلالة لَمَّا إذْ تبلتِ الفؤاد أنْ تصدُقينا(٣)
أيُّ مَنْ تجمعُ المواسمُ أنتمْ فَأَبيني لنا ولا تكذبينـــا
نحن من ساكني العراق وكُنّا قبلها قاطنين مكّةَ حينـــا
قد صدقناكِ إنْ سألتِ فمن أنـ ـتِ، عسى أن يجرَّ شأنٌ شؤونا(٤)
قد نرى أننا عرفناكِ بالنعـ ـت بظَنٍّ وما قتَلْنا يقينا(٥)
بسواد الثَّنِيَّتين ونعـــتٍ قد تراهُ لنــــاظرٍ مُستبينا

فكانت عائشة تقول: والله ما قلت له هذا وما كلّمته قط.

أنبأنا أحمد قال أنبأنا أبو الحسن عبد الله بن قائد قال: دخلت عائشة بنت طلحة بمكة على الوليد بن عبد الملك فحدّثته وقالت: يا أمير المؤمنين، مُرْ لي بأعوانٍ. فصيَّرَ إليها قوماً يكونون معها، فحجت ومعها ستون بغلاً عليها الهوادج والرحائل، فقال عروة بن الزبير:

عائشُ يا ذاتَ البِغال السِّتِّينْ أكُلَّ عامٍ هكذا تحجِّينْ

٩ — ابنة محمد بن عروة بن الزبير. أنبأنا أحمد قال: أنبأنا أبو الحسن قال:

---

(١) البركة، بالكسر: ضرب من برود اليمن. والجندي: نسبة إلى الجند بالتحريك، وهو موضع باليمن. والبيت لم يرو في ديوان عمر. انظر ص ٦٩.
(٢) لما، هنا بمعنى إلا.
(٣) قال ابن الأعرابي: يبدهم: يفرق القول فيهم. وأنشد:
بلغ بني عجب وبلغ مأربا قولا يبدهم وقولا يجمع
انظر اللسان (٤: ٤٥). وفي الأصل: «مبد» وهو على الصواب في الديوان.
(٤) في الأصل: «قد سألناك إذ سألت»، والوجه ما أثبت من الديوان.
(٥) هو من قول الله: «وما قتلوه يقينا». وفي الأصل والديوان: «وما قلنا يقينا».

ابنة محمد بن عروة بن الزبير كانت عند الحكم بن يحيى بن عروة ، وعند أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فتزوجها محمد بن عمران بن طلحة ، ثم راجعها الحكم ابن يحيى بن عروة ، ثم طلقها — وكان قاضياً على المدينة — واشترطت عليه أن عطاءه ما عاشت وغلة أرضه وبُضع بناته إليها ، تزوجهن من شاءت ، ولا يغير عليها ، فإن فعل فأمرها بيدها .

١٠ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن : أم سلمة ابنة عبد الرحمن بن سهيل ابن عمرو ، كانت عند الحجاج بن يوسف ، فطلقها فتزوجها الوليد بن عبد الملك ، فأعجبها سليمان وعليها درع فأدخله من وراء الثوب ، ثم طلقها فتزوجها هشام ابن عبد الملك .

١١ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : ربيحة بنت محمد بن علي بن عبدالله ابن جعفر ، تزوجها يزيد بن عبد الملك ، ثم تزوجها أبو بكر بن عبد الملك ، فقتله عبد الله بن علي وتزوجها صالح بن علي ، فطلقها فتزوجها إسحاق بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن علي عليهم السلام . وقوم يذكرون تزويج يزيد بن عبد الملك ربيحة .

١٢ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : سحيقة[1] ابنة محمد بن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، تزوّجها إسماعيل بن إبراهيم ابن محمد بن طلحة بن عبد الله ، فولدت له ابنة ، ففارقها فتزوجها إسماعيل بن إبراهيم ابن عبد الله بن جعفر ، فتوفي عنها ، فراجعها إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ، ثم طلقها فتزوجها عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

١٣ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله كانت عند الحسن بن علي ، فولدت له طلحة بن الحسن ، فمات عنها وأوصى الحسين بتزوجها ، فتزوجها الحسين ، فولدت له فاطمة بنت حسين ، فقُتل عنها ،

---

(١) اشتقاق اسمها من السحيقة ، وهي القطرة القليلة .

فتزوجها ابن أبي عتيق — وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر — فولدت له آمنة . ويقال تزوجها قبل ابن أبي عتيق تمام بن العباس بن عبد المطلب فهلك عنها فتزوجها ابن أبي عتيق .

١٤ — أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : ميمونة بنت عبد الرحمن ابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، كانت عند عبد العزيز بن الوليد ابن عبد الملك ، فولدت له عبد الملك وعتيقاً . وكان عبد الملك من رجالهم ، فمات فرثاه بعض الشعراء من كلب ، فقال :

إنّي رأيتُ بَنِي أُمّ البنينَ لهُمْ ... مجدٌ طويلٌ وفي أعمارهم قِصَرُ(١)
ماتَ الهمامُ أبو مَرْوانَ فاختشعتْ ... كَلْبٌ لذاك وذلّتْ بعدَهُ مُضَرُ

ولعتيق يقول الشاعر :

ذهبَ الجودُ غيرَ جودِ عتيـــقِ ابن عبد العزيز بنِ ميمونه
بنتِ قَرْمٍ قد مُهِّدتْ من قريشٍ ... وأبَى اللهُ أن تكونَ هجينَهْ

ثم تزوجها محمد بن الوليد ، ثم تزوجها سليمان بن عبد الملك ، ثم تزوجها هشام ابن عبد الملك . ويقال : لم يتزوجها سليمان .

١٥ — أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : حفصة بنت عمران بن إبراهيم ابن محمد بن طلحة بن عبيد الله ، تزوجها القاسم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو أبو عُذْرِها ، ثم خلف عليها هشام بن عبد الملك ، وكان القاسم شديد الغيرة ، فسمع يوماً كلامها ، أو رآها مشرفة ، فدخل عليها فضربها ، فأثّر السوط بها ،

---

(١) أم البنين هذه هي بنت عبد العزيز بن مروان ، وهي كذلك زوجة الوليد بن عبد الملك . انظر الأغاني (٤ : ١٥٦ ساسي) . وأشهر من سمي بهذا الاسم من نساء العرب أم البنين زوج مالك بن جعفر بن كلاب . وفيها يقول لبيد :

* نحن بنو أم البنين الأربعه *

انظر المعارف ٤٠ مصر . ومنهن أم البنين زوج علي بن أبي طالب ، ولدت العباس وجعفراً . وعبد الله . انظر المعارف ٣٩ .

فطلقها فتزوجها هشام ، فقالت له أم حكيم[1] : قل لها تريك ظهرها . فقال لها فأبت وقالت : ما تريد من ظهري ، كنت عند رجل كريم غيور خير منك أمًّا وأبًا وبيتًا ، غار فضربني ضربة فصار في ظهري أثر . فطلقها فتزوجها محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، ثم تزوجها عثمان بن عُروة بن الزبير .

١٦ — أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : أم كلثوم ابنة عبد الله بن جعفر ، تزوجها القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب ، فولدت له فاطمة ، ثم تزوجها الجرّاح أو الحجاج[2] ، فولدت له ابنة ، فطلقها ، فتزوجها أبان بن عثمان ابن عفان .

١٧ — أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : أم القاسم ابنة الحسن بن الحسن بن عليّ ، تزوجها مروان بن عثمان بن عفان ، فولدت له محمداً ، ثم خلف عليها علي بن حسين بن حسن بن علي ، ثم تزوجها الحسن بن عبد الله بن عبيد الله ابن العباس .

١٨ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : رملة ابنة محمد بن جعفر بن أبي طالب تزوجها سليمان بن هشام ، فطلقها فتزوجها أبو القاسم بن الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان ، فقتله عبد الله بن علي فتزوجها إسماعيل بن علي أو صالح .

١٩ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : قريبةُ بنت أبي أمية بن المغيرة[3] . كانت عند عمر بن الخطاب ، فرجعت إلى الكفار ، فلما أسلمت تزوّجها معاوية

---

(١) هي أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن العاص بن أمية . وهي زوج عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . الأغاني (١٥ : ٤٦ — ٤٧) . وسيفرد لها المدائني حديثاً في رقم ٢٥ .

(٢) ذكر أبو الفرج في (١٠ : ١٠٥) خبر خطبة الحجاج بن يوسف لها . وأما الجراح فلعله الجراح بن حصين والى وادى القرى من قبل عبد الله بن الزبير ، وكان قد أنهب تمر الوادى ، فجعل عبد الله يخفقه بالدرة ويقول : «أكلت تمرى وعصيت أمرى» . انظر الاشتقاق ٢٤٣ .

(٣) قريبة ، بفتح أوله ويقال بالتصغير . وهي أخت أم سلمة زوج الرسول الكريم . واسم أبيها حذيفة وقيل سهيل ، وكان يلقب «زاد الركب» : كان إذا سافر لا يتزود معه أحد ، لجوده وكرمه . انظر الإصابة ٨٨٧ ، ٢ · ١٣ من قسم النساء .

ابن أبي سفيان ، فقال له أبوه : أتزوّج ظعينة أمير المؤمنين ؟ انزل عن ثَقَله[١] . فطلقها فتزوجها عبد الرحمن بن أبي بكر ، فولدت له محمداً . فكانت عائشة عمته ، وأم حبيبة خالته ، فكان يدخل عليهما .

٣٠ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : أسماء بنت عميس ، كانت عند جعفر بن أبي طالب[٢] ، فولدت له عبد الله ، ومحمداً ، وعونا ، فتزوجها أبو بكر ، فولدت له محمداً ، فتزوجها عليّ عليه السلام ، فولدت له يحيى[٣] ، فقال لها علي : احكمي بين بنيك . فقالت : أما بنو جعفر فبنو الطيار في الجنة[٤] ، وأما ابن أبي بكر فابن الصديق ، وإنّ ثلاثة أنت أخسّها لخيارٌ . فقال علي لابنه : يا بُنيّ قد فَسْكَلَتْ أباك[٥] .

٣١ — قال : وكانت عائشة بنت طلحة عند عمر بن عبد الله بن عبيد الله ابن معمر ثماني سنين ، ومات سنة اثنتين وثمانين ، فبكته قائمة . أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن ، عن سحيم بن حفص ، قال : أتاها مصعب وهي نائمة متصبحة[٦] ، ومعه ثمان حبات لؤلؤ قيمتها عشرون ألف دينار ، ونثر اللؤلؤ في حجرها ، فقالت : «نومتي كانت أحب إليّ من هذا اللؤلؤ !» . وولدت عائشة لعبد الله بن عبد الرحمن أولاداً وجمع مصعب بينها وبين سكينة ، ومات مصعب عن سكينة وعائشة وأم حبيب بنت عبد الله بن عامر[٧] .

---

(١) العرب تقول لكل شيء نفيس خطير مصون : ثقل . والثقل أيضاً : المتاع والحشم .
(٢) وقد هاجرت معه إلى الحبشة ، فولدت له هناك أولاده ، وقد تزوجت أبا بكر بعد ما قتل عنها جعفر . الإصابة ٥٤ من قسم النساء .
(٣) في الإصابة أنها ولدت له عوناً ويحيى .
(٤) الطيار لقب جعفر . انظر تعليل هذا اللقب في الإصابة ١١٦٢ والحيوان (٣ : ٢٣٣) :
(٥) فسكلته ، بفتح الفاء والسكاف وسكون اللام : أي أخرته وجعلته كالفسكل ، بالكسر ، وهو الفرس الذي يجيء في آخر خيل السباق .
(٦) المتصبحة : التي تنام الصبحة ، وهي نومة الغداة .
(٧) هذه الفقرة من أولها إلى هنا ، هي في الأصل بعد الفقرة رقم ٢٤ وقد أعدتها إلى موضعها .

أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن عن أبي إسحاق بن ربيعة قال : قال سَلْمُ بن قتيبة : رأيت عائشة بنت طلحة بمكة في المسجد ، فسلمتُ عليها وانتسبت لها ، فبكت وقالت : يرحم الله المصعب . فأرادت النهوض فأخذت امرأتان بيديها — وعندها نسوة — فاعتمدت على المرأتين ، فما كادت أن تستقل [حتى] خذلها وركاها ، فقالت احدى المرأتين : إنما بك لمصيبات . وكانت مديدة الجسم كثيرة اللحم .

٢٢ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : ابنة طلحة بن عمر بن عبيد الله كانت عند الحسن بن الحسن بن علي ، فكان يقول له : إنها[1] حلت وولدت وهي ما تكلمني وإنها لمصارمة لي .

٢٣ — امرأة [من] آل أبي بكر : أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : تزوج موسى بن عبد الله بن الحسن امرأة من ولد أبي بكر فغضبت يوماً فأمرت جواري فأمسكنه وضربته ، فأفلت وخرج ، فلقيه أخوه إبراهيم فقال : مالك ؟ قال : ضربتني ابنة أبي بكر . قال : خذ السوط فوالله لئن لم تضربها لا كلمتك . فدخل وقام إبراهيم على الباب وقال للجواري : يافواسق ، والله لئن منعته واحدة منكن لأدخلن عليكن . وقال لموسى : اضرب وأوجعها . فقال موسى لامرأته :

إنِّي زعيم أن أجيءَ بضربةٍ ... مقابَلةِ الأجداد ، طيّبةِ النَّشْرِ[2]
إذا انتسبت في آل شيبان في الذُّرى ... وتغلبَ لم تُقْرِرْ بفضلِ أبي بكرِ
تحكَّمُ أحياناً علينـــا وتارةً ... تبدَّى كقَرْنِ الشمس أو صورةِ البَدْرِ[3]

---

(١) في الأصل : « إنا حلت » . ولم تذكر النسخة شيئاً عن زوجها بغير الحسن كما ترى .
(٢) المقابل : الكريم النسب من قبل أبويه جميعاً .
(٣) قرن الشمس : أولها عند الطلوع . وفي الأصل : « قرن الشمس » .

٢٤ — امرأة من تيم . أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : وكانت عند يحيى بن عبد الله بن الحسن امرأة من بني تيم ، فخاصمته إلى جعفر بن سليمان بالمدينة ، فقضى عليها وقال : اذهب بها حيث شئت .

٢٥ — قال : وكانت أم حكيم ابنة يحيى بن الحكم عند سليمان بن عبد الملك ، ثم يزيد بن عبد الملك ، ثم هشام بن عبد الملك[(١)] .

٢٦ — قال : وتزوّج عبد العزيز بن الوليد أم خالد بنت عبد الله بن أسيد ، فغلبته على أمره كله ، وكان يقال : عبد العزيز بن الوليد سيد الناس ، إلا أن أم خالد قد غلبته على أمره . فأمره الوليد فطلقها .

٢٧ — أم عمرو ابنة عبد الله بن خالد . قال : أم عمرو بنت عبد الله بن خالد بن أسيد ، كانت عند سليمان بن عبد الملك ، فقدم خالد وعبد الله ، فوصل خالداً وفضله على عبد الله ، فقالت أم عمرو : عبد الله أكرم من خالد وفضلته عليه ! فقال : ويحك ، إني أعرف أن عبد الله أسنهما ولكن خالداً كان خاصتي ، وكان له عندي يد وأنا صعلوك ، فإنما فضلته لذلك .

٢٨ — قال : أنبأنا أبو الحسن قال : كانت دجاجة ابنة أسماء بن الصلت السلمي عند عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، فولدت له عبد الله بن عامر[(٢)] . ثم تزوّجها عمير الليثي فولدت عبيد بن عمير الفقيه المحدث[(٣)] ، ثم تزوّجها الأسود فولدت له عبد الله بن الأسود . فكان يقال لها أم العبادلة[(٤)] .

* * *

(١) وقد تزوجت أيضاً عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، كما في الأغاني (١٠ : ٤٧) .

(٢) في الإصابة ٣٩٢ من قسم النساء « أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد عند عمير خمس نسوة ، فطلق منهن دجاجة بنت أسماء ، فخلف عليها عامر بن كريز ، فولدت له عبد الله ابن عامر » .

(٣) في الأصل : « عبيد الله بن عمير » والصواب « عبيد » كما أثبت . انظر الإصابة ٦٢٣٨ وتهذيب التهذيب ، والمعارف ٣١ ، ١٩٢ . وأبوه عمير بن قتادة الليثي . كان عبيد قاضي أهل مكة ، وتوفي سنة ٦٨ .

(٤) هذا على التغليب ، وإلا فإن ولد عمير الليثي هو عبيد بن عمير كما مضى في التنبيه السابق . والفقرة التالية صلة الفقرة ٣٦ .

أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن عن سحيم بن حفص[١] قال : كان مصعب ابن الزبير لا يصل إلى عائشة إلا بشدة ، ولا يقدر عليها إلا ببلاء حتى يخرق ثيابها ويضربها ، فشكا ذلك إلى عبد الله بن أبي فروة كاتبه ، فقال له : أفتأذن لي في الحيلة ؟ قال : نعم ، اصنع ما شئت فإنها أفضل ما نلت من الدنيا . فأتاها ليلا فاستأذن عليها ، فقالت له : هذه الساعة ! قال : نعم ، فدخل — ومعه أسودان — فقالت له مولاة لها : ما شأنك ؟ قال : شؤم مولاتك ، قالت : وما لها ؟ قال : أمرني هذا الفاسق الفاجر ، أسفكُ مَن خلق الله لدم حرام وأقتلُه للناس ، أن أحتفر بئراً وأدفنها فيه حية . وقد والله حَرَصت أن يُعفيني من هذا ، فأمر بقتلي . قالت : فأنظرني أذهب إليه . قال : لا سبيل إلى ذلك ، وقال للأسودين : احفرا . فبكت عائشة ورأت الجد ، وقالت : يا ابن أبي فروة ، إنك لقاتلي ! قال : ما منه بد ، وإني لأعلم أن الله سيخزيه ، ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب . قالت : فأي شيء أغضبه ؟ قال : في امتناعك عليه ، وقد ظن أنك تبغضينه وأنك تطَّلعين إلى غيره ، فقد جن . فقالت : أذكِّرك الله إلا عاودته . قال : أخاف أن يقتلني . فبكت وجواريها فقال : قد رققت وأنا أغرر بنفسي فما أقول ؟ قالت : اضمن عني أني لا أعود أبداً[٢] . قال : فأعطيني مواثيق . فأعطته ، فقال للأسودين : مكانكما . وأتى مصعباً فأخبره ، فقال : استوثق منها بالأيمان . فأتاها فقال : هذا الفاسق قد سكن بعض السكون وسكن شيطانه ، فاحلفي لي أن لا تخالفيه ، فوثقت له ، وصلحت لمصعب .

تم الكتاب والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) هو أبو اليقظان عامر بن حفص ، وسحيم لقبه ، وبلقبه هذا يذكره الجاحظ في مواضع كثيرة من البيان ، والقالي في كتبه يذكره بثنائية ألقاب وأسماء . انظر الفهرست ٩٤ ليبسك و ١٤٨ مصر . قال ابن النديم : كان عالما بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب ، ثقة فيما يرويه . وتوفي سنة ١٩٠ . وانظر الحيوان (٢ : ١٠٥ س ٩) .

(٢) أي لا تعود إلى ما كان منها من التأبي والنشوز .

كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء

صنعة محمد بن حبيب
٠٠٠ ـ ٢٤٥

مقـــدمـة

يضم هذا الـكتاب النفيس طائفة من شـعراء العرب الذين عرفوا بنسبتهم إلى أمهاتهم ، وهو ضرب من التأليف طريف ، يعالجه إمام من أئمة الأخبـار والأنساب ورواية الشعر ، وهو محمد بن حبيب بن جعفر . قال ياقوت : من علماء بغداد باللغة والشعر والأخبار والأنساب ، ثقة مؤدِّب ، ولا يعرف أبوه ، وحبيب أمه . روى كتب الكلبي وقطرب ، وكانت أمه مولاة لمحمد بن العباس الهاشمي . وقال ابن النديم مرة : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمر . ثم روى عن عبـد العزيز الهاشمي قال : كان محمد بن حبيب مولى لنا — يعني لبني العباس بن محمد . وكانت أمه حبيب مولاة لنا . روى عن ابن الأعرابي وأبي عبيـدة وأبي اليقظان ، وله مصنفات أشهرها نقائض جرير والفرزدق ، توفي بسامرا سنة ٢٤٥ . انظر ابن النديم ١٥٥ وبغية الوعاة . ومن نسبه تدرك سر اهتمامه بهذا البحث .

ومن هذا الـكتاب نسختان في دار الـكتب المصرية : إحداهما برقم ٦ مجاميع ش ، ورمزت إليها بحرف (ا) ، والثانية برقم ٧٥ ش أدب ، وهي نسخة (ب) .

وقد قمت بنشر هذا الـكتاب من قبل في مجلة المقتطف (مايو سنة ١٩٤٥) ونشره من قبل المستشرق الـكبير الأسـتاذ (ج . ليفي دِلاَّفيدا) الأستاذ بجامعة بنسلفانيا ، في مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية بالعدد ٦٢ ص ١٥٦—١٧١ سـنة ١٩٤٢ ، ولم أكن قد علمت بأنه سبقني في النشر ، وتكرّم ، حفظه الله ، فأرسل إليّ في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٥٠ مستخرجا من نسخته مع خطاب رقيق ينوّه فيه في تواضع العالم بأن نسختي تعدّ ممتازة من كافة النواحي ، حتى إنه ليشعر بأن عمـله غير متكافئ مع عملي في نسختي التي أخرجتها (Votre édition du Mannusiba ... est excellent sous tous les rapports, et rend la mienne à peu près inutile.)

وإني لأسـجل مجاملته هذه تذكاراً لتواضعه ، وإجـلالاً لخُلقه العلمي الرصين .

كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء

صنعة محمد بن حبيب وتصنيفه ، من رواية عثمان بن جنى رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين

قرأت على أخى محمد قال : سمعته يُقرأ على أبى عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة[1] قال : قرأت على ثعلب[2] قال : قال أبو جعفر محمد بن حبيب :

ذكر من نسب إلى أمه من الشعراء :

١ — (ابن شَعُوب) أمه شَعُوب من بنى خزاعة ، واسمه عمرو بن سُمَىّ ابن كعب بن عبد شمس بن مالك بن جَعْوَنة بن عُويرة بن شِجْع بن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة . وهو الذى يقول :

ماذا بالقليب قَليب بدرٍ   من القَينات والشَّرْب الكرامِ
وماذا بالقليب قَليب بدرٍ   من الشِّيزى تكَلَّلُ بالسَّنامِ
تُحيِّىّ بالسلامة أمُّ بكرٍ   وما لى بعد قومى من سَلامِ
يُخبِّرنا النبىُّ بأن سنحيا   وكيف حياة أصداء وهامِ

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليم بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة العتكى الأزدى الواسطى ، أبو عبد الله الملقب نفطويه . كان عالما بالعربية واللغة والحديث ، أخذ عن ثعلب والمبرد ، وكان فقيها على مذهب داود الظاهرى رأساً فيه . وكان بينه وبين ابن دريد منافرة ، وهو القائل فيه :

ابن دريد بقره   وفيه عى وشره

وله من التصانيف : إعراب القرآن . المقنع فى النحو . الأمثال . المصادر . أمثال القرآن وغيرها . ولد سنة ٢٤٤ وتوفى سنة ٣٢٣ . انظر إرشاد الأريب ، وبغية الوعاة ، وابن النديم ٧٨ .

(٢) هو أحمد بن يحيى بن يسار الشيبانى البغدادى ، أبو العباس ثعلب ، أمام الكوفيين فى النحو واللغة ، لازم ابن الأعرابى بضع عشرة سنة ، وسمع من محمد بن سلام الجمحى ، وسلمة بن عاصم ، وخلف ، وروى عنه اليزيدى ، والأخفش الأصغر ، ونفطويه ، وأبو عمر الزاهد . وكان بينه وبين المبرد منافرات . وأشهر تصانيفه كتاب الفصيح . ولد سنة ٢٠٠ وتوفى سنة ٢٩١ . انظر بغية الوعاة ، وابن النديم ١١٠ — ١١١ .

وله شعر كثير ، قاله وهو كافر ، ثم أسلم بعد .

٢ — و (ابن أمّ حَوليّ) من بنى الحارث بن همّام ، شاعر أغار على بنى يربوع ، فلحقه منهم قوم ، فقاتلهم حتى أحرز غنيمته ، وقال :

نحن بنى الحارث قد آلينا لا يُؤخذُ النهبُ الذى حوينا
أبالصّباح عوّلوا علينا إنا إذا صيح بنا أبَيْنا
لا نجعلُ الطّعْنَ بِنَقْدٍ دَيْنا

٣ — و (عطّاف بن بَثّة[1] الشيبانى) ، قال لخاله عدىّ بن ضبّ :

عدىّ بن ضبّ من تكن أنتَ خالَهُ أخا أمّه تُدرجْ بلؤمٍ ركائبُه

وقال :

وطالبِ وترٍ قد أتى الليلُ دونَه ومستَبْقٍ وترٍ أدركَ اليومَ أو غَدَا

وقال :

أنا ابن الذى لم يُخْزِنى فى حياته ولم يُخْـــزه عند الوفاة بلائيا

٤ — و (ابن طوعة) الشيبانى ، واسمه ناصر بن عاصم[2] وأمه « طوعة » ، أمَة أو أُخيذة من آل ذى الجدّين ، قال[3] :

تعطفتْ أُمّوم على عَطّافِ بين بنى الحارثِ والأحلافِ

٥ — و (ربيعة بن غزالة) السكندى[4] شاعرٌ حليف بنى شيبان ، وأمه غزالة ، قال :

---

(١) فى معجم المرزبانى ٢٩٩ : « نثة » بالنون .

(٢) فى المؤتلف ١٤٨ أن ابن طوعة الشيبانى من آل ذى الجدين . وفصل بينه وبين ابن طوعة الفزارى ، ونسب هذا الفزارى نصر بن عاصم بن عقبة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، وقد جعلهما ابن حبيب هنا واحداً . وانظر ألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٢٣ .

(٣) يهجو عطاف بن نثة الشيبانى كما فى المؤتلف ١٤٨ .

(٤) اسمه ربيعة بن عبد الله بن ربيعة بن سلمة بن الحارث بن سوم بن عدى بن أشرس بن شبيب بن السكون ، شاعر جاهلى أدرك الإسلام فأسلم . وينسب أيضاً « السكونى » بفتح السين ، نسبة إلى السكون بن أشرس بن ثور بن كندة . انظر الاشتقاق ٢١١ والمؤتلف ١٢٥ والإصابة ٢٧٢٢ وألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٤٠ .

كأنى إذ وضعت الرحل فيهم ... بمكة حيث حلّ بها هشام[1]

٦ — و (ابن حَبْلة الأسدى) وهى أمه ، واسمه عبد بن مُتَرّض ، أحد بنى ثعلبة بن سعد بن دُودان من بنى أسد ، شاعر ، وهو الذى يقول :

مَتَى أخطئهُ ولادتنا فإنّا ... ولدنا سيِّد الناس الوليدا[2]

٧ — و (السَّنْدرىّ بن عَيْساء[3] الجعفرى) ، وهى أمه ، أمَة لشريح بن الأحوص بن جعفر[4] ، وهو الذى يقول :

هل فيكم يوم كيوم جبله ... يوم أتتنا أسدٌ وحنظله

والبِسكان والقطينُ أزفَلَه[5] ... نعلوهم بقُضُبٍ منتخَله

لم تَعْدُ أن أفرشَ عنها الصقله[6]

وقال :

أنا لمن يسأل عنى السَّنْدَرى ... أنا الغلام الأحوصىُّ الجعفرى

٨ — و (حبيب بن خُدرة الهلالى) خارجى[7] ، كان مع شبيب ، وذُكر أنه أدرك الحسكين ، وبقى حتى أدرك الضحاك الذى أخذ بالكوفة . وقال :

نُبيتُ بنى فِهر غداة لقيتهمْ ... وحَىّ نُصيب والظنون تطالعُ

---

(١) ا : « بها غشام » تحريف .

(٢) أخطئه ، أى أخطأه ، سهل همزتها ثم عاملها معاملة المعتل بحذف الألف للجازم . ب : « أخطأه » تحريف ، صوابه فى ا . وانظر ص ٣٩ س ٧ .

(٣) عيساء ، مؤنث الأعيس ، وأصله فى الإبل الأبيض يخالط بياضه شقرة ، وبه سميت المرأة . وفى ا : « عيباء » بالموحدة ، تحريف ، وقد جاء على الصواب الذى أثبت فى كتاب ألقاب الشعراء الملحق بكتاب أسماء المغتالين من الأشراف لمحمد بن حبيب ، المخطوط فى دار الكتب المصرية برقم ٢٦٠٦ . انظر منه ص ١٣٤ وكذا الأغانى (١٥ : ٥٣) .

(٤) فى المؤتلف ١٢٥ أنه السندرى بن يزيد بن شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب . وهو ينسب أيضاً « الكلابى » . وفى الأغانى أن « عيساء » اسم جدته .

(٥) الأزفلة : الجماعة من الناس .

(٦) أى لم تجاوز أن أقلع عنها الصفقة . والرجز منسوب فى اللسان (٨ : ٢٢٦) إلى يزيد بن عمرو بن الصعق ، وفى معجم البلدان إلى رجل من بنى عامر .

(٧) فى القاموس : « حبيب بن خدرة تابعى » .

فقلت لهم إن الجريبَ وراءكمْ بها نَعَمٌ يرعى المُرارَ رتاعُ(١)

ولكن فيه السم إن ربع أهله وإن يأته قومٌ هناك يراعُ

وقال :

تعرفتم أن تذكروا الحيَّ بيضة فظلَّ لكم يومٌ إلى الليل أشنعُ(٢)

وقال :

أصاحِ ترى بَرِيقاً هبَّ وهناً يؤرّقني وأصحـــابي هجودُ

٩ — و (ابن عَيزارة الهذلي) وهو قيس بن خويلد(٣) ، شاعر . قال :

لعمرك أنسى روعتي يوم أقْتُدٍ وهل تتركنْ نفسَ الأسيرِ الروائعُ

وقال :

يا حارِ إني يا ابن أمّ عبيدُ كمِدٌ كأني في الفؤاد عميدُ

١٠ — و (قُطبة بن الزِّبَعرى) ، وهي أمّه . وهو قطبة بن زيد بن سعد ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن كنانة بن [القين بن] جسر ، شاعر . قال :

حميتُ القومَ قد علمت معدٌّ ومَن للقوم من مولًى وجارِ

حبوتُ بها قضاعة إنّ مثلي حقيقٌ أن يذبّ عن الذمارِ

ولستُ كمن يغمّز جانباه كغمز التين تجنيه الجواري

وكان قطبة سيّد قضاعة في الجاهلية وأوّل الإسلام .

١١ — و (قيس بن الحُدادية(٤)) وهي أمه ، من محارب ، حضرمية ، وله

---

(١) الجريب : واد كانت به وقعة لبني سعد بن ثعلبة . وفي الأصل : « الحريب » بالحاء تحريف ، وقد أنشد هذا البيت ياقوت ونسبه إلى عمرو بن شأس الكندي . وعجزه عنده : « به إبل ترعى المرار » .

(٢) صدر البيت محرف ، وموضع كلمة : « تذكروا » بياض في ب .

(٣) هو قيس بن خويلد بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة ، أخذته فهم وأخذ تأبط شرا سلاحه ، ثم أفلت قيس ، وأنشد أبياتاً رواها المرزباني في المعجم ٣٢٦ وأولها هذا البيت الذي رواه ابن حبيب .

(٤) هو شاعر جاهلي فاتك صعلوك خليع ، خلعته خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على نفسها بخلعها إياه ، فلا تحتمل جريرة له ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه . وهو قيس =

شعر . قال ابن الأعرابى : حُداد من كنانة . وهو الذى يقول[1] :

أنا الذى أطرَدَه مواليهْ   وكلُّهم بعد الصَّفاء قاليهْ

١٢ — و (عمرو بن الصباء الخزاعى) له شـعر ، قال فى حرب بينهم وبين كنانة :

إلاَّ تعاجلْنى المنية أستقد   مقاد جيادى من عُمَير ومعبد

ولو أدركتْ خيلى عُميراً ومعبدا   ونُعمان ما آبوا بناقلةٍ بعـدى

لكانوا لأطراف القنا أو لنازعوا   إلى الحىّ أعناق المطىّ المصَدَّرِ[2]

١٣ — و (عياض بن أم شهمة[3] الخزاعى) إسلامى ، قال :

هاجتـك أطلالٌ ومُنْزِلك قفرُ   خلا منذ أجلى أهلُها حِجَجٌ عشرُ[4]

١٤ — و (العريان بن أم سهلة النبهانى) وهو من طيِّئ . قال :

لمن الديار غشيتها برماحِ   فقرايتين لجانب السِّرداحِ

لجنوب فيحان كأن رسومها   حُللٌ يمانيةٌ على ألواحِ

١٥ — و (ابن السَّجراء) من حُرَقة جهينة . قال : وحُرَقة هم بنو حُميس ابن عامر بن مودوعة من جهينة ، كانوا حلفاء للحُصين بن الحُمام السهمىّ من بنى سهم بن مرة ، وبُشامة بن الغدير السهمى . قال ابن سجراء يوم دارة موضوع :

═ بن منقذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر بن صالح بن حبشية بن سلول . انظر الأغانى (١٣ : ٢ — ٨) . وبنو حداد بضم الحاء وتخفيف الدال . انظر الاشتقاق ٢٧٧ ، وقد نسبه «قيس بن عمرو بن منقذ» . وفى ألقاب الشعراء لابن حبيب أن أمه من محارب بن خصفة . انظر ص ١٣٩ .

(١) قاله فى الوقعة التى قتل فيها ، وهو يشير إلى ما كان من خلع قومه إياه .

(٢) ب : «كأطراف القنا» . وقد اختلفت ضروب الأبيات فأتى أوسطها صحيحاً بين ضربين مقبوضين .

(٣) فى معجم المرزبانى ٢٦٩ : «عياض بن أم سهمة» بالسين المهملة .

(٤) فى الأصل : «حاجتك» تحريف . وفى المرزبانى : «ومنزلة قفر» .

لما أتانا جمعُ قيس وواجهت ... كتائب خرس بينهنّ زفيفُ
فلما عَلَت دعوى خميس بن عامر ... وقد كلّ مولانا وكاد يحيفُ
عممنا به ثم ارعوينا حفيظة ... فظلّ بنا غاشٍ وعزّ حليفُ

١٦ — و (حميد بن طاعة السَّكُونى[(١)]) قال :

ولما استقلّ الحىّ فى رونق الضحى ... قبضنَ الوصايا والحديث المجمجا
وكان لثوحٌ من خَصَاص ورِقْبَةٌ ... مخافةَ أعـداء وطَرفاً مقنّما
ولما خلفنا لم يفتل ذو لُبانة ... لهنّ ولا ذو حاجـــة ما تيمها
من البيض مِكسال إذا ما تلبّست ... بعقل امرئ لم ينجُ منها مسلَّما

وقال لعمر بن الخطاب :

إنك مسترعًى وإنا رعيّـةٌ ... وإنك مدعوٌّ بسيماك يا عمرْ
لدى يوم شرٍّ شرُّه لشراره ... وخيرٌ لمن كانت معائشه الخِيَرْ[(٢)]

وقال :

ما إن رأينا مثلك ابن الخطابْ ... أبرّ بالدين وبالأحـــــــابْ
بعد النبى صاحب الكتاب

١٧ — و (ابن الأُشَيمنة الخثعمى) واسمه عبد الله ، وله شعر كثير[(٣)] .

١٨ — و (يزيد بن ضَبّة) أمه ضَبّة[(٤)] ، وأبوه مِقْسَم ، وهو كثير الشعر ، وهو مولى لثقيف ، وهو الذى يقول :

---

(١) جعله الآمدى فى ص ١٤٩ : « الشكرى » ، نسبة إلى « شكر » بفتح الشين وسكون الكاف ، وهو أبو بطن .

(٢) ا : « معائشه » معايش : جمع معيشة ، وفيها شذوذان ، همز الياء الأولى ، وإلحاق الياء الثانية ، وإلحاقها مذهب الكوفيين يجيزونه . وأثبت ما فى ب .

(٣) ديوانه مطبوع . وانظر الأغانى (١٥ : ١٤٤ — ١٥٠) .

(٤) فى ا : « ضنة » ، بالنون وفى ب : « ضنة » لكن أصلحت فى النسخة فجعلت : « ضبة » بالباء .

مَشْىُ البرئ مع القارف تهمة ويُرَى البرئ مع السقيم فيُلطخُ

وهو الذى يقول :

صبا قلبى إلى هند وهنـد مثلها يصبى

١٩ — و (ابن الطَّثْرية[١]) وهو ابن عبيد بن عمرو بن الحارث بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم[٢] ، وهو الذى يقول :

ألا عتبت علىَّ وصارمتنى وأعجبها ذوو اللمم الطوالِ

فإنى يا ابنةَ السعدىّ أربى على فعل الوَضىّ من الرجالِ

٢٠ — و (ابن قسوة) وهو عُتيبة بن مرداس السُّلمى[٣] . وإنما قيل له ابن قسوة لأنه نزل بهم رجل من عبد القيس يقال له ابن قَسوة ، فكان يعيَّر به ، فقال له مرداس : أنا أشترى منك هذا الاسم بكبش ، فاشـتراه ، فقال [أخو[٤]] عتيبة :

حوّل مولانا علينـا اسم أمه ألا رُبَّ مولًى ناقص غير زائدِ

٢١ — و (ابن الهيجُمانة العبسى) لم نعرفه ، وذُكر أن الهيجمانة بنت العنبر بن عمرو بن تميم .

٢٢ — ومن شعراء ربيعة (ابن أم الحزنة العبـدى) ، وأم حزنة أمه ، وهو ثعلبة بن حزْن بن زيد مناة بن الحـارث بن ثعلبة بن سُلَيمة بن مالك بن عامر

(١) الطثرية : أمه ، من بنى الطثر ، بالفتح ، وهم حى من اليمن ، قال ابن خلـكان : « الطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة » . وضبطها صاحب القاموس بالتحريك ، والوجه الإسكان كما جاءت مضبوطة به فى نسخة ليدن من الشعراء . انظر شرح الحيوان (٦ : ١٣٧) .

(٢) كذا ورد فى النسختين ، وهذا النسب يخالف ما فى كتب التراجم ، فلعل فى الكلام سقطاً .

(٣) فى الأغانى (١٩ : ١٤٣) وكذلك ألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٢٨ — ١٢٩ « عيينة » . ويدل على صواب ما هنا قول ابن قتيبة فى الشعراء : « هو عتيبة ويقال عتبة » .

(٤) التكملة من كنى الشعراء لابن حبيب ص ١٢٩ .

ابن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لُكيز بن أفصى بن عبد القيس. وله شعر كثير.

٢٣ — و (عمرو بن ميردة) ، عبدى[١] .

٢٤ — و (ابن الذيبة) وهى أمه ، امرأة من فهم ، واسمه ربيعة بن عبد ياليل ، واسم الذيبة قِلابة ، فلقبت الذيبة ، وهو الذى يقول :

إنى لمن أنكرنى ابن الذيبهْ كريمة عفيفة منســـوبه

٢٥ — و (شبيب بن البرصاء[٢]) ، وهى أمه . وهو شبيب بن يزيد ابن جمرة[٣] بن عوف بن أبى حارثة ، وأمه القرضابة بنت الحارث بن عوف ابن أبى حارثة ، وأختها عمرة بنت الحارث أم عقيل بن علّفة[٤] . وهو الذى يقول :

قامت وأعلَى خلقها فى ثيابها قضيبٌ وما تحت الإزار كثيبُ

وقال :

لا خير فى العيدان إلاّ صلابها ولا ناهضات الطير إلاّ صقورُها

تبيّنُ أدبارُ الأمور إذا انقضت وتقبل أشباهاً عليك صــدورُها

٢٦ — وبعض (بنى أم قرفة) . وأم قرفة اسمها فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارى ، وأبوهم مالك بن حذيفة بن بدر تزوج ابنة عمه .

---

(١) ذكره المرزبانى فى المعجم ٢٤٠ وقال : « هو أحد بنى عارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس ... وهو إسلامى ، أنشد عبد الملك بن مروان لما استبق بنوه فسبق مسلمة — وكان ابن أمة — :

نهيتكم أن تحملوا هجناءكم على خيلكم يوم الرهان فتدركوا »

(٢) قال ابن دريد : « كان النبى صلى الله عليه وسلم خطب البرصاء إلى أبيها ، فقال : إن بها سوءاً — وهو كاذب — فرجع فوجد بها برصاً » . وسماها ابن حبيب فى ألقاب الشعراء ١٣٢ « أمامة بنت الحارث بن عوف » .

(٣) ويقال : « حمزة » ويقال : « حمرة » . انظر حواشى الاشتقاق ١٧٦ ، وفى ألقاب الشعراء ١٣٢ : « جبرة » .

(٤) فى الأصل : « علقمة » ، وهو تحريف . انظر حواشى الاشتقاق .

٢٧ — و (ابن ميادة المرى) من بنى غيظ بن مرة ، واسمه الرماح بن الأبرد ابن ثَوبان[1] . كثير الشعر . وهو الذى يقول :

اعرَنْزِمى ميَّـــادُ للقوافى   واستسعِبنَّ ولا تخـــاقى[2]

وقال :

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلة   بحرّة ليلَى حيثُ ربَّتْنى أهـلى
وهل أسمعنّ الدهر أصوات هَجمة   تطالع من هَجل قريب إلى هجل[3]

يقال ربَبْت الصبى أربه ربا فأنا رابٌّ وهو مربوب ، وربّيته أربّيه تربية فأنا مربٍّ وهو مربًّى ، وربّتُّه أربّته تربيتاً فأنا مربّت وهو مربَّت . ويقال رَبيت فى بنى فلان ، وربوت فيهم ، وترببت ، وتربّت ، كله فصيح مقبول .

٢٨ — و (بَشَامة بن الغدير) وهى أمه ، وهو بشامة بن عمرو بن هلال[4] ابن والثة بن سهم بن مرة ، كثير الشعر . وهو الذى يقول :

فإنكم وعطـــايا الرها   ن إذ جرّت الحرب جُلاًّ جليلا
كثوب ابن بيض وقاهم به   فسد على السالكين السبيلا[5]

٢٩ — وأخوه (أسعد بن الغدير) شاعر ، وهو خال أبى سلمى[6] زهير ابن أبى سلمى الشاعر .

---

(١) فى الأغانى « أبرد بن ثوبان » وفى المؤتلف « أبرد بن ثريان » وفى معجم البلدان « الرماح بن يزيد وقيل ابن الأبرد » وفى ألقاب الشعراء ١٣٢ : « الرماح بن الأبرد ابن صيحاس » .

(٢) الاعرنزام : الاجتماع والتقبض . وفى الأصل : « اعزترمى » والصواب فيما أثبت كما صححت بذلك فى ب . وفى ا : « واستسعهن » محرفة .

(٣) فى معجم البلدان (٣ : ٢٦٠) : « من هجل خصيب » . وروى ياقوت هذين البيتين فى خمسة أبيات قالها ابن ميادة حين استخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فاستقدمه وأقام عنده دهراً ثم اشتاق إلى وطنه .

(٤) فى الأصل : « ملال » والصواب ما أثبت . وانظر المؤتلف ٦٦ ، ١٦٣ والمفضليات (١ : ٣٥ طبع المعارف) .

(٥) انظر شرح البيتين فى المفضليات (١ : ٥٨) .

(٦) أبو سلمى كنية زهير بن أبى سلمى ، كما فى كنى الشعراء لابن حبيب ص ١٢٣ من مصورة دار الكتب . وقد زاد الشنقيطى كلمة : «أبى» قبل «زهير» فلم يقبه إلى ما ذكرت .

٣٠ — و (زُميل بن أم دينار) أبوه أُبَير بن عبد مناف ، من مازن بن فزارة ، وهو قاتل ابن دارة . وابن دارة اسمه سالم بن مسافع بن يربوع . هو دارة القمر ، سمى دارة ، شبه بدارة القمر لحسنه ، وهو من بنى عبد الله بن غطفان . وزميل الذى يقول :

أبلغ فزارة أنى قد شَرَيْت لهم   مجد الحياة بسيفى بيع ذى الخلق

وقال :

أنا زميل قاتل ابن داره   وكاشف المخزاة عن فزاره

ثم جعلت عقله البكاره

٣١ — و (قَعْنَب بن أم صاحب الفزارى[1]) ، وهو الذى يقول :

لو كنت أعجب من شىء لأعجبنى   سَعْىُ الفتى وهو مخبوء له القدرُ

وهو الذى هجا الوليد بن عبد الملك فقال :

فقدت الوليـــــد وأنفاً له   كَثِيلِ البعير أبى أن يبولا

٣٢ — و (ابن أم حزنة[2]) وأم حزنة أمه ، وهو ثعلبة بن حزن بن زيد مناة ابن الحارث بن ثعلبة بن سُلَيمة[3] بن مالك بن عامر بن الحارث بن [أنمار ابن عمرو بن] وديعة بن لكيز بن أفصى . شاعر ، وهو الذى يقول :

نهيتكم أن تحملوا هجناءكم   على خيلكم يوم الرهان فتُدرَكوا

٣٣ — و (بشر بن شلوة التغلبى) وشلوة أمه . وهو بشر بن سوادة[4] . وهو الذى يقول فى يوم ذى قار ، وكان مع الفرس :

---

(١) هو قعنب بن ضمرة ، أخو بنى سحيم بن عمرو بن شرح بن عوف بن ثعلبة بن بهثة ، كما فى ألقاب الشعراء ص ١٣٣ . وقيل : أحد بنى عبد الله بن غطفان ، وكان فى أيام الوليد ابن عبد الملك . انظر شرح التبريزى للحماسة (٤ : ٢٤) .

(٢) هذا تكرار لما سبق فى رقم ٢٢ .

(٣) كذا ضبطت فى الأصل بالضم . وفى الاشتقاق ٢٩٢ بفتح السين .

(٤) انظر المؤتلف ٦٠ . وضبطت « شلوة » فى الأصل هنا بالفتح . وقال ابن حبيب فى ألقاب الشعراء ١٣٦ : « أخو بنى مالك بن بكر بن حبيب » .

لما سمعت نداء مُرّة قد علا   وابنَيْ ربيعة فى الغبار الأقتم

٣٤ — و (ابن الواقفية[1] السدوسى) ينسب إلى أمٍّ من أمهاته ، وهو عبد الله بن عبد العزى كليب[2] بن الحارث بن سدوس ، شاعر . قال :

أتانى عن أبى بكر ألوكٌ   يخب بها اليمين والسديرُ

وقال :

ألمّ خيالُ العامرية موهناً   خيال بأعلى حضرموت غريبُ
أرى المرء أمسى للحوادث غاية   نوائبه تنتاله فتصوبُ

وقال يهجو ابن عَنَمة الضبى[3] :

إن الشاعر الضبيّ عبد   كزائدة النعامة مستعارُ

وقال يمدح الحوفزان[4] :

لمن الديار بجانب الغمر   آياتهن كواضح السطرِ
يا حارِ أعطاك الإله كما   أثنى عليك أخو بنى جسرِ
فلأنت أكسبهم إذا افتقروا   ولأنت أجودهم إذا تُقرى

٣٥ — و (ابن دغماء العجلى) أمه دغماء بنت مرة ، أخت جَعْوَنة بن مرة ، وهو الذى يقول لسويد بن حطان ، وكان سويد الضبعى نزل فى بنى عجل

---

(١) فى الأصل : « الراقفية » تحريف ، وهى بالواو نسبة إلى بنى واقف ، وهم بطن من الأنصار ، وواقف لقب مالك بن امرئ القيس . انظر القاموس (وقف) والاشتقاق ٢٦٦ . وانظر ابن قتيبة فى المعارف ص ٥٠ .

(٢) كذا فى الأصل . ولعله : « من بنى كليب بن الحارث بن سدوس » .

(٣) هو عبد الله بن عنمة بن حرثان بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد ابن ضبة . « وعنمة » بفتح العين المهملة والنون والميم . وفى ا : « غنمة » تحريف . قال البغدادى : « الظاهر أنه من المخضرمين » . الخزانة (٣ : ٥٨) .

(٤) الحوفزان لقب له ، واسمه الحارث بن شريك بن مطر ، قالوا : « وإنما سمى الحوفزان لأن قيس بن عاصم اقتلعه عن سرجه بالرمح ، وكل ما قلعته من موضعه فقد حفزته » . الاشتقاق ٢١٥ .

فانتسب إلى مرة أبي جونة[1] فقال : أنا سويد بن حِطَّان بن مرة ، فقال ابن دغماء :

لعمرك ما أدرى وإنى لسائل … سويد بن حطان بحتٌ وما أدرى
سوى أنكم دُرْتم لجريتم … على دُرَّة والضب يُختل بالتمر[2]
فما أنتم منا ولا نحن منكم … دعاوة كذب أنتمُ آخرَ الدهر

فغضب جونة خال ابن دغماء ، فقال :

إن ابن دغماء الذى حُدِّثته … بيض الدجاج لا يحسُّ له أب
إلا الرماد فإنها اعتركت به … بين الرماد وبين أمك تنسب[3]

٣٦ — و (عبد المسيح بن عَسَلة الشيبانى) ، أمه عسلة بنت عامر بن شراكة من غسان ، إليها ينسبون[4] وهو شاعر ، قال :

يا كعب إنك لو قصرت على … حسن النِّدام وقلة الجرم
لصحوت والثريا يحسبها … عم السماك وخالة النجم[5]

٣٧ — وأخوه (حرملة بن عسلة) ، قال له المنذر بن ماء السماء : اهج الحارث بن أبى شمر . فقال :

ألم تر أنى بلغت المشيـ … ـب فى دار قومى عقاً كسوبا[6]

(١) فى الأصل : « مرة بن أبى جونة » وكلمة « بن » مقحمة .

(٢) رواه الجاحظ فى الحيوان (٦ : ٦٢) : « يحيل بالتمر » وقال : « يختل صيده بالتمر كصيده بالحبالة » . والضب والعقرب يعجبان بالتمر عجباً شديداً .

(٣) مما يزعم العرب أن بيض القبج يتولد حيناً من التراب ومن الريح . قال الجاحظ فى الحيوان (٣ : ١٧١) . « والبيض الذى يتولد من الريح والتراب أصغر وألطف ، وهو فى الطيب دون الآخر . ويكون بيض الريح من الدجاج والقبج والحمام والطاوس والإوز » .

(٤) أما أبوه فهو حكيم بن عفير بن طارق بن قيس بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . انظر المؤتلف ١٥٧ وشرح الأنبارى للمفضليات ٥٥٦ وما ورد من التحقيق فى المفضليات (٢ : ٧٨ طبع المعارف) .

(٥) انظر لفهم هذا البيت ما ورد فى جو المفضليات . وفى الأصل : « والثريا يحسبه عم السماك وخالة النجم » ، وهو تحريف .

(٦) رواية الخزانة (٤ : ٢٣) : « بلغت المشيبا » وفى دار قومى » .

وأنتَ الإلهُ تنصّفته بألّا أعقّ وألّا أحوبا
وألّا أكافرَ ذا نعمةٍ وألّا أخيبه مستثيبا
وقحطانُ حيٌّ همُ والدى فهل يشينهم أن أغيبا
فآثرْ بها بعض من يعتريك فإنّ لها من معدٍّ كليبا

فانبرى عمارة بن العيّف العبدىّ[1] من سُليمة بن عبد القيس ، وهم حلفاء فى بنى شيبان فى بنى سعد ، فقال :

لاهُمّ إنّ الحارث بن جبله عقّ أباه ظالما وقتله
وأىّ فعل سيىء لا فعله[2]

٣٨ — و (عِتبان بن وَصيلة) وهى أمه[3] ، وهو عتبان بن شراحيل بن شريك بن عبد الله بن الحصين بن أبى عمرو بن عوف بن مرة بن ذُهل ابن شيبان .

٣٩ — و (عمرو بن الإطنابة) وهى أمه[4] ، وهو الذى يقول :

---

(١) ينسب الرجز أيضاً إلى « شهاب بن العيف » . وفى نسخة البغدادى من كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء : « عامر بن العيف » . (انظر الخزانة ٤ : ٢٣١) .

(٢) انظر رواية الرجز وتمامه فى الخزانة .

(٣) عتبان ، بكسر العين ، ووصيلة بفتح الواو . انظر الاشتقاق ٢١٦ . وفى معجم المرزبانى ٢٦٦ : «عتبان بن أصيلة ، ويقال وصيلة ، الشيبانى . وأصيلة أمه ، وهى من بنى عكل» . وأورد من شعره قوله لعبد الملك بن مروان :

فبلغ أمير المؤمنين رسالة وذو النصح لو يرعى إليه قريب
بأنك إلا ترض بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عصيب
فإن يك منكم كان مروان وابنه وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فمنا سويد والبطين وقعنب ومنا أمير المؤمنين شبيب

والبيت الأخير قصة يتداولها الرواة .

(٤) عمرو بن الإطنابة شاعر جاهلى . وأمه الإطنابة بنت شهاب بن زبان ، من بنى القين ابن جسر ، وأبوه عامر بن زيد مناة بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج . انظر المرزبانى ٢٠٣ والمكنى والألقاب لابن حبيب ١٣٩ . وأصل الإطنابة سير يشد فى وتر القوس العربية لتعزق به . الاشتقاق ٢٦٨ .

قرت أحسابُنا كرمًا فأبدت ... لنا الضراء عن أُدْمٍ صحاحِ
ولم يُظهر لنا عُقراتِ شـوه ... جودُ القطر أو بلْثُه القاحِ

فى ختام نسخة (ا) تجز الكتاب والحمد لله رب العالمين . نقلت جميعه من نسخة نقلت جميعها من خط أبى الفتح عثمان بن جنى ، وصححها رضى الدين الشاطبى رحمهما الله .

وفى نسخة (ب) : « قال فى أصل هذا : تجز الكتاب ... الخ » ، وزاد : وتجزت هذه النسخة فى يوم الاثنين المبارك ١٤ صفر الخير سنة ١٣٠٠ بالمدينة المنورة . رحم الله كاتبها ومستنسخها والمسلمين أجمعين .

تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه

لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزاباذي

٧٢٩ - ٨١٧

مقـــدمـــة

هذا الكتاب يشبه فى موضوعه الكتاب السابق لهذا ، و يمتاز بأنه لم يختص بذكر الشعراء فحسب ، بل هو عام فى ذلك . ومؤلفه فى غنى عن التعريف ، فهو صاحب أكثر المعجمات العربية تداولا ، وهو القاموس المحيط ، وهو أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادى ، نسبة إلى فيروزاباذ ، قرية بفارس[1] ، منها والده وجده . وأما هو فقد ولد بكازرين من بلاد فارس سنة ٧٢٩ ، ثم أخذ عن مشايخ العلم بالعراق ومصر والشام والروم والهند ، ثم دخل زبيد سنة ٧٩٦ فتلقاه سلطان اليمن الأشرف إسماعيل ، وولاه قضاء اليمن كله ، واستمر بزبيد عشرين سنة ، وتوفى بها سنة ٨١٧ . وانظر ترجمته فى (الشقائق النعمانية ١ : ٩٢ و بغية الوعاة ١١٧ وروضات الجنات ٤ : ٢٠٧ ومفتاح السعادة ١ : ١٠٣) .

وأصل هذه النسخة التى ننشرها نسخة الشنقيطى التى كتبها بقلمه سنة ١٣٠٤ محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٣٨ أدب ش) . ومن الكتاب نسخة أخرى بمكتبة الجزائر برقم ٤٦ .

ويقارب هذا الكتاب فى تسميته وموضوعه كتاب آخر محفوظ بالخزانة التيمورية برقم ١٤٠٧ تاريخ تيمور ، وهو (تذكرة الطالب النبيه عن نسب إلى أمه دون أبيه) لأحمد بن خليل اللبودى ، وهو تهذيب كتاب آخر ، لجلال الدين ابن خطيب داريا . وتقع هذه التذكرة فى ٨٩ صفحة ، وقد وجدت معظم ما به من الأسماء قد تكفل به ابن حبيب ومجد الدين الفيروزابادى .

---

(١) هى بكسر الفاء وآخرها ذال معجمة ، كما فى معجم البلدان ، قال البشارى : « ومعنى فيروزاباذ أتم دو » .

الحمد لله عددَ خلقِه وزِنَةَ عرشِه ورضى نفسِه ومدادَ كلماته ، والصّلاة والسّلام على أشرف مخلوقاته ، ملء أرضه وملء سماواته ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأزواجه وذُرّيّاته .

وبعدُ يقول محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزاباذى نَشَّه الله من عَثَراته ، وحجز بحفظه وكلاءته بينه وبين زلّاته : هذا كتابٌ وضعتُه فى ذكر من نُسِب إلى الذين من آبائه وأمّهاته ، أو إلى غير أبيه ثم إلى جدّاته ، [أو] أجنبىّ ممن رباه أو تبنّاه أو غير ذلك من حالاته ، وذلك لمّا رأيت قرّاء الحديث تَزِلّ مفاصلهم[1] فيلحنون فى ذلك وأخواته ، فأفردته فى جزء راجياً أن يكون لوجه الله تعالى بَحْتَ لزوم مَرْضاته[2] ، وأسميته « تحفة الأَبِيه[3] فيمن نُسِب إلى غير أبيه » ، ورتّبته على الهجاء المشرقىّ لصَفَاء أضَاته[4] ، وقدّمتُ ذكرَ سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم محمدٍ عليه أفضلُ صلواتِ الله وأشرفُ تسليماته ، تشريفاً للتأليف ، ولئلاّ يندرجَ اسمُهُ الشريفُ بين الكتاب حيث يقتضيه ترتيبُ كلماتِه :

سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم ، خاتم النبيّين وأشرف المخلوقين ، ورسولُ ربّ العالمين ، صلى الله تعالى عليه وسلم أبد الآبدين - قيل نَزَعَ فى الشَّبَه إلى أبى كبشة أحد أجداده ، فقالوا له ابن أبى كبشة . فى صحيح البخارى ، فى حديث هرقل : « فقال أبوسفيانَ بنُ حرب لمّا قرأ هِرَقْلُ كتابَ النبى صلى

---

(١) المفاصل : جمع مفصل ، كمنبر ، وهو اللسان .

(٢) البحت : الخالص . والروم : الطلب .

(٣) الأبيه : وصف ، من أبه للشىء وبالشىء من باب منع وفرح ، أى فطن له . ولم يذكر المصنف فى قاموسه ولا صاحب اللسان أيضاً هذا الوصف .

(٤) الأضاة : المستنقع من سيل أو غيره .

الله تعالى عليه وسلم : لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كَبْشة[1] ، إنّه يخافه مَلِكُ بني الأصفر » . واختلف العلماء في ذلك فقيل أبو كبشة كُنْيَةُ زوجِ حليمةَ السعدية التي أرضعت النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم ، فهو أبوه من الرّضاعة ، واسمه الحارث بن رِفاعة السعدىّ ، قاله أبو الحسن علىّ بن خلَف بن بطّال . وقيل هو كنية وهب بن عبد مناف جدّ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قِبَل أمّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف جدّ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، لأنه كان نَزَعَ إليه في الشبه . وقال ابن الكلبىّ في جمهرة النسب : أمُّ وهبٍ جدّ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قَيْلة بنت أبي قَيْلة ، وهو وَجْز بن غالب بن الحارث بن عمرو بن حُوَىّ ابن مِلْكان بن أفْصَى بن حارثةَ بن خُزاعة . تقول خُزاعة : أبو كبشة هو أبو قَيلة . وقيل أبو كبشة : رجلٌ من خُزاعة خالفَ قريشاً في عبادة الأوثان وعَبَدَ الشِّعْرَى العَبُور ، فشبَّهوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به ، ومعناه أنه خالفهم كما خالفهم أبو كبشة . وقيل : كان أبو كبشة عمّ ولدِ حليمةَ السعديّة . قال الزّبير بن بكّار : ليس مرادُهم عَيْبَ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وإنما مرادُهم مجرّد التشبيه . وقال غيره : هذا منهم إيذاء للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأقبح ما كانوا يدْعونه به من الكُنَى والأسماء .

ونسبَ بعضُ المُحْدَثين المولَّدين النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم إلى أمّه آمنة ، فقال :

صلَّى الإلهُ على ابن آمنةَ التي ... جاءت به سَبْطَ البَنَان كريما
قُلْ للّذين رجَوْا شفاعةَ أحمدٍ ... صلُّوا عليـــه وسلِّموا تسليما

حرف الألف

١ — إبراهيم بن عُلَيَّة ، سيأتي ذكره عند ذكر أبيه إسماعيل بن علية .

(١) أمِر ، كفرح : كثر ، وقوى .

٢ — إبراهيم بن هَرَاسة ، بفتح الهاء والراء المخففة والسين المفتوحة ، وهي أُمُّه . والهَرَاسة في الأصل : واحدة الهَرَاس كسحاب ، وهو شجر ذو شوك . وقال أبو عمرو : يقال له ثمر مثل ثمر النَّبِق ، وفيه شوك . قال النابغة الجعدي رضي الله عنه :

وخيــــلٍ يطابِقْنَ بالدارعينَ طِبَاقَ الكلاب يَطَأْن الهَرَاسا

الواحدة هَرَاسة . وبه سُمِّيت المرأة هَرَاسة . وهو أبو إسحاق إبراهيم بن سَلَمة الكوفيّ ، متروك الحديث تكلّمَ فيه أبو عُبيد وغيره . فإذا كتبتَ إبراهيم بن سلمة ، ابن هَرَاسة أعربتَ الابن الثاني إعرابَ إبراهيم وكتبته بالألف ، وكذا في جميع ما أتلوه عليك من هذا النحو .

٣ — أحمد بن تَيْمِيَّة ، هي أمّ أحدِ أجداده الأبعـــدين ، وهو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم بن محمد بن تيميّة الحرانيّ ، الحافظ المشهور ، الذي لم يلحق شأْوَه في الحفظ أحدٌ من المتأخّرين .

٤ — أحمد بن الخاضبة[1] .

٥ — إسحاق بن راهَوَيْه بفتح الهاء والواو ثم ياء مثناة تحتية ، ويقال بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء ، وهــذه قليلة ، وهما لغتان في كل اسم خُتِم بوَيْه كسيبوَيْه وعَمْرويْه ونِفْطويْه وغيرها ، ويجوز فيه البناء والإعراب : هذا راهَوَيْهِ ورأيت راهويهِ ومررت براهويْهِ . وهذا راهويهٌ ورأيت راهويهًا ومررت براهويْهٍ . ولك أن تعربه غير منصرف فتقول : هذا راهويهُ ورأيت راهويهَ ومررت براهَوَيْهَ . وهــذا عن الجَرْمي ، ونقله ابن مالك عن المتأخّرين . ولم يذكر سيبويه إلا البناء . وعلى قول من يعربه تجوز تثنيتُه وجمعه ، فتقول هذان راهويهان وهؤلاء راهويهون . وعلى قول الجمهور تقول : هــذان ذوَا راهويهِ وهؤلاء ذَوُو راهويه . وراهويه لقب أبيه إبراهيم لأنه وُجِد في الطريق . وأصله

---

(١) في الأصل : « الخاضبة » ، صوابه من تذكرة الطالب ، مخطوط التيمورية . وهو والد أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور الدقاق ، الحافظ البغدادي . انظر تذكرة الحفاظ ٤ : ٢٢

راهُوَيْهِ أي طريق . ورَاهْ بالعَجَمي : الطريق . وهو أبو يعقوب إسحاق بن مخلد ابن مسكين بن إبراهيم بن مطر الحنظلي المروزي النيسابوري ، أحد الأئمة الحفاظ . قال أبو داود : تغيّر قبل أن يموت بخمسة أشهر ، وتوفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وهو ابن سبع وسبعين سنة .

٦ — إسماعيل بن عُلَيَّة بضم العين المهملة وفتح اللام والياء المثناة التحتية المشددة ، وهي أمه وقيل جدته أم أمّه . وهو أبو بِشْر إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسم — كمنبر — الأسدي ، أسد خُزَيْمة ، مولاهم البصري . وأصله من الكوفة ، وهو أحد أئمة الحديث والفقه ومن كبار الصالحين[1] . وأما ابن عُلَيَّة الذي يعزو إليه كثيرٌ من الفقهاء فهو ابن ابنه .

٧ — أيوب بن القِرِّيَّة ، بكسر القاف والراء المشددة والمثناة التحتية آخره هاء ، وهو لقب أمّه واسمها جُمَّاعة مثل رُمَّانة ، بنت جُشَم بن ربيعة بن زيد مَنَاة ، وهو أيوب بن زيد بن قيس بن زُرارة بن سَلَمة بن جُشَم بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة ، بن القِرِّيَّة . وهو أحد الفصحاء المشهورين بالحفظ ، صحب بني مروان والحجاج بن يوسف . والقِرِّيَّة : حوصلة الطائر . وقيل أيوبُ الكتبَ القديمةَ إلى العربية ، وقتلَهُ الحجّاج .

حرف الباء

٨ — بُدَيْل بن أمّ أَصْرَم ، بضم الباء على زنة زُهَير ، واسم أبيه سلَمة . وبُديل ابن سلمة بن أم أصرم صحابيٌّ كان بمصر ، روى عنه عليّ بن رباح . وقيل : هو بديل بن ميسرة ، بدل سلمة .

٩ — بشير بن الخَصاصِيَة ، بفتح الخاء وتخفيف الياء المثناة من تحت ، على زنة كَرَاهِيَة وطَوَاعية . وبعض المحدّثين شدّدها ، وهو لحن لأنه ليس في كلام العرب فعالِيّة بالتشديد ، وإنما هي بالتخفيف قاطبة ، ككراهِيَة وطَواعية وعَلانية ورفاهِيَة

(١) ترجم له بإسهاب في تهذيب التهذيب .

وأخواتها . والخصاصيةُ هي أمّ بشير ، واسم أبيه معبد . وكان اسم بشير زحم بن معبد بن شراحيل السَّدوسيّ ، فغيّره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمّاه بشيراً . وأمّه الخصاصيّةُ من الأزد . وكان بشير يعرف بها ، وروى بشيرٌ أحاديث .

١٠ — بشير بن عقْربةَ . عقربةُ أمّه . والعقربة في كلام العرب : المرأة العاقلة المخدوم . و بشير صحابيّ ، ولم أقف على اسم أبيه . وكنيته أبو اليمان ، نزل الشامَ ، روى حديثاً واحدا ، وهو « من قامَ بخطبة لا يلتمس بها إلا رياء وسُمعة وقّفه الله عزّ وجلّ يومَ القيامة موقفَ رياء وسُمعة » . روى عنه عبدُ الملك بن مروان وعبد الله بن عوفٍ الكنانى .

١١ — بلال بن حمامة ، مؤذّن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وحمامة بالفتح والتخفيف : اسم أمّه . واسمُ أبيه رَباح ، بفتح الراء والباء الموحّدة وبحاء مهملة . ويكنى أبا عبد الله ، وقيل أبا عمر ، وقيل أبا عبد الرحمن . مولى أبي بكر الصّدّيق رضى الله تعالى عنه ، ومن مولّدى السراة[1] ، وشهد بدراً . وكان تِرْب أبي بكر رضى الله تعالى عنه . مات بدمشق ودفن بالباب الصغير . قال ابن زبر : مات بداريّا[2] وحُمل على الرّقاب ، فدفن بمقبرة باب كيسان . وقيل مات بحلَب ودُفن بباب الأربعين .

حرف الجيم

١٢ — جُبَيْر بن بُحينة ، صحابى . و بُحَينة بضم الباء وفتح الحاء المهملة ثم مثناة تحتية ساكنة ونون مفتوحة وهاء ، وهى أمّه ، واسمها عبدة . وكذلك أخواه عبد الله ومالك . وأبوهُم مالك بن القِشْب بكسر القاف . وسيعاد كلّ واحدٍ فى بابه إنْ شاء الله تعالى .

١٣ — جعفر بن عُقاب . شاعر ، وعُقابُ أمّه . وهو جعفر بن عبد الله ابن قَبيصة .

---

(١) السراة ، بالفتح : جبال وأرض حاجزة بين تهامة واليمن .

(٢) داريا : قرية من قرى دمشق ، ينسب إليها الداراني .

١٤ — الحارث بن مالك بن البَرْصاء ، صحابى . والبَرْصاء اسم أمّ أبيه ، وهى لقبها ، واسمها عَبْدة ، واسم أبيه مالك بن قيس اللَّيثىّ . روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يومَ فتح مكة : « لا تُغزَى مكةُ سوى اليوم[1] » . وفى رواية « بعد اليوم » . والحديث الآخر « إنه ليس أحدٌ يلقى اللهَ وقد اقتطع مالَ امرئٍ مسلم بيمينه إلا … » ، قال إسحاق بن إبراهيم أحدُ رواة هذا الحديث : إنّ سفيان كَنَى عنه[2] ، إنّما هو النار .

حرف الخاء

١٥ — خُفَاف ، بضم الخاء وفتح الفاء على زِنة غُراب ، بن نَدْبة بفتح النون وسكون الدال المهملة وفتح الباء الموحدة ، وهى أمّه ، واسم أبيه عُمَير بن الحارث ابن الشَّريد . وكنيةُ خُفافٍ أبو خُراشة بضم الخاء ، صحابىّ .

حرف الذال

١٦ — ذُو الخِرَق بن شُعَاث الشاعر ، بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء بعدها قاف . وشُعاث بالشين المعجمة المضمومة وعين مهملة بعدها ألف وثاء مثلثة ، واسم أبيه نُبَاتة .

حرف الراء

١٧ — رافع بن غُنْجُدة ، بضم الغين المعجمة والجيم بينهما نون ، وقيل عَنْجَرة بالعين المهملة المفتوحة والجيم والراء ، وقيل عنترة ، والأول أصح . وغُنْجُدة أمّه أو جدّتُه واسم أبيه عبد الحارث .

١٨ — الرمّاح بن ميّادة بفتح الميم والمثناة التحتية المشدّدة ، وهى اسم أمّه ، وكانت أمةً سوداء راعية . وهو الرمّاح بن أبْرَد بن ثَوْبان بن سُراقة بن حَرْملة

(١) فى الإصابة ١٤٧٤ : « لا تغزى مكة بعد اليوم إلى يوم القيامة » .
(٢) أى عن ما بعد « إلا » .

ابن سَلْمَى بن ظالم بن جَذِيمة بن يربوع بن غَيْظ بن مُرّة بن عوف بن سعد ابن ذبيان ، وكنيته أبو شرحبيل ، وهو شاعر مشهور .

حرف الزاي

١٩ — زياد بن هِنْدابَة ، بكسر الهاء وسكون النون بعدها ألف وياء مثناة تحتية مفتوحة ، وهي أمّه ، وكانت سوداء . واسمه زيادُ بن حارثة بن عوف بن قتيرة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سَعد بن شَبيب ابن السَّكون . وكان فارساً مشهوراً . قال ابنُ الأعرابيّ : وقال ابن الكلبيّ هو زياد بن عوف بن حارثة ، وهو الذي أَسَرَ الحُصَينَ ذا الغُصّة . وكان يقول : « لو أرسلتُ قُرَيي أزاهيقَ عُرْياً لأَسَرَ ذا الغُصّة » . وأزاهيق : اسمُ فرسِه .

حرف السين

٢٠ — سعد بن حَبْتَةَ ، بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح المثناة الفوقية ، وهي أمّه . وهي حَبْتَةُ بنت مالك رضى الله تعالى عنها . وهو سعد بن بَحِير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة . هذا هو الصّحيح المشهور ، وقيل فيه بُجَيْر بالجيم مصغرا . وهو صحابيٌّ . وأبو يوسفَ بن إبراهيم القاضى من ذُرِّيّة سعد بن عوف[1] بن بُجَيْر بالجيم ، والأول أصح .

٢١ — سَعْد بن الحنظلية وهي أمّ جَدّه ، وهو سعد بن عُقَيْب بالقاف مثل زُبَيْر ، وقيل عُمَيت بالميم والمثناة آخره مثال حُميد ، وقيل سعد بن الرّبيع بن عمرو بن عدىّ . ويكنى أبا الحارث الحارثىّ الصحابىّ .

٢٢ — سعد بن خَوْلَةَ . خَوْلة أمّه ، وهو سعد بن خَوْلَىّ . وبعضهم يجعل ابن خَوْلة غير ابن خَوْلَىّ . ولم يعرف اسم أبيه ، وهذا هو الأصح .

٢٣ — سُلَيْك بن سِنان بن سُلَكَة ، كهُمَزة . وسُلَكة أمّه ، وهو من

---

(١) كذا وردت فى الأصل ، وإنما هو سعد بن بحير . الإصابة ٣١٣٤ وتاريخ بغداد ٧٥٥٨ .

الشُّعراء والعدَّائين ، ومن اللُّصوص الفُتاك ، وكان يُعرف بسُلَيك المَقانب .

٢٤ — سُوَيْد بن كُرَاعَ . وكُرَاعُ أمّه ، وهى غير مصروفة . وهو سويد ابن عمرو بن كُرَاع ، وهو شاعرٌ معروف .

٢٥ — سَهْلُ بن الحنظلية الحارثىّ . والحنظلية هى أمّ أبيه ، وهو سَهْل بن عمرو بن عدىّ بن زيد بن جُشَم بن حارثة ، صحابى .

٢٦ — سَهْل بن البيضاء . البيضاء لقبُ أمّه ، واسمها دَعْدُ بنت جَحْدم ، بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة وفتح الدال اليابسة . وهو سهل بن وهب بن ربيعة ، صحابى .

٢٧ — سُهَيْل بن البيضاء ، أخو سَهْل .

حرف الشين

٢٨ — شُرَحْبيل بن حَسَنَة . وهو شُرَحبيل بن عبد الله بن المُطَاع أخو عبدالله وعبد الرحمن . وحَسَنَةُ أمّه ، وهى عَدَوْلية : نسبةٌ إلى عَدَوْلَى قرية بالبحرين . وهى مولاةُ مَعْمَر بن حبيب . وشُرحبيل من الصَّحابة .

٢٩ — شَرِيك بن السَّحْمَاء ، بفتح الشين المعجمة وسكون الحاء المهملة : وهو شَرِيك بن عَبَدَة بالتحريك ، ابن مغيث ، أخو البَرَاء بن مالك لأمّه . وهو أوّلُ مَن لاعَنَ فى الإسلام . و بعضُهم يجعل شَرِيكَ بن السَّحماء غيرَ شريك بن عَبَدة ، والأوّلُ أصح .

حرف الصاد

٣٠ — صَفْوان بن البيضاء ، والبيضاء لقبُ أمّه ، واسمها دَعْد . وهو أخو سَهل وسُهَيل . وهو صفوان بن وهب ، وقد تقدَّم .

حرف العين

٣١ — عاصم بن بَهْدَلَة ، أبو بكر الأسدىّ ، من القرّاء ، و بَهْدَلة أمّه . وهو عاصم بن أبى النَّجُود . والبَهْدَلة : الإسراع والخِفة فى المشى . والبَهدل: جرو الضَّبُع[1] .

(١) فى الأصل : « خرو الضبع » ، تحريف .

٣٢ — عبد الله بن أُبَيّ بن سَلول المُنافق . سَلول أمّه .

٣٣ — عبد الرحمن بن حَسَنَة ، أخو عبد الله وشُرَحبيل ، وهو عبد الرحمن ابن عبد الله بن المُطاع . وحَسَنَةُ مولاةُ مَعْمَر بن حبيب ، عَدَوْلية .

٣٤ — عبدُ الله بن أمّ حرام . وهو عبدالله بن عمرو بن قيس . وفيه اختلاف .

٣٥ — عبد الله بن بُحَينة ، وهو عبدُ الله بن مالك الأزدىّ . وقد تقدّم ذكر بُحَينة عند ذكر أخيه جُبَير . واسمها عَبْدة بنت الحارث بن عبد المطلب ، وهى أمّ أبيه

٣٦ — عبد الله بن حَسَنة ، أخو عبد الرحمن وشُرَحبيل ، وهو عبد الله بن المُطاع .

٣٧ — عُمَر بن القُتَبِيَّة . وقيل ابن الأُتْبِيَّة[١] . قيل الأول الصحيح والأوّلُ قول ابن دريد ، والثانى قولُ ابن الكلبىّ والمعوّل على قوله أكثر .

٣٨ — عمرو بن القَفْواء أخو علقمة ، صحابيان .

٣٩ — علقمة بن القَفْواء ، صحابىّ ، وقيل ابن أبى القفواء ، وهو عَلْقمةُ بن عُبيد الخُزاعىّ . والقفواء ، بالقاف والفين المعجمة : لقب أمّه . والقفا : مَيَل فى الفم .

٤٠ — عمرو بن شَعْواء اليافعىّ صحابى . شعواء أمّه ، ولم أقفْ على اسم أبيه . والشَّعواء بالشين المعجمة والعين المهملة : المنتشرة الشعر ، ومنه شجرةٌ شَعْواء : منتشرةُ الأغصان . وغارةٌ شَعْواء : متفرّقة .

٤١ — عوف بن عَفراء ، وهو عوف بن الحارث بن رِفاعة النَّجّارى . وهى

(١) فى الأصل : « ابن القبنية وقيل ابن الأبية » . صوابه من تذكرة الطالب ، قال : « عده الصغانى فى نعبة الصديان فى الصحابة الذين نسبوا إلى أمهاتهم » . وذكره فى الإصابة ١٩٣٩ باسم « عبد الله » . وفى القاموس (قتب) : « وبنو قتب ، بالضم : حى ، منهم عبد الله بن القتبية » .

عفراء بنت عُبيد بن ثعلبة . وقيل فيه عَوْذٌ ، وعَوْفٌ أكثر .

حرف اللام

٤٢ — لوط بن هاران بن تارَح ، ابنُ أخي إبراهيم(١) . هاران هو أخو إبراهيم .

حرف الميم

٤٣ — مالك بن بُحَيْنة ، و بُحينة لقبُها واسمها عَبْدة . وهو مالك بن القِشْب ، بكسر القاف .

٤٤ — مالك بن نُمَيلة ، نُمَيلة أمّه . وهو مالك بن ثابت المُزَنيّ الصحابي .

٤٥ — محمد بن الحنفيّة ، هو محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما . والحنفيّة أمّه(٢) .

٤٦ — محمد بن حَبيب الأديب . حبيبُ اسم أمّه ، ولم أقف على اسم أبيه .

٤٧ — محمد بن عائشة ، وهو محمّد بن حَفْص .

٤٨ — محمد بن عثمان ، وهو محمد بن خالد .

٤٩ — محمد بن شَرَفَ القَيْرَواني . شرفُ اسم أمّه ؛ ولم أقف على اسم أبيه .

٥٠ — محمد بن القُوطيّـة ، بضم القاف وكسر الطاء وفتح المثناة التحتية المشددة ، وهي أمّه ، نُسِبت إلى قُوط بن حام بن نوح . وهو أبو السُّودان والهند والسِّند . وهو محمد بن عُمَر بن عبـد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مُزاحم الأندلسيّ الإشبيلي الأصل ، القُرطُبي المولد . كان من أعلم أهل زمانه، ماهراً باللغة

---

(١) لعله يريد أنه يقال لوط ابن أخي إبراهيم ، فينسب إلى غير أبيه .

(٢) هي خولة بنت قيس بن مسلمة بن عبد الله بن ثعلبة ، أو بنت قيس بن جعفر بن قيس ، أو خولة بنت إياس بن جعفر ، ونسبتها إلى بني حنيفة باليمامة ، وقيل كانت أمة لبني حنيفة سندية سوداء . انظر ألقاب الخلفاء بأخبار الخلفاء ، بتحقيق الدكتور الشيال ، والإصابة ٣٠٠ من قسم النساء والمعارف ٩٦ .

والعربية ، حافظاً للحديث والفقه والشعر ، لا يُلحق شأوه . وكان متمسّكاً متعبّداً .

حكى أبو بكر يحيى بن هُذيل التميمى ، أنه توجّه يوماً إلى ضيعة له بسفح جبل قُرطبة ، وهو من بقاع الأرض الطيّبة المونقة ، وصادف ابنَ القوطيّة صادراً عنها . قال : فلما رآنى عرّج علىّ واستبشر بلقائى ، فقلت له على البديهة مداعباً :

من أين أقبلت يا مَن لا شبيهَ له ومَن هو الشمسُ والدُّنيا له فَلَكُ

فتبسّم وأجاب بسرعة :

مِن منزلٍ يُعجبُ النُّسّاكَ خَلْوَتُه وفيه سِتْرٌ عن الفُتّاكِ إن فَتكوا

قال : فما تمالكت أن قبّلت يده . مات فى سنة سبع وستين وثلاثمائة .

٥١ — محمد بن ماجة[١] ، ماجه اسم أمه وهو محمد بن يزيد بن ماجه ، وترجمته مشهورة . الإمام أبو عبد الله الحافظ القزوينى أحد أصحاب الكتب الستّة ودواوين الإسلام .

٥٢ — مسعود بن العجماء ، العجماء اسم أمّه . وهو مسعود بن الأسود ابن حارثة صحابى .

٥٣ — مُعاذ بن عَفراء ، عفراء أمّه ، وهو مُعاذ بن الحارث بن رفاعة النجّارى صحابى .

٥٤ — معوّذ بن عَفْراء ، أخو معاذ . وعفراء هى بنت عُبيد بن ثعلبة صحابى .

٥٥ — مَعقِل بن أم مَعقِل ، وهو معقل بن أبى الهيثم ، ويقال له مَعْقِل بن أبى مَعْقِل الأسدى .

٥٦ — المِقداد بن الأسود ، هو الأسود بن عَبد يغوث ، وهو رجل زُهرىّ

(١) جرى القدماء على نطق أمثال هذه الأسماء بالهاء الساكنة ، ونحوها « سيده » و « منده » ، ولست أرى مبرراً لهذا الالتزام ما دامت تدخل فى نطاق التعريب .

ربّى المقدادَ وتبنّاه فنُسِب إليه . وهو المقداد بن عَمْرو بن ثعلبة بن مالك الكِنْدىّ .

حرف الواو

٥٧ — ورقة بن نوفل بن عبد العُزّى ، ابنُ عمّ خديجة رضى الله تعالى عنها . نَوْفَلٌ هو عمّ خديجة رضى الله تعالى عنها .

حرف الياء

٥٨ — يحيى بن الحنظليّة . الحنظليّة أمّه ، ولم أقف على اسم أبيه ، وهو ممّن بايع تحت الشجرة .

٥٩ — يَعْلَى بن سَيَابة ، وهى اسم أمّه ، وهو يعلى بن مُرّة الثّقفى[1] .

٦٠ — يعلَى بن مُنْيَة[2] وهى أمّه ، وقيل جدّته أمّ أبيه ، وهو يعلى بن أميّة بن عبدة[3] التّميمىّ المكى حليف قريش ، ومن مُسْلِمة الفتح ، وقُتل فى صفّين ، رضى الله تعالى عنه .

٦١ — يُونس بن حبيبَ الأديب الشاعر ، حبيبُ أمّه ، ولم أقف على اسم أبيه ؛ وفيه ستُّ لغات مشهورات : تثليث النون مع الهمز وتركه .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين ، محمد حبيب رب العالمين ، وعلى آله وصحابته والتابعين .

كتبه لنفسه محمد محمود ، ابن التلاميد التركزى ، لطف به آمين .

---

(١) فى الإصابة ٩٣٦٢ : « قال ابن حبان : من قال فى يعلى بن مرة يعلى بن سيابة فقد وهم . ثم قال : يعلى بن سيابة يقال إن له صحبة » .

(٢) فى الإصابة ٩٣٦٠ : « يعلى بن منية ، بضم الميم وسكون النون ، وهى أمه وقيل أم أبيه ، جزم بذلك الدارقطنى . وقال : هى منية بنت الحارث بن جابر » .

(٣) فى الإصابة : « ابن أبى عبيدة » .

فهرس المجموعة الأولى

صفحة

المجموعة الثانية

٥ - كتاب خطبة واصل بن عطاء المعتزلي المتوفى سنة ١٤١.

٦ - كتاب أبيات الاستشهاد لأحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥.

٧ - رسالة في أعجاز أبيات تغني في التمثيل عن صدورها، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفى سنة ٢٨٥.

٨ - كتاب العصا لأبي المظفر أسامة بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤.

٩ - رسالة التلميذ لعبد القادر بن عمر البغدادي المتوفى سنة ١٠٩٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذه هى المجموعة الثانية من (نوادر المخطوطات) التى ألتمس من الله الأيد والعون على أن أمضى فى إخراجها ، مغتبطا بما ظفرت به وما أرجو أن أظفر به ، من تقدير العلماء والأدباء لهذه الفكرة التى تحاول ملء فراغ كان يتخلل المكتبة العربية المنشورة .

وتلقيت رسائل من أطراف العالم العربى والإسلامى ، فيها ثناء وفيها رغبات ملحة ، واقتراحات لنشر كتب ورسائل معينة ، وسأتخذ من هذه الرغبات وهذه الإرشادات نبراساً لى فيما أنا آخذ بسبيله .

وتفضل زميلنا وصديقنا الأستاذ الناقد المحقق (الدكتور شوقى ضيف) فكتب فى مجلة الثقافة (بالعدد ٦٣٤) مقالا نفيسا عرّف فيه تعريفا صادقا بـ(نوادر المخطوطات) وبرسائل المجموعة الأولى . وروى نصا نادرا عن ابن سعيد (فى المغرب) فى شأن أبى الصلت ، أنه « كان قد خرج من إشبيلية ، فصحب بالمهدية ملوكها الصنهاجيين وتوجه فى رسالة إلى مصر فسجن بالقاهرة فى خزانة البنود ، وكان فيها خزائن من أصناف الكتب ، فأقام بها نحو عشرين سنة ، فخرج منها وقد برع فى علوم كثيرة من حديثة وقديمة . . . وإنما حبسه المصريون لأن صاحبه الذى أرسله وهو يحيى بن تميم بن المعز بن باديس — كان قد قطع هو وأبوه اسم الخليفة الفاطمى من الخطبة واستقلا عن مصر . فلم يكرم المصريون رسوله ، بل حبسوه إهانة له وإزراء عليه » .

وعقد كذلك موازنة بين ما ورد فى كتاب «المردفات من قريش» وما ورد فى كتاب « المحبر » لابن حبيب فيما يشبه هذا الموضوع .

وتمكن — حفظه الله — من تكملة عبارة وردت ناقصة فى الأصل فى ص ٢٢ : « وقد تعاور الشعراء . . . الشعاع على صبح . . . » ، إذ وجدها فى الخريدة : « وقد تعاور الشعراء وصف وقوع الشعاع على صفحات الماء » .

وورد فى ص ٢٣ بيتان أشرت إلى أنهما محرفان فوجد صوابهما فى الخريدة :

بشاطئ نهر كأن الزجاج وصفو اللجين به ذوبا
إذا جمشته الصبا بالضحى توهمتـــه زردا مذهبا

فإلى الصديق (الدكتور شوقى ضيف) أزجى صادق الشكر وعظيم التقدير.

وكنت قد اعتزمت أن أنشر فى هذه المجموعة (كتاب عرام بن الأصبغ فى أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى) ، ولكنى علمت أن العلامة (عبد العزيز الميمنى الراجكوتى) قد قام بنشر هذا الكتاب من قبل ، فآثرت أن أؤجل صنعه إلى أن أطلع على نسخته .

وفى النية أن تشتمل المجموعة الثالثة من (نوادر المخطوطات) على (رسالة ابن غرسية فى الشعوبية) والردود عليها .

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ؟

القاهرة فى ٣٠ رجب سنة ١٣٧٠ عبد السلام محمد هارون

كتاب خطبة واصل بن عطاء

٨٠ ـ ١٣١

واصل بن عطاء ـــ تلقيبه بالغزال ـــ هو والجاحظ ـــ عبقرية واصل ـــ لثغته ـــ الراء من أكثر الحروف دوراناً فى العربية ـــ الجاحظ يعقد فصلا للثغة ـــ شهرة لثغة واصل ـــ علة تجنبه للراء ـــ نماذج لمجانبته الراء مما ذكره الجاحظ ـــ نماذج مما ذكره غير الجاحظ ـــ حادث خطبة واصل ـــ تاريخ الخطبة ـــ خطبة واصل فى التاريخ ـــ قيمة هذه الخطبة ـــ شبهها ببعض خطب عصره ـــ ابن زيدون وواصل ابن عطاء ـــ نص الخطبة .

واصل بن عطاء :

ليس أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال ، مولى بنى ضبة أو بنى مخزوم ، فى حاجة إلى أن نسهب فى التعريف به ، فإنه رأس المعتزلة ، وأول إمام قوى دفع مذهب الاعتزال ، وكون الفرقة الأولى من فرق المعتزلة العشرين[1] .

ولم يختلف المؤرخون أنه ولد بمدينة الرسول ، سنة ثمانين للهجرة ، وأنه نزح إلى العراق وأقام بها ، ولزم الحسن البصرى يحضر مجالسه ويقبس من علمه ، إلى أن كان ما كان من قول واصل وصاحبه عمرو بن عبيد بالمنزلة بين المنزلتين ، فكان ذلك سبباً للقطيعة بين الحسن ، و بين واصل وزميله ، وانتقل ميدان الرأى من مجلس العلم إلى الرأى العام ، فكان للاعتزال أنصاره الذين ينضوون تحت لوائه ، وصار مذهباً من المذاهب القائمة .

تلقيبه بالغزال :

وقد اختلف الناس فى تلقيب واصل بالغزال ، فمنهم من زعم أنه كان غزالا ، وأصح القولين أنه إنما لقب بذلك لأنه كان يكثر الجلوس فى سوق الغزالين إلى

(١) هى الواصلية ، والعمرية ، والهذيلية ، والنظامية ، والأسوارية ، والإسكافية ، والجعفرية ، والبشرية ، والمردارية ، وأصحاب عيسى بن صبيح ، والثمامية ، والهشامية ، والجاحظية ، والخياطية ، والكعبية ، والصالحية ، والحائطية ، والحدثية ، والشحامية ، والبهشمية .

أبي عبد الله مولى قطن الهلالي(١) . ويذكرون أنه كان يلازم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء ممن يتردد عليهم ، فيجعل صدقته لهن(٢) . ويذكرون من أمثال ذلك في النسبة بعض الأعلام كخالد الحذاء ، قيل إنه سمي بذلك لأنه تزوج امرأة فنزل عليها في الحذائين فنسب إليها(٣) . وهشام الدستوائي إنما قيل له ذلك لأن الإباضية كانت تبعث إليه من صدقاتها ثياباً دستوائية فكان يكسوها الأعراب الذين يكونون بالجباب(٤) .

هو والجاحظ :

ويدعى أن الجاحظ لم يدرك واصل بن عطاء ، لأن مولد الجاحظ كان في سنة ١٥٠ ووفاة واصل كانت في سنة ١٣١(٥) .

لكن الجاحظ قد أدرك رجلا له صلة بواصل بن عطاء ، هو جعفر بن أخت واصل ، عرفه الجاحظ ، وسمع منه إنشاداً لشعر رواه في كتاب الحيوان(٦) ، كما روى عنه شيئاً من الدعابة في البيان(٧) .

والجاحظ يعجب بواصل وبصحة عقله ، فهو يقول في كتاب الحيوان(٨) عند الكلام على الجن : « لأنهم لم يسلطوا على الصحيح العقل . ولو كان ذلك

---

(١) البيان ١ : ٣٣ والكامل ٦ : ٤ ليبسك .
(٢) الكامل وابن خلكان في ترجمة واصل .
(٣) أي إلى قبيلة الحذائين . البيان ١ : ٣٣ والسمعاني ١٦٠ .
(٤) البيان ١ : ٣٣ .
(٥) لسان الميزان في ترجمة واصل ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣١٣ ومسالك الأبصار (القسم الثاني من الجزء الثامن ص ٤٩٦ من مصورة دار الكتب رقم ٢٥٦٨ تاريخ) وعيون التواريخ لابن شاكر الكتبي مخطوطة دار الكتب المصرية في وفيات ١٣١ ، وكذا شذرات الذهب لابن العماد في تلك السنة ، وفوات الوفيات في ترجمته . وفي أصل معجم الأدباء ٧ : ٢٢٥ مرجليوث ، أنه توفي سنة إحدى و (بياض) ومائة . والذي في وفيات الأعيان أنه توفي سنة ١٨١ . وهو خطأ ظاهر .
(٦) الحيوان ٧ : ٢٠٤ — ٢٠٥ . (٧) البيان ٢ : ٢٣٤ .
(٨) الحيوان ٦ : ١٦٠ .

إليهم لبدءوا بعلى بن أبي طالب ، وحمزة بن عبد المطلب و بأبي بكر وعمر في زمانهم و بغيلان والحسن في دهرهما ، و بواصل وعمرو في أيامهما .

عبقرية واصل :

و يبدو أن واصلا كان على جانب عبقرى من الذكاء وجرأة العقل والقلب . يقول المبرد(١) : « وحدّثت أن واصل بن عطاء أبا حذيفة أقبل في رفقة فأحسوا الخوارج ، فقال واصل لأهل الرفقة : إن هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعونى و إياهم . وكانوا قد أشرفوا على العطب ، فقالوا : شأنك . فخرج إليهم فقالوا : ما أنت وأصحابك ؟ قال : مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله وليعرفوا حدوده . فقالوا : قد أجرناكم . قال : فعلّمونا . فجعلوا يعلمونه أحكامهم وجعل يقول : قد قبلت أنا ومن معى . قالوا : فامضُوا مصاحَبِين فإنكم إخواننا . قال : ليس ذلك لكم . قال الله تبارك وتعالى : « و إن أحدٌ من المشركين استجارك فأجِرْه حتى يسمعَ كلام اللهِ ثم أبلغه مأمنه » ، فأبلغونا مأمننا . فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا : ذاك لكم . فساروا بأجمعهم حتى بلغوهم المأمن .

وهذا الخبر على ما به من أثر الصنعة يطوى وراءه اعترافاً بعبقرية هذا الرجل وزعامته الفطرية . على أن شيئاً مما ذُكر ليس يعنينا لذاته ، و إنما ليلقى ضوءاً على حياة هذا الرجل الذى هو رأس من رؤوس المعتزلة الذين قامت دعوتهم على المناظرة والمجادلة الملحة ، والتى اعتمدت فى أكثر ما تعتمد على الخطابة وعلى البيان ، وعلى الجرأة فى مواقف المخاصمة والمنازعة .

لثغة واصل :

ولكلٍّ حسناء ذامُّها ، فهذا الخطيب واصل ، مع ما رزقه الله من بيان وحسن تصريف القول ، كان صاحب عاهة منطقية عُرِف بها وذاعت بين الناس ،

---

(١) الكامل ٥٢٨ ليبسك . وقد روى هذا الخبر موجزا ابن قتيبة فى عيون الأخبار ١ : ١٩٦ .

وهى لثغة شنيعة كانت تقع له فى حرف الراء فتحرجه فى ذلك أيما إحراج فيتأتى لها بمجانبتها إلى سواها من الحروف ، ويحمل على نفسه فى هذا الأمر ويجهدها فيوفق توفيقاً بالغاً .

قال أحد معاصريه[1] :

ويجعل البر قمحاً فى تصرفه   وجانب الراء حتى احتال للشعر[2]

ولم يطق مطراً والقول يعجله   فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطر

قال الجاحظ : وسألت عثمان البرى : كيف كان واصل يصنع فى العدد ، وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين ، وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر وجمادى الآخرة ورجب ؟ فقال : مالى فيه إلا ما قال صفوان :

ملقن ملهم فيما يحاوله   جم خواطره جواب آفاق

الراء من أكثر الحروف دوراناً :

وقد لحظ الجاحظ ، وهو صادق فيما فطن له ، أن الراء من أكثر الحروف دوراناً فى الكلام العربى ، قال[3] : أنشدنى ديسم قال : أنشدنى أبو محمد اليزيدى :

وخلة اللفظ فى الياءات إن ذكرت   كخلة اللفظ فى اللامات والألف

وخصلة الراء فيها غير خافية   فاعرف مواقعها فى القول والصحف

يزعم أن هذه الحروف أكثر ترداداً من غيرها ، والحاجة إليها أشد . ثم قال الجاحظ : « واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم ، فإنك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد » .

---

(١) البيان ١ : ٢٦ .

(٢) من أسماء الشعر مما ليس فيه الراء « السبد » بالتحريك ، و« القلب » بالضم ، و« اللمة » : ما زاد على الجمة ، و« الخصلة » بالضم : ما اجتمع من الشعر كذلك . انظر المخصص ١ : ٦٢–٦٩ .

(٣) البيان ١ : ٣٢ .

وهذه براعة عجيبة للجاحظ : أن يتجه فكره فى عصره إلى مثل هذه الطريقة التى لم تشهر ولم يعرف الاتجاه إليها فى البحوث اللغوية والأدبية إلا منذ عهد قريب .

الجاحظ يعقد فصلا للثغة :

هذه اللثغة الشنيعة التى كانت تقع لواصل ، هى أقوى الدوافع التى دعت الجاحظ — وهو الذى نصب نفسه مدرهًا للمتكلمين والمعتزلة بوجه خاص ، أن يعقد فى كتابه فصلا طويلا فى اللثغة[1] يبين فيه أنها تقع فى أربعة حروف ، وهى القاف والسين واللام والراء ، ولكلٍّ من هذه الحروف ضروب من اللثغ ولا سيما الراء فإن لها ضروباً أربعة ، إذ تقلب ياء كما يقال فى عمر تمى ، أو عيناً كما يقال عمغ ، أو ذالا فتقول عمذ ، أو ظاء فتقول عمظ ، ثم يخص ضربا لها خامساً بالذكر لا يصوَّر بالكتابة ، وإنما سبيله المحاكاة والنطق ، وهذا الضرب هو الذى كان يعرض لواصل بن عطاء ، ولسليمان بن يزيد . قال الجاحظ فى تلك اللثغة : « فليس إلى تصويرها سبيل » .

وقد وجدت برهان الدين الوطواط فى كتابه غرر الخصائص[2] يزعم أن لثغة واصل « كانت بالظاء أخت الطاء ، على حين لم يعيّن الجاحظ نوعها ، وكأنها كانت حرفاً بين حرفين ، أو مزيجاً من حروف . ولو كانت حرفاً واحدا لبينه الجاحظ ، وهو من أقرب الناس به عهداً ، وأخبرهم به علما .

شهرة لثغة واصل :

قلت : إن لثغة واصل كانت أمراً متعالما ، ذكرها كلُّ من ترجم له ، ونطقت بها آثار الشعراء . فهذا أبو محمد الخازن يقول من قصيدة مدح بها الصاحب إسماعيل بن عباد[3] :

---

(١) البيان ١ : ٣٤ — ٣٧ . (٢) غرر الخصائص ص ١١٤ .
(٣) وفيات الأعيان ، ترجمة واصل ، وكذا مسالك الأبصار ، وقد سبقت الإشارة إليه .

نعم ، تجنّب « لا » يوم العطاء كما ... تجنّب ابن عطاء لفظة الراء

وقال الأرّجاني :

ذا امتعاضٍ أخفى اختلالي عن الرا ... ي كإخفاء واصـــل للراء[1]

وقال : فيما رواه له ابن شاكر في عيون التواريخ ، وليس في ديوانه :

هجر الراء واصل بن عطاء ... في خطاب الورى من الخطباء

وأنا سوف أهجر القاف والرا ... ء مع الضاد من حروف الهجاء

وقال آخر في محبوب له ألثغ :

أعدّ لثغة لو أن واصل حاضر ... ليسمعها ما أسقط الراء واصل[2]

وقال آخر :

أجعلت وصلي الراء لم تنطق به ... وقطعتني حتى كأنك واصلُ

وقال آخر :

فلا تجعلنّي مثـــل همزة واصلٍ ... فيلحقني حذفٌ ولا راء واصلِ[3]

علة تجنّب واصـــل الراء :

هذه العيوب اللسانية التي منها اللُّثغ تعرض لكثير من الناس من يوم خَلَق الله الدُّنيا إلى يومنا هذا ، والناسُ متفاوتون في أقدارها من الشناعة ، ويكادون يتفقون على الرضا بها مع طول العهد ، وألاّ يحاولوا تغيير ما صنع الله ، وإن كان العلم الحديث في وقتنا هــذا يحاول أن يخفّف من حدّتها ، وأن يأخذ بها إلى غير سبيلها ، ولكنّا لم نسمع فيما يروى التاريخ من محاولة عنيدة للعرب من هــذا العيب ، كتلك المحاولة التي أرادها وصل ، وقَسَرَ نفسه عليها ، وذلك باجتثاث

(١) في ديوان الأرجاني ١٣ : « عن الرأي » ، وهو تحريف . وأراد بالاختلال الخلة والحاجة .

(٢) كذا عند ابن خلكان ، وفي غرر الخصائص ١١٤ : « وانقته لو أن واصل حاضر » .

(٣) هذه رواية ابن خلكان ، ولم ينسب البيت . وقد وجدته منسوبا إلى الزعفري في المضنون به على غير أهله ١٢١ طبع ١٩١٥ برواية : « فيسقطني وصل » .

الداء من أصله ، وهو التحرّز من ذلك الحرف الذى يحمل تلك الشناعة ، وهو حرف الراء .

ويوضّح الجاحظ علّة التجاء واصل إلى مجانبة الراء بقوله[١] : « ولما علم واصل بن عطاء أنه ألثغ فاحش اللثغ ، وأن مخرج ذلك منه شنيع ، وأنه إذ كان داعية مقالة ورئيس نحلة ، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل ، وأنه لا بد له من مقارعة الأبطال ومن الخطب الطوال ، وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة ، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة ، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق ، وتكميل الحروف وإقامة الوزن ، وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة كحاجته إلى الفخامة والجزالة ، وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب وتثنى إليه الأعناق ، وتزيّن به المعانى ، وعلم واصلٌ أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة ، كنحو ما أعطى الله تبارك وتعالى نبيه موسى عليه السلام من التوفيق والتسديد . . . . . ومن أجل الحاجة إلى حسن البيان وإعطاء الحروف حقها من الفصاحة — رام[٢] أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه ، وإخراجها من حروف منطقه ، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ، ويناضله ويساجله ، ويتأتّى لستره والراحة من هجنته ، حتى انتظم له ما حاول ، واتّسق له ما أمّل . ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مثلا ، ولطرافته معلما ، لما استجزنا الإقرار به والتوكيد له . ولست أعنى خطبه المحفوظة ، ورسائله المخلدة ، لأن ذلك يحتمل الصنعة ، وإنما عنيت محاجّة الخصوم ، ومناقلة الأكفاء ، ومفاوضة الإخوان » .

---

(١) البيان ١ : ١٤ — ١٥ .
(٢) هذا جواب «لما» التى فى أول النص .

نماذج لمجانبته الراء مما رواه الجاحظ :

ويذكر نموذجاً من مجانبته الراء إذ يقول[١] : وكان واصل بن عطاء قبيح اللثغة شنيعها ، وكان طويل العنق جداً ، ولذلك قال بشار الأعمى :

مالي أشايع غزّالا له عنق كنقنق الدوّ إن ولّى وإن مَثَلا
عنقَ الزرافة ما بالي وبالكم أتكفرون رجالاً أكفروا رجلا

فلما هجا واصلا وصوّب رأي إبليس في تقديم النار على الطين ، وقال :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

وجعل واصلاً غزّالا ، وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : وعلي أيضاً ؟ فأنشد :

وما دون التلاثة أمّ عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا

قال واصل عند ذلك : « أما لهذا الأعمى الملحد المشنّف المكنّى بأبي معاذ من يقتله ، أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية ، لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه ، ويقتله في جوف منزله ، وفي يوم حفله ، ثم كان لا يتولّى ذلك منه إلاّ عقيلي أو سدوسي » .

قال إسماعيل بن محمد الأنصاري ، وعبد الكريم بن روح الغفاري : قال أبو حفص عمر بن أبي عثمان الشمري : ألا تريان كيف تجنّب الراء في كلامه هذا ، وأنتما للذي تريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه ، لا تظنان به التكلف مع امتناعه من حرف كثير الدوران في الكلام . ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول بشار وابن برد والمرعث ، جعل المشنف بدلاً من المرعث ، والملحد بدلا من الكافر ، وقال لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية ، ولم يذكر المنصورية ولا المغيرية لمكان الراء ، وقال : لبعثت إليه من يبعج بطنه ولم يقل لأرسلت إليه ، وقال : على مضجعه ، ولم يقل على فراشه[٢] .

---

(١) البيان ١ : ١٦ ــ ١٧ . (٢) نحو هذا في كامل المبرد والوفيات نقلا عنه .

نماذج مما ذكره غير الجاحظ :

ويسجل له ابن شاكر في عيون التواريخ[1] احتيالاً آخر للراء ، فقد ذكر أنه امتُحِن حتى يقرأ سورة براءة ، فقرأ من غير فكر ولا روية : « عهد من الله ونبيه إلى الذين عاهدتم من الفاسقين . فسيحوا في البسيطة هلالين وهلالين » .

ويذكر ابن العماد الحنبلي[2] أنه دفعت إليه رقعة مضمونها : « أمر أمير الأمراء الكرام أن تحفر بئر على قارعة الطريق فيشرب منها الصادر والوارد » ، فقرأ على الفور : « حكم حاكم الحكام الفخام ، أن ينبش جُبٌّ على جادّة الممشى فيستقي منه الصادي والغادي » .

وهذه الرواية توحي بأن واصلاً كان يشعر بتلك العاهة شعوراً مستبدا تجعله يتجنبُ الوقوع في أشراكها ، وتوحي أيضاً بأن القوم كانوا يداعبونه على ضوئها ، ويتحينون الفرص للتندُّر به وبها[3] .

---

(١) مخطوطة دار الكتب المصرية ، حوادث سنة ١٣١ .

(٢) شذرات الذهب حوادث سنة ١٣١ .

(٣) من طرائف الأدب العربي صور يجري فيها الشعراء على نهج من يحجون به من أصحاب اللثغ . روى ابن شاكر وابن خلكان قول أبي نواس :

وشادن سألته عن اسمه ... فقـال لي بالغنج عباث
بت بباطني سخابية ... وقال لي قد هجع الناث
أما ترى حسن أكاليلنا ... زينها الثرن والآث
فصدت من لثغته ألثغا ... فقلت أين الكاث والطاث

وروى ابن شاكر في عيون التواريخ لابن جمل — وهو شاعر عامي أمي ، ترجم له في فوات الوفيات ، واسمه إبراهيم بن علي — :

يقول وقد داوست عليل تمره . بلثغته حتى أخذت مناقي
سكرت بخمر الخندريس وكأنما تمت وتكرى قد أزاد وثاقي

وروى ابن خلكان للخبز أرزي :

في قلبه درياق لدغ إذا ... أحرق قلبي شدة اللدغ
إذ قلت في ضمي له أين هو ... تفديك روحي قال لا أدغي

حادث خطبة واصل :

كان ذلك حفلا جامعاً حُشِد له أقدر الخطباء وأبرعهم براعة ، وكان ذلك بالعراق ، إذ اجتمع عِلْيةُ القوم والناسُ ليشهدوا حفلا عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز[1] والى العراق ، تبارى فيه هؤلاء الخطباء ، وهم خالد بن صفوان ، وشبيب بن شيبة ، والفضل بن عيسى ، وواصل بن عطاء ، وتناوبوا القول على المنبر على هذا النظام ، فانتزع خالد وشبيب والفضل قبله إعجاب القوم انتزاعا ، فهم كانوا سادة الخطباء في ذلك الزمان ، وهم كانوا قد أعدُّوا خطبهم من قبل وحبَّروها ونمقوها وما إن فرغ الثلاثة حتى نهض واصل يتهدر ، وبداهته تملى ، بخطبة ارتجلها ارتجالا ، واقتضبها اقتضاباً ، وأطال فيها إطالة[2] ، وحرص كل الحرص على أن ينزع الراء منها ، ففاق إعجابُ الناس والوالى بواصل بن عطاء إعجابهم بالثلاثة قبله ، وأظهر الوالى الصِّلات ، فأجزل صلاتِ الثلاثة قبله ، ثم ضاعف لواصل الصلة تقديراً لعبقريته الخطابية النادرة .

وقد سجّل شاعران معاصران لواصل هذا الحادث تسجيلا صادقاً ، أحدهما بشار ، يقول فى كلمة له :

---

(١) عبد الله هذا هو صاحب نهر ابن عمر ، حفره بالبصرة . انظر معجم البلدان . وكان واليا ليزيد بن الوليد عبد الملك على العراق ، ولاه إياها بعد عزل منصور بن جمهور ، وذلك سنة ١٢٦ . وقد ظل فى ولايته على العراق فى فترة مليئة بالفتن والأحداث حتى قبض عليه يزيد بن عمر بن هبيرة ، من قبل مروان بن محمد آخر الأمويين ، وذلك فى سنة ١٢٩ . وكانت وفاته فى سنة ١٣٢ كما فى النجوم الزاهرة . وأما يزيد بن الوليد هذا فهو الذى كان يقال له « يزيد الناقص » لنقصه أعطية الجند ، وهو الذى ثار على ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخليفة الماجن ، ودعا إلى خلعه ، فاستجابت له اليمن وبايعوه ، وقتلوا الوليد ، وذلك فى جمادى الآخرة من سنة ١٢٦ . وتوفى يزيد فى السنة نفسها فى ذى الحجة . تاريخ الطبرى حوادث ١٢٦ ــ ١٢٩ . ويذكر الطبرى فى تاريخه ٩ : ٤٦ والمسعودى فى مروج الذهب ٣ : ٢٣٤ أن يزيد بن الوليد كان يذهب إلى قول المعتزلة .

(٢) قال الجاحظ : لأنه كان مع ارتجاله الخطبة التى نزع منها الراء كانت مع ذلك أطول من خطبهم .

أبا حذيفة قد أوتيت معجبةً   في خطبة بدهتْ من غير تقدير
وإن قولاً يروق الخالدَين معا   لمسكت مخرسٌ عن كل تحبير(١)

وقال بشار أيضاً :

تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا   وحبّروا خطباً ناهيك من خطب
فقام مرتجـــلا تغلي بداهته   كمرجل القين لما حُفّ باللهب
وجانبَ الراء لم يشعر بها أحد   قبل التصفح والإغراق في الطلب

وقال أيضاً :

فهذا بديهٌ لا كتحبير قائل   إذا ما أراد القول زوّره شهراً

والشاعر الآخر المعاصر هو صفوان الأنصاري ، يقول في كلمة له :

فسائلْ بعبد الله في يوم حفله   وذلك مقام لا يشاهده وغــدُ
أقام شبيباً وابن صفوانَ قبله   بقول خطيبٍ لا يجانبه القصد
وقام ابنُ عيسى ثم قفّاه واصل   فأبدع قولاً ما له في الورى ندُّ
فما نقصته الراء إذ كان قادراً   على تركها واللفظ مطّرد سَرْد
ففضّل عبد الله خطبةَ واصـلٍ   وضوعف في قَسم الصلات له الشُّكْد
فأقنع كلٌّ القوم شكر حبائهم   وقلّل ذاك الضعف في عينه الزهدُ

تاريخ الخطبة :

ويمكننا أن نعين تاريخ هذا الحفل الذي خطب فيه واصل أنه كان ما بين جمادى الآخرة من سنة ١٢٦ إلى سنة ١٢٩ كما يتضح من التحقيق الذي أشرت إليه في الحواشي قريباً ، إذ أنه المدة المقدورة التي قضاها عبد الله بن عمر بن

---

(١) يعني بالخالدين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة ، كما في حواشي أبي ذر الخشني على البيان والتبيين ، وهذا على ما يسمونه التغليب .

عبد العزيز فى ولاية العراق . والأرجح أنه كان فى الشهور الأولى من هذه الفترة حيث كان المألوف والمتبع أن يجتمع الناس للاحتفاء بالوالى وتكريمه .

خطبة واصل فى التاريخ :

اكتسبت خطبة واصل هذه شهرة تاريخية ، وليس من أديب شادٍ إلا وهو يعرف هذه الشهرة ، ولسنا نجد فى الكتب المطبوعة نصاً كاملا محققا لخطبة واصل ، إلا ماورد محرفا منقوصاً فى كتاب مفتاح الأفكار ، للشيخ أحمد مفتاح ، وأدبيات اللغة العربية [1] . والمؤرخون الذين ترجموا لواصل يذكرون فى ثبت كتبه القلية « كتاب خطبة واصل » . وأقدم من ذكرها ابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ فى الفهرست [2] ، ذكرها فى ثبت مرويات أبى الحسن على بن محمد المدائنى . ويبدو أن المؤرخين لم يعنُوا بكلمة « كتاب » تلك الصورة التى نعرفها من الضخامة ، وإنما يعنون معناها اللغوى البحت ، وهو المكتوب مهما يكن مقداره .

ولقد قام الأستاذ الكبير « أحمد زكى صفوت » الأستاذ بكلية دار العلوم ، بعمل تأليفى ضخم ، ضمّ به أشتات خطب العرب فى كتابه جمهرة خطب العرب ، ووقع تحت يده الكثير من أمهات كتب الأدب المخطوط منها والمطبوع ، فظفر بنصوص نادرة لخطب المشارقة والمغاربة ، ووقع تحت عينه كثير مما غاب عن أبصار غيره ، ولكنه لم يظفر — حفظه الله — بنص هذه الخطبة إلا فى كتاب مفتاح الأفكار [3] .

وعند ما قمت بتحقيق كتاب البيان والتبيين حاولت أن أعثر على هذا النص مخطوطاً ، فلم أجد إلا خبراً فى « مخطوطات الموصل » للدكتور داود جلبى ، إذ ورد فى ص ٢٠٨ أن نسخة من هذه الخطبة محفوظة فى مكتبة مدرسة النبى شيث

(١) مفتاح الأفكار ٢٧ — ٢٢٦ طبع ١٣١٤ ، وأدبيات اللغة العربية ٢١٢ — ٢١٤ طبع ١٩٠٦م .
(٢) الفهرست ١٥٢ .
(٣) جمهرة خطب العرب ١ : ٤٨٢ — ٤٨٤ .

بالموصل ، فطلبت إلى أحد العراقيين من طلبتي بكلية الآداب بجامعة فاروق حينا كنت أقوم بالتدريس فيها ، أن يستنسخ لي صورة منها فلم يوفق . وعند ما أوشكت أن أتم طبع نسختي من البيان والتبيين وقفت على شريط منه من مخطوطات تركيا التي اجتلبها معهد المخطوطات بالجامعة العربية ، وهي نسخة مكتبة (فيض الله) ، فحصلت على صورة منه ، ووجدت في نهاية النسخة ورقة ملحقة ، بها نص كامل لخطبة واصل ، بخط كاتب النسخة ، وهو محمد بن يوسف اللخمي ، كتب النسخة سنة ٥٨٧ وقرأها على الإمام أبي ذر الخشني ، فكان سروري بهذا النص النادر أشد من سروري بتلك النسخة العتيقة من كتاب البيان والتبيين . ولكني مع ذلك لم أقنع بهذا الظفر ، فجعلت أقلب في كتاب مسالك الأبصار ، وهو من أكبر الموسوعات الأدبية التاريخية الجديرة بالنشر ، فوجدت نسخة من الخطبة بها قليل من التحريف ، فاعتمدت على هاتين النسختين في نشر هذه التحفة ، التي يضاعف من سروري أن أكون أول ناشر لها نشرا علميا مقرونا بدراسة أدبية تاريخية .

قيمة خطبة واصل :

تستمد خطبة واصل قيمتها من الظروف التي أحاطت بها ، وقد سردتها في تضاعيف ما مضى من الكلام . ولسنا بحاجة إلى أن نعيد القول في أن خطبة طويلة تقال ارتجالا واقتضابا في مقام رهيب ، ويقتدر صاحبها على الاستغناء عن حرف هو من أكثر الحروف دورانا في الكلام[1] على حين أنها خطبة تتسم بطابع ديني ، وتقتبس فيها معاني القرآن وأساليبه ونصوصه ، فلا يفر صاحبها من أن يزود خطبته بذلك الزاد ، ولكنه يفرّ في حذق من ألفاظ معينة إلى مرادف لها — كل أولئك إنما ينبئ عن قدرة فنية لا تتأتى إلا للأفذاذ من الخطباء ، فهو

---

(١) حفظ لنا التاريخ بعض الخطب التي نزعت منها حروف معينة ، كخطبة أحمد بن علي بن الزيات المالقي المتوفى سنة ٧٢٨ فقد نزع منها (الألف) أولها : « حمدت ربي جل من كريم محمود ، وشكرته عز من عظيم معبود » ، ولكنها لم تكن مرتجلة كخطبة واصل . انظر الإحاطة ١ : ١٤٤ وجمهرة خطب العرب للأستاذ صفوت ٣ : ٢٢٦ .

حين يريد أن يقول « أعوذ بالله القوى من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم » يقول : أعوذ بالله القوى ، من الشيطان الغوىّ ، بسم الله الفتاح المنان » . وإذا أراد أن يتلو سورة كاملة من الكتاب قرأ سورة الإخلاص لخلوها جميعها من الراء . وحين يريد أن يقتبس من القرآن الكريم : « وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما » يقول : « لا يعجزه زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ما خلق » . وإذا أراد أن يقول : « لا يعزب عنه مثقال ذرة » قال : « مثقال حبة » ، وإذا أحب أن يقتبس من قوله تعالى : « أصبحوا لا تُرى إلا مساكنهم[1] » قال : « أصبحوا لا تعاين إلا مساكنهم » . وإذا طلب أن يقول : « فبلغ رسالة » قال : « فبلغ مألكته » . . . . إلى كثير من أشباه هذا .

والخطبة كذلك تقدم لنا نموذجا من خطب القرن الثانى الهجرى ، من الخطب التى تجنبت السياسة والدعوة السياسية ، وتجنبت فتن المذاهب والدعوة المذهبية ، فهى نموذج لخطب الوعظ الخالص[2] . ابتدأها بحمد الله والثناء عليه[3] ، ثم ثنى بالشهادتين فى إسهاب طيب ، وعقب على ذلك بالصلاة على الرسول الكريم مثنيا عليه ، ثم حث على التقوى والطاعة ، ومال بعد ذلك إلى التحذير من مفاتن الدنيا والتهوين من شأن من أطاعتهم الدنيا وأغدقت عليهم ثم صاروا من بعدُ هاماً وأحاديث . ثم دعا نفسه والناس أن يكونوا ممن ينتفع بالموعظة الحسنة ، ثم نوه بفضل القرآن وتلا ما تيسر له منه ، بعد أن أجرى الاستعاذة والبسملة أيضا على أسلوبه الذى يجانب الراء .

(1) هذه إحدى القراءات فى الآية ، وهى الخامسة والعشرون من سورة الأحقاف . انظر كتب القراءات والتفسير فيها .

(2) كان واصل كما يروون على جانب من الزهد والتقوى ، روى له الجاحظ فى البيان ٣ : ١٩٦ قوله : « المؤمن إذا جاع صبر ، وإذا شبع شكر » ، وروى صاحب الأغانى ٣ : ٤٠ : « كان واصل بن عطاء يقول : إن من أخدع حبائل الشيطان وأغواها ، لكلام هذا الأعمى الملحد » ، يعنى بشاراً وما كان يقول من غزل ومجون فاجر .

(3) كان هذا أمراً محتماً فى كل خطبهم فى ذلك العصر ، وكانوا يعدون الخطبة الخالية من هذا أمراً شنيعاً ، حتى لقد سموا خطبة زياد التى لم يحمد فيها تلك خطبة بتراء .

وشيء آخر يلمع لنا من ثنايا الخطبة ، فهذه الخطبة التي هي أشبه ما تكون بخطبة تقال في يوم الجمعة قد قيلت في مناسبة رسمية كما يقولون ، وكان من المتوقع فيها أن يثني القوم على الأمير ويذكروا فضله وآلاءه ، وينوهوا بيُمن عهده وازدهار أيامه ، ولكن يبدو أن الطابع الديني كان غلاباً في ذلك الزمان ، والرهبة الدينية كانت لا تزال في قوتها وسلطانها ، فإن القوم كانوا ينتهزون مختلف الفرص ليقوموا بواجب التذكير والوعظ ، والإرشاد والهداية .

والناظر في خطب هذه الفترة يجد شبهاً كبيراً بين هذه الخطبة وخطبة عمر ابن عبد العزيز[1] ، وكذا بينها وبين خطبة سليمان بن عبد الملك[2] ، اجتمع فيها كلها التحذير من مفاتن الدنيا ، وتصوير نهاية الأحياء في ذل وهوان ، كما اشتملت على التنويه بفضل القرآن والحث على اتباع آيه وهديه ، كما اتفقت في الأسلوب المبني على المزاوجة ، وظهور السجع اليسير في غير ما تعمل .

ابن زيدون وواصل بن عطاء :

هما موقفان تاريخيان ، أما موقف واصل فقد ألقيَ الضوء عليه ، وأما موقف ابن زيدون فهو ذلك الموقف البياني الحرج الذي وقفه عند منصرَف الناس عظمائهم وكبرائهم من جنازة ابنته التي واراها التراب ، إذ نهض ونهض معه بيانُه يشكر لهذا بقول غير ما يقوله لذاك ، فيقولون : إنه ما أعاد في ذلك الوقت عبارةً لأحد ، وهو عجيب حقا في ذلك الظرف الذي يغيض معه البيان ، ويعزُب اللسان .

قال الصفدي : « وهــذا من التوسع في العبارة ، والقدرة على التفنن في أساليب الكلام[3] ، وهو أمر صعب إلى الغاية ، وأرى أنه أشقّ مما يحكى عن واصل بن عطاء ، أنه ما سُمعت منه كلمة فيها راء ، لأنه كان يلثغ بحرف الراء لثغة

---

(١) عيون الأخبار ٢ : ٢٤٦ .
(٢) عيون الأخبار ٢ : ٢٧٤ .
(٣) نفح الطيب ٢ : ٢٨٣ طبع ليدن . وقد نص المقري أنه نقل كلام الصفدي ملخصاً .

قبيحة . والسبب في تهوين هذا الأمر وتهوينه أن واصل بن عطاء كان يَعدِل إلى ما يرادف تلك الكلمة مما ليس فيه راء ، وهذا كثير في كلام العرب ، فإذا أراد العدول عن لفظ فرس مثلا قال : جواد أو سابح أو صافن ؛ أو العدول عن رمح قال : قناة أو صعدة أو يَزَنى أو غير ذلك ، أو العدول عن لفظ صارم قال : حسام أو لهذم أو غير ذلك . وأما ابن زيدون فأقول في حقه : أقل ما كان في تلك الجنازة وهو وزير ألفُ راثٍ ممن يتعين عليه أن يتشكّر له ويُضطرّ إلى ذلك ، فيحتاج في هذا المقام إلى ألف عبارة مضمونها التشكّر . وهذا كثير إلى الغاية من محزون فَقَدَ قطعةً من كبده » .

والناقد يقف في الموازنة بين الموقفين في شيء من الحيرة ، ثم يجزم بأن المقايسة بينهما مقايسة مع الفارق كما يقولون ، فإن موقف واصل واضح ، ظروفه معينة ونصوصه حاضرة ، ولا كذلك موقف ابن زيدون فقد يكون تطرقت إليه المبالغة في الرواية . ولم يذكر الرواة لنا شيئاً من تلك الأقوال التي غاير بينها ، ولم يذكروا لنا عددها ، وقد تكون قليلة العدد ولكنها المهارةُ التي أديرت بها تخيل للسامع أنها مئات العبارات ، فإن السامع لا يكاد يعي وعيا تاما ما سمعه منذ لحظات إلا إن وقف موقف التسجيل والانتباه المتفرغ . على أن احتمال الإعداد والتهيئة فيها قريب ، وليس كذلك خطبة واصل التي اتفق الرواةُ وسجّل الشعر أنها كانت وليدة ارتجال وبداهة .

ومهما يكن فإن غايتنا من هذا التقديم المسهب أن نُظفِر الأدباء الذين لبثوا دهرا في لهفة دائبة إلى قراءة خطبة واصل محققة ، بنصها الكامل فيما يلي :

هذه خطبة واصل بن عطاء

التى جانب فيها الراء

الحمد لله القديم بلا غاية ، والباقى بلا نهاية ، الذى علا فى دنوّه ، ودنا فى علوّه ، فلا يحويه زمان ، ولا يحيط به مكان ، ولا يؤوده حفظ ما خَلَق ، ولم يخلقه على مثالٍ سبق ، بل أنشأه ابتداعا ، وعدّله اصطناعا ، فأحسن كُلَّ شىء خلقه وتمّ مشيئته ، وأوضح حكمته ، فدلّ على ألوهيّته ، فسبحانه لا معقّب لحكمه ، ولا دافع لقضائه تواضع كلُّ شىء لعظمته ، وذلّ كلُّ شىء لسلطانه ، ووسِع كلَّ شىء فضلُه ، لا يعزُب عنه مثقال حبّةٍ وهو السميع العليم . وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا مثيل له[1] ، إلٰهًا تقدست أسماؤه ، وعظمت آلاؤه ، علا عن صفات كلِّ مخلوق ، وتنزّه عن شبه كل مصنوع ، فلا تبلغه الأوهام ، ولا تُحيط به العقول ولا الأفهام ، يُعصَى فيحلُم ، ويُدعَى فيَسمع ، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون . وأشهد شهادةَ حقٍّ ، وقولَ صدق ، بإخلاص نية ، وصدق طويّة[2] ، أنّ محمد بن عبد الله عبده ونبيه ، وخالصتُهُ وصفيّه ، ابتعثه إلى خلقه بالبيّنات[3] والهدى ودين الحق ، فبلّغ مألُكته[4] ، ونصح لأمّته ، وجاهد فى سبيله ، لا تأخذه فى الله لومةُ لائم ، ولا يصدّه عنه زعم زاعم ، ماضيًا على سنّته ، موفيًا على قَصْده ، حتى أتاه اليقين . فصلّى الله على محمد وعلى آل محمد أفضل وأزكى ، وأتم وأنمى ، وأجل وأعلى صلاةٍ صلاّها على صفوة أنبيائه ، وخالصة ملائكته ، وأضعافَ ذلك ، إنه حميد مجيد .

أوصيكم عبادَ الله مع نفسى بتقوى الله والعمل بطاعته ، والمجانبة لمعصيته ،

---

(١) لا مثيل له ، ساقطة من مفتاح الأفكار والأدبيات والجمهرة . وفى مسالك الأبصار : « لاشريك له » ، تحريف . (٢) فى مسالك الأبصار وجميع المطبوعات : « وصحة طوية » . (٣) فى المفتاح والأدبيات وجمهرة خطب العرب : « بالبينة » . (٤) المألكة : الرسالة .

فاحضّكم[١] على ما يدنيكم منه ، ويزلفكم لديه ، فإن تقوى الله أفضل زاد ، وأحسن عاقبة في معاد . ولا تلهينّكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها ، وفواتن لذّاتها ، وشهوات آمالها ، فإنها متاعٌ قليل ، ومدة إلى حين ، وكلّ شيء منها يزول . فكم عاينتم من أعاجيبها ، وكم نصبت لكم من حبائلها ، وأهلكت ممن جنح إليها واعتمد عليها ، أذاقتهم حلوا ، ومزجت لهم سمّا . أين الملوك الذين بنوا المدائن ، وشيدوا المصانع ، وأوثقوا الأبواب ، وكاثفوا الحجاب ، وأعدّوا الجياد ، وملكوا البلاد ، واستخدموا التلاد ، قبضتهم بمخلبها[٢] ، وطحنتهم بكلكلها ، وعضّتهم بأنيابها ، وعاضتهم من السعة ضيقا ، ومن العز ذُلّا[٣] ، ومن الحياة فناء ، فسكنوا اللحود ، وأكلهم الدود ، وأصبحوا لا تُعاين[٤] إلا مساكنهم ، ولا تجد إلا معالمهم ، ولا تحسّ منهم من أحدٍ ولا تسمع لهم نبسا . فتزوّدوا عافاكم الله فإن أفضل الزاد التقوى ، واتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون . جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه ، ويعمل لحظّه وسعادته ، وممّن يستمع[٥] القول فيتّبع أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب . إن أحسن قصص المؤمنين ، وأبلغ مواعظ المتقين كتابُ الله ، الزكية آياته ، الواضحة بيناته ، فإذا تلي عليكم فاستمعوا له[٦] وأنصتوا لعلكم تهتدون[٧] .

أعوذ بالله القوي ، من الشيطان الغويّ ، إن الله هو السميع العليم . بسم الله الفتاح المنان[٨] . قل هو الله أحد[٩] ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

---

(١) في المسالك والمطبوعات : « وأحضكم » . (٢) في جميع المطبوعات : « بمعضلها » تحريف .
(٣) في المسالك : « ومن العزة » .
(٤) في المسالك والمطبوعات : « لا ترى » تحريف .
(٥) في المسالك : « يسمع » .
(٦) في المسالك : « فاسمعوا له » ، وفي المطبوعات : « فأنصتوا له واسمعوا » .
(٧) في المطبوعات : « لعلكم تفلحون » .
(٨) بسم الله الفتاح المنان ، ساقطة من المسالك ومن جميع المطبوعات .
(٩) ما بعده إلى تمام السورة ساقط من المسالك .

نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم ، وبالآيات والوحي المبين ، وأعاذنا وإياكم من العذاب الأليم . وأدخلنا وإياكم جنات النعيم [١] . أقول ما به أعظكم ، وأستعتب الله لي ولكم .

(١) إلى هنا ينتهي النص في جميع المطبوعات .

كتاب أبيات الاستشهاد

لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي

٠٠٠ — ٣٩٥

مقـــدمة

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي ، إمام لغوي جليل ، وأديب ذو زعامة أدبية ، وشاعر رقيق الشعر ، ومؤلف صاحب ابتكار وتجديد في التأليف.

فهو بين اللغويين في رتبة أصحاب الصحاح من المحدثين ، لايورد في كتبه إلا صحيح من لغات العرب ، وهو صاحب «المجمل» ذي الشهرة الذائعة ، وهو صاحب «مقاييس اللغة» الذي يقوم ناشر نوادر المخطوطات بتحقيقه ، وهو المعجم اللغوي الذي لم يؤلف قبله ولا بعده في موضوعه ، وهو القياس اللغوي . ونظير هذا المعجم الفذ في ندرته معجم «أساس البلاغة» للزمخشري ، الذي لم يؤلف قبله ولا بعده في موضوعه ، وهو مجاز اللغة . وهذان المعجمان مفخرتان من مفاخر التأليف الشرقي الإسلامي .

وهو بين أدباء عصره ، إذ يتنازعه بلاط آل بويه ، وحضرة الصاحب بن عباد ، ويجتذبه آل العميد ، معترف له بالزعامة الأدبية ، يقول فيه الصاحب بن عباد : « شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف ، وأمن فيه من التصحيف » . ويروى له الثعالبي في يتيمة الدهر رسالة قيمة في النقد(١) كما يروى ياقوت مساجلة أدبية بينه وبين عبد الصمد بن بابك(٢) .

وقد أوردت في مقدمة مقاييس اللغة طائفة من مختار شعره تنبئ عن رقة وشاعرية ممتازة ، كما أوردت له نحو أربعين مصنفاً تدل عنوانات كثير منها على ابتكاره وتجديده في التصنيف والتأليف . ولكني لم أذكر بينها « أبيات الاستشهاد » إذ لم أكن قد عثرت عليها بعد ، ولم يذكرها أحد من مؤلفي التراجم ولا واضعي فهارس المصنفات قديمها وحديثها . وقد يكون هو كتاب « ذخائر الكلمات » الذي ورد في مقدمة مقاييس اللغة ص ٢٩ .

ومهما يكن فإن موضوع هذا الكتاب واضح ، وهو ذكر الأبيات التي تصلح للتمثل بها في مضارب مختلفة ، أو هو الأمثال الشعرية مع ذكر مضاربها . وقد ساق ذلك في أسلوب أدبي . ويبدو أنه كان لابن فارس عناية خاصة بالأمثال ، إذ وضع كتاباً آخر سماه « أمثلة الأسجاع » .

وأصل أبيات الاستشهاد نسخة فذة في العالم ، مودعة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ٤٤٥ أدب ، وهي رديئة الخط تقع في نحو اثنتي عشرة صفحة ، عانيت كثيراً في قراءتها وفي نسبة أبياتها التي قضى الذوق الأدبي لابن فارس أن يجردها من نسبتها ، فوفقت في أكثر ذلك وغاب عني نسبة القليل .

(١) يتيمة الدهر ٣ : ٢١٤ — ٢١٨ . (٢) انظر نهاية ترجمته في معجم الأدباء .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام أبو الحسين أحمد بن فارس النحوي اللغوي :

بلغنا أنّ رجلا من حَمَلة الحجّة ، ذا رأيٍ سديد ، وهمة بعيدة ، وضِرس قاطع[1] ، قد أعدّ للأمور أقرانها[2] ، بلسانٍ فصيح ، ونَهْج مليح ؛ وكان إذا رأى ذا مودّةٍ قد حال عما عهدَه ، أنشدَه :

ليس الخليلُ على ما كنتَ تعهدُه   قد بدّل الله ذاكَ الخِلّ ألوانا

وإذا رأى محدّثه [عابساً] أنشد :

يا عابساً كلّما طالعتُ طلعته   كأنّ مجلسَه من ذَرَق حمّاه[3]

وإذا رأى واحداً يُحسِن[4] عند الإحسان عليه ، ويُسيء القولَ إذا شُغل عن الإحسان إليه أنشد :

هو كالكلب إذا ما أشبعتَه   طاب نفساً وإذا ما جاع هَرّ

وإذا رأى رجلاً راضيا بقليلٍ يصونُ وجهَه عن السؤال أنشد :

وإنّ قليلاً يستر الوجه أن يُرَى   إلى الناس مبذولاً لغيرُ قليلِ

وإذا حُجِب عن باب دار قد أحسن إليه صاحبُها أنشد :

إني رأيت بباب دارك جفوةً   فيها لِحُسن فَعالكم تكدير[5]

---

(١) ذو ضرس قاطع ، أي ماضٍ في الأمور نافذ العزيمة .

(٢) الأقران : جمع قرن ، بالتحريك ، وهو الحبل يجمع به البعيران ، أو جمع قرن بالكسر ، وأصله كفء الإنسان في الشجاعة ، أو الكفء مطلقا .

(٣) الذرق : النجو . والحماه : الاست . وفي الأصل : « ذرق حماه » .

(٤) في الأصل : « يحسن به » .

(٥) لجحظة البرمكي كما في ديوان المعاني ١ : ١٦٣ برواية : « لكن رأيت » .

وإذا رأى بشاشةً في وجه مُضيف أنشد :

يُسَرُّ بالضَّيف إذا رآه   سُرور صادٍ وَرَدَ الماء

وإذا رأى رجلاً مقلاً سخياً أنشد :

وليس الفتى المعطى على اليُسر وحدَه

ولكنّه المعطى على اليسر والعسر

وأبلغ منه قوله :

ليس العطاء من الكريم سماحةً   حتى يجودَ وما لديه قليـــل[1]

وإذا شم رائحةً كريهة من جليسه أنشد :

لَقوسُ سليمٍ حين يُرسِل سهمَه   أشدُّ على الآناف من قوس حاجبِ[2]

وإذا رأى أناساً لا خير فيهم أنشد :

لا تُغْرِ الأبناءَ في فِعلهمْ   لو سادَ آباؤهُمْ سادوا

وإذا عارضه في كلامه أحدٌ أنشد :

ويعترض الكلامَ وليس يدرى   أسعدُ اللهِ أكثرُ أم جُذامُ[3]

---

(١) الفتح الكندي . حماسة أبي تمام ٢ : ٢٤٣ والصنوبري على غير أعلاه ٥٦ ، وإنشاده فيهما :

ليس العطاء من الفضول سماحة   حتى تجود وما لديك قليل

(٢) قوس حاجب مضرب المثل في العزة ، وهو حاجب بن زرارة التميمي ، ومن خبر قوسه أنه أتى كسرى في جدب أصابهم بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يأذن له ولقومه في دخول الريف من بلاده حتى يحيوا ويمتاروا ، فقال لهم كسرى : إنكم معشر العرب قوم غدر ، فإذا أذنت لكم أفسدتم بلادي وأغرتم على رعيتي . فقال حاجب : أنا ضامن للملك ألا يفعلوا . قال : فمن لي بأن تفي ؟ قال : أرهنك قوسي . فضحك من حوله ، فقال كسرى : إنه لا يتركها أبداً ، وقبلها منه وأذن له في دخول الريف . انظر ثمار القلوب للثعالبي ٥٠١ .

(٣) سعد الله ، هم بنو سعد بن بكر الذين استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظئره حليمة السعدية منهم ، وهم مخصوصون من بين قبائل العرب بالفصاحة وحسن البيان ، وفيهم يقول رسول الله : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ، ونشأت في بني سعد بن بكر ، فأنى يأتيني اللحن » . وجذام قبيلة أخرى : من أمثال العرب : أسعد الله أكثر أم جذام . =

وإذا جالس قوماً ليلةً بمجالسة أهل الأدب ثم جاء الفجر أنشد :

بِتْنَا بأنعمِ ليــــلةٍ وألذِّها   لو لم تُنَغَّصْ بالفراقِ من الغدِ

وإذا وعده رفيقٌ له بالسفر في غد أنشد :

لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً به   إن كان تَرحالُ الأحِبَّةِ في غدِ(١)

وإذا تألم من عشيره وصديقه أنشد :

ولي صاحبٌ مرُّ المذاقِ كأنما   أضمُّ إلى نحري به حدَّ مُنصُلِ(٢)

وإذا عاتب ذا قرابة له أنشد :

بِمَ استجزتَ اطِّراحي والصَّريمةَ لي   وأنتَ لحمي وإن لم تُدْعَ لي ودَمِي(٣)

وإذا عاتب مَن أخلف وعده أنشد :

سألتك حاجةً فوعدتَ فيها   جميلاً ثم نِمْتَ عن الجميلِ

وإذا لم يعجبه إنسان أنشد :

قد رأيناكَ فما أعجبتنـا   وبلوناكَ فلم نرضَ الخُبُرْ(٤)

= وما حياتي بنفسها تفتل لا يفني إلا على جاهل لا يعرف شيئاً. وقال أبو عبيد : يروى عن جابر بن عبد العزيز العامري ، وكان من علماء العرب ، أن هذا المثل قاله حزة بن الضليل البلوى لروح بن زنباع الجذامي :

قد أكلت حتى لست تدري   أسعد الله أكثر أم جذام

الميداني ٢ : ١٢٧ وثمار القلوب ٣٦ . وأنشد في ثمار القلوب للصاحب إسماعيل بن عباد :

كثبت وقد سبت عقل الدام   وساعدني على الشرب الندام
وأسرفنا فما ندري لسكر   أسعد الله أكثر أم جذام

(١) البيت للنابغة الذبياني ، من قصيدته التي مطلعها :

من آل مية رائح أو مغتدي   عجلان ذا زاد وغير مزود

والرواية المشهورة : « إن كان تفريق الأحبة » .

(٢) المنصل ، بضم الميم مع ضم الصاد وفتحها : السيف .

(٣) الاستجازة : أن يعد الأمر جائزاً مقبولاً . وفي الأصل : « استخرت » تحريف . والصريمة : القطيعة .

(٤) الخبر ، بالضم : الاختبار والعلم بالشيء ، وضم الباء للشعر . والبيت في محاضرات الراغب ١ : ١٣٦ ، وسمع هو لصة فيه ٢ : ٨٩ .

وإذا هجاه أحدٌ أنشد :

وما كُلُّ كلبٍ نابحٍ يستفزُّنى   ولا كلَّما طَنَّ الذباب أُراعُ[١]

وإذا أحسَّ بتقصيرٍ فى سياسة أمير رعيته ، نسب الأمرَ لوزيره ، [و] أنشد :

إذا غَفَل الأميرُ عن الرعايا   فإنَّ العتب أولى بالوزيرِ

لأنَّ على الوزير إذا تولَّى   أمورَ الناس تذكيرَ الأميرِ

وإذا ذُكِر له كِبرُ سنِّه أنشد :

إنَّ الحسام وإنْ رثَّتْ مضاربُه   إذا ضربتَ به مكروهةً فَصَلا[٢]

وإذا أثنى على محسن أنشد :

فعاجُوا فأثنَوا بالذى أنت أهلُه   ولو سكتوا أثنَتْ عليك الحقائبُ[٣]

وإذا رأى من والٍ إساءةً عَلَى من وَلِيَ عليه أنشد :

وكنا نستطبُّ إذا مَرِضنا   فصار سَقامُنا بيد الطبيبِ[٤]

---

(١) البيت فى مجالس ثعلب ٤٠٣ ومحاضرات الراغب ١ : ١٣٥ بدون نسبة أيضاً .

(٢) رثت مضاربه : أخلقت وثلمت . مكروهة : أى ضربة مكروهة شديدة . ويقال للسيف الذى يمضى على الضرائب الشداد لا ينبو عن شىء منها « ذو الكريهة » .

(٣) البيت لنصيب ، كما فى البيان ١ : ٨٣ ومجموعة المعانى ٩٦ والوساطة ١٨٠ والكامل ١٠٤ ليبسك . قال المبرد : « وفضل نصيب على الفرزدق : أنشدنى — وإنما أراد أن يمدحه مدحاً له — فأنشده :

وركب كأن الريح تطلب عندهم   لها ترة من جذبها بالعصائب

سروا يخبطون الريح وهى تلفهم   إلى شعب الأكوار ذات الحقائب

إذا آنسوا نارا يقولون ليتها   وقد خصرت أيديهم نار غالب

فأعرض سليمان كالمغضب ، فقال نصيب : يا أمير المؤمنين ، ألا أنشدك فى رويها ما لعله لا يتضع منها . فقال : هات . فأنشده :

أقول لركب صادرين لقيتهم   قفا ذات أوشال ومولاك قارب

قفوا خبرونى عن سليمان إننى   لمعروفه من أهل ودان طالب

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله   ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وانظر زهر الآداب ٢ : ٤١ ، ٤٣ والعمدة ١ : ٤٤ .

(٤) يستطب : يستوصف الدواء الذى يصلح لدائه .

وإذا حضر أناسٌ على أمرٍ ذي بال أنشد :

أقول لفتيانٍ كرامٍ تروّحوا ... على الجُرد في أفواههن الشكائمُ[1]

قفوا وقفةً من يَحْيَ لم يُخزَ بعدها ... ومن يُخْتَرَمْ لم تتّبعه الملاومُ[2]

وإذا سُرّ بلُقيا صديقٍ له أنشد :

يا خَلاصَ الأسيرِ يا فرحة الأو ... بةِ يا زورةً على غير وعدِ

وإذا أعار أخًا له دفترًا فابطأ عليه بردّه أنشد :

تعجيلُ ردِّ الكتب مما به ... يَستكثرُ العلمَ أخو العلمِ

وحبسُها يمنع من بذلها ... مع الذي فيه من الظُّلمِ

وإذا عاد مريضًا ذا مودّةٍ صادقة أنشده :

نفسي ونفسك إن أبلَلْتَ من سقمٍ ... أبللتُ منه وإن أضناكَ أضناني

وإن امرؤ جزِعَ على فائتٍ أنشده :

فلا تكثِرنْ في إثر شيءٍ ندامةً ... إذا نزعته من يديك النوازعُ[3]

وإذا عوتِب على إهانته المال وكثرة بذله أنشد :

كيف يستطيع حفظ ما جمعت كفّاه من ذاق لذة الإنفاق

---

(١) البيتان من مقطوعة رواها ابن الشجري في الحماسة ٤٨ وأبو الفرج في الأغاني ١٨ : ١٠٩ والقالي في الأمالي ١ : ٢٥٨ والبكري في التنبيه ٨١ . رووا جميعا عن المفضل الضبي أنه قال : كنت مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بباخمرى في اليوم الذي قتل فيه فلما رأى البياض يقل والسواد يكثر قال لي : يا مفضل أنشدني شيئا يهون على بعض ما أنا فيه . فأنشدته ... — وأنشدوا الأبيات — قال : فرأيته يتطاول على سرجه ثم حمل حملة كانت آخر العهد به . تروحوا : ساروا في الرواح . الجرد : جمع أجرد وجرداء ، وهو الفرس القصير الشعر . والشكائم : جمع شكيمة ، وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس . في الأصل : « في أعناقهن » ، صوابه في الحماسة والأغاني ومجموعة المعاني ٣٩ .

(٢) الوقعة والوقيعة : القتال وصدمة الحرب . ويقال اخترمته المنية من بين أصحابه : أخذته من بينهم .

(٣) البيت للبعيث ، كما في لباب الآداب ٤٢٤ . وأبيات القصيدة في أمالي القالي ١ : ١٩٦ وسمط اللآلي ٤٧٠ — ٤٧١ ومعجم البلدان (الصفائح) .

وإذا مشى لأخ فى قضاء حاجة ووَفَى بحقّه أنشد :

حقوقٌ لإخوانى أريد قضاءها … كأنّىَ ما لم أقضهن مريضُ

وإذا أثنى على إنسان ورأى منه شُرودا(١) ونفرة أنشد :

علىّ عتاب ما استغنيتَ عنه … وطلاّعٌ عليك مع الخطوب(٢)

وإذا أراد شيئاً عاناه ليلاً أنشد :

واللّيل يقظانُ والكواكب الآ … فاقِ حَيرى كاللؤلؤ البَدَدِ(٣)

وإذا استبطأ صديقاً له وعاتبه على قعوده عنه أنشد :

وإنّى إذًا أدعوك عند مُلِمَّةٍ … كداعية بين القبور نصيرَها(٤)

وإذا ذمّ أخاً له فى إساءته إلى إخوانه أنشد :

أصبح أعداؤه على ثقــةٍ … منه وإخوانُه على وجلِ

وإذا شكا من جارٍ له هجْره أنشد :

دَنَت بأناسٍ عن تناءٍ زيارةٌ … وشطّ بيكرٍ عن دنوٍّ مزارُها

وإنّ مقيماتٍ بمنقطَع الثّرَى … لأقربُ من ليلَى وهاتيك دارُها(٥)

وإذا تذكّر أياما مضت وكان يشكوها وهو اليوم يتمنّاها أنشد :

سَقياً ورَعياً لأيّامٍ مضت سلَفاً … بكيتُ منها فصرتُ اليومَ أبكيها(٦)

كذاك أيّامنا لا شكّ نندبُهــا … إذا تقضّت ونحن اليوم نشكوها

---

(١) فى الأصل : « سرورا » تحريف .

(٢) البيت لإبراهيم بن العباس الصولى ، كما فى الأغانى ٩ : ٢٤ ومجموعة المعانى ٦ ، وقبله :

ولكن الجواد أبا هشام … وفىّ العهد مأمون المغيب

(٣) البدد : المتفرق .

(٤) البيت لإبراهيم بن العباس الصولى ، كما فى مجموعة المعانى ١٥١ والمحاضرات ١ : ١٣٢ ، وقبله :

دعوتك عن بلوى ألمّت ضرورة … فأوقدت من ضغن علىّ سعيرها

(٥) لإبراهيم بن العباس الصولى . الوساطة ١٨٣ ومحاضرات الراغب ٢ : ٣١ .

(٦) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولى فى مجموعة المعانى ١٠٢ .

وإذا عاتب أخاً له على هجره أنشد:

تَلَجِّين حتّى يذهبَ الهجرُ بالهوى ... وحتّى تكاد النفسُ عنكِ تطيبُ[١]

وإذا عوتب في خصلةٍ أو بادرةٍ بدرت منه أنشد:

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلُمُّهُ ... على شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المهذَّبُ[٢]

وإذا قيل له قد أسنّ فلان وكبر أنشد:

لم ينتقص مني المَشيبُ قُلامةً ... الآنَ حين بدا أَلَبُّ وأَكْيَسُ[٣]

وإذا فسَدَ[٤] عند أخٍ له صحةُ ودِّه إياه أنشد:

قل ما تشاء ليُؤتَى ... وما كرهتَ ليُكْرَه
فإنَّ ذلك أولى ... بما تشاء وأشبه[٥]

وإذا ماتَ له ولدٌ أنشد:

كلَّ لساني عن وَصفِ ما أجدُ ... وذقت ثكلاً ما ذاقه أحدُ
ما عالج الحزنَ والحرارةَ في الأحشاء من لم يمت له ولدُ

وإذا حثَّ إنساناً على الإحسان وخوّفه صروفَ الدهر أنشد:

بيننا حرمةٌ وعهدٌ وثيقٌ ... وعلى بعضنا لبعضٍ حقوقُ
فاغتنمْ لذّةَ الحفاظِ فما يد ... ري مُطيقٌ لها متى لا يطيقُ

---

(١) اللجاجة: التمادي في الشيء وعدم الانصراف عنه، أراد تلجين في الهجر. وفعله من باب فرح وضرب. وفي الأصل: «تلحين» تحريف، صوابه في ديوان ابن الدمينة ١٢. وقصيدة البيت فيه طويلة جدا.

(٢) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ١٤. الشعث: الفساد، واللم: الإصلاح. وكان حماد الراوية يقدم النابغة، فقيل له: بم تقدمه؟ فقال: باكتفائك بالبيت من شعره، بل بنصفه، بل بربعه، نحو:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

كل نصف يغنيك عن صاحبه. وقوله «أي الرجال المهذب»، ربع بيت يغنيك عن غيره.

(٣) أي أنا الآن أعظم لبا وأكثر كيسا وفطانة.

(٤) في الأصل: «فرد».

(٥) في الأصل «بما سنا وأشبه».

وإذا رأى خليلا له قد حفَّت به أربابُ الحاجات وكان أمرهُ في الأوّل أقرب ، أنشد :

حيّاكَ مَن لم تكن تَرجَى تحيّتُه … لولا الحوائجُ ما حيّاكَ إنسانُ

وإذا رأى أحداً غَضِب من أمرٍ ولم ينفعْهُ غضبُه أنشد :

غضِبَتْ تميمٌ أن تُقَتَّلَ عامرٌ … يومَ النِّسار فأُعتِبوا بالصَّيْلَمِ (١)

وإذا رأى السلطانَ عَزَم على الغَزْو ونهض إلى العدوّ أنشد :

يومانِ يومُ مقاماتٍ وأنديةٍ … ويومُ سيرٍ إلى الأعْدا وتأويبِ (٢)

وإذا رأى أمراً مُعضِلاً وصبَر عليه وعُوتب في ذلك أنشد :

وبين خيرِ ما فينا من الأمرِ أننا … متى نلقَ يوماً موطنَ الصَّبرِ نصبرِ

وإذا قال له أخٌ إنّه اشتاقَ له اشتياقاً شديداً أنشد :

فلمّا تواقَفْنا عرفتُ الذى به

كمثل الذى بى حذوكَ النّعلَ بالنّعلِ (٣)

---

(١) لبشر بن أبي خازم الأسدي في المفضليات ٢ : ١٤٦ واللسان (عتب ، صلم). والنسار : أجبل متجاورة كان عندها ذلك اليوم . وكانت ضبة حالفت بني أسد على بني تميم ، وكان معهم في الحلف طيء وعدي ، وقد تحالفوا على أن يقاتلوا العرب ثلاث سنين ، وأرسلت تميم إلى بني عامر بالنار فأتاهم ، فقالت بنو أسد لضبة : بادروا بني عامر بالنسار قبل أن تصبح إليهم بنو تميم ، فعملوا فقتلوا منهم مقتلة عظيمة . انظر النقائض ٢٣٨ — ٢٤٥ ، ١٠٦٤ — ١٠٦٧ والعقد وكامل ابن الأثير والعمدة . أعتبوا : عبارة تهكم ، والإعتاب : الإرضاء ، ويروى : « فأعقبوا » أي كانت عاقبتهم الصيلم ، وهي الداهية .

(٢) البيت لسلامة بن جندل السعدي في ديوانه ص ٨ والمفضليات ١ : ١١٨ . المقامات جمع مقامة ، وهي المجلس ، وبالضم : جمع مقامة بمعنى الإقامة . والأندية : الأفنية ، جمع ندي ، والندي والنادي سواء . يريد يوم المقامات والأندية مواقف الخطابة والمفاخرة ونحوها . والتأويب : سير يوم إلى الليل ، أو الإمعان في السير الشديد . وكذا وردت الرواية في الأصل وفي الديوان والمفضليات : « إلى الأعداء تأويب » .

(٣) البيت من قصيدة هي من عيون شعر جميل في أمالي القالي ٢ : ٧٤ . والرواية « التي بها » كما في الأمالي ومحاضرات الراغب ١ : ٤٥ فقد يكون ابن فارس أبدل الإنشاد ليوافق الاستشهاد ، أو هو تحريف ناسخ .

وإذا مرّ بأطلالٍ خلت من سُكّانها وعفت وبقي أثرُها أنشد :

لخولة أطـــلالٌ ببرقة ثَهمدٍ تلوح كباقي الوَشْمِ في ظاهرِ اليدِ(١)

وإذا حضر مجلساً لمناظرة وسُئِل عن حاله فيه بعده أنشد :

ولو شهدت أمُّ القُدَيدِ طعاننا بمَرْعَش خَيلَ الأرمِيِّ أرنّتِ(٢)

وإذا قيل له : رأيناكَ أعرضتَ عن فلانٍ إعراضَ مسالمٍ أنشد :

ولقد أجمَعُ رِجلَيَّ بهـــا حذرَ الموتِ وإنّي لفَرُورُ(٣)

وإذا استُشِير في أمر ذي لَبْس أيُقدِم عليه أم يُحجِم عنه أنشد :

مكانَكِ حتّى تنظري عمّ تنجلي غَمايةُ هـــذا العارضِ المتألّقِ

وإذا أكثرَ من ذكر أخٍ له غائبٍ وقيل له في ذلك أنشد :

أريدُ لأنسى ذكرَها فكأنّما تمَثّلُ لي ليلَى بكلّ سبيلِ(٤)

وإذا قال له صديقٌ تناسيتَني كأنك لم تعرفني أنشد :

تسلّتْ عَمَاياتُ الرِّجالِ عن الصِّبا وليس فُؤادِي عن هواها بمُنْسلي(٥)

وإذا حضر رئيسٌ من الرؤساء وأراد مدْحَه أنشد :

لو نال حيٌّ من الدُّنيا بمكرمة أفقَ السَّماء لنالت كفُّه الأفقا(٦)

---

(١) البيت هو مطلع معلقة طرفة بن العبد .

(٢) لسيار بن قصير الطائي في ديوان الحماسة ١ : ٥٤ . أم القديد ، قيل هي امرأته . ومرعش: مدينة بين الشام والروم . والأرمي : منسوب إلى أرمينية . أرنت : أعولت وصاحت .

(٣) لعمرو بن معديكرب في الحماسة ١ : ٢٥ وأمالي القالي ٣ : ١٤٧ . أجمع رجلي بها ، أي بالفرس ، أضمهما عليها استدراراً للجري . الفرور ، المعنى أنه يفر إذا كان في الفرار الحزم . وبعده :

ولقد أعطفها كارهة حين للنفس من الموت هرير

(٤) لكثير عزة . أمالي القالي ٣ : ١١٩ والوساطة ١٦٠ ، ١٧٠ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٥ وديوان المعاني ١ : ٢٧٤ .

(٥) لامرئ القيس في معلقته . وفي البيت قلب ، أي تسلت الرجال عن عمايات الصبا وجهالاته وظلماته . ويقال انسلى انسلاء : زال حبه من قلبه ، أو زال حزنه .

(٦) البيت لزهير في مدح هرم بن سنان . ديوانه ٥٥ .

وإذا عاتب أخاً له على هجرانه إياه أنشد :

طوى البينُ أسبابَ الوصال وحاولت   بكُنْهُك أسبابُ الهوى أن تُجَذَّما(١)

وينشد أيضاً في مثل ذلك :

وكان يزورني منه خيالٌ   فلما أن جفا منع الخيالا

وإذا رأى رجلاً يُثني على أخيه ويحضر له محضراً جميلاً أنشد :

قوم لهم عرفت معدٌّ بفضلها   والحقُّ يعرفه ذوو الألباب(٢)

وإذا قيل له قد أقررتَ لمناظرك أنشد :

أُحِسُّ بالفضل في غيرى فأُنكِرُه   ما ينكر الفضلَ إلا كلُّ منقوص

وإذا رأى رجلاً ينقص فاضلاً أنشد :

ما ضرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتَها   أم بُلتَ حيث تناطَحَ البحرانِ(٣)

وإذا أقصاه رئيسٌ بعد إنائه(٤) أنشد :

يا أفضلَ الناسِ إني كنتُ في نَهَرٍ   أصبحت منه كمثل المُفرد الصادِى

وإذا كلَّفه امرؤٌ شيئاً لم يكن عنده بالمرضىِّ أنشد :

لم أكُنْ من جُناتها علم اللـــــهُ وإني بحرِّها اليومَ صالِ(٥)

---

(١) التجذيم : التقطيع . وفي الأصل : « تخذما » تحريف .

(٢) البيت للبيد بن ربيعة ، وهو آخر ديوانه المطبوع في فينا سنة ١٨٨١ . والرواية فيه : « عرفت معد فضلها » .

(٣) البيت من قصيدة للفرزدق في ديوانه ٨٨٢ يذكر فيها تفضيل الأخطل إياه ، مادحا في ذلك بني تغلب ، ويهجو جريراً . وقبل البيت وهو مطلع القصيدة :

يا ابن المراغة والهجاء إذا التقت   أعناقه وتماحك الخصمان

وتغلب ابنة وائل أم قوم الأخطل . تناطح البحران : تقابلا . انظر الحيوان ١ : ٦٣ والبيان ٣ : ٢٥٨ والخزانة ٢ : ٥٠١ .

(٤) كذا وردت هذه الكلمة مهملة الحرف الذي بعد الألف الثانية .

(٥) البيت للحارث بن عباد ، قاله في يوم قضة . انظر العقد والخزانة ١ : ٢٠٣ وأمثال الفضل ٣٦:٢ والأغاني ٤ : ١٤٤ .

وإذا رأى أمراً فظيعاً تَقَضَّى ثم تجدّد مثلُه أنشد :

إذا هبَّ من جانب باخَ شرُّه ... ذكا لهب من جانبٍ فتضرَّما[١]

وإذا حضر محفِلاً من محافل النظر وكلّمه خصمٌ فدفعه ، وانبرى له خصمٌ آخر أنشد :

إذا ما دفعنا هؤلا جاء هؤلاَ ... إلينا فكلٌّ بالعداوة مولعُ

وإذا كثُر الصّياحُ في المحفِل أنشد :

يأيهـا الراكبُ المزْجِي مطيّتَه ... سائلْ بني أسدٍ ما هذه الصوتُ[٢]

وإذا قيل له كثُر أخصامك أنشد :

تفور علينا قِدرُهم فنُديمُها ... ونفثؤها عنا إذا حمْوُها غلا[٣]

وإذا بدأه سائلٌ بالسؤال مناظراً له أنشد :

قرِّبا مَرْبِطَ النعـامة منّى ... لقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ[٤]

وإذا نُعِي له حميمٌ أو ذو مودّة أنشد :

ليس عُدْم الأموال عُدماً ولكنْ ... فَقْدُ من قد رزئتُه الإعدامُ[٥]

---

(١) باخ : سكن وفتر .

(٢) لرويشد بن كثير الطائي . الحماسة ١ : ٤٧ واللسان (صوت) . المزجي : السائق ، وقد أنث الصوت . وفي اللسان : إنما أنثه لأنه أراد به الضوضاء والجلبة . ويصح أن يراد بالصوت ما يبلغه عنهم .

(٣) البيت للنابغة الجعدي ، كما في مقاييس اللغة (دوم ، فور ، فثأ) واللسان (فثأ ، دوم). يقال أدام القدر إدامة ، إذا سكّن غليانها بالماء . وكذلك فثأها : سكّن من غليانها . والحمو والحمى : شدة الحرارة . ورواية المقاييس واللسان : « حميا » .

(٤) للحارث بن عباد ، كما سبق في ٥٣ أكثر من جانبها . المربط ، بفتح الباء وكسرها : موضع ربط الدابة . والنعامة : اسم فرسه . عن حيال ، أي بعد حيال ، والحيال : ألا تحمل الناقة . يعني أن الحرب هاجت بعد سكون .

(٥) لأبي دواد الإيادي . الصناعة ١ : ٦١ والوساطة ٤٧ ، وبه قيل إن أبا دواد أشعر الناس . ويروى : « لا أعد الإقتار عدماً » .

وإذا حضر حضرةَ ملكٍ وبالغ في الثّناء عليه أنشد :

وأنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبُ(١)

وإذا فخَر بمن تقدّم من العلماء والكبراء أنشد :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحنُ أومأنا إلى الناس وقَّفوا(٢)

وإذا أثنى على رجلٍ بعطاء أنشد :

ليس يعطيك للرجاء وللخو ف ولكن يَلَذُّ طعمَ العطاء(٣)

وإذا قصد امرأً في حاجةٍ وكرّر الزيارة له ولم يرَ ما يحبّه أنشد :

كفى طلباً لحاجةٍ كلُّ حرٍّ مداومةُ الزّيارةِ والسّلامِ

وإذا أخذ إنسانٌ يتّهم أحداً غيره أنشد :

رأيت الحربَ يجنيها رجالٌ ويصلَى حرَّها قومٌ براءُ(٤)

قلت : وينشد في ذلك أيضاً قولَ القائل :

لم أكن من جناتها ... (البيت المتقدم)

---

(١) النابغة الذبياني من قصيدة في ديوانه ١٢ يعتذر فيها إلى النعمان ويمدحه . ورواية الديوان : « لأنك شمس » . وقبله :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

(٢) الفرزدق في ديوانه ٥٦٨ وأمالي القالي ٣ : ١١٩ . وفي الأمالي عن طلحة بن عبد الله قال : « لقي الفرزدق كثيراً بقارعة البلاط وأنا معه ، فقال : أنت يا أبا صخر أنسب العرب حيث تقول :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

فقال له كثير : وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا »

ثم قال : « وهذان البيتان لجميل ، سرق أحدهما كثير ، والآخر الفرزدق » .

(٣) البيت لبشار بن برد من قصيدة يمدح فيها عقبة بن سلم . ديوانه ١ : ١٠٧ — ١١٣ . وقبله ، كما في الديوان والأغاني ٣ : ٤٣ :

إنما لذة الجواد ابن سلم في عطاء ومركب للقاء

(٤) أنشده في اللسان (برأ) برواية : « يجنيها رجال » . وبراء مثلثة الباء ، فهي بالفتح مصدر سمي به ؛ وفي التنزيل « إنني براء مما تعبدون » . وبالكسر : جمع بريء ، كظريف وظراف . وبالضم جمع لا واحد له ، نحو تؤام وظؤار .

وينشد في ذلك أيضاً :

وحمّلتني ذنبَ امرئٍ وتركتَه كذي العُرِّ يُكوى غيرُه وهو راتعُ (١)

وإذا عارضه معارضٌ في عِلّة بلا علم أنشد :

أخو عديٍّ أمسِ يُساجِلُني ما لعديٍّ وما لنا العسل

وإذا ذكر قوماً أشحّاء أنشد :

دراهمهم لا تُستطاع كأنّها فريسةُ ليثٍ أحرزتها مخالبُه

وإذا قيل له أرَضيتَ بكذا وأنت أعلى منزلة منه أنشد :

وما كنت أخشى أن أرى الغيرَ مركبي ولكنّ من يمشي سيرضى بما ركبْ

وإذا زار مريضاً أنشد :

ونعود سيّدَنا وسيّد غيرِنا ليت التشكّيَ كان بالعُوّادِ (٢)

وإذا حذّر ناسا عدوًّا غفلوا عنه أنشد :

بني أميّةَ إني ناصحٌ لكمُ فلا يبيتَنَّ فيكم آمناً زفرُ (٣)

---

(١) النابغة الذبياني في ديوانه ٥٤ من قصيدة يمدح فيها النعمان ويعتذر إليه ويهجو مرة بن ربيعة . العر ، بضم العين : قروح مثل القوباء تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها يسيل منها الماء الأصفر فتكوى الصحاح لئلا تعديها المراض . وأما أبو عبيدة فيقول : إن هذا لا يكون وإنما هو على جهة المثل . وقال ابن دريد : ومن رواه بالفتح فقد غلط ، لأن الجرب لا يكوى منه .

(٢) لكثير عزة ، قاله في عيادته عبد الملك بن مروان . عيون الأخبار ٣ : ٥٠ . وبعده :

لو كان يقبل فدية لفديته بالمصطفى من طارفي وتلادي

لكن في الشعر والشعراء ٤٩٧ أنه دخل لعيادة عبد العزيز بن مروان . على أن البيت قد روي في قصيدة لجرير في ديوانه ١٢٢ يقوله في عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، وكان الوليد كتب إلى أجناد الشام أن يدعوا لعبد العزيز بن الوليد ، ودعا حوله في مسجد دمشق في جماعة الناس ، وكان عليلا .

(٣) للأخطل في ديوانه ١٠٣ والحيوان ٥ : ١٦٣ . وزفر هنا ، هو ابن الحارث الكلابي ، كان قد خرج على عبد الملك بن مروان وظل يقاتله تسع سنين ثم رجع إلى الطاعة . الكامل ٣٣٥ ليبسك والجهشياري ٣٠ . وكان زفر من التابعين ، سمع عائشة ومعاوية . شرح شواهد المغني ٣١٥ .

وإذا ذَكَّر صديقاً له بنقضه العهدَ أنشد :

أَلم تر ما بيني وبين ابن خالد ... من العهد قد بالت عليه الثعالب(١)

وإذا هدّده عدوٌّ أو توعّده أنشد :

فإن قناتنا يا عمرُو أعيَتْ ... على الأعداء قبلَك أن تلينا(٢)

وإذا شُكِيَ أخٌ له جَنَى عليه أنشد :

بل جناها أخٌ عليَّ كريمٌ ... وعلى أهلها بَرَاقِشُ تجني(٣)

وإذا رأى ذا بشاشةٍ وظاهره يبدي خلافه أنشد :

يُبدي البشاشةَ حين تبصره ... وله إليك عقاربٌ تَسري

وإذا أساء إليه صديقٌ وحلُمَ هو عنه أنشد :

فلا تُوبِسوا بيني وبينكمُ الثَّرى ... فإنّ الذي بيني وبينكمُ مُثْرِي(٤)

وإذا ذُكِّر رجلٌ بُعدِ الغَور أنشد :

ولم يَخْشَوْا مصالته عليهم ... وتحت الرَّغوة اللبنُ الصريحُ(٥)

---

(١) في الأصل : « بن خالد » تحريف .

(٢) لعمرو بن كلثوم في معلقته . وعمرو في هذا البيت هو عمرو بن هند . والعرب تستعير للعز اسم القناة .

(٣) لحمزة بن بيض في اللسان (براقش) . وبراقش : اسم كلبة نبحت على جيش مرّوا ولم يشعروا بالحي الذي فيهم الكلبة ، فاستدلوا بنباحها فعلموا أن أهلها هناك فعطفوا عليهم فاستباحوهم ، فقيل في المثل : « على أهلها تجني براقش » . وقبل هذا البيت :

لم تكن عن جناية لحقتني ... لا يساري ولا يميني جنتني

(٤) لجرير في ديوانه ٢٧٧ والمقاييس (ثرى) واللسان (ثرا) . قال أبو عبيدة : « من أمثالهم في تخوف الرجل هجر صاحبه : لا توبسوا الثرى بيني وبينكم » . ويقال : الذي بيني وبين فلان مثرٍ ، أي إنه لم ينقطع .

(٥) من أبيات في مجالس ثعلب ٨ — ٩ ينسبها إلى رجل من سليم . ونسب في البيان ٣ : ٣٣٨ إلى أبي محجن الثقفي ، وليس في ديوانه . ونسب في اللسان (صرح) إلى نضلة السلمي . المصالة : مصدر ميمي من صال يصول . والرغوة ، مثلثة الراء . والصريح : الخالص . أي إنما تعرف الأشياء بالتكشيف عن بواطنها . وأنشده في المقاييس (صرح) : « اللبن صريح » ، وهو الذي أخذت عنه الرغوة .

وإذا عزّى إنساناً وآساه أنشد :

لكلّ همّ من الهموم سَعَةْ ... والمُسى والصُّبح لا بقاء معَهْ(١)

وإذا كلّمَ إنساناً وأضمر له ما يعرفه من التلوّن أنشد :

فإنّ الله لا يخفَى عليه ... علانيةٌ تُراد ولا سِرارُ

وإذا رأى إنساناً تغيّرت عن غِنًى حالُه(٢) أنشد :

إنّ الفتى يُقتِرُ بعد الغنى ... ويَغتني من بعد ما يُقتِرِ(٣)

وإذا قيل له مضَى فلانٌ وورث وارثُه مالَه أنشد :

قد يَجمعُ المالَ غيرُ آكِلِه ... ويأكلُ المالَ غيرُ مَن جَمعه(٤)

وإذا رأى رجلاً أثنى على آخرَ وهو لا يعرفُه أنشد :

لا تَحمدنّ امرأً حتى تُجرّبه ... ولا تذمنّه من غير تجريبِ(٥)

وإذا نُعِيَ له رجلٌ عظيم الشأن أنشد :

لما أتى خبَرُ الزُّبيرِ تواضعَتْ ... سُورُ المدينةِ والجبالُ الخُشّعُ(٦)

---

(١) للأضبط بن قريع ، وهو أحد المعمرين من العرب . كتاب المعمرين للسجستاني ٨ ومجالس ثعلب ٤٨٠ والأمالي ١ : ١٠٧ والأغاني ١٦ : ١٥٤ وحماسة ابن الشجري ١٣٧ والخزانة ٤ : ٥٨٩ والمثل السائر ١ : ٢٦٠ .

(٢) في الأصل : « تغيرت عن حاله » .

(٣) البيت لعمرو بن أحمر ، من أبيات له في اللسان (رنا) وطبقات ابن سلام ١٩٦ . أقتر : قل ماله .

(٤) للأضبط بن قريع . انظر الحاشية الأولى .

(٥) لأبي الأسود الدؤلي . حماسة البحتري ٣٧٠ .

(٦) البيت لجرير في ديوانه ٣٤٥ والخزانة ٢ : ١٦٦ من قصيدة يهجو فيها الفرزدق ورهطه بني مجاشع الذين منهم عمرو بن جرموز قاتل الزبير بن العوام . وكان ابن جرموز قد قدم على أمير المؤمنين علي وعنده أنه بالفتح وأخبره بقتله الزبير ، فقال له علي : أبشر بالنار ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بشر قاتل ابن صفية بالنار . وفي ذلك يقول ابن جرموز :

أتيت علياً برأس الزبير ... وقد كنت أحسبها زلفه

فبشر بالنار في قتله ... فبئس بشارة ذي التحفه

ثم إن ابن جرموز جاء إلى مصعب بن الزبير وكان واليا على العراق من قبل أخيه عبد الله فقال : أقدني بالزبير ! فكتب في ذلك إلى أخيه ، فكتب إليه عبد الله : أنا لا أقتله بالزبير =

وإذا جَهِل عليه جاهلٌ وللجاهل عدوٌّ حاضر لا يجترئ عليه أنشد :

جهلاً علينا وجبنا عن عدوِّكُمُ ... لبئست الخَلَّتان الجهلُ والجُبُنُ(١)

وإذا مات له خليلٌ يعزُّ عليه فقده أنشد :

ألا ليتَ مَن شاء بعدك إنّما ... عليك من الأقدار كان حَذاريا(٢)

وإذا قيل له استترك فلانٌ وخَدَعَك أنشد :

وقد كنت مجرور اللسانِ ومُفْحَمًا ... فأصبحت أدرى اليوم كيف أقولُ(٣)

وإذا ذَكَر إخوانَه الذين سلَفوا أنشد :

أولئك إخوانُ الصفاء رُزِئتُهم ... وما الكفُّ إلا إصبعٌ ثم إصبعُ(٤)

وإذا نُعِيَ ابنُ امرئٍ بعد موته أنشد :

لعمركَ ما وارَى الترابُ فَعالَه ... ولكنه وارَى ثيابًا وأعظُمَا(٥)

== ولا يشبع نمله ، أو ذلك . والنحويون يجعلون هذا البيت شاهداً لاكتساب بعض الأسماء التأنيث من بعض ؛ لأن السور هنا بعض للمدينة . وذهب أبو عبيدة أن « السور » جمع سورة بالضم ، وهي كل ما علا ، فلا شاهد في البيت . الخشع ، أي الرسارت خاشعة لاطئة بالأرض لوته .

(١) البيت لقعنب بن أم صاحب ، في حماسة أبي تمام ٢ : ١٨٨ والبحتري ٣٩٢ .

(٢) في الأصل : « حذارى » ، صوابه في اللسان (حذا) ومحاضرات الراغب ٤ : ٢٢٩ . وقبله ، وهو في رثاء يزيد بن مزيد الشيباني :

وقد كنت أرجو أن أملاك حقبة ... فحال قضاء الله دون رجائيا

وانظر العقد ٢ : ٢٨٧ طبع لجنة التأليف .

(٣) البيت للقيسي ، وهو قاتل غالب أبي الفرزدق . البيان ٣ : ٢١٤ ، ٣٦٩ ومحاضرات الراغب ٢ : ٧٤ . وفي الأصل : « محزوز » صوابه في البيان . وفي المحاضرات : « مخزور » محرفة أيضاً . وأصل المجرور الفصيل يشق لسانه لئلا يرضع ، يقال جر الفصيل وأجره . قال عمرو بن معد يكرب :

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم ... نطقت ولكن الرماح أجرت

(٤) البيت لأبي حكاك البراء بن ربعي الفقعسي ، في الحماسة ١ : ٣٠١ والمضنون به على غير أهله لعز الدين الزنجاني ٣٤٤ طبع ١٣٣١ . وقبله :

أبعد بني أمي الذين تتابعوا ... أرجي الحياة أم من الموت أجزع

ثمانية كانوا ذؤابة قومهم ... بهم كنت أعطي ما أشاء وأمنع

(٥) أنشده أبو تمام في الحماسة ١ : ٣٨٣ ولم ينسبه . وقبله :

لعمرك ما امرؤ أثنى بآلاء ميت ... فلا يبعد الله الوليد بن أدهما ==

وإذا رأى رجلا يتكلّف مالا يستطيعه أنشد :

* إذا لم تستطع شيئاً فدعهُ[1] *

وإذا استحقره قومٌ وتعرّضوا لأكبرَ منه أنشد :

* ذبابٌ طار في لَهَوات ليث *

وإذا تجاهل عليه متجاهلٌ أنشد :

إنا لَتُوزَنُ بالجبال حلومُنا ... ويَزِيد جاهلنا على الجُهّالِ[2]

وإذا نُعِيَ له رئيسٌ من رؤساء محلّته أوعشيرته أنشد :

إذا سَيّدٌ منا خلا قام سيّدٌ ... قؤولٌ لما قال الكرام فعولُ[3]

وأنشد أيضاً :

إذا قرٌ منّا تغوّرَ أو خبا ... بدا قمرٌ من جانب الأفق يلمعُ[4]

وإذا مطل إنسانٌ ووَعَد بعدُ أنشد :

فإنْ يك صدرُ هذا اليوم ولّى ... فإنّ غداً لناظره قريبُ[5]

= فما كان مفراحا إذا الخير مسه ... ولا كان منانا إذا هو أنعما
ونادى المنادى أول الليل باسمه ... إذا أجحر الليل البخيل المذمما

(١) لعمرو بن معديكرب في الحيوان ٣ : ١٣٨ وحماسة البحتري ٣٧٥ والأغاني ١٤ : ٣١ ، ٣٦ ، ٣٧ . وعجزه :

* وجاوزه إلى ما تستطيع *

(٢) لحسان بن حنظلة بن أبي رهم الطائي في الحماسة ٢ : ٣١٧ والوحشيات [illegible] ٤٥ . وهو في ديوان الفرزدق ٧٣٠ ونسب في الخزانة ٣ : ١٠٧ والنقائض ٢٨٤ إلى الفرزدق أيضاً . وفي المؤتلف للآمدي ١٢٤ أنه لقراصب الطائي ، وهو حنظلة والد حسان المتقدم ، وأن الفرزدق قد سرقه وأدخله في قصيدته .

(٣) السموأل بن عاديا ، من أبيات في الحماسة ١ : ٢٧ — ٣١ والحيوان ٦ : ٤٢٣ والبيان ٤ : ٦٨ والكامل ١ : ٢٦٩ . والرواية في الحماسة والكامل : « إذا سيد منا خلا قام سيد » .

(٤) البيت لأبي يعقوب الخريمي في الحيوان ٣ : ٩٤ والوساطة ١٥٩ .

(٥) في الأصل : « لناظرين » تحريف . والبيت لقراد بن أجدع ، كما في أمثال الميداني ١ : ٦٣ . لناظره ، أي لمنتظره .

وإذا رأى قوماً ذوي صُوَرٍ ولا أحلامَ لهم أنشد :

لا بأسَ بالقومِ من طولٍ ومن عِظَمٍ   جِسمُ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ[1]

وإذا اقتضى صديقاً وعداً أنشد :

قضى كلُّ ذي دَينٍ فوفَّى غريمَه   وعزّةُ ممطولٌ معنًّى غريمُها[2]

وإذا شيّع فريقين وأخذ كلُّ واحدٍ غيرَ طريقِ الآخر أنشد :

فريقانِ منهم سالكٌ بطنَ نخلةٍ   وآخرُ منهم سالكٌ نجدَ كبكبِ[3]

وإذا لم يزُره أخوه زاره هو وأنشد :

أزورُكمُ لا أكافيكمُ بجفوتِكم   إنّ المحبَّ إذا لم يُستزَرْ زارا[4]

وأنشد أيضاً فيه :

وما كنتُ زوّاراً ولكنّ ذا الهوى   إذا لم يُزَرْ لابدّ أنْ سيزورُ[5]

وإذا وصف رجلاً بالعِفّة والإعراض عن الزّنا أنشد :

والله لو كانت الدنيا وزينتُها   في بطنِ راحتِه يوماً لألقاها

وإذا قيل له إن أمثالك قليل أنشد :

وما ضرَّنا أنّا قليلٌ وجارُنا   عزيزٌ وجارُ الأكثرينَ ذليلُ[6]

---

(١) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه ٢١٤ من قصيدة يهجو بها بني الحارث بن كعب . وانظر الحيوان ٥ : ٢٢٩ والخزانة ٤ : ٣٣ ــ ٥٩ وسيبويه ١ : ٢٥٤ . الأحلام : العقول .

(٢) البيت لكثير عزة في حماسة ابن الشجري ١٥٤ والأغاني ٨ : ٣٥ ، ٣٦ ومحاضرات الراغب ١ : ٢٢٩ .

(٣) لامرئ القيس في ديوانه ٧٢ ومعجم البلدان ، رسم (كبكب) .

(٤) البيت للعباس بن الأحنف في ديوانه ٧٣ ومحاسن الحساس ٩٣ ومحاضرات الراغب ١ : ٣٠٥ برواية : « تزوركم لا نكافيكم » . وفي الأصل هنا : « لا كافيكم » ، تحريف . وبعده في الديوان :

سيقرب الدار شوقا وهي نازحة   من عالج الشوق لم يستبعد الدارا

وفي محاضرات الراغب ٢ : ١٥ : « يقرب الشوق دارا » .

(٥) للأحوص . الكامل ٣٢١ ليبسك ، وقبله :

أدور ولولا أن أرى أم جعفر   بأبياتكم ما درت حيث أدور

(٦) السموأل بن عاديا . انظر ما سبق في ص ١٥٥ .

وإذا وَلِيَ رجلٌ ولايةً وأُثْنِيَ عليه بها أنشد :

وإذا الدرُّ زانَ حُسْنَ وجوهٍ ... كان للدُّرِّ حُسْنُ وجهِكَ زَيْنا(١)

وكان يتمثَّل لخاطره ويعرِّض له أنّه لم يَبلُغِ المَبلَغَ بقول الشاعر :

لا تحسبِ المجدَ تمراً أنت آكلُه ... لن تبلغَ المجدَ حتّى تلعقَ الصَّبِرا

وإذا ذُكِرَ له رجلٌ مضى فذلّت أتباعُه وبنو عمّه بعد عزٍّ أنشد :

فتًى كان مولاه يحلُّ بنَجوةٍ ... فحلَّ الموالي بعده بمَسِيلِ(٢)

وإذا رأى إنساناً مسرور(٣) له مطلا ودفاعا أنشد :

لقد جرَّت لنا حبلَ الشَّموسِ فلا ... يأساً مبيناً ترى منكم ولا طمعا(٤)

وإذا رأى رجلاً همُّه نفسُه لا غيرُه أنشد :

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيَتِها ... واقعدْ فإنّك أنت الطاعمُ الكاسي(٥)

---

(١) أنشده الجاحظ في البيان ١ : ١٩٥ والجرجاني في الوساطة ٢٠٢ . وقبله أو بعده :

وتزيدين أطيب الطيب طيبا ... أن تمسيه أين مثلك أينا

وقال خالد بن عبد الله القسري لعمر بن عبد العزيز : من كانت الخلافة زانته فإنك قد زنتها ، ومن كانت شرفته فإنك قد شرفتها ، فأنت كما قال القائل :

وإذا الدر زان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا

فقال عمر : أعطى صاحبكم مقولا ولم يعط معقولا . عيون الأخبار ١ : ٩٣ .

(٢) النجوة : المكان المرتفع . والمسيل : موضع السيل . والبيت لعقيل بن علفة في الحماسة ١ : ٤١٠ . وقبله :

لقد ذلها حيث شامت فإنها ... محلة بعد الفتى ابن عقيل

(٣) كذا وردت هذه الكلمة .

(٤) البيت للقيط بن يعمر الإيادي ، من قصيدة له هي أول مختارات ابن الشجري ، ينذر فيها قومه غزو كسرى إياهم ، وكان لقيط كاتبا في ديوان كسرى ، فلما رآه مجمعا على غزو إياد كتب إليهم بهذا الشعر فوقع الكتاب بيد كسرى فقطع لسان لقيط وغزا إيادا . الشموس بفتح أوله : النفور من الدواب الذي لا يستقر لشغبه وحدته .

(٥) البيت للحطيئة في ديوانه ٥٤ من قصيدة يهجو بها الزبرقان بن بدر . الطاعم الكاسي : ذو الطعام والكسوة ، أو هو المطعم المكسو ، كما في قول الله : « عيشة راضية » ، أي مرضية ، انظر اللسان (كسا) .

وإذا لاحَه(١) إنسانٌ وطاوَلَه أنشد :

إذا ما تحدّثتُ في مجلسٍ   تناهَى حديثي إلى ما علمت(٢)

وإذا رأى امرأً تأمَّل حاشيةَ زائرِه وغاشيتِه(٣) أنشد :

وإذا ما جهلتَ ودَّ صديقٍ   فاعتبر ما جهلتَ بالبيانِ

إنَّ وجهَ الغلامِ يخـــبر عما   في ضمير الورَى من الكِتمانِ

وإذا رأى رجلاً انتمى إلى قومٍ غير كِرام أنشد :

فغضَّ الطَّرفَ إنك من نُميرٍ   فأصلهم ومَنْبِتُهم لئيمُ(٤)

وإذا سبَرَ حالَ صديقٍ له فلم يَحمَدْه أنشد :

وما كلُّ إخوانِ الفتى طوعَ همّه   ولا كلُّ عودٍ نابتٍ بنُضارِ(٥)

وإذا توعَّده من لا يصدق في وَعْدِهِ أنشد :

فانظر إلى كفٍّ وأسرارِها   هل أنت إن أوعَدتَني ضائري(٦)

وإذا نُعِيَ له شخص أنشد :

على صخرٍ وأيُّ فتى كصخرٍ   ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثغرِ(٧)

---

(١) اللاحية : التمادى فى المصورة ، فى الأصل : « اللاحبة » ، تحريف .

(٢) البيت ليزيد بن الوليد بن عبد الملك ، كما فى عيون الأخبار ٣ : ١٢٥ . وبعده :

ولم أعـــد علمي إلى غيره   وكان إذا ما تناهى قصرت

(٣) غاشية الرجل : من ينتابه من زواره وأصدقائه .

(٤) كذا ورد إنشاده . والمعروف بيت جرير في ديوانه ٧٥ :

فغض الطرف إنك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

(٥) النضار : شجر الأثل ، وهو أجود الخشب للآنية والأقداح .

(٦) البيت للأعشى فى ديوانه ١٠٢ واللسان (سرر) والمقاييس (سر) . الأسرار : خطوط باطن الراحة ، واحدها سر .

(٧) البيت ملفق من بيتين ، أحدهما للخنساء فى رثاء أخيها صخر ، وهو كما فى الديوان ٢٣ وحماسة البحترى ٤٢٨ :

على صخر وأى فتى كصخر   لعان عائــل غلق بوتر

والآخر للعرجى فى نزهة الألباء ١١٣ واللسان (سدد) :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا   ليوم كريهة وسداد ثغر

وقد يقع التلفيق فى استشهادات ابن فارس . انظر المقاييس (عتأ ، علق ، غأو) .

وإذا رأى رجلاً اتهم بدعوة أنشد :

زَنيمٌ تداعاه الرِّجالُ زيادةً ... كما زِيدَ في عَرْض الأديمِ الأكارعُ(١)

وإذا رأى عدوًّا تُخالشنا أنشد :

بنى عامرٍ إنّى لا أحبكما ... ولا ألومكما إلاّ تُحِبَّانى

وإذا قعد عن صديقٍ بِعُذْرٍ أنشد :

فلا بأس بالهجر الذى ليس عرقلا ... إذا شَجَرت عهدَ الحبيبِ شواجِرُ(٢)

وربما وصل حديثه عن الزمن الأوّل بقوله :

إذِ الناس ناسٌ والزمان بغِرَّةٍ ... وإذ أُمُّ عمّارٍ صديقٌ مُساعِفُ(٣)

وإذا ذُكِر رجلٌ بجودٍ وسماحة أنشد :

يومان يومٌ يفيض نائلُهُ ... وخير يومٍ ما يُقيتُ غدا(٤)

وإذا خُبِّر أنّ ولدَ رجلٍ نجُبَ أنشد :

وهل يُنبِتُ الخطّىَّ إلا وشيجُهُ ... وتُغرَسُ إلاّ فى منابتِها النخلُ(٥)

وإذا أسخطه رجلٌ فى أمره أنشد :

أناةَ امرئٍ يأتى الأمورَ بقدرةٍ ... متى ما يَرِدْ لم يعىَ بالأمر مصدرا

---

(١) البيت للحطيم التميمى ، جاهلى . ويروى لحسان بن ثابت ، كما فى اللسان (زنم) والكامل ٦٧٣ ليبسك . ورواه ابن فارس فى المقاييس (زنم) بدون نسبة . والزنيم : المستلحق فى القوم وليس منهم . الأديم : الجلد . وفى الكنايات للجرجانى ١٥ : « ويكنون عن الدعى بأكارع الأديم . قال الفرزدق :

وأنت زنيم فى كليب زيادة ... كما زيد فى عرض الأديم الأكارع »

(٢) فى الأصل : « بالهجران » ولا يستقيم به الوزن ، وباقى الصدر بعدها كذا ورد فى الأصل . ويقال شجر الشىء : صرفه ونحاه .

(٣) يفهم من صنيع اللسان (سعف) أنه لأوس بن حجر ، ولم أجده فى ديوانه .

(٤) نائله : عطاؤه . ولعل الكلام : « وخير يوميه » .

(٥) البيت لزهير بن أبى سلمى فى ديوانه ١١٥ . الخطى : الرماح المنسوبة إلى الخط ، وهى جزيرة بالبحرين . والوشيج : القنا الملتف فى منبته ، الواحدة وشيجة . أى لا تنبت القناة إلا القناة ، ولا تغرس النخلة إلا بحيث يكون نباتها وصلاحها .

وإذا مرّ بدار صديقٍ له أنشد :

ألا حيِّ الدّيارَ بسعد إنّي أحبُّ لحبِّ فاطمةَ الدّيارا(١)

وإذا حضر مجلسَ مناظرةٍ وطُلِب منه الكلامُ جثا على رُكبتيه وأنشد :

ولا يُنجي من الغمرات إلّا بَرَاكاءُ القتالِ أو الفِرارُ(٢)

وإذا ناظره فتى شابٌّ أنشد :

كيف ترجونَ سِقاطي بعد ما جَلّل الرأسَ مشيبٌ وصلَع(٣)

وإذا زاحمه خصماؤه وكثُروا عليه أنشد :

إذا اجتمعوا عليّ فخلِّ عنهم وعن أسدٍ مخالبه دوامِ

إذا اجتمعوا على فخلِّ عنهم وخِربانٍ تصيد حُبارياتٍ(٤)

وإذا قيل له إن فلاناً في فضله فُضّلَ عليه مَن دونَه أنشد :

كم قد رأينا من أسد بالت على رأسه ثعالب(٥)

وإذا قيل له أيضاً أنشد :

صرتُ كأنّي ذُبالةٌ نُصِبت تُضيء للناس وهي تحترق(٦)

وإذا استطال اللّيل أنشد :

أقول وليلتي تزدادُ طولاً أما للّيـــل بعدكمُ نهارُ(٧)

---

(١) البيت لجرير في ديوانه ٢٨٠ ومعجم البلدان (سعد) . وأنشده ابن فارس في مقاييس اللغة (سعد) مع نسبته .

(٢) لبشر بن أبي خازم في اللسان ومقاييس اللغة . (برك) وهو ختام قصيدة له في المفضليات ٢ : ١٤٥ . والبراكاء : الثبات في الحرب والجد ، وأصله من البروك .

(٣) لسويد بن أبي كاهل اليشكري في المفضليات ٢ : ١٩٨ . سقاطي : تفرّق وسقطي . ويروى : « لاح في الرأس » .

(٤) في الأصل : « وجربان تصيد حباريان » . الخربان بكسر الخاء : جمع خرب بالتحريك ، وهو ذكر الحبارى : ضرب من الطير . (٥) كذا ورد صدر هذا البيت .

(٦) العباس بن الأحنف في ديوانه ١٦٦ والكامل ١٨ ليبسك ومحاضرات الراغب ١ : ٩ وديوان المعاني للعسكري ١ : ٢٦٣ . الذبالة : الفتيلة التي تسرج في المصباح . وقبل البيت :

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا

(٧) البيت لبشار ، في المختار من شعر بشار ص ٧ برواية : « أما لليل بعدهم نهار » .

وإذا مرِضَ وعاده عُوّادُه أنشد :

وهل هى إلا علّةٌ بعــد علّةٍ   إلى العلة الكبرى وتلك هى التى

وإذا رأى رجالاً لا حَمِيّةَ ولا مَنَعَةَ فيهم أنشد :

إذا ما عُــدَّ مثلُكم رجالٌ   فما فضلُ الرجالِ على النساء

وإذا اشتكى إليه إنسان إقلالاً [أنشد] :

إذا شئتَ أن تحيا غنيًّا فلا تكن   بمنزلة إلا رضيتَ بدونهـــا

وإذا رأى ذا ضغن صاحَبَ آخر أنشد :

إذا أنت لم تسقَم وصاحبت مُسقِما   وكنت له خِدْناً فأنت سقيمُ

وإذا دخل عليه ثقيل أنشد :

أيا جبلَىْ نَعمانَ باللهِ خلِّيا   نسيمَ الصَّبا يخلُصْ إلىَّ نسيمُها(١)

وإذا جاد عليه بنزر يسير أنشد :

تُوليك نَزْراً قليلا وهى خائفة   كما يخاف مَسِيسَ الحيّةِ الفَرِقُ(٢)

وهذه جمعيةٌ لم أظفر بمثلها ، فرحِمَ اللهُ مَن فهمها وحفظها ، وأوردَ كلَّ بيتٍ فى محلّه ، ليحلَّ عند خِلّه .

---

(١) البيت لمجنون ليلى ، فى الأغانى ١ : ١٧٠/٥ : ٣٤ وحماسة ابن الشجرى ١٦٨ ، وهو فى أمالى القالى ٢ : ١٨٦ بدون نسبة . وفى الأغانى — ونحوه فى حماسة ابن الشجرى : أن أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادى القرى قبل توحشه ليمتاروا خوفا عليه أن يضيع ويهلك فمروا فى طريقهم بجبل نعمان ، فقال له بعض فتيان الحى : هذان جبلا نعمان ، وقد كانت ليلى تنزل بهما . قال : فأى الرياح يأتى من ناحيتهما ؟ قالوا : الصبا . قال : فوالله لا أريم هذا الموضع حتى تهب الصبا . فأقام ومضوا فامتاروا لأنفسهم ثم أتوا عليه فأقاموا معه ثلاثة حتى هبت الصبا ثم انطلق معهم . فى ذلك يقول :

أيا جبلى نعمان بالله خليا   نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها

أجد بردها أو تشف منى حرارة   على كبد لم يبق إلا صميمها

فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت   على نفس محزون تجلت همومها

(٢) البيت لابن هرمة . المختار من شعر بشار ٩٦ . وصدره فيه : « تبدى بذاك سرورا وهى مشفقة كما يهاب » . فى الأصل : « وهى جائعة » ، صوابه ما أثبت . المسيس : المس . والفرق : الخائف الفزع .

رسالة في أعجاز أبيات تغني في التمثيل عن صدورها

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

٢١٠ ـ ٢٨٥

مقـــدمة

وهذا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الأزدى البصرى النحوى الأديب الأخبارى ، صاحب « الكامل » الذى يقول فيه ابن خلدون : « وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة : وهى كتاب الكامل للمبرد ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى ، وما سوى هذه الأربعة تبع لها وفروع منها » .

وكان الناس بالبصرة يقولون : «ما رأى المبرد مثل نفسه» . ولما صنف أستاذه المازنى كتاب الألف واللام سأل المبرد عن دقيقه وعويصه فأجاب بأحسن جواب ، فقال له : قم فأنتَ المبرِد ، بكسر الراء ، أى المثبت للحق ، فغيره الكوفيون وفتحوا الراء .

وقد دلنى على كتابه هـذا الصديق الكريم الأستاذ محمد بن تاويت الطنجى ، فأسجل له هنا صادق الشكر .

وهذا الكتاب يشبه الكتاب السابق فى موضوعه ، إذ هو فى الأمثال الشعرية ، وإن اختلف الأسلوبان والنهجان ، فإن أبا العباس لم يذكر هنا مضارب الأمثال كما ذكرها ابن فارس ، ولم يذكر من الأبيات إلا أعجازها للغنية عن صدورها ، وليس هذا الأمر بالهين فى التأليف ، ومع أن أبا العباس قد ذكر نسبة معظم هـذه الأعجاز فإنه اقتضانا البحث عن صدور هذه الأعجاز عند التحقيق .

وأصل هذا الكتاب مخطوطة فى دار الكتب الأزهرية برقم ٧٣٣٣ أباظة . وهو فى مجموعة تشمل بعض الكتب النفيسة ، منها قواعد الشعر لثعلب ، وفحولة الشعراء للأصمعى ، وشجر الدر فى تداخل اللغة لأبى الطيب اللغوى .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : هذه أعجاز بيوت تغني في التمثيل عن صدورها .

قال أنس بن مدركة(١) الخثعمي ، وكنيته أبو سفيان(٢) :

• لشيء ما يسوَّد من يسود(٣) •

امرؤ القيس : • وكل غريبٍ للغريب نسيبُ(٤) •

وقال : • وبالأشقَيْنَ ما كان العقابُ(٥) •

وقال : • والبِرُّ خير حقيبة الرَّحْـــلِ(٦) •

النابغة : • ولا قرار على زأرٍ من الأسد(٧) •

وقال : • وذلك من تلقاء مثلك رائع(٨) •

---

(١) ومثله في الأغاني ٧ : ١٦١/٩ : ١٦ والعيني ٤ : ٢٩٩ وحماسة ابن الشجري ٤٩ . وفي الحيوان ١ : ١٨/٣ : ٨١ و ٤٦٩ والاشتقاق ٣٠٦ وشرح الحماسة للتبريزي ٢ : ١٩٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٢٨ وكتاب البسوس ٦ ومعجم البلدان (أبك ، صيدة) : « أنس بن مدركة » .

(٢) في الأصل : « أبو الحسن » صوابه من كتاب كنى الشعراء لابن حبيب الملحق بكتاب أسماء المغتالين له « مصورة دار الكتب المصرية » ، وكذا الخزانة ١ : ٤٧٨ .

(٣) صدره : « عزمت على إقامة ذي صباح »

(٤) صدره : « أجارتنا إنا غريبان هاهنا »

انظر معجم البلدان (عسيب) والشعر والشعراء ٦٩ .

(٥) صدره : « وقاهم جدهم ببني أبيهم »

ديوان امرئ القيس ١٦٠ .

(٦) صدره : « الله أنجح ما طلبت به »

والبيت يروى لامرئ القيس بن عابس الكندي . الأغاني ٣ : ٩٤ .

(٧) صدره : « نبئت أن أبا قابوس أوعدني »

(٨) صدره : « مقالة أن قد قلت سوف أناله »

وقال : * إذاً فلا بسطت سوطي إليّ يدي[1] *

وقال : * وليس وراء الله للمرء مذهب[2] *

وقال : * لمبلغك الواشي أغشّ وأكذبُ[3] *

وقال : * ولكن ما وراءك يا عصام[4] *

وقال : * وهل يأثمَنْ ذو إمّة وهو طائع[5] *

وقال : * سَبْقَ الجوادِ إذا استولى على الأمَدِ[6] *

أنس بن أبي إياس[7] : * وشـــــديد عادة منتزعة[8] *

زهير بن أبي سلمى : * وكانوا قديماً من مناياهم القتل[9] *

وقال : * ولا محالةَ أن يشتاقَ من عشقا[10] *

---

(١) صدره : * ما قلت من سيء مما أتيت به *

(٢) صدره : * حلفت فلم أترك لنفسك ريبة *

(٣) صدره : * لئن كنت قد بلغت عني خيانة *

(٤) صدره : * فإني لا ألام على دخول *

وكان النابغة قد وفد على النعمان ليعوده ، وأراد الدخول فمنعه حاجب النعمان عصام بن شهبر ، أي لا ألام على ترك الدخول إليه لأني محجوب عنه ، فتعتب على وخوفي إياه على نفسي . ويروى : * فإني لا ألومك * .

(٥) صدره : * حلفت ولم أترك لنفسك ريبة *

(٦) صدره : * إلا لمثلك أو من أنت سابقه *

(٧) هو أنس بن زنيم بن محمية بن عبد بن عدي الكناني ، وذكره صاحب المؤتلف ٥٥ . وانظر الحيوان ٥ : ٢٠٠ .

(٨) صدره كما في مجموعة المعاني ١٧٣ :

* لا تهن بعد إكرامك لي *

وقبله : سل أميري ما الذي غيره عن وصالي اليوم حتى ودعه

ونسب البيت في زهر الآداب ١ : ٢٤٣ إلى أبي الأسود الدؤلي .

(٩) صدره : * فإن يقتلوا فيشتفى بدمائهم *

أي هم أشراف دماؤهم دواء من داء الكلب ، أو هم أشراف إذا قتلوا رضي بهم من قتلهم بهم يدرك ثأره ويشتفي . من منايام القتل ، أي لا يموتون على فرشهم .

(١٠) صدره : * قامت تبدى بذي ضال لتحزنني *

وقال : * على آثار مَن ذهَبَ العفاء[١] *

عنترة : * والكفر مَخبثة لنفس المُنعِم[٢] *

لبيد : * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر[٣] *

وقال : * ومن الأرزاء رزء ذو جَلَل[٤] *

طرفة : * ويأتيك بالأخبار من لم تزوِّدِ[٥] *

أبو خراش : * وإنما نوكَّل بالأدنى وإنْ جلَّ ما يَمضي[٦] *

أبو ذؤيب : * والدهرُ ليس بمُعتِبٍ مَن يجزعُ[٧] *

وقال : * وإذا تُرَدُّ إلى قليل تَقنعُ[٨] *

حميد بن ثور : * وحسبك داء أن تَصِحَّ وتَسلما[٩] *

أبو الأسود : * وما كل مؤتٍ نصحه بلبيب[١٠] *

القطامي : * وقد يكون مع المستعجل الزَّلَلُ[١١] *

عروة بن الورد : * ومبلغ نفسٍ عذرها مثلُ مُنجِحِ[١٢] *

جرير : * ليت التشكِّيَ كانَ بالعوَّادِ[١٣] *

---

(١) صدره : * تحمل أهلها منها فبانوا *

(٢) صدره : * نبئت عمرا غير شاكر نعمتي *

(٣) صدره : * إلى الحول ثم اسم السلام عليكما *

(٤) صدره : * وأرى أربد قد فارقني *

(٥) صدره : * ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا *

(٦) صدره : * على أنها تعفو الكلوم وإنما *

(٧) صدره : * أمن المنون وريبها تتوجع *

(٨) صدره : * والنفس راغبة إذا رغبتها *

(٩) صدره : * أرى بصري قد رابني بعد صحة *

(١٠) صدره : * وما كل ذي نصح بمؤتيك نصحه *

(١١) صدره : * قد يدرك المتأني بعض حاجته *

(١٢) صدره : * ليبلغ عذرا أو يصيب رغيبة *

(١٣) صدره : * وتزور سيدنا وسيد غيرنا *

وانظر ما سبق من تحقيق هذا البيت في كتاب ابن فارس ص ١٥١ .

وقال : * رأيت المرء يلزم ما استعادا(1) *

ومثله : * وكل امرئ جارٍ على ما تعوّدا(2) *

الحطيئة : * ولا ترى طارداً للحرّ كالياس(3) *

وقال : * لا يذهبُ العرف بين الله والناس(4) *

وقال : * ومن يسوّي بأنف الناقة الذنبا(5) *

دريد بن الصمة : * يضع الهناء مواضعَ النُّقْبِ(6) *

مالك بن الريب : * وكل بلادٍ أوطنت كبلادي(7) *

سالم بن وابصة : * إن التخلق يأتي دونه الخلق(8) *

ابن الزِّبَعرَى : * وعدلنـــاه ببـدرٍ فاعتدل(9) *

---

(1) صدره : * تعود صالح الأعمال إني *
والاستعادة هنا بمعنى التعود ، كما في اللسان (عود) .
(2) هذا تطبيق الاستشهاد ، والبيت لم يرد في ديوان جرير ، فلعله استشهاد بشعر غيره .
(3) صدره : * أزمعت يأساً مريحاً من نوالكم *
(4) صدره : * من يفعل الخير لا يعدم جوازيه *
(5) صدره : * قوم هم الأنف والأذناب غيرهم *
(6) صدره : * متبذلا تبدو محاسنه *
الهناء : القطران تهنأ به الإبل ، أي تطلى . والنقب : جمع نقبة ، وهي القطع المتفرقة من الجرب في جلد البعير . وكانت الخنساء قد خرجت فهنأت ذودا لها جربى ، ثم نضت عنها ثيابها واغتسلت ، ودريد يراها ولاتراه ، فقال فيها هذا الشعر ، وأوله كما في الأمالي ٢ : ١٦١ :

حيوا تماضر واربعوا صحبي   وقفوا فإن وقوفكم حسبي

(7) صدره : * وفي الأرض عن ذي الجور منأى ومذهب *
ونسبة البيت إلى مالك بن الريب غريبة ، فإن أبا تمام رواه في الحماسة ١ : ٢٢٨ للفرزدق من أبيات ، وهي في ديوان الفرزدق ١٩٠ . ونسب في حماسة البحتري ١٨٠ إلى رجل من تميم . والفرزدق تميمي .
(8) صدره : * عليك بالقصد فيما أنت فاعله *
ونسبته إلى سالم بن وابصة تطابق ما في الحماسة ١ : ٢٩٥ . ونسب في حماسة البحتري ٣٥٨ إلى ذي الإصبع العدواني . وصدره في الأخيرة :
* اعمد إلى الحق فيما كنت فاعله *
(9) كذا في الأصل . ورواية السيرة ٦١٦ جوتنجن والحيوان ٥ : ٥٦٠ : « وعدلنا ميل بدر » . وصدره في السيرة :
* فقتلنا الضعف من أشرافهم *

الأخطل : * والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر[1] *

يزيد بن مفرغ : * والحر تكفيه الملامه[2] *

عَبْدة بن الطبيب : * وقدٌ لصالح مستمع[3] *

وقال : * والعيش شحٌّ وإشفاق وتأميلُ[4] *

وقال : * أعراقهنّ لأيدينا مناديل[5] *

عمر بن أبي ربيعة : * إنما العاجزُ مَن لا يستبد[6] *

وقال : * حسَنٌ فى كلّ عينٍ من يود[7] *

وقال : * ووجوهٌ زانها الحسنُ أن تقنعا[8] *

وقال : * وحديث النفس قدما وَلُوع[9] *

الهُذَيل بن الفرخ : * وما على الحرّ إلا الجلدُ مجتهدا *

الحارث بن وعلة : * والقول تحقره وقد يَنْمِي[10] *

= وفى الحيوان : * وقائلنا القصد من ساداتهم *

(١) صدره : * حتى استكانوا وهم منى على مضض *

(٢) صدره : * العبد يقرع بالعصا *

(٣) هو يتلوه كما فى المفضليات ١ : ١٤٣ :

إنى إلى قد كبرت ورابنى بصرى وفى لمصلح مستمتع

(٤) صدره : * والمرء ساع لأمر ليس يدركه *

(٥) صدره : * ثمت قمنا إلى جرد مسومة *

(٦) صدره : * واستبدت مرة واحدة *

وقبله : ليت هندا أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد

(٧) كذا بالياء ، وقرأ بالبناء للمفعول ، ويروى بالتاء ، وصدره :

* فتضاحكن وقد قلن لها *

(٨) صدره : * فلما تواقفنا وسلمت أشرقت *

(٩) صدره : * إن هى قد تق النوم عن *

(١٠) صدره : * أن يأبروا نخلا لغيرهم *

وقبله فى الحماسة ١ : ٦٥ :

لا تأمن قوما ظلمتهم وبدأتهم بالشتم والرغم

الخنساء : * كأنه علم في رأســـه نار[(١)] *

الأسود بن يعفر : * والدهر يُعقب صالحًا بفساد[(٢)] *

عبد الله معاوية : * ولكن عين السخط تبدى المساويا[(٣)] *

نُصيب : * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب[(٤)] *

قَعنب بن أمّ صاحب : * زَكِنتُ منهم على مثل الذي زَكِنوا[(٥)] *

ابن الدمينة : * على ذاك قرب الدار خير من البعد[(٦)] *

الطائية[(٧)] : * وكيف بتركى يا ابن أمّ الطبائعا *

أشجع بن عمرو : * ما أخّرَ الحزمَ رأىٌ قدّم الحذَرا[(٨)] *

---

(١) صدره : * وإن صخرا لتأتم الهداة به *

(٢) صدره : * فإذا وذلك لا مهاه لذكره *

وهو آخر قصيدة له في المفضليات ٢ : ١٥ — ٢٠ .

(٣) صدره : * وعين الرضا عن كل عيب كليلة *

(٤) صدره : * فعابوا فأثنوا بالذى أنت أهله *

انظر ما سبق من التعليق في كتاب ابن فارس ص ١٤٢

(٥) صدره : * وإن يراجع قلبى حبهم أبدا *

(٦) صدره : * وقد زعموا أن المحب إذا دنا *

(٧) هي غنية بنت عفيف بن عمرو بن عبد القيس ، وهي أم حاتم ، كانت من أسخى النساء وأقراهن للضيف ، وكانت لا تليق شيئا تملكه ؛ فلما رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها ، فمكثت دهرا لا تدفع إلى شيء ولا يدفع إليها شيء من مالها ، حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من إبلها ، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها كل سنة تسألها ، فقالت لها : دونك هذه الصرمة فخذيها فقد والله مسنى من ألم الجوع ما آليت معه ألا أمنع الدهر سائلا شيئا ، ثم أنشأت تقول :

لعمرى لقدما عضنى الجوع عضة ... فآليت ألا أمنع الدهر جائعا

فقولا لهذا اللائمى اليوم أعفنى ... فإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا

فماذا عسيتم أن تقولوا لأختكم ... سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا

ولا ما ترون الخلق إلا طبيعة ... فكيف بتركى يا ابن أم الطبائعا

أنظر الأمالى ٢٣٣:٢ .

(٨) صدره كما في عيون الأخبار ١ : ٣١ :

* رأى سرى وعيون الناس هاجعة *

ابن أبي عيينة : * فالصبر من كلّ أمرٍ فائتٍ خلفُ *

البكري[1] : * إنّ بني عمّكَ فيهم رماحْ[2] *

أبو حفص الشطرنجي : * لو صحّ منك الهوى أرشدتَ للحيلِ *

دعبل : * ضحك المشيبُ برأسه فبكى[3] *

دعبل : * كان يُتقى فتَقى حيث انتهى *

المكي : * خلّني قـــــلة أكفاني *

محمود : * فاصـــبر فإن الدهر لا يصـــبر *

عباس بن الأحنف : * من عالج الشوق لم يستبعد الدارا[4] *

آخر : * والمشربُ العذبُ كثير الزحام[5] *

آخر : * إن النّدى حيث ترى الضِّغاطا[6] *

آخر : * من فاته العين لم يستبعد الأثرا[7] *

---

(١) في البيان والتبيين ٣ : ٣٤٠ ومعاهد التنصيص ١ : ٣٧ أنه سحيل بن نملة .

(٢) صدره : * جاء شقيق عارضا رمحه *

(٣) صدره : * لا تعجبي يا سلم من رجل *

(٤) سبق في حواشي كتاب ابن فارس ص ١٥٦ . وصدره كما في ديوان العباس ٧٣ :

* سيقرب الدار شوقا وهي نازحة *

وفي محاضرات الراغب :

* يقرب الشوق دارا وهي نازحة *

(٥) صدره : * يزدحم الناس على بابه *

وهو بدون نسبة في عيون الأخبار ١ : ٩٠ .

(٦) هذا ليس عجزا من أعجاز الشعر ، بل هو شطر من أشطار الرجز . والرجز في البيان ١ : ١٧٧ والحيوان ٥ : ٤٥٤ . وأنشد الجاحظ الشطر في البخلاء ٢٠٣ وابن قتيبة في عيون الأخبار ١ : ٩٦ . والضغاط بالكسر : الزحام .

(٧) أي من فاته عين شيء فإنه يقنع بتتبع أثره . وأما من ظفر بعين الشيء فإنه لا يهتم بتتبع أثره . كما جاء في أمثالهم للرجل يترك شيئا يراه ثم يتبع أثره بعد فوت عينه :

* تطلب أثرا بعد عين * .

آخر : * أنّ السلامة منها تركُ ما فيها[١] *

آخر : * وما لا ترى مما يقي اللهُ أكثرُ *

آخر : * وإن الصِّبا تَعيشُ لولا العواقبُ *

آخر : * سَقَطَ العَشاء به على سِرْحان[٢] *

آخر : * إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصارا[٣] *

آخر : * ناب وقد تقطع الداويّة السابُ *

آخر : * أذِن الخِوانُ برغم أنف الحاجب[٤] *

آخر : * لا يحسنُ البِرُّ إلا بعد إنصافِ *

آخر : * لا خير في لذة من بعدها النار *

آخر : * والهجر خيرٌ من الفراقِ *

---

(١) لسابق البربري ، كما في محاضرات الراغب ١ : ٢٥١ . وسابق البربري هذا شاعر أموي . ترجم له في الخزانة ٤ : ١٦٤ . وصدر البيت :

« النفس تكلف بالدنيا وقد علمت »

(٢) قيل إن السرحان هنا الذئب ، وأن رجلا خرج يلتمس العشاء فوقع على ذئب فأكله الذئب . وقيل سرحان رجل من غني كان يقال له سرحان بن هزلة ، وكان بطلا فاتكا يتقيه الناس ، فقال رجل يوما : والله لأرعين إبلي هذا الوادي ولا أخاف سرحان بن هزلة فورد بإبله ذلك الوادي فوجد به سرحان وهجم عليه فقتله وأخذ إبله ، وقال :

أبلغ نصيحة أن راعي أهلها ... سقط العشاء به على سرحان

سقط العشاء به على متنمر ... خلق اليدين مغاود لطعان

وفي اللسان (قر) أن هذا الشعر لعبد الله بن عنمة الضبي .

(٣) أنشد هذا العجز في أمثال الميداني ١ : ٢٧ وقال : « يضرب مثلا للمدل بنفسه إذا صلي بمن هو أدهى منه وأشد » .

(٤) قيل إن البيت لبشار ، وقيل هو لغيره . عيون الأخبار ١ : ٨٦ . وفيه :

تأبى خلائق خالد وفعاله ... إلا تجنب كل أمر عائب

وإذا أتينا الباب وقت غدائه ... أذن الغداء برغم أنف الحاجب

وفي محاضرات الراغب ١ : ٣١٠ : « وإذا حضرنا الباب عند غدائه » .

آخر : * فبينا العسر إذ دارت مياسير[1] *

آخر : * وتعلم قوسي حين أنزع من يرمي *

آخر : * لكل أناس من بعيرهم خبر[2] *

آخر : * كفًا مطلقة تفت اليرمعا[3] *

آخر : * إنما الجود للمقل المواسي *

آخر : * قد ذل من ليس له ناصر[4] *

آخر : * ذهب القضاء بحيلة الأقوام *

(تمت والحمد لله وحده)

---

(١) صدره : * فاستقدر الله خيرا وارضين به *
والشعر قصة في عيون الأخبار ٢ : ٣٠٥ . وانظر مجالس ثعلب ٢٦٥ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٣٩ ونزهة الألبا ٣٤ والمعمرين ٤٠ والعقد ١ : ٣٨١ بولاق ودرة الغواص ٣٣ وأسد الغابة ٣ : ٣٥١ . ونسب الشعر في المختار من شعر بشار ٢١٣ إلى نوفل بن الضبط الفقعسي ، وفي شرح شواهد المغني ٨٦ لحريث بن لبيد العذري أو حريث بن جبلة . وفي تاج العروس (دهر) لأبي عيينة المهلبي .

(٢) يضرب في معرفة كل قوم بصاحبهم . ويروى : «في جميلهم» مصغر جمل . البيان ١ : ٣/٢٣٨ : ٣٠٠ والميداني ٢ : ١١٤ ــ ١١٥ واللسان (جمل) .

(٣) اليرمع : حجارة لينة رقاق بيض تلمع . وأنشد هذا العجز في اللسان (رمع) . وقال الميداني في أمثاله في باب الكاف : «يضرب للرجل ينزل به الأمر يهمه فيضج ويجلب فلا ينفعه ذلك» .

(٤) من بيتين في اللسان (نصر) وسمط اللآلي ١٧٤ والتنبيه على أمالي القالي ٣٠ . وهما :

قالت تبكيه على قبره   من لي من بعدك يا عامر

تركتني في الدار ذا غربة   قد ذل من ليس له ناصر

كتاب العصا

لأبي المظفر أسامة بن منقذ

٤٨٨ ـ ٥٨٤

مقـــدمـــة

أسامة بن منقذ (١) :

فى قلعة شيزر ، على بعد خمسة عشر ميلا من الشمال الغربى لحماة ، ولد الأمير أبو المظفر أسامة بن مرشد بن على بن مقـــلد بن نصر بن منقذ الكنانى الشيزرى ، الملقب مؤيد الدولة مجد الدين ، وذلك فى يوم الأحد ٢٧ من جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ وهذا العام هو الذى ألقى فيه البابا (أوربانوس الثانى) خطابه محرضاً المسيحيين على انتزاع بيت المقدس من أيدى المسلمين . وعاش أسامة حياته الطويلة المعمرة معاصراً للحروب الصليبية إلى أن نال صلاح الدين الأيوبى انتصاراته الفاصلة فى تلك الحروب ، ثم قضى أسامة نحبه فى ليلة الثلاثاء ٢٣ من رمضان سنة ٥٨٤ .

نشأ أسامة فى كنف أبويه وعمه وجدته فى أسرة جل رجالها فرسان محاربون فشب على الفروسية والجرأة النادرة وممارسة الصيد ، وملاقاة الأسود ، وعنى أبوه بتثقيفه ، فكان يحضر له كبار الشيوخ يجلس هو وإخوته منهم العلم ، فكان شيخه فى الحديث أبا الحسن على بن سالم السنبسى ، وفى الأدب أبا عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن المنيرة ، كما قرأ النحو عشر سنين على سيبويه زمانه أبى عبد الله الطليطلى النحوى . وسمع منه الحافظ أبو سعد السمعانى صاحب كتاب الأنساب (٥٠٦—٥٦٢) والحافظ ابن عساكر (٤٩٩ — ٥٧١) والعماد الأصبهانى (٥١٩ — ٥٩٧) والحافظ عبد الغنى المقدسى (٥٤١ — ٦٠٠) .

وخرج أسامة من شيزر سنة ٥٣٢ فأقام بدمشق نحواً من ثمان سنين فى رعاية صديقه معين الدين أنر ، وزير شهاب الدين محمود ، حتى نبت به دمشق فسار إلى مصر

---

(١) ترجم له ابن عساكر فى تاريخ دمشق والسمعانى فى الأنساب فى رسم (الشيزرى) وابن خلكان فى الوفيات ، وأبو شامة فى الروضتين ، وابن الأثير ، وصاحب النجوم الزاهرة والذهبى فى تاريخ الإسلام ، وياقوت فى إرشاد الأريب ، والعماد الأصبهانى فى الخريدة ، كما ترجم هو لنفسه فى كتاب الاعتبار . وانظر دائرة المعارف الإسلامية ، ومقدمة الأستاذ الكبير الشيخ أحمد شاكر لباب الآداب ، والدكتور فيليب حتى لكتاب الاعتبار . وقد اختصه صديقنا الأستاذ محمد حسين مراقب الفهارس بدار الكتب المصرية بدراسة شاملة تعد أوسع وأغزر ما كتب فى أسامة .

فدخلها يوم الخميس في الثاني من جمادى الآخرة سنة ٥٣٩ فلقي فيها إكراما من الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله عبد المجيد بن المنتصر العلوي . ثم ولي الخلافة ابنه الأصغر الظافر بأمر الله أبو منصور إسماعيل من سنة ٥٤٤ — ٥٤٩ وكان وزيره علي بن السلار الملقب بالملك العادل . وهذا أرسل أسامة في سفارة حربية سياسية إلى الملك العادل نور الدين بن زنكي .

وبعد حروب ووقائع استدعاه علي بن السلار إلى مصر فمكث بها إلى سنة ٥٤٩ ثم غادرها مكرهاً بعد اغتيال الخليفة الفاطمي الظافر الذي حدثت في عهد خلافته أحداث وفتن قتل في أثنائها الخليفة وزيره ، وذهب المؤرخون أن لأسامة يدا في قتلهما . وأما أسامة فإنه يحاول تبرئة نفسه من ذلك (١) .

ورجع أسامة من مصر إلى دمشق فأقام بها ردحا من الزمن ، ثم رحل بأهله وولده إلى حصن كيفا وأقام بها إلى أن استولى صلاح الدين الأيوبي على دمشق سنة ٥٧٠ ، وكان لأسامة ولد يدعى « أبا الفوارس مرهف بن أسامة » وكان ذا منزلة عالية عند صلاح الدين ، فظل يصنع لأبيه عند السلطان حتى استدعاه إلى دمشق وهو شيخ قد تخطى الثمانين ، فحاز إعجاب صلاح الدين وتقديره وجعله من خاصته بمنزلة المؤامر المستشار . وظل أسامة في دمشق حتى وافته منيته .

مؤلفاته :

ألف أسامة في ضروب شتى من العلم ، وأشهر كتبه كتاب (الاعتبار) ألفه وهو ابن تسعين ، وقد نشر مرتين إحداهما بتحقيق درنبورغ ، والأخرى بتحقيق الدكتور فيليب حتي . وكتاب (لباب الآداب) ألفه وهو ابن إحدى وتسعين ، وأول ناشر له هو الصديق الجليل الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر . و (البديع) في نقد الشعر . و (الشيب والشباب) عارض به الشريف المرتضى ، قال فيه أسامة : « فمن وقف عليه من الفضلاء عرف ما بينه وبين كتاب الشهاب في ذكر الشيب والشباب تأليف المرتضى رضي الله عنه ، وعلم أن الفضل للمقدم في البيان لا في التقدم في الزمان (٢) » . و (ديوان أسامة) وقد صنعه بنفسه كما نص في كتاب العصا . ومنه نسخة قديمة تاريخ كتابتها سنة ٦٨٨ دخلت في خزانة دار الكتب المصرية في ديسمبر

---

(١) الاعتبار ٦ — ٢٩ .

(٢) لباب الآداب ٣٢٧

سنة ١٩٤٧ برقم ١٦٨٧٧ ز ، وصورت منها صورتان شمسيتان اعتمدت على إحداهما في معارضة شعر أسامة .

كتاب العصا :

على أن الذي يعنينا الآن من مؤلفات أسامة هو كتاب العصا . وليس هذا العنوان من ابتداع أسامة ، فإنه يذكر لنا في مقدمة كتابه هذا ، الباعث له على هذا التأليف ، وهو قصة قصها عليه والده جاء فيها على لسان أبي يوسف القزويني مخاطبا أبا الحسن بن بوين حين أمسك من كتبه كتاباً يسمى « العصا » لمؤلف ضاع اسمه « ما أحوجك أن يكون مافي يدك فوقها » . قال أسامة (١): « ولي منذ سمعت هذا نحو من ستين سنة أطلب كتاب العصا بالشام ومصر والعراق والحجاز والجزيرة وديار بكر فلا أجد من يعرفه . وكلما تعذر وجوده ازددت حرصا على طلبه ، إلى أن حداني اليأس منه على أن جمعت هذا الكتاب وترجمته بكتاب العصا ، ولا أدري أ كان ذلك الكتاب على هذا الوضع أم على وضع غيره ... ولا أرتاب أن مؤلف ذلك الكتاب وقع له معنى فأجاد في تسميته وتأليفه ، وأنا فاتني مطلوبه ففزعت إلى تجويزه وتلفيقه » . ويدور في خلدي أن ذلك الكتاب الذي ظل أسامة يبحث عنه دهرا إنما هو « كتاب العصا » للجاحظ ، وهو من مشتملات كتاب البيان والتبيين وأن أسامة إنما التبس عليه الأمر فظن ذلك الكتاب الذي دار حوله الحديث كتاباً مستقلا لمؤلف آخر غير الجاحظ ، على حين عرف هو كتاب العصا للجاحظ ، وقرأه واقتبس منه كثيراً في كتابه هذا .

وهذا الكتاب الذي ضمنه الجاحظ الجزء الثالث من البيان والتبيين إنما كان محوره مزاعم الشعوبية الذين ذكروا في مثالب العرب أنهم يعتمدون في خطبهم على العصا ويتكئون على القوس ، « وليس بين الكلام والعصا سبب ، ولا بينه وبين القوس نسب ، وهما إلى أن يشغلا العقل ويصرفا الخواطر ويعترضا على الذهن أشبه ، وليس في حملهما ما يشحذ الذهن ، ولا في الإشارة بهما ما يجلب اللفظ .. .. وحمل العصا بأخلاق الفدادين أشبه ، وهو بجفاء العرب وعنجهية أهل البدو ، ومزاولة إقامة الإبل على الطرق أشكل ، وبه أشبه (٢) » .

(١) في مقدمته لكتاب العصا . (٢) البيان ٣ : ١٢ .

وقد انبرى الجاحظ لهم فى إسهاب جميل معلنا مزية العصا ومحاسنها ، فهو يسوق الأخبار والأشعار ، ويزجى الأمثال واللغات ، والبراهين والحجج على عظم شأن العصا وكريم فضلها ، وشدة الحاجة إليها ، وقيامها مقام سائر السلاح فى القتال .

وقد نهج أسامة فى صدر كتابه هذا منهجاً مقارباً لنهج الجاحظ ، ولكن تأليف أسامة تأبى إلا أن تحمل طابع تأليفه ، وهو العناية الظاهرة بسرد ما يعرض له فى حياته من أحداث وما يتلقفه من أخبار ، ولا سيما أخبار الصالحين والزهاد(١) ، وكذلك أخبار الإفرنج وإبداء رأيه فى أخلاقهم وسياستهم .

وهو لاينسى أن يوشح تأليفه هذا بعرض طائفة من أشعاره ، كما صنع فى كتابه الاعتبار ، وكتاب لباب الآداب .

ومما هو بالذكر جدير أن كتاب العصا قد أدى إلينا من شعر أسامة ثروة لا يستهان بها ، وهى تسعون بيتاً زائداً على شعر ديوانه التى سبقت الإشارة إليه ، كما أدى إلينا نصا نادرا لأبى العلاء المعرى ، هو نموذج من كتاب (القائف) الذى طوته أحداث الزمان .

نسخة كتاب العصا :

هذه النسخة هى إحدى نسخ ثلاث معروفة :

الأولى نسخة ليدن رقم ٣٧٠ وعليها تاريخ ١٠٩٤ . ومن هذه النسخة نشر درنبورغ (Derenbourg) مقتطفات منها مع أخرى من ديوان أسامة بعنوان (Anthologie de textes Arabes inédits par Ousâma et sur Ousâma) وذلك فى باريس سنة ١٨٩٣ .

والثانية نسخة الأمبروزيانا بميلان ، ورقمها ١٢٥ H وتاريخ نسخها سنة ١٠٦٧ .

والثالثة نسختنا هذه ، وربما كانت نقلت بسبب إلى إحدى النسختين السابقتين فإنها مكتوبة بخط حديث فى كراسة حديثة أكل الفأر بعض أطرافها . وقد أمكننى عند التحقيق سد تلك الثغرات والإشارة إليها فى مواضعها ، وهى ثغرات قليلة (٢) .

وهذه النسخة هى التى تفضل الأستاذ الكبير (الدكتور أحمد أمين بك) فأشار على أن أقوم بتحقيقها ونشرها ، وثنى بإرسالها إلى فى صحبة رسول كريم ، فكان

---

(١) انظر قصة جرار وقصة حسن الزاهد .

(٢) أشير إلى ذلك بوضعه بين ملامح التكملة [ ] .

ذلك إسهاماً كريماً في (نوادر المخطوطات) . فإليه أزجي أجل الشكر وصادق الثناء .

وبدا لي بعد ما استنسخت صورة من هذا الكتاب وعارضتها بالأصل أن أقترح على حضرته إهداء الأصل إلى دار الكتب المصرية في عهد مديرها الكاتب الكبير (الأستاذ توفيق بك الحكيم) صاحب (العصا) ، فوافق هذا الاقتراح منه مناسبة أدبية موفقة . وقد حفظت هذه النسخة بدار الكتب برقم ١٩٨١٣ ز .

العصا لا القنا :

وكان صديق العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر في مقدمته لكتاب (لباب الآداب) لأسامة قد أشار إلى كتاب العصا ، واستظهر أن يكون صوابه « القنا » لا العصا ، وبعد فترة من الزمن حين وقعت نسخة كتاب العصا إلى الأستاذ الكبير أحمد أمين بك كتب مقالاً في مجلة الثقافة (١) يقطع الشك باليقين في تسمية هذا الكتاب ، ويبين أن اسمه « العصا » لا القنا ، وعرف بالكتاب تعريفاً في مقاله هذا ، وعرض طائفة من مشتملاته ، وقد أخبرني — حفظه الله — في لقاء قريب ، أن نسخته هذه وقعت إليه منذ نحو ثماني سنوات في أوراق وكتب ، اشتراها من مكتبة (السيد محمد أمين الخانجي) .

وإليك نص كتاب العصا :

---

(١) نشر هذا المقال أيضاً في فيض الخاطر ٤ : ١٤٣ — ١٤٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه البررة المتقين ، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين ، صلاةً دائمةً إلى يوم الدين .

وبعد فإنّ النفس ترتاح لما سمعت ، وتُلِحُّ في الطلب إذا مُنِعت . وكان الوالد السعيد مجد الدين أبو سلامة مرشد بن علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ رضي الله عنه ، حدّثني أنّه لما توجه إلى خدمة السلطان ملكشاه[1] رحمه الله ، وهو إذ ذاك بأصفهان قصد القاضي الإمام الصدر العالم أبا يوسف القزويني رحمه الله ، عائداً ومسلّماً بمعرفة قديمة كانت بينهما ، ويدٍ كانت عنده للجدّ سديد الملك ذي المناقب أبي الحسن عليّ بن مقلّد رحمه الله . وذلك أن القاضي المذكور سافر إلى مصر في أيام الحاكم صاحب مصر ، فأحسن إليه وأكرمه ووصله بصلات سنية ، فاستعفى منها وسأله أن يجعل صلته كتباً يقترحها من خزانة الكتب ، فأجابه إلى ذلك ، فدخل الخزانة واختار منها ما أراد من الكتب ، ثم ركب في مركب وتلك الكتبُ معه ، يريد بلاد الإسلام التي في الساحل ، فتغيّر عليه الهواء فرمى بالمركب إلى مدينة اللاذقية وفيها الروم ، فبعِلَ بأمره[2] وخاف على نفسه وعلى ما معه من الكتب ، فكتب إلى جدي سديد الملك رحمه الله تعالى كتاباً يقول فيه : « قد حصلت ﺑ[ـلد] اللاذقية بين الروم ، ومعي كتب

---

(١) هو السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان بن محمد بن داود بن ميكائيل ، جلال الدولة أبو الفتح السلجوقي ، ثالث ملوك السلاجقة ، تولى الملك بعد أبيه ألب أرسلان سنة ٤٦٥ ، وتوفي سنة ٤٨٥ هو ووزيره نظام الملك الحسن بن إسحاق ، صاحب المدرسة النظامية .

(٢) بعل بأمره : برم وضجر فلم يدر كيف يصنع فيه .

الإسلام ، وقد وقعت لك رخيصا فهل أجلك حريصا » . فسيّر إليه من يومه ولده عمي عزّ الدولة أبا الـ [رهف[1]] نصراً رحمه الله ، وسيّر معه خيلا كثيرا من غلمانه وجنده ، وظهراً لركوبه وحمل أثقاله ، فأتاه وحمّله وما معه فأقام عند جدّي رحمه الله مدّة طويلة ، وكانت له بالوالد رحمه الله عناية وإلف ، فلما اجتاز ببغداد قصده ليجدّد به عهدا ، فحدثني رحمه الله قال :

دخلت عليه ومعي الشيخ أبو الحسن علي بن البوّين الشاعر ، وهو كاتب كان لجدّي رحمه الله ، فوجدته قد بلغ من العمر ما غيّر ما كنت أعرفه فيه ، ونسي كثيراً مما كان يذكره ، فلما رآني عرفني بعد السؤال ، لأنه فارقني وأنا صبيّ ورآني وأنا رجل ، فاستخبرني عن طريق ، فعرّفته توجّهي إلى درگاه السّلطان[2] ، فقال : تبلّغ خواجا بُزُرْك نظام الدّين[3] سلامي ، وتعرفه إن الجزء الأول من التفسير الذي قد جمعته قد ضاع ، وهو تفسير « بسم الله الرحمن الرحيم » واسأله أن يأمر باستنساخه من النسخة التي في خزانته ويُنفذه لي . وكان جمع تفسير القرآن في مائة مجلد ، وكان لضعفه وكبره مستنداً بين المجالس والمساند على فراش له ، وحوله كتب كثيرة ، وهو يكتب ، فسلّم عليه الشيخ أبو الحسن بن البوّين كاتب الأمير سديد الملك . قال : البوين أي شيء هو ؟ لعن الله البوين ! ثم فكّر هنيهة وقال : أنت الشاعر النحوي الكاتب ؟ قال : نعم . فأنشد :

قالوا الثلاثيُّ فقلت الحليق ذا عِطْبانُ الضّرع لبان[4]

ثم عاد إلى حديثه معي فلمح الشيخَ أبا الحسن وقد أخذ كتاباً من تلك

---

(١) التكملة من النجوم الزاهرة ٥ : ١٦٣ ، وهو أبو الرهف نصر بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ . وقد تولى شيزر سنة ٤٧٩ وتوفي سنة ٤٩٢ .

(٢) الدركاه : القصر ، فارسيته دركاه ، ومعناها الباب والسدة والدار ، مركب من « در » أي باب ، ومن « گاه » أي محل . الألفاظ الفارسية المعربة لأدي شير ٦٢ .

(٣) كذا في الأصل . وفي الألفاظ الفارسية المعربة ٢٢ : « البزرك فارسي محض ، ومعناه العظيم ، لقب به الوزير نظام الملك » . وانظر كتاب الاعتبار ١٧٤ – ١٧٥ .

(٤) عطبان ، عني به البالغة من الحلب ، ولم أجده في معجم .

الكتب التي حول فراشه فقال : يدخل الإنسان وينبسط ويقرأ ما عنده[1] من الكتب ، أي إنّي من أهل العلم ، ما أحوجك أن يكون ما في يدك فوقها . فألقاه من يده ، وكان الكتاب كتاب العصا .

ولي منذ سمعت هذا نحو من ستين سنة أتطلب كتاب العصا بالشام ومصر والعراق والحجاز والجزيرة وديار بكر فلا أجد من يعرفه ، وكلّما تعذّر وجودُه ازددت حرصاً على طلبه ، إلى أن حداني اليأس منه على أن جمعت هذا الكتاب وترجمته بكتاب العصا . ولا أدري أكان ذلك الكتاب على هذا الوضع أم على وضع غيره . على أنّي قد بلّغتُ النفس مُناها ، وكانت حاجةٌ في نفس يعقوب قضاها . ولا أرتاب في أن مؤلّف ذلك الكتاب وقع له معنًى فأجاد في تأليفه وتنميقه ، وأنا فاتني مطلوب فرغت إلى تجويزه وتلفيقه[2] . وكتابي هذا وإن كان خالياً من العلوم يتجمّل [أصحاب[3]] التصانيف بها ، ويرغب أولو الفضل في طلبها ، فما يخلو من أخبار وأشعار تميل النفوس إليها ، ويحسن موقعُها ممن وقف عليها . وقد افتتحته بذكر عصا موسى عليه السلام ، ثم ذكر عصا سليمان بن داود عليه السلام ، ثم أفضْتُ في ذكر الأخبار والأشعار التي يأتي فيها ذكر العصا . ولا أدّعي أني أتيت على ذكر العصا فيما جمعته ، وإنما أدرت منه ما حفظتُه وسمعته . وبالله عزّ وجل أعو[ذُ] وأعتصم ، من أن تكتب يدي ما يُؤثم وَيَصِم[4] . ومن رحمته تعالى أطلب الصفح والغفران ، عن اشتغالي بالترهات عن تلاوة القرآن ، وهو سبحانه أقرب مـ[ـدْعوّ] ، وأكرم مرجوّ .

---

(١) كذا . ولعله يريد « ما يقتناه في علمه » .

(٢) فرغ إلى الشيء : عمد له وقصد . وفي حديث أبي بكر : « افرغ إلى أضيافك » ، أي اعمد واقصد . والتجويز : الإنفاذ والإمضاء . وليس ما يضطرنا إلى تصحيحها لتكون « تحويره » .

(٣) ليست في الأصل (٤) يصم ، من الوصم ، وهو العيب .

فصل في تسمية العصا

قال أبو بكر محمد بن دريد رحمه الله[١] : إنما سميت العصا عصا لصلابتها ، مأخوذ من قولهم عَصَّ الشيء وعَصًا وعصا ، إذا صلُب . واعتصَت النواة ، إذا اشتدّت . فإنما العصا مثل يضرب للجماعة . يقال شقّ فلان عصا المسلمين والجماعة . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إياك وقتيل العصا[٣] » يريد المفارق للجماعة فيقتل . وألقى الرجل عصاه ، إذا اطمأنّ مكانه . ويقال عصا وعصوان ، والجمع العِصِيّ[٤] ، وأعصَى الكرمُ ، إذا خَرَجَ عيدانُه[٥] . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا ترفع عَصاكَ عن أهلك » ، يراد به الأدب . ويقال لعظام الجناح عِصِيّ . وعَصَوت الجرح ، أي داويتُه . والعصيان : خِلاف الطاعة . قال دريد بن الصمة :

فما عَصَوني كنتُ منهم وقد أرى غَوايتَهم وأنني غــيرُ مهتدِ[٦]

وقد سمِّيت الهراوة ، وجمعها[٧] هَراوَى . قال ابن فارس في كتاب مجمل اللغة : هَرَوته بالهراوة ، إذا ضربته بها .

قال العباس بن مرداس السُّلَمي أبياتًا ذكر فيها الهراوة أنا ذاكرها ومورِدُها لحسنها وجزالتها ، وهي من مختار الشعر . وقد اختارها أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في حماسته في باب الأدب[٨] ، وهي :

---

(١) لم أجد كلامه هذا في الجمهرة ولا في الاشتقاق .
(٢) يقال أيضا : « عِصِي » كرضي .
(٣) في الأصل : « وقتل العصا » . وهو من حديث صلة بن أشيم، رواه في نهاية ابن الأثير واللسان (عصا) باللفظ الذي أثبته . وقالا : معناه إياك أن تكون قاتلا أو مقتولا في شق عصا المسلمين .
(٤) يقال بضم العين وكسرها .
(٥) في القاموس واللسان : « خرج عيدانه ولم يثمر » .
(٦) من قصيدة في الأصمعيات ٢٣ — ٢٤ والحماسة ١ : ٣٣٦ .
(٧) في الأصل : « وأصلها » .
(٨) الحماسة ٢ : ٣٠ .

ترى الرجلَ النحيفَ فتزدريه   وفى أثوابه أســـدٌ مَزِيرُ(١)
ويعجبك الطَّرِيرُ فتبتليه   فيخلف ظنَّك الرجلُ الطريرُ(٢)
فــا عِظَمُ الرِّجالِ لهم بفخرٍ   ولــكن فخرهم كرمٌ وخِيرُ(٣)
ضِعافُ الطيرِ أطولها جسوما   ولم يطل البُزاةُ ولا الصُّقورُ
بِغاثُ الطَّيرِ أكثرها فراخاً   وأمُّ الصقرِ مِقلاتٌ نَزُورُ

— بغاث الطير : صغارها ، وفيها ثلاث لغات : ضم الباء وفتحها وكسرها .
والمقلات : التى لا يعيش لها ولد —

لقد عظُمَ البعيرُ بغير لبٍّ   فــلم يستغنِ بالعِظَمِ البعيرُ
يصرِّفه الصبيُّ بكلِّ وجــهٍ   ويحبسه على الخَسْفِ الجريرُ(٤)

— الجرير : حبل يكون فى رأس البعير —

وتضربه الوليدةُ بالهَراوَى   فلا غِيَرٌ لديه ولا نــكيرُ
فإنْ أكُ فى شرارِكُمُ قليلاً   فإنِّى فى خيارِكُمُ كثيرُ

ذكر أبو هلال العسكرى اللغوى رحمه الله فى كتاب الأوائل قال : أول من من خطب على العصا وعلى الرّاحلة قس بن ساعدة الإيادى . فما ورد عنه من خطبه قوله(٥) :

أيها الناس اسمعوا وعُوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آت . ليلٌ داج ، وسماء ذاتُ أبراج ، ونجوم تَزْهَر ، و بحارٌ تزخر ، وجبال

---

(١) المزير : الشديد القلب القوى النافذ . وفى الأصل « بزير » صوابه فى الحماسة واللسان ومقاييس اللغة (مزر) ومجالس ثعلب ١٦٢ . ورواه ثعلب : « الرجل الضعيف » .
(٢) الطرير : الشاب الناعم ذو الرواء والمنظر . وهذا البيت يروى أيضاً للمتلمس ، وليس فى ديوانه . انظر اللسان (طرر).
(٣) الخير ، بالكسر : الكرم والشرف .
(٤) الوجه : الجهة . والخسف : الذل .
(٥) انظر البيان والتبيين ١ : ٣٠٨ — ٣٠٩ والأغانى ١٤ : ٤٠ ومجمع الأمثال للميدانى عند قولهم : (أبلغ من قس) .

مُرساة ، وأرضٌ مُدحاة ، وأنهارٌ مجراة . ما بال الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضُوا فأقاموا ، أم تُرِكوا فناموا . يقسم قسٌّ بالله قَسَماً لا إثم فيه إن لله ديناً هو أرضَى وأفضل من دينكم الذى أنتم عليه . إنكم لتأتون من الأمر منكراً .
ثم أنشأ يقول :

في الذاهبين الأولـــين من القرون لنا بَصائر
لمّـــا رأيت موارداً للقوم ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحــوَها يمضى الأصاغر والأكابر
لا يَرجع المـــاضى إلـــىّ ولا من الباقين غابر
أيقنت أنّى لا محـــا لة حيث صار القوم صائر

قال المؤلف — أطال الله بقاءه — العرب تقول : فلان من قُرِعت له العصا ، إذا كان يرجع إلى الصواب ، وينقاد إلى الحق ، ويستقيم عَنَدُ رأيه[1] إذا نُبّه . وتقول : فلان صلب العصا ، إذا كان ذا تجلّدٍ وحزامة . وتقول إذا تفرقت الخلطاء واختلفت آراء المشيرة ومَرِج الأمر : انشقت العصا . وتقول للمسافر إذا آب واستقرّت به داره : ألقى عصا التسيار ، « فألقت عصا ها »

قرع العصا

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « [ما] قرعت عصا على عصا إلا فرح لها قوم وحزن آخرون » .

قال الحجاج بن يوسف الثقفى فى بعض خطبه[2] : « والله لأعصبنكم عصب السَّلَمة ، ولألحونكم لحو العصا ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل . يا أهل العراق ،

(١) العند : الميل . وفي الأصل : « عند ربه » .
(٢) جمع أسامة هنا بين نصين لخطبتين من خطب الحجاج ، أولاهما في البيان ٢ : ١٣٨ والعقد ٤ : ١١٥ وابن أبي الحديد ١ : ١٧٤ والطبرى ٧ : ٢١٢ . وإعجاز القرآن ١٢٨ . والأخرى في البيان ٢ : ٣٠٧ والكامل ٢١٠ ليبسك والعقد ٤ : ١١٩ وصبح الأعشى ١ : ٢١٨ وعيون الأخبار ٢ : ٢٤٣ وابن الأثير ٤ : ١٠٦ .

يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق . إنى والله سمعت لكم تكبيراً ليس بالتكبير الذى يراد به الله فى الترغيب ، ولكنه التكبير الذى يراد به الترهيب .
يا عبيد العصا وأشباه الإماء[١] ، إنما مثلى ومثلكم ما قاله ابن بَرّاقة الهمدانى[٢] :

وكنت إذا قومٌ غزونى غزوتُهم ... فهل أنا فى ذا يالَ همدانَ ظالمُ[٣]
متى تجمع القلبَ الذكىَّ وصارماً ... وأنفاً حميّاً تجتنبك المظالمُ

والله لا تُقرع عصاً على عصا إلا جعلتُها[٤] كأمسِ الدّابر .

وقال وعلة بن الحارث بن ربيعة[٥] :

وزعمتَ أنّا لا حلومَ لنا ... إن العصا قرعت لذى الحلم[٦]
أقلتَ سادتنا بغير دم ... إلا تُوهِنَ آمنَ العصمِ[٧]

وقال كثيِّر بن عبد الرحمن الخزاعى :

وقد قرع الواشون فيها لك العصا ... وإن العصا كانت لذى الحلم تقرعُ

ذو الحلم : عامر بن الظَّرِب العَدْوانى[٨] ، وكان حَكَماً للعرب يُرجَع إلى حكمه ورأيه ، فكبر وأفناه الكِبَر والدهر وتغيّرت أحواله ، فأنكر عليه الثانى من ولده أمراً من حكمه فقال له : إنك ربّما أخطأتَ فى الحكم ويُحمَل عنك .
فقال : اجعلوا لى أمارةً أعرفها فإذا أخطأتُ وقرعتَ لى العصا رجعتُ إلى الحكم .
فكان يجلس أمام بيته يحكم ويجلس ابنُه فى البيت ومعه العصا ، فإذا زلَّ وهفا

---

(١) فى البيان : « وأولاد الإماء » .
(٢) هو عمرو بن براقة ، أو ابن براق ، كما ذكر صاحب الأغانى ٢١ : ١٦٣ .
وهو أحد عدائى العرب ، ذكره تأبط شرا فى قصيدته الأولى من المفضليات :
ليلة صاحوا وأغروا بى سراعهم ... بالعيكتين لدى معدى ابن براق
(٣) فى البيان : « يال همدان » . (٤) فى الأصل : « يجعلها » .
(٥) كذا . والصواب : « الحارث بن وعلة » ، كما فى البيان ٣ : ٣٨ والحماسة ١ : ٦٤ .
(٦) فى البيان والحماسة : « وزعمتم ألا حلوم لنا » .
(٧) العصم : جمع أعصم وعصماء ، وهو الوعل يكون فى يديه بياض .
(٨) انظر الخلاف فى « ذى الحلم » أمثال الميدانى فى (إن العصا قرعت لذى الحلم) والمعمرين للسجستانى ٤٥ .

قَرَعَ له الجفنةَ بالعصا . وإياه عنى المتلمس بقوله :

لذى الحلم قبل اليوم ما تُقرع العصا وما عُــلِّمَ الإنسانُ إلا ليعلما

(صلب العصا) يقال فلان صلب العصا ، إذا كان جلدا قويا على السفر والـ[رِّحلة] . قال الراعى يصف راعيا :

صلب العصا بضربةٍ دمّاها[1] إذا أراد رشــداً أغواها[2]

قوله بضربة أى بسَيْرة . قال الله تبارك وتعالى : « وإذا ضَرَبْتُمْ فى الأرض » : سافرتم . وقوله « دمّاها » أى تركها كالدُّمى ، واحدتها دمية ، وهى الصور [فى] المحاريب . وقوله « أغواها » أى رعاها الغواء[3] ، وهو نبت تسمن عليه [الإبل] .

وقال [أبو[4]] الجشّر الضبى :

فإن تكُ مدلولاً على فإننى كرِعك لا غُمرٌ ولا أنا فانِ[5]
وقد عجمتنى العاجماتُ فأسارت صليبَ العصا جلْدا على الحدثانِ[6]
صبوراً على عضِّ الخطوب وضَرْسِها إذا قلّصتْ عن الفم الشفتانِ[7]

---

(١) فى اللسان (دمى) : « بزعية دماها » .

(٢) الرشد ، هنا : حب الرشاد . انظر كتاب الإنصاف والتحرى فى تعريف القدماء بأبى العلاء ٤٦٥ .

(٣) لم أجد من ذكر هذا النبات .

(٤) هذه التكملة من حماسة ابن الشجرى ٦٠ واللسان (أبى) . وذكر كلاهما أنه شاعر جاهلى .

(٥) روايه فى اللسان (دلل) . وفى الأصل : « فإن يك » تحريف . يقال : دالله على » عل « أى ما جرأك على . كرعك » هى فى اللسان : « كمهدك » . ولعل هذه « كمهدك » . الغمر ، بتثليث الغين : الذى لا تجربة له . وفى الأصل : « غمر » ، وصوابه من اللسان . والفانى : الشيخ الكبير .

(٦) عجمته العاجمات : خبرته . وفى حماسة ابن الشجرى : « لقد عجمتنى النائبات » . أسارت : أبقت .

(٧) الضرس : العض بالأضراس ، ومثله التضريس . قال الأخطل :

كلمع أيدى مثاكيل مسلبة يندبن ضرس بنات الدهر والخطب =

(انشقت العصا) العرب تقول: فلان شقَّ العصا، إذا كان لا يدخل تحت حكم ولا طاعة مخالفاً لأمر الآمرين. ويستعمل شقُّ العصا فيمن يفرق عنه أحبابه، ويظعن عنه أصحابه فيظهر مكنونَ سرِّه، ويبوحُ بخفيِّ أمره[1]، لضرورة البين الداعية إلى ذلك.

قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري في كتابه المسمى بالقائف[2]: «مرَّ ركبٌ بشجرةٍ مُورِيَة[3]، فاقتضب إنسانٌ منهم عصا ثم شقها، ثم جعل يقتدح قريباً من الشجرة فأورى الزند فقالت الشجرة: يا هذا ما أسرع ما ظهر سرُّك، وسوف ترغب الركبُ في اتخاذ زنادٍ مني، فأحورُ عيداناً في أيدي القوم. فقال: لا تلُمني للضرورة، أظهرتُ سرِّي ضرورة».

وقال قيس بن ذَريح:

إلى الله أشكو نيّةً شقّت العصا ... هي اليومَ شتّى وهي أمسِ جميعُ[4]
مضى زمنٌ والناس يستشفعون بي ... فهل لي إلى لُبنى الغداةَ شفيعُ

وأول هذه القصيدة:

سقى طللَ الدارِ التي أنتمُ بها ... حَناتمُ وبلٍ صيّفٌ وربيعُ[5]

= وقال زهير:

ومن لم يصانع في أمور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

وفي الأصل: «وضربها» صوابه في حماسة ابن الشجري. وروى بعده في الحماسة:

وقبلك ما عاب الرجال ظلامتي ... وفقأت عين الأشوس الأبيان

(١) باح الشيء يبوح: ظهر. والخفي: المستور المكتوم، يقال خفيته وأخفيته.

(٢) ذكره أبو العلاء في تصانيفه التي ألفها، وقال: «كتاب القائف على معنى كليلة ودمنة ألفت منه أربعة أجزاء ثم انقطع تأليفه بموت من أمر بعمله، وهو عزيز الفوائد». انظر تعريف القدماء بأبي العلاء.

(٣) مورية: توري النار، أي تخرجها. وفي الأصل: «موزية».

(٤) القصيدة هذه الأبيات تختلط أبياتها بشعر المجنون اختلاطا وتروى حينا للمجنون، وحينا لقيس. القالي ١ : ١٣٦ – ١٣٧ والحيوان ٥ : ١٩٣ – ١٩٤ وعيون الأخبار ١ : ٣٦١ ، ٢٥ والأغاني ٨ : ١٢٦ وحماسة ابن الشجري ١٥٧ – ١٥٨.

(٥) الحناتم: سحائب سود، الواحدة حنتمة. الصيف: المطر الذي يجيء في الصيف. والربيع: أول مطر يقع بالأرض أيام الخريف، كما في اللسان.

قال المؤلف أطال الله علاه : وقد صرّعت هذه الأبيات جميعاً وأثبتُّها فى ديوان شعرى ، وأنا ذاكر تصريع هذين البيتين لما فيهما من ذكر العصا .

قال غفر الله له :

أيرجو لى اللاحى من الحبّ مَخلَصا[1] وقلبى إذا ما رضته بالأسى عصـــا
ولو أن ما بى بالحصى فلق الحصى إلى الله أشكو نيةً شقّت العصا
هى اليوم شتّى وهى أمس جميع

أطاعت بنا لُبنى افتراء التكذّبِ وصدّ التجنّى غير صدّ التجنّبِ[2]
فيالكَ من دهرٍ كثيرِ التقلب مضى زمنٌ والناس يستشفعون بى
فهل لى إلى لُبنى الغداةَ شفيع

وقال المؤلف أطال الله بقاءه أيضاً أبياتاً فى ذكر العصا ، وهى :

رمتنا الليالى بالفراق مشتّتٍ أشتّ وأنأى من فراق المحصّبِ[3]
تخالفت الأهواء وانشقّت العصا وشتّتنا وشْكُ النوى كلّ مَشْعَبِ[4]
وقد نثر التوديعُ من كلّ مقلةٍ على كل خدٍّ لؤلؤاً لم يثقّبِ

المصراع الثانى من البيت الأول من قصيدة لامرئ القيس بن حجر الكندى واسمه حُندج[5] ، والحُندُجة : الرملة الصغيرة[6] . وأول القصيدة :

---

(١) فى الأصل : « من الذنب » والوجه ما أثبت من الديوان ٣٦٤ .
(٢) فى الديوان : « غير صد التعتب » .
(٣) ديوان أسامة ٦٠ ومسالك الأبصار ج ١٠ ص ٥٠ مصورة دار الكتب المصرية .
المحصب : موضع رمى الجمار بمنى .
(٤) فى الديوان والمسالك : « وشعبنا » .
(٥) عرف امرؤ القيس بلقبه هذا : امرؤ القيس . واسمه حندج بن حجر بن عمرو بن الحارث . ويكنى أبا وهب وأبا الحارث ، ويلقب أيضا بذى القروح . والقيس فى اللغة الشدة وقيل هو اسم صنم ، قالوا : ولهذا كان يكره الأصمعى أن يروى :
« يا امرأ القيس فانزل »
وكان يرويه : « يا امرأ الله » . شرح أبى بكر لديوان امرئ القيس .
(٦) وقيل الرملة الطيبة ؛ وقيل رملة طيبة تنبت ألوانا من النبات .

خليلىَّ مُرّا بى على أمِّ جُندبٍ . نقضِّ لُباناتِ الفؤادِ المعذَّبِ

ومنها البيت :

فلله عينا من رأى من تفرّقٍ أشتَّ وأنأى من فراقِ المحصَّبِ(١)

وقال أبو الحسن مِهيار بن مَرْزَوَيه الدَّيلمى ، من جملة قصيدةٍ له :

ما قصَّرت يدُ الزّمان شدّ ما تطوَّل فى شعبى وفى نقضِ مرر(٢)

عصًـــا شقّها ومشيبٌ فالعٌ ومنزلٌ ناءٍ وأحبابٌ غُـــدُرٌ(٣)

وصاحبٌ كالداء إن أخفيته غـــوَّرَ وهو قاتلٌ إذا استقرّ(٤)

وقال المؤلف أطال الله بقاءه :

زدنى جوًى يا حُبَّهم وأضِلَّنى يا مرشدى عن مَنهج السُّلوانِ

لا تنهنى عنهم فإنّ صبابتى لا تستطيع تطيع من ينهـــانى(٥)

أحببتهم أزمانَ غصنى ناضرٌ حتّى عسَا وعَصَى بَنانَ الجانى(٦)

فارجع بيأسك لستَ أول آمرٍ شقَّ الغرامُ عصاه بالعصيانِ(٧)

---

(١) فى شرح الديوان : « المحصب من طرقه لا يرجع إليه » . وقال ابن السيرافى : المحصب : الموضع الذى يرمى فيه بحصى الجمار ، ثم كانت تجتمع العرب من الأماكن المختلفة فيرى وينظر الرجل إلى وجوه النساء فربما هوى الرجل منهم بعض من هوى من النساء ، فإذا تم حجهم مضوا فى طرق شتى » .

(٢) ديوان مهيار ١ : ٤١٣ من قصيدة كتب بها إلى أبى القاسم هبة الله بن على بن ماكولا . وفى الديوان : « ياقصرت » فيكون هذا دعاء عليها . وفى الديوان أيضا : « فى ثنيى » . والمرر جمع مرة ، وهى الطاقة من طاقات الحبل ، كناية عن الشدة . وأراد نقض مررى ، فحذف ياء المتكلم . وفى الديوان : « المرر » .

(٣) فالع ، هى فى الأصل « زالع » . وفى الديوان : « ومشيب عنت » .

(٤) غور ، من قولهم غور الماء فى الأرض : ذهب فيها وسفل . وفى الديوان : « عور » بالمهملة . وفى الأصل : « وهو قاتل » صوابه من الديوان .

(٥) كذا فى ديوان أسامة ٤٥ . وفى الأصل : « لا تنه عنهم » ، تحريف .

(٦) البنان : الأصابع ، أو أطرافها . والجانى : الذى يحاول أن يجنيه ويلويه .

(٧) فى الأصل : « أول امرئ » تحريف .

وقال أيضا :

كم ذا التجنى وكثرةُ العِلَلِ   لا تأمنوا من حوادث المُلَلِ
ولا تقولوا صبٌّ بنا كلِفٌ   فأوّلُ اليأس آخر الأمَلِ
ولستُ ممن يريد شقّ عصاً   الذّنب ذنبي والحب شفّع لي[1]
هبونى أخطأت عامداً فهبوا   خجلةَ عذرى ما كان من زَلَلي[2]

وقال امرؤ القيس بن حُجر الكندى :

إذا ما لم تكنْ إبلٌ فمِعْزَى   كأنّ قرون جلّتها العِصِيُّ
فتملأ بيتنا أقِطاً وسَمْناً   وحسبك من غنًى شِبَعٌ ورِيُّ

أى كفاك . وكذلك حسبك الله ، أى كفاك .

العرب تقول : « طارت عصا بنى فلان شِقَقاً » . وقال الأسدى :

عِصِىُّ الشملِ من أسدٍ أراها   قد انصدعت كما انصدع الزُّجاجُ

ويقال : « فلان شقّ عصا المسلمين » ، ولا يقال شقّ ثوباً ولا غير ذلك مما يقع عليه اسم الشق[3] .

(ألقى العصا) يقال ألقى عصا التسيار ، إذا أقام وترك السفر . وكأنّ العرب عنَتْ بقولها « ألقى عصاه » أى وصل إلى بغيته ومُراده ، أو وطنه ومَرَاده ، ومراحه ، ومظنة استراحته . قال الأصمعى — واسمه عبد الملك بن قريب — قصيدةً مدح بها جعفر بن يحيى البرمكى ورحل إليه فاستقبل أن يصل إليه ، وذكر فيها العصا ، وهى قصيدة طُولى أنا موردٌ منها نبذةً لأجل العصا ، وهى :

فخَلَت إليهـــا مثاقيلَها   وألقت عصا السَّفَرِ المِسفَرِ[4]

---

(١) فى الديوان ٤٠ : « يشفع لى » .
(٢) فى الأصل : « حجلة عذرى » صوابه من الديوان .
(٣) الكلام من « العرب تقول » إلى هنا ، مقتبس من البيان والتبيين ٣ : ٣٩ — ٤٠ .
(٤) المثاقيل : جمع مثقل بفتح الميم وكسرها ، وهو الخف ، وزيادة الياء فى مثل هذا الجمع جائز عند الكوفيين اطرادا . والمسفر : الكثير السفر ، وصف به السفر مبالغة ، كما يقال جهد جاهد ، ونصب ناصب .

وقال راشد بن عبد الله[1] :

وخبَّرها الرُّوَّادُ أنْ ليس بينها ... وبين قرى نجرانَ والدَّربِ كافرُ[2]

فألقت عصاها واستقرَّت بها النَّوى ... كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ[3]

وقال آخر[4] :

فألقت عصا التَّسيار عنها وخيَّمتْ ... بأجباء عذبِ الماء بيضٍ محافرُه[5]

الجَبَا : ما حول البئر ، مفتوح الجيم مقصور ، وجمعه أجباء ممدود . وقوله « بيض محافره » يريد أنه يحفر في أرض جرداء[6] ، ولا من دمن ، بل هي أرض صلبة .

وقوله : « خيمت » أي اتخذت [خيمةً] فأقامت .

روى أن قتيبة بن مسلم[7] لما تسنَّم منبر خراسان سقط القضيبُ من يده فتطيَّر له صديقه وتشاءم عدوُّه ، فعرف ذلك قتيبة فحمد الله تعالى عليه ثم قال : ليس كما سرَّ العدوَّ وساء الصديق ، بل كما قال الشاعر :

فألقت عصاها واستقرَّ بها النَّوى ... كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ

قال المؤلف أطال الله بقاءه : قال جدِّي الأمير سديد الملك والناقب أبو الحسن

---

(١) كذا . وفي البيان ٣ : ٤٠ نسبة البيت الثاني إلى مضرس الأسدي ، وفي اللسان (عصا) نسبته إلى عبد ربه السلمي ، أو سليم بن ثمامة الحنفي ، أو معقر بن حمار البارقي . ونسب البيت الثاني في المؤتلف للآمدي ٩٢ إلى معقر بن حمار .

(٢) الكافر ، هنا : المطر ، كما في اللسان (كفر ، عصا) عند إنشاد البيت .

(٣) النوى : الوجه الذي ينويه المسافر ، وهي مؤنثة . وكذا ورد البيت في البيان والقصص ١٢ : ٦١ / ١٠ : ١٧٢ / ١٦ : ١١٠ ، وفي اللسان (عصا) : « واستقر » . وترك تأنيث الفعل في مثل هذا جائز . وفي اللسان (نوى) : « واستقر » أيضاً ، وهذا لا يتفق مع الغرض الذي سيق له الاستشهاد .

(٤) هو مضرس الأسدي ، كما في البيان ٣ : ٤٠ .

(٥) في البيان : « بأرجاء » .

(٦) في الأصل : « سوداء » . وفي اللسان (بيض) عند تفسير قوله : « وكانت لهم البيضاء والسوداء » « أراد بالبيضاء الخراب من الأرض لأنه يكون أبيض لا غرس فيه ولا زرع . وأراد بالسوداء العامر منها لاخضرارها بالشجر والزرع » .

(٧) الخبر في عيون الأخبار ٢ : ٢٥٦ ومحاضرات الراغب ١ : ٧٠ .

عليّ بن مقلد رحمه الله ، يخاطب بعض ولاة حلب :

خيّمتَ في حلبِ العواصمِ بعد ما قلّدتَ خوفَكَ نازحَ الأقطارِ
لا ترضَها دار الثّواء ولا تقُلْ في مثلها تُلقَى عصـا التّسيارِ
استحيِ من أحداثِ قومِك أن ترى عرَضَ البسيطة وهي دارُ قرارِ

قال المؤلف أطال الله بقاءه : حدثني من أثق به في شوال سنة تسع وستين وخمسمائة بحصن كَيفا[١] قال : كان في خدمة الأمير نجم الدولة مالك بن سالم صاحب قلعة جَعْبر[٢] رجلٌ عوّاد يقال له أبو الفرج حدثني : كنت يوماً في مجلس الأمير نجم الدولة وهو يشرب إلى [أن[٣]] سكر ، وانصرفت إلى منزلي ، فما كان أكثر من مُضِيّ ساعتين من الليل إذ وافاني رسوله فقال : الأمير يستدعيك . فقلت : ما تركتُ حتّى سكر ! قال : هو أمرني بإحضارك . فمضيت معه فرأيت الأميرَ جالساً ، فقال : يا أبا الفرج ، بعد انصرافكم نمت فرأيت إنساناً يغنّيني صوتاً حفظته ثم أُنسيته وأريد أن تذكّره لي . فقلت : يا مولاي ، اذكر لي منه كلمة . فقال : ما أذكرُ منه شيئاً ولكن اعرضْ عليّ ما يحضرك . فعرضت عليه أصواتاً كثيرة وهو يقول : ما هـذا الصوتُ الذي رأيتهُ ! ثم قال : انصرف وأفكِّرْ لعلك تذكره . فانصرفت وأصبحت من بكرةٍ طلعت إلى خدمته فقال: يا أبا الفرج ، أيُّ شيء كان من الصوت ؟ قلت : يا مولاي لا يعلم الغيبَ إلا الله سبحانه وتعالى . قال : والله لئن لم تذكره لأخرجنّك من القلعة . فقلت : والله يا مولاي ما أدري ، ما أذكره من صوتٍ ما سمعته ولا ذكرتْ لي منه كلمة واحدة !! فقال : خذوه وأخرجوه . فأخرجوني إلى « البلبل[٤] » فأقمت فيه يوماً

(١) مدينة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر .
(٢) قلعة جعبر ، على الفرات مقابل صفين التي كانت بها الوقعة . وكانت تعرف أولا بدوسر ، فتملكها رجل من بني نمير يقال له جعبر بن مالك ، فغلب عليها فسميت به .
(٣) تكملة ليس لها موضع في الأصل .
(٤) البلبل ، كذا وردت .

ثم ردّنى وعدت فى الخدمة كما كنت . فأنا يوماً فى المجلس أغنى إذ قال لى بعض الفراشين : على الباب رجلٌ يطلبك . فخرجت إليه فرأيت رجلاً عليه عمامة مطلّسة كعمائم المغاربة ، فسلّم علىّ وقال : قد قصدتك لتوصّل لى فى الحضور بمجلس الأمير فأنا رجلٌ مغنٍّ . فدخلت وأعلمته به فقلت : يا مولاى ، إن كان مجيداً سمعتَه واستخدمته ، وإلا وهبتَه شيئاً وانصرف . فأذن له فدخل فسلّم وجلس فشد عودَه وغنّى :

وخبّرها الرّوّاد أن ليس بينها ... وبين قُرى نجران والدرب كافرُ
فألقت عصاها واستقرّت بها النوى ... كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ

فقال الأمير : لا إله إلا الله ، هذا والله الصوت الذى رأيته فى منامى وطلبته منك . فعجبت أنا ومن حضر لهذا الاتفاق .

(عصا الأعرج) . وقال المؤلف أطال الله بقاءه فى أعرج بيتين على سبيل الرياضة ذكرها وإن لم يكن فيها ذكر العصا :

عابوا هوًى شادنٍ فى رجله قِصرٌ ... من سكر ألحاظه فى مشيه ثَمَلُ(1)
وما هوًى خُوطِ بانٍ ماسَ من هيفٍ ... عيبٌ ، وإنْ كان عيباً فهو محتمل

فصل

قال المؤلف أطال الله بقاءه : زرت بيت المقدس فى سنة اثنين و[ ](2) وخمسمائة ، وكان معى من أهله من يعرفنى المواضع التى يصلّى فيها ويتبرك [بها] ، فدخل بى إلى بيتٍ جانبَ قبة الصخرة فيه قناديلُ وستور ، فقال لى : هذا بيت السلسلة . فاستخبرته عن السلسلة فقال لى : هذا بيتٌ كانت فيه على عهد بنى إسرائيل سلسلة ، إذا كان بين اثنين من بنى إسرائيل محاكمة ووجبت اليمينُ على أحدهما دخلا هذا البيت ، فوقفا تحت السلسلة واستُحلِف المدّعَى عليه ، ثم يمد يده

(1) البيتان فى ديوان أسامة ص ١٩١ .
(2) تحتمل أن تكون ثلاثين أو ثمانين . والأولى هى الأقرب .

فإن كان صادقاً أمسك السلسلة ، وإن كان كاذباً طالت عن يده فلا يصل إليها . فأودَعَ رجلٌ من بني إسرائيل جوهراً عند رجل ، ثم طلبه منه فقال: أعطيتك إياه . فقال : تحاكمني إلى السلسلة . فمضى المستودع فأخذ عصاً فنقبها وحفر فيها للجوهر وتركه فيها ، ثم ألصقها عليه ودهنها ، وأخذها في يده ودخل مع خصمه بيت السلسلة فقال للخصم : أمسِكْ عني هذه العصا . فتمسّكها ثم حلف له أنه سلّم الجوهرة إليه ومدّ يده فأمسك السلسلة ثم عاد أخذ العصا وخرجا ، فارتفعت السلسلة من ذلك اليوم .

ولم أر هذا الحديث مسطوراً ، وإنما أوردته كما سمعته .

قال المؤلف أطال الله بقاءه : كان عندنا بشيزر رجلٌ زاهد من خيار المسلمين ، اسمه جرّار ، رحمه الله ، وكان منقطعا على مسجد على جبل جريجس لا يخرج منه إلاّ على صلاة الجمعة ، وكنت أزوره فيه وأتبرّكُ به . فحدّثني بعض من كان يخالطه أنه قال : أردت زيارة الشيخ يس رحمه الله ـ وأظنه كان بمَنْبِج ـ فخرجت أنا ورفقةٌ لي ، وفي نفسي أن أطلبَ منه عصاً ، فلما صرنا بالقُرب من مَنْبِج ومعنا فضلةٌ من زادنا فتحنا رُجْمَ حجارة[1] ودفناها فيه ثم رددنا عليه الحجارة ، ودخلنا على الشيخ رحمه الله فأقمنا عنده ما أقمنا ، ثم ودّعناه وعزمنا على السير ، فأحضَرَ لنا زاداً وقال : احملوا هذا فإنّ زادكم أكله الثعلب . وأحضر عصاً وأخرج من تحت عمامته طاقيّة[2] وقال لي : خذ هذه العصا وهذه الطاقية . فودّعنا وانصرفنا وأنا مسرورٌ بالعصا والطّاقية ، ونحن

---

(١) الرجم ، بالضم : جمع رجمة ، وهي حجارة ضخام مجموعة .

(٢) يراد بالطاقية ضرب من القلانس تدار عليه العمامة ، وهي وإن كانت عربية اللفظ فإنها لم تذكر في المعاجم . كأنها منسوبة إلى الطاق ، وهو ضرب من الثياب ، أو الطيلسان ، أو الأخضر منه . وقد استعمل الفرس هذا اللفظ . وفسره استينجاس في المعجم الفارسي الإنجليزي ٨٠٦ ـ ٨٠٧ بقوله: A fillet, especially one worn under the head-dress أي عصابة تلبس تحت لباس الرأس .

نعجّبُ من قوله عن الزاد . فلما صرنا إلى الموضع الذى فيه الزّادُ طلبناه فلم نجدْه ، وإذا الوحشُ قد أكلته ، فسِرْنا ثم افترقنا وركِبَ كلٌّ منّا قصدَه ، فوصلت إلى أرض شَيْزَر وإذا الفرنج قد أغاروا على البلد ، وهم منتشرون فيما بينى وبين قَصدِى ، فوقَعَ فى نفسى أنْ أخرجت الطاقيّة من تحت عمامتى ووضعتُها على رأس العصا ومشَيت على الطَّريق ، والفرنج عن يمينى وشمالى وبين يدىّ والعصا فى يدى وعليها الطاقية . فلا والله ما عارضنى منهم أحد ، كأنّ الله سبحانه وتعالى أعمى أبصارهم عنّى ، فما نالنى منهم سُوء حتّى وصلتُ إلى مأمنى .

* * *

قال المؤلف أطال الله بقاءه : ولعلّ من يقف على هـذا الحديث يدفعه ويكذّبه . وقد جَرى بشَيزر ما هو أعجبُ من هذا ، وأنا حاضر . نَزَلَ الفرنج علينا فى بعض السِّنين ، وكان الماء بيننا وبينهم ، وهو إذْ ذاك زائدٌ لا يمكن خوضُه ، فما كان لنا إليهم سبيلٌ ولا لهم إلينا ، فلما تبيّنوا ذلك انتشروا فى الأرض ودخلوا فى البساتين يَرعَون خيلَهم ، فجاء نفرٌ منهم إلى بستانٍ على جانب الماء ومعهم خيلُهم ، فتركوها تَرعى فى قَضْ[بٍ[1]] فى البستان وناموا ، فتجرّد رجالٌ من أصحابنا وسَبَحوا إليهم ومعهم سيوفُهم ، فقتلوا منهم وجرحوا بعضَهم ، وانتشر الصِّياح فى الفرنج وهم فى خِيَمهم ففزعوا وجاءوا مثلَ السَّيل ، كلُّ من ظفروا به قتلوه ، وانتهى بعضُهم إلى مسجدٍ مما يليهم يعرف بمسجد أبى المجد بن سُمَيّة ، ونحن نراهم ولا سبيلَ لنا إليهم ، وفى المسجد [رجلٌ[2]] يُعرَف بحسنٍ الزاهد رحمه الله ، واقفٌ يصلّى على سَطحه وعليه ثياب سودٌ صوفٌ ، وبابُ المسجد مفتوح ، فجاء الفرنج وترجّلوا ودخلوا المسجد، ونحن نقول : الساعةَ يَقتُلون الشّيخ .

(١) فى الأصل : « قص » ولعل تكملتها وصوابها ما أثبت . والقضب : الرطبة ، وهو نوع من المرعى يسمى فى مصر : البرسيم . انظر تذكرة داود .

(٢) ليس لها موضع فى الأصل . والكلام يقتضيها .

فلا والله ما قطعَ صلاته ولا تحرك من مُصلّاه ، ونحن نظنّ أنهم يرونه كما نراه ، إلاّ أنّ الله سبحانه وتعالى أعمى أبصارَهم عنه ، وحماه من كيدِهم ، وخرجوا من المسجد بأجمعهم وانصرفوا ، والشيخ رحمه الله في مُصلّاه كما كان . وما العِيان كالإخبار والسّماع .

* * *

قال المؤلف أطال الله بقاءه : حضرت بدمشق وقد وقع بين العُميان وبين رجلٍ كان يتولّى وقفَهم يعرف بابن البعلبكّيّ خُلْف ، فقفوا فيه صاحب دمشق شهابَ الدين محمود بن تاج الملوك بُوري رحمه الله[1] عدّة مرار ، فقال للأمير مجاهد الدين بُزَان بن مامين : أي مجاهدَ الدين ، تالله خلِّصْني منهم ، واجمعْهم وأحضِرْ نائبَهم في الوقف والفصِلْ حالَهم . قال : السّمع والطاعة . وقال لي مجاهد الدين : تفضّلْ واحضُر معنا . فاجتمعنا في إيوانٍ كبير في دار ، وحضر النائب ابنُ البعلبكي ونائبٌ كان قبله يقال له ابن الفرّاش ، وحضر العُميان في نحوٍ من ثلاثمائة رجل ، فجلوا قدّامهم ودخلوا الإيوان ، كلٌّ واحدٍ وعصاه معه في يده وضَعَها إلى جنبه ، ثم تحاوَرُوا الحديث ، فكان بعضُهم هواه مع النائب الأول ابن الفراش ، وبعضهم هواه مع ابن البعلبكي . فتنازعوا وتخاصموا ساعةً ولا يتدخّل بينهم لعلوّ أصواتهم وكثرتهم ، ثم تواثَبوا فارتفع في الإيوان نحوٌ من ثلاثمائة عصاً في أيدي العُميان لا يَدرون مَن يَضرِبون . وعلا الضّجيجُ والصّياح حتى ندِمتُ على حضوري . فتلطّفنا الأمر حتى سكنت الفتنةُ بينهم ، ومشّينا أمرَهم على ما أرادوا ، وما صدّقنا أنهم ينصرفون .

---

(١) قتل سنة ٥٣٣ في مؤامرة لجماعة من الأمراء . النجوم الزاهرة .

العصا فرس جذيمة الأبرش(١)

قال المؤلف أطال الله بقاءه : ومع ما أوردتُ فيها(٢) من قول أصحاب السِّيَر وأشعار الشعراء فلا يحقِّق ذلك(٣) مَنْ مارسَ الحروبَ وعرفَ مكايدها ، واتقاءَ الرجال التغرير ، والتخوّفَ من سوء عواقب الحيلة وضعفِ المكيدة . والحزمُ فى الحرب أبلغ من الإقدام . وقد حاربتُ الفرنج فى مواقفَ ومواطن لا أحصى عددَها كثرةً فما رأيتهم قطُّ كسرونا فلجُّوا فى طلبنا ، ولا يَزيدون خيلهم عن الخبب والنَّقْل ، خوفاً من مكيدةٍ تتمُّ عليهم ، فكيف يحكم مَن فى رأسه لبٌّ على نفسه حتى يدخُل فى غرارةٍ مشدودةٍ عليه(٤) وفى تابوت ، وكيف يخفى الرَّجُل إذا رُبطَت عليه غرارة .

وخطر لى أن قلت عند انتهائى إلى هذا الموضع أبياتاً أنا ذاكرها ، وهى :

لو سرتَ فى عرض البسيطة طالبا   رجلاً خبيراً بالحروب مجرِّبا(٥)
عانَى الحروب مجاهراً ومُخاتِلاً   طفلاً إلى أن عادَهُ أشيبا
قتل الأسودَ ونازل الأبطالَ فى الـ   ـهيجاء واقتاد الكمِىَّ المجرَّبا(٦)

---

(١) وهى التى قيل فيها المثل : «إن العصا من العصية» ، وجذيمة الأبرش هذا ، هو جذيمة بن مالك الأزدى ملك الحيرة ، وقد نجا قصير بن سعد اللخمى على فرسه هذه فأخذ بثأره وقتل الزباء ، فى حديث طويل . اللسان (عصا) والخيل لابن الكلبى ٣٦ وحلية الفرسان نشرة محمد عبد الغنى حسن ١٥٩ .

(٢) فى الأصل : «أوردته فيه» .

(٣) أى لا يحسنه جدا .

(٤) يشير إلى ما صنعه عمرو بن عدى بمشورة قصير ، من حمله الرجال على الإبل فى غرائر ليتمكنوا من دخول مدينة الزباء . انظر مجمع الأمثال فى (خطب يسير فى خطب كبير)، والأغانى ١٤ : ٧٢ ومروج الذهب ٢ : ٩٦ .

(٥) هذه الأبيات مما لم يرو فى ديوان أسامة .

(٦) قال أسامة بن منقذ : وقد شهدت قتال الأسد فى مواقف لا أحصيها ، وقتلت عدة منها لم يشركنى أحد فى قتلها فما نالنى من شىء منها أذى . الاعتبار ١٤٤ نشرة فيليب حتى .

لم تُلقَ مثلى من يكاد يُريه حُسـ نُ الرأيِ ما قد كان عنه مغيَّبا
وأرى مسير الألفِ تطلب وِترها يحمِنَ القراقرية وتكذبا(١)

فصـــــل

قال الفرزدق فى قصيدة مدح بها هشام بن عبد الملك(٢) :

رأيت بنى مروان جلّت سيوفُهم عَشًا كان فى الأبصار تحت العمائم(٣)
عصا الدين والعودَين والخاتم الذى به الله يعطى ملكَه كلَّ قائم

ـ عصا الدين : السيف . والعودان : العصا والمنبر ـ

رأيت الغشاوات انجلت حين أعطيت هشاماً عصا الدين الذى لم تخاصم(٤)

فصـــــل

قال معن بن أوس المزنى :

إذا اجتمع القبائل كنتَ رِدفاً أمام الماسحين لك السبالا(٥)
فلا تُعطَى عصا الخطباء فيهم وقد تُكفَى القيادةَ والمقالا

وقال آخر فى عصا الخطابة :

إذا اقتسم الناس فضلَ الفخارِ أطلْنا إلى الأرض ميل العصا(٦)

(١) الألف ، يعنى ألفا من الجنود .
(٢) قالها وهو محبوس . ديوان الفرزدق ٨٤٥ ـ ٨٤٧ .
(٣) جلت ، من الجلية ، وهى الإجلاء والطرد .
(٤) هذا البيت لم يرو فى قصيدة الفرزدق .
(٥) البيتان فى ديوان معن بن أوس ، رواية القالى ، ص ٢٥ ليبسك ١٩٠٣ . وهما فى البيان ١ : ٣/٣٧٢ : ١٠ . السبال ، جمع سبلة ، وهو مقدم اللحية . ومسح اللحى كناية عن التهدد والتوعد ، أو هو تأهب للكلام . انظر تفسير البغدادى فى الخزانة ١ : ٣٢٠ لقول الشماخ :
أتتنى سليم قضها بقضيضها تمسح حولى بالبقيع سبالها
(٦) البيان ١ : ٣٣/٣٢ : ٨ .

تقول العرب[١] : ما تزال تحفظ أخاك حتى يأخذ القناة فعند ذلك يفضحك أو يمدحك . تقول : إذا قام الخطيب والقناة بيده فقد قام المقام الذى يخرج منه[٢] مذموما أو محمودا .

وقال جرير بن عطية :

مَنْ للقناة إذا ما عَيَّ قائلها أم للأعِنَّة يا عمرو بن عمار[٣]

عن عبد الله بن رؤبة بن العجاج قال : سأل رجلٌ رؤبةَ عن أخطب بنى تميم ، فقال : خِداش بن لَبيد بن بَيْبَة بن خالد . يعنى البَعِيث الشاعر . وإنما قيل له البعيث لقوله :

تبعَّثَ منى ما تبعَّث بعــد ما أُمِرَّتْ حبالى كلَّ مِرَّتِها شَزْرا[٤]

قال أبو اليقظان : كانوا يقولون : أخطب بنى تميم البَعِيث إذا أخذ القناة فهزَّها ثم اعتمد بها على الأرض ثم رفعها . يريد بالقناة بالعصا .

قال يونس : لئن كان مغلَّبا فى الشعر لقد غُلِّب فى الخطب[٥] .

العرب تقول : اعتصَى بالسيف ، إذا جعل السيف عصاً . وقال عمرو بن الإطنابة :

وفتًى يضرب الكتيبةَ بالسَّيـ ـفِ إذا كانت السيوفُ عِصيا[٦]

وقال [عمرو بن[٧]] محرز :

نزلوا إليهم والسيوفُ عصيُّهم وتذكَّروا دِمَنًا لهم وذُحولا[٨]

---

(١) هو قول أبى الجهيب الربعى ، كما فى البيان ١ : ٣٧٣/٣ : ١٠ .
(٢) فى البيان : «الذى لابد من أن يخرج منه» .
(٣) البيت فى البيان أنشد بهذه الرواية : «يا عقب بن عمار» . انظر ديوان جرير ٢٣٦–٢٣٧ .
(٤) البيان ١ : ٣٧٤/٣ : ١٠ .
(٥) انظر البيان ١ : ٣٧٤/٢ : ٣١٢/٣ : ١١ .
(٦) البيان ٣ : ٢٧ ، والأغانى ١٠ : ٢٨ .
(٧) التكملة من الأغانى ١٠ : ٢٨ .
(٨) الدمن : جمع دمنة ، وهو الحقد القديم . والذحول جمع ذحل ، وهو الثأر .

فصل جامع

قال عمرو بن بحر الجاحظ : الدليل على أن [أَخْذَ][1] العصا مأخوذ من أصل كريم، ومعدنٍ شريف ، اتّخاذُ سليمان بن داود عليهما السلام العصا لخطبته وموعظته ، ومقاماته ، وطول صلواته وتلاوته وانتصابه . فجعلها لتلك الخصال [جامعة[2]] . وقولُ الله عزّ وجل : (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ) . والمنسأة هي العصا . وقال أبو طالب حين قام بذمّ الرجل الذى ضرب أبا نبقة[3] (وفى نسخة أبا نيقة) واسمه علقمة[4] حين تخاصما :

أمن أجل حبلٍ ذى زمامٍ ضربتَه بمنسأةٍ قد جاء حبل وأحبلُ[5]

و (المحجنة[6]) : العصا المعوجّة . وفى الحديث المرفوع أنه صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت يستلم الأركان بمحجنة[7] . وفى الحديث أن أبا بكر رضى الله عنه أفاض من جَمع وهو يخرش بعيرَه بمحجنة[8] .

والعرب تقول : « لو كان فى العصا سير » للمقلّ والضعيف . قال أبو تمّام حبيب بن أوس الطائى :

---

(١) التكملة من البيان ٣ : ٣٠ .

(٢) التكملة من البيان .

(٣) الذى فى نسخ البيان والتبيين: « الذى ضرب زبيبة » . انظر ٣ : ٣٠ .

(٤) أبو نبقة ، ورد اسمه فى السيرة ٧٧٣ فيمن قسم لهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى مقاسم خيبر . وترجم له ابن حجر فى الإصابة ١١٣٦ فى باب الكنى . والذى فى الإصابة أن علقمة هو والد أبى نبقة ، واسم أبى نبقة عبد الله بن علقمة بن المطلب بن عبد مناف ، وقد ورد ذكر علقمة بن المطلب بن عبد مناف فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٦٦ .

(٥) البيت فى البيان ٣ : ٣٠ وليس فى ديوان أبى طالب مخطوط الشنقيطى بدار الكتب وهو مع بيتين آخرين فى اللسان (نسأ) ، ورواية اللسان والبيان : « أمن أجل حبل لا أباك » .

(٦) يقال محجن ومحجنة .

(٧) فى البيان ٣ : ٨٥ واللسان : « بمحجنه » .

(٨) جمع ، هى المزدلفة . وفى البيان ٣ : ٨٥ « بمحجنه » .

يا لك من همّةٍ ورأى   لو أنه فى عصاك سيرُ(1)
ربّ قليلٍ أجدى كثيراً   كم مطرٍ بدؤه مُطيرُ
صبراً على الحادثات صبراً   ما فعل الله فهو خيرُ

وتقول العرب : قد أقبل فلان و [لانت(2)] عصاه ، إذا أصابه الشواق — وهو ذَهاب المال ومو [تُه] — فرجع وليس معه إلا العصا ، فإنه لا يفارقها إن كان معه إبل أوْ لا . قال حُمَيد بن ثور :

واليوم يَنْتَزِعُ العصا من ربّها   ويلُوك ثِنْىَ لسانِه المنطيقُ(3)

قيل : كانت العرب تقاتل بالعصىّ ، فلهذا قال الأعشى ميمون بن قيس ابن جندل :

لسنا نُضارب بالعصىّ ولا نقاذف بالحجاره(4)
إلا بكلّ مهندٍ عَضْبٍ من البيض الذّكاره(5)
قَضِمِ المضاربِ باترٍ يشفى النفوسَ من الحراره(6)

وقال جندلٌ الطُّهوىّ :

حتّى إذا دارت عصانا تجرى(7)   صاحت عصىٌّ من قناً وسِدرِ(8)

تقول العرب : « العصا من العُصَيّة والأفعى من الحية » . تريد أن الأمر الكبير يحدث من الصغير .

---

(1) الأبيات مما لم يرو فى ديوان أبى تمام . وهى فى البيان ٣ : ٦٧ . ورواية الأول :
« مالك من همة وعزم »
(2) التكملة من البيان ٣ : ٥٢ .
(3) فى البيان ٣ : ٥٣ : « فنزع العصا » وفى مجالس ثعلب ٦١٩ واللسان (طلق) : « واليوم يشرع » .
(4) ديوان الأعشى ١١٥ والبيان ٣ : ٥٥ .
(5) الذكارة ، بالكسر : جمع ذكر ، والذكر من الحديد أيبسه وأشده .
(6) القضم : الذى تكسر حده مما طال عليه الدهر وكثر به الضراب .
(7) فى البيان ٣ : ١٥ : « رحى لا تجرى » يعنى رحى الحرب .
(8) قال أبو منصور : القنا من الرماح : ما كان أجوف كالقصبة .

والعرب تسمّى الصغيرَ الرأسِ : رأسَ العصا . وكان عمر بن هبيرة[1] صغير الرأس ، فقال فيه سويد بن الحارث :

من مبلغٌ رأسَ العصا أن بيننا   ضغائن لا تنسى وإن قدُم الدهرُ

وقال آخر[2]] :

[من مبلغٌ رأسَ العصا أن بيننا   ضغائن لا تُنسى وإن هي سُلَّتِ
رضيتَ لقيسٍ بالقليل ولم تكن   أخاً راضياً إنْ صدر نعلِك زلَّتْ

أى لم تكن قيس ترضى لك بالقليل .

وقال أبو العتاهية فى والبة بن الحُباب وقومه وكانت رءوسهم صغارا :

رءوس عصىٍّ كُنَّ فى عود أثلةٍ   لها قادحٌ يَفْرِى وآخر مخرِبُ[3]

وفى حديث زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد[4] رضى الله عنها وقد تكلّم أبو طالب وذكر رغبته فيها فقال قائلٌ منهم[5] : « ابن أخيك الفحل لا يُقرع بالعصا أنفُه » . وذلك أنَّ الفحل اللئيم إذا أراد الضِّراب فى الإبل ضربوا أنفَه بالعصا .

وفى خطبة الحجاج : « والله لأعصبنّكم عَصْبَ السَّلمة ، ولأضربنّكم ضرب غرائب الإبل » . وذلك أنّ الأشجارَ تُعصَب أغصانها لتجتمع ، ثم تُخبَط بالعصا ليسقُطَ ورقها وهشيمُ العيدان لتأكلَه الماشية .

* * *

---

(١) عمر بن هبيرة بن سعد بن عدى بن فزارة ، ولى العراقين ليزيد بن عبد الملك ست سنين ، وكان يكنى أبا المثنى . المعارف ٢٨٩ .

(٢) هذه التكملة من البيان ٣ : ٤١ .

(٣) القادح : أكال يقع فى الشجر والأسنان . انظر البيان ٣ : ٤١ .

(٤) الخبر يروى فى زواجه من خديجة ، كما فى اللسان (قدع ، قرع) ، ويروى فى زواجه من أم حبيبة .

(٥) القائل فى خبر خديجة هو ورقة بن نوفل أو عمرو بن أسد بن عبد العزى ، كما فى اللسان . وفى خبر أم حبيبة أبو سفيان بن حرب ، كما فى البيان ٣ : ٤٤ .

قال المؤلف أطال الله بقاءه : زرتُ قبر يحيى بن زكريا عليهما السلام بقريةٍ يقال لها بطية[١] من أعمال نابلس ، فلما صلّيت خرجت إلى ساحة بين يدى الموضع الذى فيه القبر محوّط عليها ، وإذا بابٌ مردود ففتحته ودخلت ، وإذا كنيسةٌ فيها نحو من عشرة شيوخ رءوسهم مكشوفة كأنّها القُطن المندوف ، وقد استقبلوا الشّرقَ وفى صدورهم عصىٌّ فى رءوسها عوارض معوجّة على قدر صَدْر الرجل وهم مُعتمِدون عليها ، ويمنح بين أيديهم بقراء[٢] ، فرأيت منظراً يرقّ له القلب ، وساءنى وآسفنى إذْ لم أرَ فى المسلمين مَن هو على مثل اجتهادهم . فمضَتْ على ذلك مدّة فقال لى يوماً مُعين الدين أُنَر[٣] رحمه الله وأنا وهو نسير عند دار الطُّواويس : اشتهى أنزل أزور المشايخ . قلت : الأمر كذلك . فنزلنا ومشينا إلى منزل عرضى[٤] طويل ، فدخلناه وأنا أظن أنّ ما فيه أحد ، وإذا فيه نحو من مائةِ سَجّادة وعلى كلّ سَجّادةٍ رجلٌ من الصوفية عليهم السّكينة ، والخشوعُ عليهم ظاهر ، فسرّنى ما رأيت منهم ، وحمدت الله عزّ وجلّ ، ورأيت فى المسلمين مَنْ هو أكثر اجتهاداً من أولئك القسوس ، ولم أكن قبل ذلك رأيت الصوفيّة فى دارهم ، ولا عرفتُ طريقَهم .

ويقال « يوم أطول من ظل القناة ، وأحرّ من دمع المِقْلات » . قال عبد الله ابن الدُّمينة[٥] :

ويوم كظلّ الرمح قصّر طولَه دمُ الزّقّ عنا واصطفاق المَزاهر[٦]

---

(١) كذا وردت الكلمة بهذا الرسم .
(٢) كذا وردت هذه العبارة .
(٣) هذا ورد مضبوطاً فى الأصل ؛ ويضبط أيضاً بضم النون . انظر النجوم الزاهرة ٥ : ٢٨٦ وكان معين الدين وزيراً لحاكم دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بورى ، وتوفى سنة ٥٤٤ كما فى النجوم الزاهرة .
(٤) كذا . ولعلها « عريض » .
(٥) الصواب يزيد بن الطثرية كما فى الحيوان ٦ : ١٧٩ .
(٦) دم الزق : عنى به الخمر فى حمرتها . والمزاهر : جمع مزهر ، وهو العود الذى يضرب به .

ويقال رجل كالقناة ، وفرسٌ كالقناة . قال عروة بن الورد(١) :

متى ما يجئْ يوماً إلى المال وارثى ... يجدْ جُمْعَ كفٍّ غيرِ ملأَى ولا صِفْرِ(٢)
يجد فرســـاً مثل القناةِ وصارماً ... حُساماً إذا ما هزّ لم يرض بالهَبْرِ(٣)

ويقال للرجل إذا لم يكن معه عصا : باهل ؛ وناقة باهلٌ إذا كانت بغير صرار(٤).

فصل

فى بديع ما جاء فى عصا الكبر :

وقال المولى مؤيّد الدّولة مؤلّف هذا الكتاب أطال الله بقاءه فى المعنى :

أأسفى على عَصر الشباب تصرّمت ... أيامُــــه لا بل على أيامى(٥)
لم أبكه أسـفاً على مرح الصِّبا ... ووصالِ غانيةٍ وشُربِ مُدام
لكن على جَلَدى وخوضى معركاً ... يرتاع فيه المــوتُ من إقدامى
بيدى حســامٌ كلّما جرّدتُه ... يومَ الوغى أغمدتُه فى الهـــام
ولصدرِ مُعتدلِ الكعوب حَطَمته ... فى صدر كبشِ كتيبةٍ قَمقام(٦)
ونِزالِ فُرسانِ الهياج وكلُّهم ... فَرِقٌ لهول تقحُّمى ومَقامى(٧)
ولقتلى الأُسْد الضَّوارىَ تحطُّها ... كالرّعد قَعقَعَ فى مُتون غمام(٨)
تلقى إذا لاقيتُهـــا أسداً له ... بأسٌ يُبيح به حِمَى الأجسام

---

(١) الصواب أنه حاتم الطائى . ديوانه ١٢١ والحماسة ٢ : ٣٧٤ . والبيتان فى البيان ٣ : ٤٩ بدون نسبة .

(٢) جمع الكف ، بالضم ، هو قدر أن تجمع أصابعها وتضمها . يقول : لا يجد عندى الوارث كثيرا ولا قليلا ، بل شيئا بين بين .

(٣) الهبر : قطع اللحم . يقول : يأبى إلا أن يخالط العظم .

(٤) الصرار : خيط يشد فوق خلفها لئلا يرضعها ولدها . البيان ٣ : ٧٤ .

(٥) هذه الأبيات مما لم يرو فى ديوان أسامة . تصرمت : تقطعت .

(٦) الكبش : الرئيس والقائد . والقمقام : السيد الواسع الفضل .

(٧) الفرق : الخائف الفزع .

(٨) الحطم : صوت معه توجع .

لو أنَّ عينَ أبي زُبَيدٍ عاينَتْ   فتكاتِه لأقرَّ بالإحجام[1]
لَـقبلتُ من بعد الثّمانينَ العصا   متيقِّنًا إنذارَها بِحمامِي

وقال أيضاً أطال الله بقاءه في المعنى :

مع الثمانينَ عاثَ الضَّعفُ في جَلَدِي   وساءني ضعفُ رِجلي واضطرابُ يدي[2]
إذا كتبت فخطِّي جدُّ مضطربٍ   كخَطِّ مرتعشِ الكفَّين مرتعدِ[3]
وإن مشيت وفي كفِّي العصا ثقُلَت   رجلي كأني أخوض الوحل في الجَلَدِ[4]
فاعجَبْ لضعف يدي عن حملها قلماً   من بعد حَطْمِ القنا في لَبَّة الأسدِ
فقُلْ لمن يتمنَّى طولَ مدّته   هذي عواقبُ طول العمر والمددِ

قال المؤلف أطال الله بقاءه : دخل عليَّ بالموصل سنة ست وعشرين وخمسمائة رجلٌ من أهل الموصل نصرانيٌّ يعرف بابن تَدرُس ، وهو شيخ كبير يمشي على عصا ليسلِّم عليَّ ، وأنشدني والعصا بيده قبل السلام :

أحمدُ اللهَ إذْ سَلِمتُ إلى أن   صرت أمشي وفي يدي عُكّازه
نعمةٌ ليتني بقيتُ عليهـا   خالداً لا أُشالُ فوق جِنازه

وقال آخر :

عصيتُ العصا أيّام شرخ شبيبتي   فلما انقضى شَرخ الشباب أطعتُها
أحمِلُها ثقلي ويحسب كلُّ مَن   رآها بكفّي أنني قد حملتها

---

(١) أبو زبيد الطائي ، حرملة بن المنذر ، كان نصرانيا مخضرما ، وكان أوصف الناس للأسد ، وصفه بحضرة عثمان بن عفان وصفا مرعبا ، فقال له عثمان : اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين . انظر الشعر والشعراء ٢٦٠ والأغاني ١١ : ٢٣ – ٣٠ والمعمرين ٨٦ والحيس ١٣٢ والخزانة ٢ : ١٥٥ – ١٥٦ .

(٢) هذه الأبيات مما لم يرو أيضا في ديوان أسامة . وقد أنشدها في الاعتبار ١٦٣ . وهي أيضا عند ابن خلكان ١ : ٦٣ وابن فضل الله العمري في المسالك ١٠ : ٤٠٠ مصورة دار الكتب .

(٣) في الأصل والمسالك : « لخط مرتعش » ، والوجه ما أثبت من الاعتبار .

(٤) الجلد : الغليظ من الأرض .

وقال المؤلف رحمه الله :

حمَلَتْ ثِقلِىَ فى السهل العصا ... وبَنَتْ بى حين حاولت الحزُونا[1]

وإذا رجلِىَ خانَتْنى فلا ... لوم عندى للعصا فى أن تخونا[2]

قال المؤلف : وأنشدنى العميد أبو الحسن على بن أبى الآمال بالموصل فى سنة ست وعشرين وخمسمائة ، ولم يسمِّ القائل :

مازلت أركب شاكلاتِ الريب ... حتى مشَيت على العصا كالأحدب[3]

وتزلّ رجلى كلما تُثْبِتُهـــا ... فكأننى أمشى الوجَى فى الطلب[4]

أأزيد ثالثة وأنقص عن مَدًى ... مشىِ اثنتين لقد أتيتُ بمعجبِ

والليثُ لو بلغت سنوه سنِّى ... أوقاربت ، أمشَى فريسةَ ثعلب[5]

قال وأنشدنى القاضى الرشيد أحمد بن الزبير بمصر سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، للشاعر المعروف بابن المكر بل :

تقوّس بعد طول العمر ظهرى ... ودَاستنى الليـــالى أىّ دوسِ

فأمشى والعصا تمشى أمامى ... كأنّ قوامها وترٌ لقوس

قال المؤلف رحمه الله : أنشدنى الخطيب مجد الدين أبو عمران موسى بن الخطيب قدوة الشريعة يحيى الحِصْكَفى[6] رحمه الله ، بظاهر ميّافارقين فى شعبان سنة إحدى وستين وخمسمائة :

---

(١) فى الأصل : « وثبت بى حين حاولت الحزونا » ، صوابه فى الديوان ٣٢٣ . والحزون جمع حزن ، بالفتح ، وهو ما غلظ من الأرض .

(٢) فى الأصل : « فى العصا أن تخونا » ولا يستقيم به الوزن ، وصوابه فى الديوان .

(٣) شاكلة الشىء : جانبه .

(٤) فى الأصل : « فى الطلب » .

(٥) سنى ، لعلها « شيبى » .

(٦) نسبة إلى حصن كيفا ، وهى بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر . ويحيى هذا ، هو أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين الحصكفى الخطيب ، ترجم له فى خريدة القصر ، وسرد طائفة من خطبه وأشعاره .

كبرتُ إلى أن صرتُ أمشى على العصا
لتجبر ما أعدى الزّمانُ على الوَهن[(١)]
يقولون ما تَشْكى وهل من شكاية
أشدّ على الإنسان من كبر السن[(٢)]

قال : وأنشدنى أيضاً لبعضهم :

ولكننى ألزمت نفسىَ حَمْلَها ... لأُعلِمَها أن المقيم على سقَرْ

قال : وأنشدنى بها الموفّق نصر بن سلطان لبعضهم :

كل أمرٍ إذا تفكرت فيه ... وتأملته تراه طريفا
كنت أمشى على اثنتين قويا ... صرت أمشى على ثلاث ضعيفا

قال المؤلف رحمه الله :

إذا تقوّس ظهر المرء من كبر ... فعاد كالقوس يمشى والعصا وتر[(٣)]
فالموت أروح شىء يستريح به ... والعيش فيه له التعذيب والضرر[(٤)]

وقال أيضاً فى المعنى[(٥)] :

إذا عاد ظهر المرء كالقوس والعصا ... له حين يمشى وهى تقدمه وترْ
وملّ تكاليف الحياة وطولَها ... وأضعفه من بعد قوته الكبر
فإن له فى الموت أعظمَ راحةٍ ... وأمناً من الموت الذى كان ينتظر

وقال المؤلف رحمه الله :

حنانىَ الدهر وأفنتنى الليالى والغِيَرْ
فصرتُ كالقوس ومن عصاى القوس وتر

---

(١) فى الأصل : « ليجبر » .
(٢) شكيت ، لغة فى شكوت .
(٣) فى الأصل : « فعادة القوس » ، صوابه من الديوان ٣١٨ .
(٤) فى الديوان : « أروح آت » .
(٥) الأبيات التالية فى ديوانه ٣١٩ .

أهدج في مشيي وفي ... خطوي فتورٌ وقِصَر
كأنني مقيـــــــدٌ ... وإنما القيـــدُ الكِبَر
والعمر مثل الماء ، في ... آخره يأتي الكَدَرْ

وأنشدني الأمير السيد شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين العلوي الحسيني ، بالموصل في شوال سنة خمس وستين وخمسمائة ، لبعض المغاربة :

ولي عصاً في طريق الشَّيْبِ أحدها ... بهـا أقدّمُ في تأخيرها قدمي
كأنها وهي في كفِّي أهشُّ بها ... على ثمانين عاماً لا على غنمي
كأنني قوسُ رامٍ وهي لي وترٌ ... أرمي عليها ذَمَاء الشَّيْبِ والهرم[1]

قال المصنف رحمه الله : وحدثني الشريف الإمام شمس الدين أبو الجد علي ابن علي بن الناصر للحق الحسيني الحنفي بالموصل ، في شهر رمضان سنة خمس وستين وخمسمائة قال : خرج خواجا بُزُرك[2] وفي يده عصا ، وهو ينشد هذين البيتين :

بعد الثمانين ليس قوة ... لهفي على قوة الصَّبْوه[3]
كأنني والعصا بكفِّي ... موسى ولكن بلا نبوة

قال : وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي أبو الحسن علي قال : أنشدني والدي أبو طالب يحيى قال : أنشدني والدي الأمير أبو شجاع وقد علت سِنُّه وحمل العصا :

أهدى لي الدهرُ رجلاً منه ثالثةً ... ما كان أحسنني أمشي بِثِنْتَين
أمشي بها وهي تمشي بي معاونةً ... ما كان أحسنني أمشي بلا عَونِ

---

(١) الذماء : بقية النفس . وفي الأصل : «رماء» .
(٢) هو نظام الملك الطوسي الحسن بن علي بن إسحاق . انظر ما سبق في صفحة ١٨٦ ، ١٨٧ .
(٣) هذان البيتان نسبا إلى نظام الملك ، كما في وفيات الأعيان . وهذه النسبة لا تستقيم ، والشعر نفسه يأباها فإن نظام الملك ولد سنة ٤٠٨ وقتل سنة ٤٨٥ ، أي إنه لم يصل إلى الثمانين والصواب نسبتها إلى أبي الحسن محمد بن أبي الصقر الواسطي ، كما في الوفيات في ترجمة نظام الملك . وابن أبي الصقر هو محمد بن علي بن الحسن ، ولد سنة ٤٠٩ وتوفي سنة ٤٩٨ . ورواية ابن خلكان : «قد ذهبت شرة الصبوة» . وكلمة «الصبوة» لم أجدها ستعمل في المعاجم ، وفيها « الصبو » بدون هاء .

هدية كنت آباها فصيَّرها ... إلىَّ بالرغم منى قُرَّةَ العينِ
بانَ الشباب وجاء الشَّيب يَصحبه ... يا ليتهـا صحبةٌ تبقى بلا بَيْنِ

وقال المؤلف رحمه الله :

ويحَ السِّنينَ ومرِّها ... ماذا بنا هى فاعلـه
جعلت عصاىَ ولم تكن ... شُغلى لِكَفِّىَ شاغله
محمولةً هى فى المجا ... زِ وفى الحقيقة حامله
والعمرُ أجلانى إليـ ... ـها والقُوَى المتخاذله
والنَّفس عما سوف تا ... تى حين تُسلَمُ غافله
وجميعُ مكروهاتِهـا ... فى العيشة المتطاوله

قال المؤلف رحمه الله[1] :

قصَّر خطوِى وقنَا صعدتى ... مُزَوِّرٌ دهرٍ خائن خاتل
وصار كفِّى مالكاً للعصا ... من بعد حمل الأسمر الذابل
أمشى بضعفٍ وانحناء على ... عصاىَ مشىَ الصائد الخاتل
كأنَّنى لم أمش يوم الوغى ... إلى نِزال البطل الباسـل
ولم أشُقَّ الجيش لا أختشى ... من الردَى كالقدرِ النازل
فانظرْ إلى ما فعل العمرُ بى ... من طُوله لم أحظَ بالطائل
يا حسرتا إنِّى غداً ميِّت ... على فراشى ميتةَ الخامل
هلاَّ أتانى الموتُ يومَ الوغى ... بين القنا والأسَلِ الناهلِ

وقال أيضاً[2] :

نظرَتْ إلى ذى شيبة مُتهدِّم ... أفنى وكم أفنى من الأعوامِ
يمشى وتَقدُمُه العصا وقد انحنى ... فكأنَّها وترٌ لقوس الرامى

(١) الأبيات التالية مما لم يرد فى ديوانه .
(٢) وهذه الأبيات أيضا مما لم يرد فى ديوانه .

ورأتْ سِماتِ الأريحيّةِ والنّدى   ودلائلَ المعروفِ والإقدامِ
واستخبرتْ عنّي فقلتُ لها امرؤٌ   نائي المواطنِ من كرامِ الشّامِ
نَبَتِ الديارُ به وضاقَ فسيحُها   عنه ففارقَها بغيرِ ملامِ
قالتْ من أيّ الناسِ أنتَ فقلتُ من   أولادِ مُنقِذَ في ذُرى وسَنامِ
من معشرٍ أبداً تروحُ رماحُهم   بدمِ العِدى مخضوبةَ الأعلامِ
تحمي البلادَ سيوفُهم وتبيحُ ما   تحميه دونهم سيوفُ الحامي
النازلين بكلِّ ثغرٍ خائفٍ   والآمنين مَعرّةَ الجُرّامِ(1)
وإذا أناخَ السائلون بجوّهم   عادُوا ثِقالَ الظهرِ بالإنعامِ(2)
كم فيهم عند الحقوقِ إذا عَرَتْ   من باذلٍ متبرّعٍ بسّامِ(3)
تُغني يداه إذا هما همتا ندى   في المَحْلِ عن صوبِ الغمامِ الهامي
يتهلّلون طلاقةً ويخافُهم   لَتُطَامِنُ الآسادُ في الآجامِ(4)
قالت فأين همُ فقلتُ أبادَهمْ   دهرٌ وهــل باقٍ على الأيامِ
ووددتُ لو ناهلتُهم كأسَ الردى   ووردتُ قبلهمُ حياضَ حِمامي
فحياةُ مثلي بعــد عزٍّ باذخٍ   ومعاشرٍ غُلْبٍ ومالٍ نامِ
ونفاذِ أمرٍ لا يُرَدُّ، مطيعه   فيما قضى القاضي من الأقوامِ(5)
لا شكَّ من غُصصِ الحِمامِ وراحتي   بالموتِ غايةُ مُنيَتي ومرامي
فبكتْ بزفرةِ مُوجَعٍ لو صادفتْ   حجراً لذاب من الزفيرِ الحامي

وقال أيضاً :

حمّلتُ ثقلي بعدما شِبتُ العصا   فتحمّلتْه تحمّلَ المتكارهِ

---

(1) المعرة : الأذى والجناية . والجرام : جمع جارم ، وهو الجاني . وفي الأصل : «الحرام» .
(2) الجو : ما انخفض من الأرض . وفي الأصل : «بحومهم» .
(3) في الأصل : «متزع» .
(4) السطا ، أراد بها السطوات .
(5) أي إن القاضي يخضع له ، فهو يطيع ما يقضي به أمره .

ومشت به مشيَ الحسير بوقره ... لا يستقل مقيّدا بعثاره(1)

ما آدها ثِقْل ولكن ثقل ما ... أبقى الشباب عليّ من أوزاره(2)

ورجايَ معقودٌ بمن أعطى أخا السبعين عهدة عتقه من ناره

وقال أيضاً(3) :

غرِضْتُ من الحياة فكلُّ عمرى ... تصرّم بالحوادث والخطوب(4)

فما ظفرت يدى بسرورِ يومٍ ... بغير هموم حادثةٍ مَشُوبِ

صِباً كالسُّكر أعقبه شباب ... تقضّى بالوقائع والحروبِ

ووافى بعده شيبٌ بَغيض ... فلا سَقياً لأيام المشيبِ

أرانى طيب لذّاتى ولهوى ... يعدُّ من الجهالة والعيوب

وأدّانى إلى كِبرٍ وضعف ... وأدواء خَفِينَ على الطبيب(5)

إذا رُمتُ النُّهوض حسبت أنى ... حملت ذُرى الشناخب من عسيب(6)

فإن أنا قمت بعد الجهد أمشى ... فمشيى حين أعجل كالدّبيب

تسيِّرنى العصا هَوناً وخلقى ... مسيرُ الموت كالرّيح الهبوب

وأفنى الموتُ إخوانى وقومى ... وأترابى فها أنا كالغريب

وفيا قد لقيت ردًى وموتٌ ... ولكن ليس قلبى كالقلوب

---

(١) فى الأصل : « بعذاره » ، صوابه من الديوان ٣٢٣ .

(٢) كلمة « على » ليست فى الأصل ، وإثباتها من الديوان .

(٣) الأبيات التالية مما لم يرد فى ديوانه .

(٤) يقال غرض غرضا ، من باب تعب : أى أدركه الملال والضجر . وفى الأصل : « عرضت » تحريف . وقال أسامة أيضا فى ديوانه ٤٦ :

غرضت من الهجران والقتل جانبى ... ولم يعدنا بفراقنا الدهر

(٥) فى الأصل : « وأدواء جفين » .

(٦) حسبت ، هى فى الأصل : « حسبت » . انظر البيت الرابع من المقطوعة التالية الآتية . والشناخب : جمع شنخوب ، وهو رأس الجبل وأعلاه . وعسيب : جبل بعالية نجد

وقال أيضاً :

إنْ ضعفتْ عن حمل ثِقْلي رجلي … ورابني عِثارُها في السهل[1]
أمشي كما يمشي الوَجِي في الوحلِ … مشيَ الأسير مُوثَقاً بالكَبْلِ
فالعصا عندي عُذرُ المُبْلِي[2] … إن عجَزت أو ضعُفَت عن حملي

وقال أيضاً وكتب بها في كتاب إلى ولده الأمير عضد الدين أبي الفوارس مرهَف إلى مصر يطلب منه عصا من آبنوس[3] :

أريد عصاً من آبنوسٍ تُقِلني … فإن الثمانين استعادت قُوَى رِجْلي
ولو بعصا موسى اتّقيتُ لآدها … على ما بها من قوّةٍ حَمْلُها ثِقْلي
ولكن تمنّيها الرجاء بباطلٍ … وكم قدْرُ ما تُرجى المنايا وكم تُبْلِي
إذا بلغَ المرء الثمانين فالرّدَى … يناديه بالترحال من جانب الرَّحل

وقال أيضاً[4] :

لما بلغت من الحياة إلى مَدَى … قد كنت أهواهُ تمنَّيت الرّدَى
لم يُبقِ طولُ العمر مني مُنّةً … ألقى بها صَرْفَ الزّمانِ إذا اعتدى
ضعُفت قوايَ وخانني الثّقتانِ من … بصري وسمعي حين شارفتُ المَدَى
فإذا نَهضتُ حسبت أني حاملٌ … جبلاً وأمشي إن مشيت مقيّدا
وأدبُّ في كفّي العصا وعهدتُها … في الحرب تحمل أسمراً ومهنّدا
وأبيت في لِين المِهاد مسهَّدًا … قلقاً كأنّيَ افترشت الجلمدا
والمرء ينكَس في الحياة وبينا … بلغَ الكمالَ وتمّ عادَ كما بدا

وقال أيضاً[5] :

ألوم الرّدَى كم خضته متعرّضاً … له وهو عنّي معرِضٌ متجنّبُ

---

(١) في الأصل : « وداسني » ، صوابه في الديوان ٣٢٠ .
(٢) يقال أبلاه عذراً : أداه إليه فقبله . (٣) الأبيات التالية ليست في ديوانه .
(٤) الأبيات التالية ليست في ديوانه .
(٥) الأبيات التالية لم ترد في ديوانه . وقد ورد منها البيت الرابع في كتاب لباب الآداب ص ٢٢٦ .

وكم أخذت منى السيوفُ مآخذ الـــحِمام ولكنّ القضاء مغيَّبُ
إلى أن تجاوزتُ الثمانين وانقضت بُلَهْنِيةُ العيش الذى فيه يُرغَبُ[1]
وأصبحت أستهدى العصا فتميلُ بى لضعفٍ عن قصدى كأنّى أنكبُ[2]
فمكروهُ ما تخشى النفوسُ من الرّدى ألذُّ وأحلى من حياتى وأعذبُ[3]

وقال أيضا[4] :

قد كان كفّى مألفاً لمهنّدٍ تُفدَى القلوبُ له وتُفرَى الهامُ
ـ قوله « تفدى » من الفِداء ، وهو الحماية[5] ـ
ولأسمرٍ لدنِ الكعوبِ وحازّه حيث استمرّ الفكرُ والأوهامُ
يتزايل الأبطال عنّى مثلَ ما نفرت من الأسد المَصُور نعامُ
فرجَعتُ أحمِلُ بعد سيفى العصا فاعجبْ لمـــا تأتى به الأيّامُ
وإذا الحِمامُ أتى معاجلةَ الفتى لحياته لا تكذبنّ حِمام[6]

قال مؤيّد الدولة مؤلّفُ هذا الكتاب ، رحمه الله : هذا آخرُ ما قلته وجمعته ، وألفته ورصّفته ، فى ذكر العصا ، وبه تمّ الكتاب ، بعون الملك الوهّاب .

---

(١) البلهنية : سعة العيش ورخاؤه ونعمته .
(٢) الأنكب : الذى كأنما يمشى فى شق ، أى جانب .
(٣) فى لباب الآداب : « وأطيب » . (٤) الأبيات التالية مما لم يرو فى ديوانه .
(٥) فى الأصل : « الحماء » . (٦) فى الأصل : « وإذا الحلم أتى » .

رسالة التلميذ

لعبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣

مقـــدمـــة

عبد القادر البغدادى :

فى سنة ١٠٣٠ وفى مدينة بغداد ، ولد عبد القادر بن عمر البغدادى ، وبغداد يومئذ فى محنة قاسية بين الدولة الصفوية وعلى رأسها الشاه عباس ، والدولة العثمانية .

وفى سنة ١٠٤٨ حين حمى وطيس القتال حول بغداد وتدفقت إليها جيوش مراد الرابع العثمانى فانتزعتها من الإيرانيين ، حينئذ رحل عبد القادر إلى دمشق فكان شيخه فيها محمد بن يحيى الفرضى ، ولكنه لم يستقر بها عامين حتى شد رحاله إلى القاهرة فدخلها سنة ١٠٥٠ وكان شيخه فيها شهاب الدين الخفاجى ، كما كان من شيوخه يس الحمصى ، والنور الشبراملسى ، والبرهان إبراهيم للأمونى . وبموت الخفاجى سنة ١٠٦٩ انتقلت معظم كتبه إلى عبد القادر ، وضم إليها بعد ذلك كتباً أخرى جليلة الشأن . وفى سنة ١٠٧٧ وهى السنة التى تولى مصر فيها إبراهيم باشا كتخدا ، اتصل به عبد القادر فأحله محلا كريماً ، وكان سميره ونديمه ، وظل ملازماً له إلى انتهاء مدة ولايته سنة ١٠٨٥ فرجع معه إلى ديار الروم ، واتصل حبله هناك بالوزير أحمد باشا الكوبريلى فألف باسمه (شرح قصيدة بانت سعاد) ، ثم بالسلطان محمد بن السلطان إبراهيم ، فتوج باسمه كتابه الكبير (خزانة الأدب) ، وظل فترة من الزمن مضطربا بين الشام والروم ، ثم عاد من طريق البحر إلى مصر ولم تطل مدته بها حتى توفى فى سنة ١٠٩٣(١) .

الكلمة :

كلمة ضعيفة الصلة بالأصول العربية فى مادتها ، لذلك صرح بعض اللغويين القدماء ، وفى مقدمتهم ابن دريد فى الجمهرة ٢ : ٣٧ وابن فارس فى مقاييس اللغة ١ : ٣٥٣ ، والجواليقى فى المعرب ٩١ ، والخفاجى فى شفاء الغليل بأنها ليست عربية الأصل .

ومهما يكن فإن هذه الكلمة سامية الأصل ، ومأخذها إما أن يكون من العبرية وإما أن يكون من السريانية . وذهب معاصرنا اللغوى الفاضل (الأب مرمرجى

---

(١) انظر خلاصة الأثر للمولى المحبى ٢ : ٤٥١ — ٤٥٤ ومقدمة الأستاذ محب الدين الخطيب لخزانة الأدب التى اضطلعت بأكبر عبء فى تحقيقها من سنة ١٣٤٧ — ١٣٥١ .

الدومنكى) أن أصلها الأول من العربية نفسها(١) وذلك بناء على القاعدة التى ينصرها، وهى قاعدة (الثنائية) التى ترجع أصول الكلمات إلى أصل ثنائى تتفرع منه الثلاثيات فما فوقها ، فهو يقول إن الأصل الثنائى للكلمة موجود فى العربية وهو « لد » الدال على الشدة ، ومنه اشتق « لدم » الدال على الضرب ، ثم قلب إلى « ملد » بمعناه ، ثم اشتق منه التلميذ .

وأنا أرى أن هذه المحاولة البارعة يمكن إجراؤها فى كثير من الكلمات المعربة ، فنستطيع أن نرد كثيراً من الكلمات المعربة والدخيلة إلى أصل عربى، وهو لا يستقيم.

وقد تضمن مقاله النفيس ، مقارنة ممتعة بين اللغات السامية فى مادة هذه الكلمة .

(فى السريانية) : « لْمَدْ » : جمع ، ضم ، أضاف . « تَلْمِيدْ » : هذّب ، علّم ، أرشد . « تَلْمِيذَا » : طالب علم ، متعلّم .

(فى الآرمية) : « تَلْمِيذَا » طالب علم .

(فى المندائية) : « تَرْمِيدا » : تلميذ .

(فى العبرية) « لاَمَدْ » : ضرب بالسياط ، عاقب ، روّض . « مَلْمِيدْ » : مهماز يضرب به للترويض ، خاصة للحيوانات . « تَلْمُود » : تعليم ، نظرية . « تَلْمِيدْ » : متعلم ، دارس .

(فى الحبشية) : « لَمَدَ » : تعود ، آلف ، واظب . « لَمُودْ » : متعوّد ، أليف . « لِمَاد » عادة ، طبع . « تِلْمِيذْ » طالب علم ، دارس .

(فى الأكدية) : « لَمَادُو » : تعلّم ، عرف . « لَمَادُوتو » : تعلُّم ، عرفان . « مُلَمِّدُو » : معلم ، أستاذ . « تَلْمِيدُو » : دارس ، طالب علم .

(فى العربية) : « لَمَدَ » : تواضع له بالذل . « لَمَدَه » : لدمه (بالقلب) . « تَلَمَّذَ له ، وتلمذ » : صار له تلميذا ، تخرج عليه . « التلميذ » : المتعلم العلم أو المهنة .

---

(١) مجلة الثقافة العدد ٦٤٢ إبريل سنة ١٩٥١ . والمقال كتب بمناسبة مقال قيم للأستاذ الجليل أحمد عبدالغفور عطار ، عنوانه (التلميذ فى لغة العرب) نشر فى مجلة الثقافة العدد ٦٣٤ فبراير سنة ١٩٥١ .

رسالة التلفيد :

كنت قد نشرت هذه الرسالة أول مرة فى مجلة المقتطف (عدد مارس ١٩٤٥) . وقد رأيت إعادة نشرها فى (نوادر المخطوطات) لندرتها ولما ثار حولها وحول موضوعها فى هذه الأيام من بحث جديد .

وقد ذكر البغدادى فى صدر رسالته أنه لم يجد كلمة « التلفيد » فى الجمهرة ، والصحاح ، والمحكم ، والعباب ، والقاموس . فعقب عليه الأستاذ المحقق (أحمد عبد الغفور عطار) فى مجلة الثقافة ، بأنها وجدت فى جميع هذه الكتب ، ولكن فى غير مظنها ، أى فى مادة (تلم) ، وأما صاحب العباب فإنه لم يذكر هذه الكلمة لأن تأليفه إنما وصل إلى مادة (بكم) ولم يتم تأليف معجمه . وزاد على ذلك أن الكلمة وردت فى مادة (تلم) من المجمل والمقاييس لابن فارس والتهذيب للأزهرى والمخصص ١٢ : ٢٥٧ والقرطين لابن مطرف الكنانى ، وشفاء الغليل للخفاجى .

ولكنه قد غاب عن الأستاذ الباحث عطار ، أن البغدادى لم يعن بكلامه فى صدر رسالته أنه لم يجد الكلمة فى تلك الكتب ، بل أراد أنه لم يجدها فى مادتها التى يتوقعها فيها الباحث وهى (تلد) ، بدليل أن البغدادى نفسه أورد فى رسالته نصوصاً من الصحاح والقاموس والتهذيب من مادة (تلم) وفيها ذكر التلفيد والتلاميذ .

أصول رسالة التلفيد :

أصول هذه الرسالة ثلاث نسخ محفوظة بدار الكتب المصرية : إحداها برقم ٦ مجاميع ش ، والثانية برقم ١٨١ مجاميع ، والثالثة برقم ١٣٢ مجاميع . وقد رمزت إلى هذه النسخ بالرموز : ا ، ب ، ج على التوالى . وأصح هذه النسخ وأكملها هى نسخة ب ، وكل ما أثبته بين علامة الزيادة فهو منها .

وفى الخزانة التيمورية نسخة بخط المغفور له العلامة أحمد تيمور باشا كتبها بخطه سنة ١٣٢٢ .

وهذه رسالة التلفيد :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين .

[أما بعد] فهذه كلمات ذكرتها لمعنى التلميذ ، فإني لم أجد هذه الكلمة مذكورة في كتب اللغة المتداولة ، المدوَّنة [لبيان] الجليل والحقير ، وذكر النقير والقطمير ؛ كالجمهرة لابن دريد ، والصحاح للجوهري ، والمحكم لابن سيده ، والعباب للصاغاني ، والقاموس لمجد الدين الفيروزابادي ، وغيرها ، إلاّ في لسان العرب لابن مكرَّم ، فإنه أورده في مادة (تلمذ) وقال : « التلاميذ : الخدَم والأتباع ، واحدُهم تلميذ » ، مع أنَّها كلمة متداولة بين العام والخاص ، وكثيرة الاستعمال في تآليف العلماء الأعلام .

وكان الباعث لهذا أني لما قرأت كتاب مغني اللبيب ، ووصلت إلى قوله في الباب الخامس « حُكي لي أنّ بعض مشايخ الإقراء أعرب لتلميذه بيتَ المفصّل[1] » رأيت شارحه الفاضل إبراهيم بن الملاّ الحلبي[2] قال : « التلميذ : القارئ على الشيخ . ولم أقف عليه في شيء من كتب اللغة المتداولة كالصحاح والقاموس وغيرهما » . اهـ

فحينئذٍ تتبعت بطون الدفاتر ، من مصنفات الأوائل والأواخر ، حتى رأيته في كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ، فإنه ساق[3] فيه شعراً للبيد بن ربيعة العامريّ الصحابي وفيه هذا البيت :

فالمـــاء يجلو متونهنّ كما يجلو التلاميذُ لؤلؤاً قَشِبا[4]

وقال بعد إنشاد الأبيات : « التلاميذ غلمان الصنّاع . والقَشِب والقشيب : الجديد ، والجمع القُشُب » .

---

(١) المفصل للزمخشري في النحو . انظر شرح ابن يعيش ٢ : ٩٤ . والبيت هو :

لا يبعد الله التلبب والغا رات إذ قال الخميس : نعم

(٢) هو إبراهيم بن الملا محمد الحلبي المتوفى سنة ٩٧٩ . ذكره في كشف الظنون . وفي ا ، ب : «حلبي» موضع . «الحلبي» تحريف . (٣) ا ، ب : « سابق » والصواب في جـ .

(٤) ديوانه ١٤١ بشرح الطوسي : وفيه : « التلاميذ غلمان الصاغة .. التلاميذ فارسي » .

ورأيته أيضاً في شعر أمية بن أبي الصلت ، وهو شاعر أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوفق للإيمان به . وغالب شعره في الوعظ وتذكير الآخرة وقصص الأنبياء ، وهو مما لا يكاد يُقضَى العجب منه . قال في قصيدة :

والأرض مَعقِلُنا وكانت أُمَّنا فيها مقامُنا وفيها نولَدُ
وبها تلاميذ على قُذُفاتها حُبِسوا قياماً فالفرائص تُرعَدُ[1]

قال شارح ديوانه : « التلاميذ الخدم ، يعني الملائكة » .

وقال أيضاً في قصيدة أخرى :

صانع السماء فلم يخفض مواضعها لم ينتقص علمَه جهلٌ ولا هَرَمُ
لا كُشِفَت مرةً عنا ولا بليت فيها تلاميذ في أقفائهم دَغَمُ[2]

وقال شارحه هنا أيضاً كذلك .

ورأيت في المقامة الأولى من المقامات الحريرية قوله : « فوجدته محاذياً لتلميذ ، على خبز سميذ ، وجدي حنيذ ، وقبالتهما خابيةُ نبيذ[3] » . قال شارحه الشريشي : « التلميذ متعلم الصنعة ، والتلميذ الخادم ، والجمع التلاميذ » . وأنشد بيت لبيد المتقدم ، ثم قال : « وطلبة العلم تلاميذ شيخهم » . اهـ .

وإهمال داله لغة فيه ، قال أمية بن أبي الصلت في القصيدة الدالية التي تقدم إنشاد بيتين منها :

قضى وأصعدَ واستبدَّ إقامةً بأولي قوًى فمبتّلٍ ومُتَلمَدُ

قال شارحه : « يريد متلمّد ، أي خادم من التلاميذ . وتُلمِذ : جُعل للخدمة . « متلمِذ » بكسر الميم . وأراد بأولي قوى : الملائكة الذين يحملون العرش . وقوله : « قضى » يعني الله عزّ وجل . واستبدّ ، يعني لا يستشير أحداً ، يقال استبدّ

---

(١) القذفات بضمتين وفتحها : جمع قذفة ، بالضم ، وهي الناحية . وقذفات الجبال وقذفها : ما أشرف منها . (٢) الدغم : السواد .

(٣) هذا سهو من البغدادي ، فإن الشريشي في هذا الموضع لم يقل إلا : « التلميذ ، متعلم الصنعة » . انظر الشريشي ١ : ٢٩ س٩ . وأما الكلام الذي نقله البغدادي بعد فهو تعليق على قول ابن الحريري : فالتفت إلى تلميذه وقال عزمت عليك بمن تستدفع به الأذى ، لتخبرني من ذا . انظر الشريشي ١ : ٣٠ .

فلان برأيه ، لانه لم يستشر أحداً على ما يريد . والمبتل : المفرد » . اهـ

ويؤخذ منه أن تاءه أصلية ، ووزن تلميذ فِعليل ، وأن له فعلاً متصرفاً هو تلمذه كدحرجه ، بمعنى خدمه ، يتلمذه كيدحرجه ، تلمذة وتلماذا ، كدحرجة ودحراجاً ، فهو متلمذ كمُدَحْرِج بمعنى خادم ، وذاك متلمَذ أي جعل خادماً[1]

وإطلاق التلميذ على المتعلم صنعة أو قراءة ، لأنه في الغالب يخدم أستاذه .

وقول الناس : « تلمَّذ له » و « تلمَّذ منه » بتشديد الميم ، خطأ ، لأنهم توهموا أن التاء زائدة ، وليس كذلك ، وصوابه « تلمَّظ له » و « تلمظ منه »[2] بالظاء المشالة المعجمة . ولمظه أي أطعمه وأذاقه . والتلمظ : تتبع اللسان بقية الطعام في الفم . وقد يكنى به عن الأكل ، استعير للتعليم شيئاً فشيئاً .

والتلميذ يجمع على تلاميذ ، فإنّ فِعليلا يجمع على فَعاليل ، كبرطيل وبراطيل ، وعفريت وعفاريت ، وقنديل وقناديل ، وإصليت وإصاليت ، وإبريق وأباريق ، ومِنديل ومناديل . وأما قولهم في جمعه «تلامذة» فعلى توهم أنه اسم أعجمي[3] ، فإن الهاء في الجمع تكون في أحد ثلاثة مواضع : (أحدها) الاسم الأعجمي المعرب ، سواء كانت للتعويض عن مَدّةٍ نحو أستاذ وأساتذة ، أم لا نحو موزج وموازجة ، وكيلجة وكيالجة . (ثانيها) للتعويض عن ياء النسب في المفرد ، نحو أشعثي وأشاعثة ، ومهلبي ومهالبة ، وأزرقي وأزارقة . (ثالثها) للتعويض [إما] عن ألف خامسة جوازاً نحو حبنطى وحبانطة ، وعفرنى وعفارنة ، و [إما عن [عين][4]] مضاعفة نحو جبار وجبابرة . وفي غير هذه المواضع الثلاثة قليل نادر كفحولة وحجارة

قيل : وقد يرخم التلاميذ في الشعر على تلام ، كقول الطرماح :

تتقي الشمس بمدرية كالحاليج بأيدي التلام

(١) الأولى من تلمذه بمعنى خدمه ، والأخيرة من تلمذه أي جعله خادماً .

(٢) هذه فتوى لغوية البغدادي . ولم يستعمل هذه الصيغ ، ولا أظنه سائغاً .

(٣) كأن البغدادي يذهب إلى أنه عربي .

(٤) كتبت كلمة عين في ا ، حـ لـكن جعل قولها خطأ ، والصواب إثباتها .

والحاليج : منافخ الصاغة الطوال، واحدها حالوج شبه قرن البقرة الوحشية بها.

قال الجواليقي في المعرّبات[1] : «التلام أعجمي معرب ، قيل هم الصاغة ، وقيل غلمان الصاغة ، وقيل هم التلاميذ » . وأنشد هذا البيت .

وأنشد ابن بري في حاشية الصحاح قول غَيلان بن سلمة الثقفي[2] أيضاً :

وسربال مضـــاعفة دِلاص قد أحرزَ شكّها صُنعُ التّلام

وروى : « التلام » في البيتين بفتح التاء وكسرها . أما الفتح فعلى أنه مرخّم التلاميذ ضرورة . وقد اقتصر عليه صاحب الصحاح ، وقال : « التلام التلاميذ سقطت منه الدال » .

وصاحب الصحاح تابع في هذا لأبي علي ، قال في المسائل العسكرية[3] : ومن قبيح الضرورة قول الشاعر :

* مثل الحاليج بأيدي التلام *

قالوا : يريد التلامذة ، فحذف . وقد أعلمتك أن ذلك يكون على الترخيم فيما تقدم . إلا أنه قد جاء من هذا النحو ما لا يكون في الترخيم كقوله[4] :

* دَرَس المَنَا بمُتالع فأبانِ *

قالوا : يريد : المنازل . ومثل ذلك ما أنشدوه لأبي دُواد[5] الإيادي :

* فكأنما تذكى سنابكها حُبا[6] *

قيل يريد الحباحب ، أي نار الحباحب . وفي التنزيل: «فالموريات قَدحاً» . انتهى كلامه .

---

(١) المعرب للجواليقي طبع دار الكتب ص ٩١ .

(٢) شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . الإصابة ٦٩١٨ والأغاني ١٢ : ٤٣ — ٤٧

(٣) المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي المتوفى سنة ٣٣٧ . نقل منها البغدادي نصوصاً جليلة في مواضع شتى من الخزانة . انظر ١ : ٩ ، ١٤ / ٢ : ٦٣ ، ٢٢٥ ، ٢ ، ٤٠ ، ٣/٥٢٢ : ٤٦ / ٤ : ٦٦ ، ٧٣ ، ٥٨٢ . ١ ، ح : « مسائل العسكرية » تحريف .

(٤) هو لبيد بن ربيعة . والبيت مطلع قصيدة له في ديوانه طبع فينا ١٨٨٠ وعجزه :

* وتقادمت بالحبس فالسوبان *

(٥) ١ ، ح : « لأبي دؤاد » بالهمز . (٦) روى البيت في اللسان ١ : ٢٨٨ هكذا :

يخرجن من مستطار جثورها فكأنها تذكى سنابكها الحبا

وأما الكسر فعلى أنه جمع « تِلْم » بكسر فسكون ، بمعنى التلام . قال ابن مكرم[١] : فمن[٢] رواه : التلامي ، بفتح التاء وإثبات الياء ، أراد التلاميذ ، يعني تلاميذ الصاغة . هكذا رواه أبو عمرو ، وقال : حذف الذال من آخرها[٣] ومن رواه : التلام ، بكسر التاء ، فإن أبا سعيد قال : التِّلْمُ التلام . قال : وكلُّ غلامٍ تِلْمٌ ، تلميذاً كان أو غير تلميذ ، والجمع التلام . وقال ابن الأعرابي : التلام الصاغة ، والتلام الأكَرَة » اهـ .

وأقول : « الصاغة » تصحيف من الصناع[٤] لوقوعه في صحبة الحاليج . ويدفعه البيت الثاني[٥] .

وقال صاحب القاموس : « التِّلْم ، بالكسر : الغلام ، والأكّار ، والصائغ أومنفخة الطويل . وكسحاب : التلاميذ ، حذفت ذاله . ولم يذكر الجوهري غيرها ، وليس من هذه المادة [و] إنما هو من باب الذال » اهـ .

أقول : أما قوله : « الأكّار والصائغ » فأخذه من قول ابن الأعرابي ، على أن الصاغة والأكَرة بالتحريك جمع صائغ وأكّار .

وأما قوله : « أو منفخه » فقد أخذه من قول بعضهم ، وقد غلط فيه .

نقل الأزهري عن الليث أن بعضهم قال : التلام الحاليج التي ينفخ بها . قال : وهذا باطل[٦] .

والعجب من صاحب القاموس ، أنه اعترض على صاحب الصحاح في ذكره التلام في باب الميم ، مع أنه أثبته مثله ، ولم يذكره في باب الذال .

[تمت الرسالة]

---

(١) في لسان العرب مادة تلم . (٢) في الأصل : « ومن » وصوابه النص من اللسان .

(٣) أسقط البغدادي هنا قول ابن منظور : « كقول الآخر :

لها أشارير من لحم تتمره ... من الثعالي ووخز من أرانيها

أراد من الثعالب ، ومن أرانبها » . وهذا البيت لأبي كاهل اليشكري كما في اللسان ٥ : ١٦١ .

(٤) ط : « في الصناع » . (٥) يشير إلى بيت غيلان بن سلمة .

(٦) في اللسان : « قال أبو منصور — وهو الأزهري — قال الليث : إن بعضهم قال التلامية الحاليج التي ينفخ فيها . قال : وهذا باطل ما قاله أحد » .

فهرس المجموعة الثانية

المجموعة الثالثة

١٠ ـ رسالة أبي عامر بن غرسية في الشعوبية.
١١ ـ رسالة في الرد عليها لأبي يحيى بن مسعدة.
١٢ ـ رسالة ثانية في الرد عليها.
١٣ ـ رسالة ثالثة لأبي جعفر أحمد بن الدودين البلنسيّ.
١٤ ـ رسالة رابعة لأبي الطيب بن من الله القرويّ.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذه هي المجموعة الثالثة من (نوادر المخطوطات) ، وهي وثيقة هامة تقدم إلى خاصة الأدباء والباحثين مادة غزيرة في ناحية مغلقة من نواحي الأدب العربي ، وتعرض لوناً من ألوان الحياة الثقافية والاجتماعية والدينية في بلاد الأندلس في القرنين الخامس والسادس .

وقد كان للصديق الفاضل « الدكتور شوقي ضيف » فضل تعريفي برسالة ابن غرسيّة التي لم أكن أعرف منها إلا الاسم فحسب ، وقد عثر عليها في أثناء تفتيشه لذخيرة ابن بسام[1] .

وعند ما رجعت إلى الذخيرة وجدت النص فيها مضطربا شديد التحريف ، فبحثت عن مرجع آخر يسعف في تحقيق هذا النص فساقني المطاف إلى نقد متناثرة نشرها المستشرق الألماني الكبير إجنتز جولد تسيهر Ignaz Goldziher في أثناء بحثه في (الشعوبية عند مسلمي الأندلس) الذي قدمه إلى مؤتمر المستشرقين الثاني عشر بمدينة روما في أكتوبر سنة ١٨٩٩ ونشره في مجلة الجمعية الألمانية الشرقية[2] . وقد رأيت أن أطلع على هذا البحث المكتوب باللغة الألمانية ، فاتصلت بالصديق الفاضل « الدكتور عبد الحليم النجار » الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، الذي كان له فضل إمدادي بترجمة دقيقة لهذا البحث استوجبت جزيل شكري وعظيم التقدير .

---

(١) القسم الثالث من مخطوطة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٢٢ ص ٢١٩ — ٢٣١ .

(٢) Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft المجلد ٥٣ ص ٦٠١ — ٦٢٠ ليبسك ١٨٩٩ .

وكان فى النية أن أنشر هذه الترجمة النفيسة فى هذه المجموعة ، ولكنى وجدت فيما بعد أن نطاق المجموعة يضيق عن استيعاب نص هذا البحث المسهب ، فآثرت أن أوجزها إيجازاً ، وأن ألحقها بنهاية هذا التقديم .

وقد دلنا جولد تسيهر على مخطوط فى مكتبة الإسكوريال برقم (٥٣٨) يتضمن هذه الرسالة وبعض الردود عليها وهو مخطوط نادر مكتوب بخط مغربى مجهول التاريخ وإن كان يبدو عليه سمة القدم ، كتب فى صدره :

« الحمد لله . مجموع فيه مبايعة على بن أبى طالب أبا بكر الصديق رضى الله عنه وتفسير ألفاظها لغة ، ومكاتبات الأمير على بن يوسف بن تاشفين ، ومخاطبة الراهب الفرنسى وجوابه للإمام أبى الوليد الباجى ، ومكاتبات أهل سبتة لأهل الجزيرة الخضراء ، ومضحكات وغرائب . بالله يثق وعليه يتوكل ويعتمد مالكه محمد ابن يوسف بن محمد . وفيه الرسائل الجدلية ومسائل من أصول الفقه . والحمد لله وحده » .

وهذه العنوانات هى بعض ما ورد فى مجموعة الإسكوريال ، وهناك عنوانات أخر لرسائل كثيرة تضمنها هذا المجموع النادر .

وبذلك اجتمع لنا نصان يسعفان فى نشر هذه الرسائل النادرة .

نص الذخيرة ونص مجموعة الإسكوريال

أما نص الذخيرة[١] فإنه يشتمل على رسالة ابن غرسية ، ورسالتين أخريين هما :

١ — رد أبى جعفر أحمد بن الدودين .

٢ — ثم رد أبى الطيب بن من الله القروى .

وأما نص المجموعة فإنه يشتمل على الرسالة وعلى ردود أربعة ، وهى :

١ — رسالة أبى يحيى بن مسعدة .

٢ — ثم رسالة لم يصرح باسم كاتبها ، وأرجح أنه أبو يحيى .

٣ — ثم رسالة أبى جعفر بن الدودين .

---

(١) مما يجدر ذكره أن جولدتسيهر لم يطلع على هذا النص ، ولم يشر إليه فى بحثه . وكان ذلك سبباً فى عثرته التى أشرت إليها فى ص ٢٤٦ .

٤ — ثم رسالة أبي الطيب بن من الله القروى .

ومما هو جدير بالذكر أن صاحب مجموعة الإسكوريال قد نقل الرسالتين الأخيرتين من الذخيرة ولم يصرح بذلك ، فإننا نجد نص رسالة أبي جعفر بن المودين هو نص الذخيرة ، لا يفترقان إلا في القليل .

ونلق صدر رسالة أبي الطيب في المجموعة هو عبارة ابن بسام وسجعه في الذخيرة بالحرف الواحد : « وممن رد عليه وأجاد ، ما أراد ، أبو الطيب بن من الله القروى رسالة طويلة أثبت منها بعض الفصول ، تخفيفاً للتثقيل » .

ثم نرى توافقاً تاماً في تقسيم فصول الرسالة وفقرها ، إذ يبدو لنا أن هذا النص مؤلف من فصول مختارة من الرسالة ، وليس نصاً كاملا .

ثم نطالع هـذه العبارة في الورقة (٥١ ا) : « قال صاحب الكتاب : وبين أبو الطيب بطلان كلامهم في احتجاج طويل ، تركته تخفيفاً للتثقيل » . وهذه هي عبارة الذخيرة بنصها . وصاحب الكتاب هو ابن بسام صاحب الذخيرة بلا ريب .

فلأن نص مجموعة الإسكوريال أعظم قيمة من حيث هي أقدم خطاً ، وأصح متناً ، وأكثر استيعاباً في النص ، واشتمالا للردود — جعلتها أصلا في نشر هذه المجموعة ، وجعلت نص الذخيرة للمقابلة والاستعانة في التحقيق .

أبو عامر بن غرسية :

أفرد له علي بن سعيد صاحب المغرب المتوفى سنة ٦٨٥ ترجمة خاصة[1] قال فيها :

« أبو عامر بن غَرسيَة[2] من عجائب دهره ، وغرائب عصره ، إن كان نصابه

---

(١) المغرب ٤ : ٢٣٦ مخطوطة دار الكتب ٢٧١٢ تاريخ .

(٢) غرسية تعريب « جارسيا » : Garcia ومعناه في الأسبانية ذو الحياة ، أو الثعلب أو الماكر ، كما ورد في معجم المجمع العلمي الأسباني (Diccionario de la Lingua Española) وهو علم شائع في بلاد الأندلس تسمى به كثير من ملوكهم وأمرائهم وفرسانهم . وذكر ابن حزم في جمهرة الأنساب ٤٦٧ تحقيق بروفنسال « غرسية » ملك البشاكنة الذي زفت إليه أورية بنت لبي ، فولدت له « موسى بن غرسية » . ومن أبرز علماء المعربيات الأسبانيين المعاصرين صديقنا الأستاذ « إميليو جارسيا جوميز » : Emilio Garcia Goméz الأستاذ =

فى العجمية ، فقد شهدت له رسالته المشهورة بالتمكن من أعنة العربية ، وهو من أبناء نصارى البشكنس[1] ، سبى صغيراً وأدبه مجاهد مولاه ، ملك الجزر ودانية . وكان بينه وبين أبى جعفر بن الجزار صحبة أوجبت أن استدعاه من خدمة المعتصم بن صمادح ملك المرية ، ناقماً عليه ملازمة مدحه وتركه ملك بلاده » .

ثم قال : ومن شعره :

إن أصلى كما علمت ولكـ ـن لسانى أعز من سحبان

وأنا من خير الملوك بصـدر هل ترى بالقناة صدر السنان

ويحمل هذا النص :

١ — أن مولد أبى عامر كان ببلاد البشكنس . ويفهم ذلك أيضاً من نصوص البلوى فى كتابه ألف باء ١ : ٣٥٠ .

٢ — وأنه انتقل إلى دانية من أعمال بلنسية فى سباء وقع عليه وهو صغير ، حيث ربى فى كنف أبى الجيش مجاهد العامرى[2] .

= بجامعة مدريد . ومما يجدر ذكره أن هناك عالما جليلا من علماء الأندلس يشترك مع أبى عامر فى الكنية ، وهو أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن بشر بن غرسية القرطبى المالكى ، ويعرف أيضاً بنوك بن فطيس ، ولاه متولى قرطبة على بن حمود الحسنى القضاء سنة ٤٠٧ وتوفى فى شعبان سنة ٤٢٢ وله ثمان وعشرون . ذكره الذهبى فى سير النبلاء (القسم الأول من الجزء ١١ مصورة دار الكتب رقم ١٢١٩٥ ح) . قال الذهبى : « ولم يجى بعده قاض مثله » .

(١) البشكنس أو الباسك : Basques ويسميهم المسعودى « الوشكنس » هم قوم يسكنون ما بين جنوب فرنسا والشمال الشرقى من أسبانيا مما يجاور خليج « بسكاى » . ويتميزون عن جيرانهم بلغتهم غير الآرية ، ولهم ميل إلى الأخذ بالخرافات والمحافظة على القديم ، وهم ذوو حماسة وكبر وتمسك بالمعتقدات الدينية ، والمبادئ الأخلاقية ، يبلغ عددهم نحو ٦٠٠ ألف منهم ١٢٠ ألفا فى الأقاليم الفرنسية . انظر المعلمة البريطانية ، وكذا : Universal Knowledges

(٢) هو أبو الجيش ، الموفق مجاهد بن عبد الله العامرى ، مولى عبد الرحمن الناصر ابن المنصور محمد بن أبى عامر . نشأ بقرطبة ، ولما جاءت الفتنة وتقلبت العساكر على النواحى بذهاب دولة بنى أبى عامر ، قصد إلى الجزائر التى فى شرق الأندلس فغلب عليها وحماها ، ثم حاول الاستيلاء على سردانية فنجح ثم صدته الروم ، ثم استولى على دانية وما يليها ، وتوفى سنة ٤٣٦ . جذوة المقتبس ٣٣١ — ٣٣٢ تحقيق محمد بن تاويت .

وفى المغرب ٤ : ٢٢٦ : « وكان جليل القدر . له غزوات فى النصارى فى البحر =

٣ — ويبدو أن أبا عامر كان له شأن عظيم فى دولة مجاهد ، الأمر الذى حمله على أن يستدعى صديقه أبا جعفر بن الخراز لينضم إليه فى خدمة مولاه مجاهد . كما يفهم من نص لابن الأبار[1] أنه كان لابن غرسية ولد سماه « أبا جعفر أحمد » كان له مؤدب خاص من بين العلماء ، وهو « أبو العباس الجزيرى » . قال : « وسكن دانية وكان بها يؤدب أبا جعفر أحمد بن أبى عامر بن غرسية الكاتب » . فهذا دليل على أنه كان من خواص الدولة ، ودليل أن عمله الرسمى كان الكتابة .

٤ — ويفهم أيضاً من هذا النص ومن ترجمة مجاهد التى سقناها من قبل أن ابن غرسية وجد فى كنف مجاهد مرعى صالحاً لشعوبيته ، إذ أن مجاهداً كان مولى من موالى الروم ، وهم مظنة البعد عن العصبية العربية .

وفى ذلك يقول أبو يحيى بن مسعدة فى أواخر رسالته :

أبا عبد عبــــد ألا تستحى ... ولا لك دون النهى زاجر

فهو يعيره بأنه مولى مولى .

بل يبدو أن « مجاهداً العامرى » كان مأوى وملاذاً للشعوبيين ، فكما نشأ ابن غرسية فى بلاطه ، نجد عالماً آخر لائذاً بكنفه وهو اللغوى ابن سيدة صاحب المخصص . جاء فى سير النبلاء[2] فى ترجمته : « كان شعوبياً يفضل العجم على العرب » ثم قال : « وكان منقطعاً إلى الأمير مجاهد العامرى » .

٥ — وهو يحاول أن يجتذب صديقه أبا جعفر بن الخراز من كنف ملك عربى ، هو المعتصم بالله أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبى[3] ، وكان المعتصم

= مشهورة ، ومن أعظم مافعله جزيرة سردانية الكبيرة ، وكان محباً للعلماء محسناً لهم ، كثير الولع بالقرآن فكتاب العزيز حتى عرف بذلك فى بلده ، وقصد من كل مكان ، وشكر فى الأقطار بكل لسان ، وقد أثنى عليه ابن حيان فى كتاب المتين بهذا الشأن . وقد وفد عليه أفذاذ الشعراء كإدريس بن اليمان ، وجلة العلماء كابن سيده » .

ومما يجدر ذكره أن مجاهداً كان « رومى » الأصل . انظر المعجب للمراكشى ص ٤٨ طبع السعادة . وانظر أخباراً أخرى لمجاهد مع العلماء فى جذوة المقتبس ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢٩٣ .

(١) فى المعجم ص ٢٩٦ .

(٢) سير النبلاء ج ١١ القسم الثانى ص ١٨٠ مصورة دار الكتب .

(٣) انظر ترجمته فى قلائد العقيان ٤٧ ، ووفيات الأعيان ، والحلة السيراء ١٧٢ . وكانت وفاته سنة ٤٨٤ . وتجيب : بطن من كندة .

ملكا على المرية ، وهى مدينة كبيرة من كورة ألبيرة من أعمال الأندلس ، وكانت هى وبجانة إلى الشرق .

٦ — وهو فى ذلك يعتب عليه ، لتركه مدح مجاهد واقتصاره على مدح ابن صمادح ، كما يفهم من نص المغرب مقروناً إلى نص ابن بسام التالى .

تاريخ الرسالة :

مما لا يتطرق إليه الشك أن الرسالة كتبت فى حياة مجاهد ، مولى أبى عامر ابن غرسية ، بعد استيلائه على « دانية » . وتمتد حياة مجاهد السياسية ما بين سنتى ٤٠٦ و ٤٣٦ . وكانت دانية آخر ما استولى عليه من البلاد ، وفيها وطد ملكه[1] .

أبو جعفر بن الخراز :

نص المغرب فى ترجمته لأبى عامر بن غرسية[2] يبين أن الذى أرسل إليه أبو عامر رسالته هو « أبو جعفر بن الخراز » .

وكذلك نص ابن بسام فى الذخيرة يقول إن أبا جعفر بن الخراز هو الذى أرسلت إليه الرسالة . قال ابن بسام فى صدر ترجمته لأبى جعفر أحمد بن الدودين البلنسى[3] :

« وأخبرنى برسالته التى رد فيها على أبى عامر بن غرسية ، وكان — لحاه الله وأبعده — قد استقر بمدينة دانية فى كنف مجاهد ، تخاطب الأديب أبا جعفر بن الخراز معاتباً له لتركه مدح مجاهد واقتصاره على مدح ابن صمادح التجيبى .. » ثم قال : « وهذه نسخة رسالة ابن غرسية يخاطب الشاعر ابن الخراز » .

ونص ثالث فى التكملة[4] فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

(١) جذوة المقتبس ٣٣١ — ٣٣٢ .
(٢) انظر ما سبق فى ص ٢٣١ — ٢٣٢ .
(٣) القسم الثالث من الذخيرة ص ٢١٩ مخطوطة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٢٢ .
(٤) التكملة ١ : ١٠٧ .

ابن سهل الأنصارى المعروف بابن الخراز ، قال : « وكان أبوه أبو جعفر أيضاً شاعراً[1] ، وهو الذى خاطبه أبو عامر بن غرسية بالرسالة المشهورة » .

فهذه المراجع جميعها تنص نصاً واحداً ، أن الذى كاتبه أبو عامر بن غرسية إنما هو « أبو جعفر بن الخراز » .

ولكنا نجد فى صدر هذا النص من مجموعة الإسكوريال أن الذى كاتبه أبو عامر إنما هو « أبو عبد الله بن الحداد » .

ويزيد فى هذه الشبهة أننا نجد شاعراً كان يلزم ابن صمادح ويمدحه ، وهو « أبو عبد الله بن الحداد » واسمه محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم القيسى ، كما ذكر ابن خلكان[2] .

ويقويها أيضاً ما ورد فى سير النبلاء للذهبى[3] فى ترجمة ابن صمادح : « ومن وزرائه أبو بكر بن الحداد الأديب » .

والقول فى ذلك أنهما — كما يبدو — شخصان مختلفان فى الاسم والنسب والانتساب ، اتصل كل منهما بابن صمادح ومدحاه ، ولكن الذى أرسل إليه ابن غرسية الرسالة إنما هو « أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن سهل الأنصارى » المعروف بابن الخراز .

ومما يعزز ذلك أن صاحب المغرب نص عليه فى ترجمته لأبى عامر بن غرسية ، وصاحب المغرب يعرف ابن الحداد أيضاً ويترجم له فى موضع آخر من المغرب[4] ، قال : « أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد القيسى ... وصفه الحجارى وابن بسام

---

(١) من شعره ما أنشده المقرى فى نفح الطيب ٥ : ٤٣ :

وما زلت أجنى منك والدهر ممحل ... ولا ثمر يجنى ولا زرع يحصد
ثمار أياد دانيات قطوفها ... لأوراقها ظل على ممدد
يرى جاريا ماء المكارم تحتها ... وأطيار شكرى فوقهن تغرد

(٢) وفيات الأعيان ٢ : ٣٥ فى ترجمة محمد بن معن بن أحمد بن صمادح . وأنشد ابن خلكان وكذا المقرى فى نفح الطيب ٤ : ٢٤٦/٥ : ٢٤٠ مدائح لأبى عبد الله بن الحداد فى المعتصم ابن صمادح .

(٣) القسم الثانى من الجزء ١١ ص ٢٨٤ مصورة دار الكتب .

(٤) المغرب ٥ : ٢٣٥ من النسخة ١٠٣ تاريخ م .

بالتفنن في العلوم ولا سيما القديمة . وديوان شعره كبير جليل ، وكان أكثر عمره عند المعتصم بن صمادح ملك المرية ، ثم فر عنه إلى ابن هود صاحب سرقسطة » .

فهو يعرف الرجلين ويميز بينهما .

وأما ما ورد في صدر مجموعة الإسكوريال فلا يبعد أن يكون من تصرف أديب أو ناسخ ، ساقته معرفته لصاحب العلاقة المشهورة بابن صمادح أن يجعله هو أيضاً صاحب أبي عامر بن غرسية الذي ساق إليه الرسالة ، ومما أسعف في ذلك قرب إحدى الكلمتين في الرسم من الأخرى ، أعني « الجزار » و « الحداد » .

أصحاب الردود على رسالة ابن غرسية :

كان أجدر بأبي جعفر بن الجزار أن يرد على صديقه أبي عامر بن غرسية موافقاً أو مخالفاً ، ولكن لم تذكر لنا المصادر التي نعرفها أنه كتب رداً ، فضلاً عن أن تحمل إلينا ذلك الرد . بيد أن هذه المجموعة التي حفظتها مكتبة الإسكوريال قد نقلت إلينا ردوداً أربعة[1] :

(أولها) رد أبي يحيى بن مسعدة . ويبدو أنه كان شيخاً جليلا في حضرة ملوك المغرب . ونجد في هذا الرد ذكر الإمام المهدي أبي عبد الله محمد بن عبد الله القرشي العلوي . ومحمد هذا هو المعروف بمحمد بن تومرت[2] ، وكان قيامه بالأمر سنة ٥١٥ ووفاته سنة ٥٣٤ . ونجد في الرد أيضاً ذكر عبد المؤمن بن علي[3] ، وكانت ولادته سنة ٤٨٧ ووفاته سنة ٥٥٨ . وهذه التواريخ تبعد كثيراً عن التاريخ الذي كتبت فيه رسالة ابن غرسية ، هذا التاريخ الذي لا يصح أن يتجاوز سنة ٤٣٦ وهي سنة وفاة مجاهد ملك دانية .

---

(١) يبدو أن جولدتسيهر لم يقع إليه إلا رسالة ابن غرسية فقط كما يفهم من كلامه في بحثه إذ ذكر أن صديقه Louis Barrau قد أمده بصورة شمسية من الرسالة عن مخطوطة الإسكوريال .

(٢) المعجب ١١٠ — ١٢٠ .

(٣) المعجب ١٢٠ — ١٥٣ .

ويستغرق هذا الرد من مجموعة الإسكوريال الورقات من ٢٩ — ٤١ . وهذا الرد هو أكبر الردود وأحفلها .

(ثانيها) رد لمجهول ، وعنوانه في الأصل « رسالة ثانية في الرد على ابن غرسية » . فمن المحتمل أن تكون رسالة ثانية لأبي يحيى بن مسعدة ، أو تكون لأحد الذين قد جرى لهم ذكر في التاريخ أنهم تناولوا الرسالة بالرد ، وسأذكرهم فيما بعد . وإني أرجح الاحتمال الأول ترجيحاً ، لسببين .

١ — التشابه الشديد بين أسلوبي الرسالتين ، ويبدو ذلك واضحاً لمن درس الرسالتين ولمس الروح السارية في تضاعيف كل منهما .

٢ — التقارب الشديد بين بعض العبارات مما ينطق بأن صاحبهما واحد . ومن أمثلة ذلك :

ا — ما جاء في الرد الأول في الورقة ٣٢ ا : « لقد ذهبتم من العار بجمه ورمه ، والفحل السوء يبدأ بأمه » وفي الرد الثاني ٤٢ ا « ذهبوا والله من العار بشمه ورمه ، والفحل السوء يبدأ بأمه » .

ب — ٣٣ ا « الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل » وفي الثاني ٤٢ ا « ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل » .

حـ — ٤٠ ا « وتجعل الحصل كله للعرب ، والفضل للنبع على الغرب » وفي الثاني ٤١ ا « فنعلم أن البأس للعرب ، وأن النبع ليس من الغرب » .

ء — ٣٦ ا « وأبرهة ذي المنار ، وعمرو ذي الأذعار » هو بنفسه في الثاني ٤١ ا .

هـ — ٣٦ ا « يزدجردكم وشهرياركم » هو بنفسه في الثاني ٤١ ا .

و — ٣٦ ب ، ٤١ ا اتفق اقتباس هذا البيت :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا على المجد حتى عد ألف بواحد

ز — ٣٨ ا ، ٤١ ا تطابق اقتباس هذا البيت :

والليث حيث ألب من أرض فذاك له عرين

إلى غير ذلك كثير ، مما يقرب القطع بأن صاحب الرسالتين كاتب واحد .

وهذا الرد يستغرق من مجموعة الإسكوريال الورقات من ٤١ — ٤٣ . ولم يذكر جولدتسيهر هذا الرد ولا أشار إليه .

(ثالثها) رد أبي جعفر أحمد بن الدودين[1] البلنسي ، وكان هذا معاصراً لابن بسام صاحب الذخيرة[2] ، قال في صدر ترجمته : « هو أحد من لاقيته وشافهته ، وأملى علي نظمه ونثره [بأشبونة[3]] سنة سبع وسبعين[4] ، وأخبر في برسالته التي رد فيها على أبي عامر بن غرسية » .

وقد فات « جولدتسيهر » أن يذكر هذا الأديب في ثبت من ردوا على ابن غرسية . انظر الحاشية (١) من ص ٢٣٦ . مع أن هذه الرسالة في ضمن مجموعة الإسكوريال من الورقة ٥٣ — ٥٤ .

وهذه الرسالة لم يذكرها البلوي ولا صاحب كشف الظنون .

(رابعها) رد أبي الطيب بن من الله القروي ، وهو الفقيه الأديب أبو الطيب عبد المنعم بن من الله الهواري القيرواني ، كما في الصلة لابن بشكوال[5] . ونسبة « القروي » هي الثابتة في نص مجموعة الإسكوريال ، وأما كتاب ابن بشكوال فيجعلها « القيرواني » .

---

(١) في الذخيرة (القسم الثالث الورقة ٢١٩ مخطوطة جامعة القاهرة) : « البودي » وفي مسالك الأبصار (القسم الثاني ج ١١ الورقة ٤٤٩ من النسخة رقم ٢٥٦٢) وكذا نفح الطيب (٥ : ٢٩٠) : « البودي » .

(٢) يخلط بعض المؤرخين بين ابن بسام صاحب الذخيرة وبين البسامي الشاعر الهجاء ، ومنهم صاحب كشف الظنون ، وصانعو فهرس دار الكتب ، جعلوا وفاة ابن بسام (سنة ٣٠٢) وهذه الوفاة إنما تصدق على البسامي ، واسمه أبو الحسن علي بن محمد بن منصور بن بسام . وأما ابن بسام صاحب الذخيرة فهو أبو الحسن علي بن بسام الثعلبي الشنتريني ، ترجم له ابن سعيد في المغرب ١ : ٤١٧ تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، وياقوت في معجم الأدباء ١٢ : ٢٧٥ والمقري في نفح الطيب ٥ : ٩ . وأرخ المقري وفاته (سنة ٥٤٢) .

(٣) التكملة من المسالك عن الذخيرة .

(٤) أي وأربعمائة .

(٥) الصلة رقم ٨٣٥ .

قال[1] : « قدم الأندلس وحدث بشرقيها عن أبي بكر محمد بن علي بن الحسن بن البر التميمي ، وكان أديباً شاعراً ، وتوفي يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ٤٩٣ » .

وقد حفظ لنا البلوى في كتابه[2] عنوان رسالته ، وهو « حديقة البلاغة ، ودوحة البراعة ، المورقة أفنانها ، المثمرة أغصانها ، بذكر المآثر العربية ، ونشر المفاخر الإسلامية ، والرد على ابن غرسية فيما ادعاه للأمم العجمية » . وعرف هذا العنوان أيضاً صاحب كشف الظنون .

ردود تاريخية :

وأعني بها الردود التي حفظ التاريخ أسماءها ولم نصل بعد إليها .

١ — رد الفقيه أبي مروان عبد الملك بن محمد الأوسي . ذكره البلوى وصاحب كشف الظنون ، وعنوانه « رسالة الاستدلال بالحق ، في تفضيل العرب على جميع الخلق ، والنسب والانتصار ، لصفوة الله المهاجرين والأنصار » .

٢ — رد الكاتب ذي الوزارتين أبي عبد الله محمد بن أبي الخصال الغافقي المتوفى سنة ٥٤٠ سمى رسالته « خطف البارق وقذف المارق ، في الرد على ابن غرسية الفاسق ، في تفضيله العجم على العرب ، وقرعه النبع بالغرب » . ذكرها البلوى وصاحب كشف الظنون ، وقد رآها البلوى[3] وقال : « فأما ابن أبي الخصال ، فأخنى عليه وصال ، بحجاج أمضى من النصال ، ما له عنها انفصال » .

وقال ابن الأبار[4] في ترجمة ابنه عبد الملك : « ووجدت إسماعه من أبيه في نسخة من رسالته التي رد فيها على ابن غرسية في جمادى الآخرة سنة ٥٢٨ » .

٣ — رد أبي محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي الغرناطي ، وكان

---

(١) الصلة رقم ٨٣٥ .
(٢) ألف باء ١ : ٣٥٠ .
(٣) ألف باء ١ : ٣٥١ .
(٤) تكملة الصلة رقم ١٧٠٠ .

يعرف بابن الفرس ، ذكر ابن الأبار[١] جده وقال : « وكان هو وابنه محمد وابن ابنه عبد المنعم بن محمد فقهاء ثلاثة في نسق » .

وذكر النباهي في تاريخ قضاة الأندلس[٢] عبد المنعم هذا في قضاة غرناطة ، وذكر وفاته في سنة ٥٩٧ . وترجم له أيضاً ابن الأبار[٣] .

وقد عرف هذه الرسالة البلوى وصاحب كشف الظنون ولم يذكرا لها عنواناً .

٤ — رد عبد الحق بن خلف بن مفرج ، ذكر في تكملة التكملة[٤] .

رد أبي الحجاج البلوي :

وهو أبو الحجاج يوسف بن محمد المالكي الأندلسي ، المعروف بابن الشيخ ، من أدباء القرن السادس . وقد وقعت إليه رسالة ابن غرسية مع طائفة من ردود الأدباء ، وفي ذلك يقول[٥] بعد أن ساق ثبت ردود الأدباء على ابن غرسية : « وقد أراني جميع ذلك بعض الأصحاب ، ممن هو في العلم كالسحاب ، وفي جملتها كلام ابن غرسية المذكور في رسالته الدالة على فساد القول وفساله ، التي فضل فيها على العرب العجم ، وأراد أن يعرب فأعجم ، فقلت وقد غاظني ما رأيت لهذا الجاهل من الاقتراف ، وأنا بالعجز عن معارضة من سبقني من العلماء ذو اعتراف » . . . ثم أنشأ في ذلك ما يشبه المقامة الهزلية التي يختلط فيها الشعر بالنثر .

ويعد هذا الأثر الأدبي أول رسالة أظهرتها المطبعة مما يمت بصلة ظاهرة إلى رسالة ابن غرسية .

---

(١) في المعجم رقم ٢٣٣ .
(٢) ص ١١٠ بتحقيق بروفنسال ، طبع دار الكاتب المصري .
(٣) في تكملة الصلة ١٨١٤ .
(٤) انظر تكملة التكملة ص ٤٢٣ مع فهرسها ص ٦٦٢ .
(٥) ألف باء ١ : ٣٥١ .

موجز بحث جولدتسيهر

الشعوبية عند مسلمي أسبانيا

قسم جولدتسيهر بحثه فصولا ثلاثة :

الأول في الشعوبية الأسبانية — والثاني في تحليل رسالة ابن غرسية — والثالث في الكلام على صدى هذه الرسالة .

الشعوبية الإسبانية :

اتصل بالعناصر العربية والبربرية في أسبانيا عنصران آخران هما :

ا — المولدون ، وهم نصارى أسبانيا الذين اعتنقوا الإسلام .

ب — الصقالبة ، ويراد بهم السلافيون بوجه خاص ، وأسارى الحرب والأرقاء من مختلف الشعوب الشمالية بمعنى عام .

ومن المولدين من اندمج في الكيان العربي اندماجاً جعل بعضهم يدعون أنساباً عربية ، ومن هؤلاء أسرة بني منيث الرومي الأصل .

وكما كان للمولدين فضل كبير في خدمة الثقافة العربية — ومنهم بقي بن مخلد القرطبي ، وأبو محمد بن حزم ، وعبد الملك بن سراج القرطبي — كان للصقالبة أيضاً فضل لا ينكر ، ومنهم جؤذر مولى الحكم الثاني ، وفاتن مولى المنصور بن أبي عامر الذي اشتبك مع صاعد الأندلسي في جدل علمي تخرج منصوراً عليه مظفراً .

وقد كان العرب يتعالون على هؤلاء القوم مما دعا بعضهم أن ألف كتاباً سماه « كتاب الاستظهار والمغالبة ، على من أنكر فضل الصقالبة » أشاد فيه بذكر مشاهير الصقالبة في شتى فروع الثقافة العربية . ولعل هذا الكتاب أول محاولة للكتابة في دائرة الشعوبية وإن لم تكن في صميمها ، لأن مؤلفه دافع عن عنصره ولم يهاجم غيرهم .

أما الميل الحقيقي إلى الشعوبية فقد أخذ طابعه الكامل في محيط المولدين ، وعناز

هذا الميل فى أسبانيا بحرصه على أن ينسجم مع العقيدة الإسلامية ، على حين نجد شعوبية المشرق على النقيض من ذلك ، إذ نرى ممثلى الشعوبية فيه من الملاحدة والزنادقة فى أكثر الأمر .

ومن أقطاب شعوبية الأندلس محمد بن سليمان المعافرى ، وكان شديد العصبية للمولدين . ومنهم أبو محمد عبد الله بن الحسن المتوفى سنة ٣٣٥ وكان معروفاً بشدة تعصبه للعجم ، ومحاولته الغض من شأن العرب .

ويبدو أنه لم يتح للنزعة الشعوبية الأندلسية أن تستعلن فى إنتاج أدبى إلا بعد أن انقسمت الدولة إلى دويلات صغيرة تناهب الحكم فيها صقالبة ومولدون ، فنسمع حينئذ من أبى عامر بن غرسية صوتاً شعوبياً قوياً يحاول إثبات فضل العجم على العرب .

ثم ساق « جولدتسيهر » ترجمة استنتاجية لابن غرسية لم يجانبه الصواب فى بعض زواياها ، فهو يظن أنه كان فى خدمة المعتصم بن صمادح . على حين تشير المصادر التاريخية إلى أنه كان فى خدمة مجاهد ملك دانية ، وأنه كان يريد تنفير صديقه أبى عبد الله من خدمة ابن صمادح ، ويحثه على ترك خدمته . وبنى « جولدتسيهر » على هذا الظن ظناً آخر ، أن ابن غرسية عاش زماناً فى المرية حيث المعتصم بن صمادح . وهو افتراض لا يصح .

ثم يعلل جولدتسيهر النشاط الشعوبى لابن غرسية بأنه كان يعيش فى مجتمع ضعف فيه النفوذ العربى وتغلب عنصر الصقالبة ، ويقول : « وما كان لعامل من العمال الرسميين فى مجتمع تنحصر مقاليد السلطان به فى أيد عربية أن يحدث نفسه بإثارة مثل هذا الهجوم الجرىء على العرب ثم يترك وشأنه دون عقاب أو قصاص » .

تحليل الرسالة :

لم يأت ابن غرسية بجديد من وجهة النظر الموضوعية ، ويبدو أنه أطلع على كتابات الشعوبية بالشرقية واستق منها أهم الحقائق ولم يبتدع هو إلا الملابسات والدواعى الخاصة . وكان جدل الشعوبية بالشرق من جهة الأسلوب أبعد من

الصناعة الفنية ، ومن جهة المبدأ أقرب إلى الموضوعية العلمية منه إلى الذاتية الشخصية ، على حين نجد كتابة ابن غرسية رسالة شخصية يستعمل فيها كل التعبيرات الفنية من ترادف وطباق ، وتلاعب بالألفاظ ، وتعريض ، وتضمين واقتباس ، ورمز إلى حوادث أدبية وحقائق تاريخية مما يطبع الرسالة الفنية بالطابع المطلوب . كما أن نمو وسائل الأسلوب الفني وتنوعها على الصورة التي يستخدمها كتاب القرن الخامس قد أعارت قلمه أحياناً لون التهكم والفكاهة الذى استحق عنه جدل الشعوبية بالشرق .

ومما يجدر ذكره أن الشرقيين حين يقولون « العجم » فإنهم يعنون الفرس ، على حين يتسع مدلول هذه الكلمة عند الأسبانيين فيشمل الروم وبنى الأصفر .

وقد وازن ابن غرسية بين المميزات الطبيعية والخصال الخلقية بين عنصرى العرب والعجم فتفخر ببياض العجم على سمرة العرب . ثم هو يقابل بين حياة العرب القداى بين الإبل والشاء ، وحياة الأكاسرة والقياصرة فى ظلال السيوف والرماح ، ويعقد مقايسة بين هاجر أم العرب ، وسيدتها سارة أم العجم ، ويتكلم فى قناعة العرب بالشهوات الدنيا ، كالطبل والزمر ، ومعاقرة الخمر ، ويذكر أن العجم يمتازون فى لباسهم وطعامهم وشرابهم ، ثم يفخر بأمجاد العجم السياسية والحربية والعلمية . وأما أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) كان عربياً فلا فخر فى ذلك للعرب ، فإن التبر من الترب ، والمسك بعض دم الغزال ، والماء العذب يستودع جلد المزادة البالى .

ثم ختم ابن غرسية رسالته بعبارات يستظهر بها التقوى ، توهيناً لما قد يشتم من كلامه مما قد يمس العقيدة الدينية ، وهو فى ذلك لا ينسى أن يتملق أميره بمدح ، ويخلط باللين عنفاً فى مخاطبة صديقه .

ثم يتحدث جولدتسيهر عن مدى سرعة انتشار شعر أبى العلاء المعرى فى الأندلس إذ تمكن ابن غرسية من الاستشهاد به . ويذكر من نماذج تأثير المعرى فى الأدب الأندلسى تأليف ابن أبى الخصال رسالة عارض بها « ملقى السبيل » ، ومعارضة رسالة « الصاهل والشاحج » لأحد شعراء الأندلس ، وتأليف ابن السيد البطليوسى شرحاً كبيراً لديوان أبى العلاء ولما يكد يمضى نصف قرن على وفاته .

صدى رسالة ابن غرسية :

ذكر جولدتسيهر فى هذا الصدد خمسة ردود ، هى رد أبى يحيى بن مسعدة ، وعبد الملك بن محمد الأنصارى ، وأبى الطيب عبد المنعم بن من الله القيروانى ، وعبد المنعم بن محمد الخزرجى ، ثم مقامة البلوى التى تجدها فى كتابه ألف باء .

* * *

وقد تناولت الكلام على هذه الردود فيما سبق ، وزدت عليه ردوداً ثلاثة أخرى تهديت إليها .

وكنت على أن أتناول هذه الرسائل بالشرح بعد تحقيقها ، ثم رأيت أنى لو فعلت ذلك لأربى حجمها على الأضعاف ، وخرجت بذلك عن النهج المرسوم لهذه المجموعات ، لذلك لم أفسر إلا ما يقتضيه التحقيق وموازنة النصوص ، أو ما يشكل على بعض الخاصة أن يتبينوه فى مظانه ، من الإشارات الأدبية والتاريخية وغيرها ، أو ما يلقى شيئاً من الضوء على جوانب بعض المبهمات ، حتى ينفذ النور إليها جميعاً .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ؟

مصر الجديدة فى ربيع الأول سنة ١٣٧٣ عبد السلام محمد هارون

رسالة ابن غرسية

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة خاطب بها أبو عامر بن غرسية أبا عبد الله بن الحداد[1] يعاتبه فيها ويفضل العجم على العرب ، وكتب بها من لاردة ٢٦ أ

سلامٌ عليك ذا الروعة ، المروعة ، للوقوف قريضُه على حلّةٍ بجّانة[2] أرشِ اليمن[3] ، بزهيد الثمن ، كأنْ ما في الأرض إنسانٌ ، إلّا من غسّان ، أو من آل ذي جَشّان . وإنْ كان القوم أقنوك ، ومن العالَم أغنوك ، على حسب المذكور ، فما هذا الإهمال للمذكور ، وتَرْكُ الوُكور . وقلّ ما تأخذ الشُّمَّرة[4] في الرحيل ، إلّا من الرَّبع المُحيل ! ولو أنّ القومَ خاطوك بالآل ، لما أحوجك إلى التخبّط في الآل[5] . مَهْ مه ، مَنْ أحوجكَ إلى ركوب المهمه ، وتَقيف[6] ، وودُّك لا تقيفُ ، ٢٦ ب

كَلّ من اضطرّك إلى الإيغال ، وباعك بَيعَ المُسامِح بك لا المُغال ، وعوّضك من الأندية[7] ، بجوب الأودية ، ومن المآلف ، بقطع التالف ، وحملك على مخالفة الخُصان ، ومحالفة الحِصان ، ووكّلك بمسح الأرض ، ذاتِ الطُّول والعرض ، فإذا يمّمت تبالة ، تنبالة[8] ، وصرت ضيفاً على إبالة ، تحلّ بالجبين ، ضيفاً بالعلق الثمين .

---

(١) كذا في نسخة الأصل . والصواب أنه « أبو جعفر بن الجزار » . انظر ما سبق في ص ٢٣٤ — ٢٣٦ من التقديم .

(٢) حلّة : جمع حالّ بمعنى نازل في المكان . وبجانة ، قال ياقوت : مدينة بالأندلس من أعمال كورة البيرة ، خربت ، وقد انتقل أهلها إلى المرية ، وبينها وبين المرية فرسخان .

(٣) أصل معنى الأرش العيب في السلعة .

(٤) جمع شامر . ولابن غرسية ولوع بهذه الصيغة من الجموع .

(٥) الآل الأول بمعنى الأهل ، وهذه بمعنى السراب .

(٦) يقال تقيف ، إذا صار حاذقاً فطناً . انظر ما سيأتي في ٤٤ ب .

(٧) الأندية : جمع الندي ، وهو مجلس القوم يجتمعون فيه . الجريدة : « من قطع الأندية » .

(٨) تبالة : بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن . وتبالة : لصنع البلاغة .

أحْسَبك(1) ازدريت، وبهذا الجيل النجيل ازدريت، وما دريت، أنهم الصُّهب الشُّهب، ليسوا بعُرْب، ذَوي أينُقٍ جُرب، أساورة، أكاسرة، مُجُد، نُجُد، بُهَم(2)، لا رُعاة شويهاتٍ ولا بَهَم(3)، شُغِفوا بالمَاذِيّ والرُّمّان، عن رَعْي البُعران، وبجَلْب العِزّ، عن حلب العَنْز، جبابرة، قياصرة، ذوو المغافر والدُّروع، المُنفِّس عن رَوْع الرُّوع، حماة السُّروح، بُناة الصُّروح(4)، صُقورة، غلبت عليهم شُقُورة(5)، وشقورة الخِرْصان، لكنَّهم خَطَبة بالخِرصان(6).

ما ضرَّهم أنْ شَهِدوا مَجادا(7) ... أو كافحوا يومَ الوغى الأندادا

ألّا يكون لونُهم سوادا

أرومة رُومية، وجُرثومة أصفرية(8).

نَمَتْهُم ذوو الأحساب والمجدِ والعُلى ... من الصُّهب لا راعُو غَضاً وأفاني(9)

من القُدُم، للقُلس الادُم، لم تُعرقْ فيهم الأقباط، ولا الأنباط، حَسَبٌ حرِيّ، ونسبٌ سَرِيّ، أنُسكم لأمّنا كانت أمَة، إنْ تُنكروا ذلك تَلقَوا عَلَقة، ولا تهايل(10)، في الشكايل، فما سُسْنا قطُّ قروداً، ولا حُكْنا بُرودا(11).

---

(1) في الأصل: «أحسبك»، صوابه في الجريدة.

(2) بضم ففتح، جمع بهمة بالضم، وهو الفارس لا يدرى من أين يؤتى لشدة بأسه.

(3) البهم، بالتحريك، وبالفتح أيضاً: جمع بهمة، وهي الصغير من أولاد الغنم.

(4) السروح: جمع سرح، وهو المال يسام في المرعى. والصروح: القصور.

(5) عنى بالشقورة الشقرة، وهي الحمرة. أي حمرتهم كحمرة الأسنة تعلوها الدماء.

(6) الخرصان: جمع خرص، وهو سنان الرمح، وهو الرمح أيضاً. عنى أنهم يخطبون النساء وينكحونهن بالحروب. ومثله قول الفرزدق في ديوانه ٧٣٧:

وبنت كرام قد نكحنا ولم يكن ... لنا خاطب إلا السنان وعامله

(7) المجاد: مصدر ماجده إذا عارضه بالمجد.

(8) يقال للروم بنو الأصفر. انظر نهاية الأرب ٢: ٣٢٢. وقد أورد ابن خلكان في ترجمة ياقوت بن عبد الله الرومي تعليلا طريفا لتسمية الروم بني الأصفر.

(9) الأفاني: جمع أفانية، وهو ما يسمى «عنب الثعلب».

(10) هال الدقيق ونحوه: صبه من غير كيل.

(11) الحوك: النسج. والبرود: جمع برد، وهو ثوب فيه خطوط.

ولا تُكفّنا عُروها[1] ، فلا تُهاجرُ ، بنى هاجَر ، أنتم أرقّاؤنا وعَبَدتُنا ، وعُتَقاؤنا وحَفَدتنا[2] ، منَنّا عليكم بالعِتق ، وأخرجنا كم من ربق الرِّقّ[3] ، وألحقنا كم بالأحرار ، فتنظمُ النّعمة ، فتنعمنا كم متعا ، يشارك سَـفْعا[4] اضطرّ كم إلى شَـكوَى الحِجاز ، وألجأ كم إلى ذات الحِجاز . وُزُنٌ ، رُعُن . ٢٢/أ

جالَ ذِى الأرضِ كانوا فى الحياة وهُمْ بعد المماتِ جَمالُ الـكُتْبِ والسِّيَرِ[5]

إذا قامت الحربُ على ساق ، وأخذَتْ فى السَّاق ، وقُرعت الظّنابيب ، وأشرعت الأنابيب ، وقَلَصت الشّفاه ، وفغر الهِدانُ فاه[6] ، وولّى قفاه ، ألفيتَهم ذَمَرَة النّاس[7] ، عند احرار الباس ، الطّعنُ بالأسَل ، أحلى عندهم من العَسَل .

مُستسلِمِين إلى الحُتُوف كأنما بينَ الحتوف وبينهم أرحامُ[8]

مِن أمثيائهم ، حُلولُ ميتاتهم ، لهم على القُدْمة البِدان[9] ، على الثّنائى والثّدان .

مِن الأُلَى غَيّرَ زجرِ الخيلِ ما عَرَفوا إذْ تعرفُ العُربُ زَجْرَ الشّاء والعَكَرِ[10]

بُصُر ، صُبُر ، تزدان بهم المحافل ، والجحافل ، كُهول على خيول ، كأنها فيول ، كواكب ، المواكب ، نجوم ، الرُّجوم ، من المجّر ، كَمراجمة الأنجم ، بنو غالب ،

---

(١) العرك : الشعر . والعرود : جمع عرد وهو الشديد الصلب من كل شىء . انظر هذه الـكناية فى ٤٤ ا من الأصل .

(٢) الحفدة : الأعوان والخدمة ، واحدهم حافد .

(٣) إشارة إلى أن هاجر كانت جارية سارة ثم عتقت وتزوجها إبراهيم .

(٤) السفع : اللطم .

(٥) البيت لأبى العلاء المعرى . شروح سقط الزند ١٤٦ .

(٦) الهدان ، بالـكسر : الوخم الثقيل فى الحرب .

(٧) ذمرة : جمع ذامر ، وهو الذى يذمر القوم ، أى يحضهم ويحثهم .

(٨) البيت لأبى تمام فى ديوانه ص ٢٨١ .

(٩) القدمة : الاسم من الإقدام . قال :

تراه على الخيـل ذا قدمة إذا سربل الدم أكتافها

(١٠) لأبى العلاء المعرى . شروح سقط الزند ١٤٠ . وقد غير إنشاد البيت ليتساوق مع الـكلام . وإنما أوله : «يا ابن الألى» . والعكر : القطعة من الإبل ما بين الخمسين إلى المائة .

المُتَقَفُّون من كلِّ عاب ، لم تلدْهم صواحبُ الرّايات[1] ، بل تبجّحت عليهم سارَة الجمالِ ربّة الإباءة[2] ، شُمّخ ، بُذخ ، بررة أقيال ، جررةُ أذيال . بخ بخ ، أحكمتهم سيوفهم بِسلّة الأرضين ، فاقتعوا بذلك ولا رضين ، حتّى دوّخوا المشارقَ والمغارب ، واستوطئوا من المجد الذّروة والغارب .

بضربٍ يُزيل الهامَ عن سَكِناتِه وطَعْنٍ كتَشهاق العَقَا همّ بالنّهق[3]

شرِفُوا برنّات السّيوف ، لا بربّات الشّنوف ، وبركوب السّروج ، عن الكلب والفرّوج ، وبالنّفير ، عن النّقير[4] ، وبالجنائب ، عن الحبائب ، وبالخَبّ عن الخِب[5] ، وبالشليل ، عن السليل[6] وبالأمر والدّرس[7] ، عن معاقرة الخمر والرّمس ، وبالقُنْيان ، عن العِقيان[8] ، وعن قُنيان القيان ، طِيّاتهم ، خَطّيّاتهم[9] ، وغلّاتهم ، آلاتهم ، وحصونهم ، حُصُنهم ، أقيال ، آباؤهم من بين الأنام أقيال[10] ٢٧ ب

أولئك قومي إن بنَوا شيّدوا البُنَى وإن حاربوا جَدّوا وإن عقَدوا شدُّوا

وُضّح ، رُجّح ، لاحفَزة عَسكَر[11] ، ولا حَفَرة أُكَر[12] ، ملوكٌ جِلّة ، لا عُمرِقو

---

(١) كانت البغايا في الجاهلية يجعلن على بيوتهن رايات ليعرفن بها . تفسير الطبري (١٨ : ٥٧) .

(٢) سارة : زوج إبراهيم ، وكان اسمها « ساراى » ثم غير إلى « سارة » ومعناه رئيسة . انظر سفر التكوين أصحاح ١٧ — ١٨ وهى بالراء المخففة . ولا عبرة بما ورد فى اللسان (هجر ، سقم) من ضبطها بالراء المشددة . والإباءة ، أصلها خوص القصب وحسنها . وفى فتح البارى (٦ : ٢٧٩) أن يوسف أعطى شطر الحسن ، وسارة شطره الآخر .

(٣) البيت لأبى الطمحان حنظلة بن شرقى . اللسان (سكن ، عقا) .

(٤) النفير : القوم ينفرون للقتال . والنقير : النكتة فى ظهر النواة .

(٥) الخب ، بالفتح : مصدر خب خبا ، وهو ضرب من العدو . والخب ، بالكسر : الخداع .

(٦) الشليل : الدرع . والسليل : سنام البعير .

(٧) الدرس : الطعن والحث .

(٨) القنيان : اقتناء الأبطال . والعقيان : الذهب .

(٩) الطية : الحاجة والوطر . والخطيات : الرماح المجلوبة من الخط بالبحرين .

(١٠) جمع قيل بالكسر ، وهو المثل والقرن ، والمقاتل .

(١١) حفزة : جمع حافز ، والمراد به السائق . والعسكر ، سبق تفسيره .

(١٢) الأكر : الحفر فى الأرض ، جمع أكرة .

جِلَّةٌ ، نُدُس ، قَنَئُوا بالإستبرق والسُّندس ، عن البَتّ ، القُبَّط الثَّتّ ، المجموع من الثُّنَيْجات الستّ (١) . بُسُل ، لا حُرّاس سُسُل (٢) ، ولا فُرّاس فُسُل ، مُلْكُ لَقَاحٍ (٣) ، ليس منهم في وِردٍ ولا صَدَرٍ شُرَّابُ دَرِّ القِلاح ، بل شرابهم النَّبيذ ، وطعامهم الحَنِيذ ، لا زَهيد الهَبِيد (٤) ، في البِيد ، ولا مُسكون (٥) ، الوكون ، ولا منهم مَن احتشَى ، بمذموم الكُشَى (٦) ، ولا في سائر الأحفاش (٧) من وليدٍ وناش ، مَن اغتذَى بالأحناش ، فلا يُقعقَع لهم بالشِّنان (٨) ، ولا يُوعوَع لهم بالشنآن (٩) ، فكُفَّ أيها الشّان (١٠) فلهم عظيم الشأن ، واليدُ الطُّولى إذ تخاصموكم من أكُفِّ الخُبْشان ، صنيعٌ ، متيع ، ومِنّة ، لا يشوبها مَنّة ، فيا لها مِنحة ، لكنها أعقبت مِحنة ، إذ صادفت كُفرة ، لا شُكرة . إيهاً ، إذ تأبّطتم تِيها ، معشر البُداة ، العُداة . اعتقدتم غِلاً ، فاستقرتم صِلاً (١١) . أما علمتم أن الدولة النوشروانية ، والمملكة الأردشيرية بَقَروا أجوافكم ، وخلعوا أكتافكم ، ثم عطفوا ، ورأفوا ، وملّكوكم الحيرة ، بعد الحَيرة ، قُلُلا ، ذُلُلا ، تتخيّرون البنات ، عند البَيات ، مبهورات ، لا ممهورات فيرم من ذلك غَشّاتكم ونُعاسكم ، وكان يَرمُه سبباً لفدء أمانكم ، فأصبح بعد جرٍّ

(١) يشير إلى قول الراجز :

من يك ذا بت فهذا بتي ... مقيظ مصيف مشتي

تخذته من نعجات ست ... سود جعاد من نعاج الدشت

(٢) البسل : جمع البسيل ، وهو الجريد الرطب .

(٣) اللقاح : الحي الذين لم يدينوا للملوك ، عني أنهم يخضعون من لم يخضع .

(٤) الهبيد : حب الحنظل .

(٥) المسكون : جمع مكن ، وهو بيض الضب .

(٦) جمع كشية ، وهي شحمة بطن الضب .

(٧) جمع حفش ، بالكسر ، وهو الصغير من بيوت الأعراب .

(٨) الشنان : جمع شن ، وهي القربة الخلق الصغيرة .

(٩) في المخطوطة : « ولا يزعزع له بالشان » .

(١٠) أي الشانئ ، وهو المبغض .

(١١) الصل : الحية القاتلة .

الأَبول ، تدوُساً بأخفاف الفُيول(١) . والكرامُ بنو الأصفر ، الأطهر الأظهر ، عطفتهم عليكم الرحم الإبراهيمية ، والعُمومة الإسماعيلية ، فسمحوا لكم من الشام بأقصى مكان بعد ما كانَ ، من سيل العرم ما كان ، يؤدِّي تُجارُكم ، وعُمّالكم ، لقروم الأعاجم ، الإتاوة على الجماجم .

هذى المكارمُ لا قَعبانِ من لبنٍ   شيبَا بماء فعادا بَعدُ أبوالا(٢)

٢٨/أ مهلاً بنى الإماء ، عن النبز والإزراء ، فنحن عُرُق ، غُرُق ، فى الأنساب الصَّميمة ، والأحساب الصميمة ، فمن يهولنا أو يروعنا ، وقد رسخت فى المجد أصولُنا وفروعنا ، ومَن يطُولنا ، وكلُّ الورى قد شمِلَه فضلُنا وطَولُنا .

شرفٌ ينطح النُّجوم بروقَيـ   ـهِ وعزٌّ يقلقِلُ الأجبالا(٣)

حُلُمٌ ، علم ، ذوو الآراء الفلسفية الأرضية ، والعلوم المنطقية الرياضية ، كحملة الأسطرلوميقَ(٤) والموسيقى ، والثَّقَفَة بالأرثماطيقى والجومطريقى ، والقوَمة بالأوطيقى والبوطيقى(٥) ، [والنهضة بعلوم الشرائع ، والطبائع ، والمهرة فى علوم الأديان ، والأبدان .

(١) كان كسرى طلب إلى النعمان بن المنذر أن يزوجه إحدى بناته فأبى النعمان ذلك كبراً ، وأخفى بناته وأمواله فى أحياء العرب ، وعلم بذلك كسرى فاستزار النعمان ، وعاقبه بطرحه تحت أقدام الفيلة . انظر الأغانى (٢ : ٢٨ — ٢٩) . وفى ذلك يقول الأعشى :

فذاك وما أنجى من الموت ربه   بساباط حتى مات وهو محزرق

(٢) لأمية بن أبى الصلت . الشعراء ٤٣٣ .

(٣) البيت للمتنبى فى مدح سيف الدولة . ديوانه (٣ : ١٠٤) بشرح العكبرى .

(٤) يراد بها علم النجوم . وعند الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ٨٠ « أسطرنوميا » .

(٥) الأرثماطيقى : علم العدد والحساب . انظر ابن خلدون ٤٢٠ . والجومطريقى عند الخوارزمى ١١٧ وابن النديم ٣٧١ « الجومطريا » . ابن النديم : « إقليدس صاحب جومطريا ومعناه الهندسة » . الخوارزمى : « وهى صناعة المساحة ، وأما الهندسة فكلمة فارسية معربة ، وفى الفارسية أندازه ، أى المقادير » . وفى مروج الذهب (١ : ٣٢٠) : « والجومطريق وهو علم المساحة والهندسة » . وأما الأوطيقى فقد تكون محرفة عن « أبوطيقا » ومعناه الشعر . إخبار العلماء للقفطى ٢٨ . أو « أنولوطيقا » ومعناه تحليل القياس ، والبرهان . وفى مفاتيح العلوم ٨٩ أنولوطيقا معناه العكس وأما « البوطيق » فهى فى الأصل « البرطيق » محرفة . وفى مفاتيح العلوم ٩٢ « بيوطيقى ومعناه الشعر ، يتكلم فيه على التخييل ، ومعنى التخييل إنهاض نفس السامع إلى طلب الشيء ، أو الهرب منه وإن لم يصدق » .

هم ملكوا شرقَ البلادِ وغربَها وهم منحوكم بعــد ذلك سوددا[١]]

ما شئت من تدقيق ، وتحقيق ، حبَسوا أنفسهم على العلوم البدنية والدينية ، لا على وصف الناقة الفَدَنيّة[٢] ، فعلُهم ليسَ بالسفساف ، كفعل نائلة وإساف[٣] أصغرَ بشأنكم ، إذ يزقّ خمر باع الكعبة أبو غُبْشانكم[٤] ، وإذْ أبو رِغالكم ، قاد فيلَ الحبشة إلى حرَم الله لاستئصالكم[٥] . [غضُّوا الأبصار ، فهذا الذِّكر إلى الفحش أصار[٦]] .

أزيدك أم كفــــاك وذاك أنى رأيتك فى افتخارك كنتَ أحمقْ

فلا فخرَ معشر الغربان ، الغربان ، بالقديم ، للفرّى للأدم[٧] ، لكن الفخر بابن عمّنا ، الذى بالبركة عمّنا ، الإبراهيمى النسب ، الإسماعيلى الحسب ، الذى انتشلنا[٨] الله تعالى به وإيّاكم من الغواية ، والضَّلالة . أما نحن فمن أهل التثليث وعبادة الصُّلبان ، وأنتم من أهل الدين التّليث وعبادة الأوثان[٩] ، ولا فخرَ وأن

(١) التكملة من الذخيرة .

(٢) الفدنية : الشبيهة فى علوها بالفدن ، وهو القصر المشيد .

(٣) يزعمون أن إساف بن عمرو ، ونائلة بنت سهل ، فجرا فى الكعبة فمسخا حجرين ثم عبدتهما قريش . شروح سقط الزند ١٣١٥ .

(٤) يذكرون أن أبا غبشان كان يلى أمر البيت ، فاتفق أن اجتمع مع قصى بن كلاب فى شرب بالطائف ، فخدعه قصى عن مفاتيح الكعبة بأن أسكره ؛ ثم اشترى المفاتيح منه بزق خمر وأشهد عليه ، ودفع المفاتيح فى يد ابنه عبد الدار بن قصى وطيره إلى مكة ، فلما أشرف عليها قال رافعا عقيرته : معاشر قريش هــذه مفاتيح أبيكم إسماعيل قد ردها الله عليكم ! وأفاق أبو غبشان من سكره أشد ندامة من الكسعى . شروح سقط الزند ١٩٨٢ .

(٥) كان أبرهة عامل النجاشى على اليمن قد عزم أن يهدم البيت ، ومر فى طريقه على ثقيف بالطائف ، فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة . السيرة ٣١ — ٣٢ .

(٦) التكملة من الذخيرة .

(٧) الذخيرة : « فمل قرى الأدم » .

(٨) فى الأصل : « انتقانا » ، تحريف .

(٩) التليث من اللث ، وهو أن يعد الرجل الرجل عدة لا يريد أن يفى بها .

كان مشكم حيرُه وسِبْره ، فى الرَّغام يُلقَى تِبرُه ، والمسك بعضُ دمِ الغزال ، والنِّطاف العِذاب مستودَعات بمَسْك الغزّال[(١)].

لله عما قد برا صـــفوة وصــفوة الخلق بنو هاشم[(٢)]

وصــفوة الصفوة من بينهم محمــــد النور أبو القاسم[(٣)]

بهذا النبىّ الأمّىّ ، أفاخر من تفخّر ، وأكاثِرُ من تقدّم وتأخّر ، الشريف

٢٨ ب السلَفين ، والكريم الطَّرَفين ، الملقّى بالرسالة ، والمتلقّى للأداء والدّلالة . أصلّى عليه عددَ الرّمل ، ومَدَد النّمل ، وكذلك أصلّى على واصِل جناحه ، سيوفِه ورماحه أصحابه الكرام ، عليهم من الله أفضل السلام .

يا بنَ الأعاربِ ما علينـــا باسٌ لم أحـــكِ إلا ما حكاه الناسُ

هذا .

ولم أشـــتمْ لكم عرضاً ولكنْ حَدَوتُ بحيثُ يُستمَع الحُداء

ثم أحبِر بشاعر غسّان ، لا لسانه ، فى هذا العبد ، بالوعيد ، وأحرِ فى هذا الفصل ، بعدم الوصل . لقد قرّ آخرَك ، لكن بالرّغم أخّرك ، إذ أضربتَ عن مدحِ ، علِقنا الرّبيع ، مُعِزّ الدولة شهمِنا الرئيس ، وسَهمِنا النّفيس ، قَيْل الأمم[(٤)]، وسيل الأمَم[(٥)]، معنى المعانى ، ومغنى المغانى ، ذى الرياسة الساسانية ، والنّفاسة النفسانية . فاذهبْ ، يا غثّ للذهب ، وابتغِ فى الأرض نفقًا ، أو فى السّماء مرتقى ، فهذه آليّة ، جليت عليك بليّة . أو حُكْ من البسيط والمديد ، ما تستجير به مِن بطشِنا الشّديد ، إذ نحن معشرَ الموالى ، لا توالى ، إلّا من هو

(١) المسك ، بالفتح : الجلد . والغزال : جمع غزلاء ، وهو فم المزادة الأسفل .
(٢) فى مروج الذهب (٢ : ٢٧٤) : « عن قد برا » .
(٣) فى مروج الذهب : « وصفوة الصفوة من هاشم » .
(٤) القيل : الملك ، وأصله للملك من ملوك حمير .
(٥) الأمم ، بالتحريك : القصد الذى هو الوسط ، وهو القرب أيضاً .

لنظيميتنا مُوالٍ ، وحذارِ حذارِ أن تقرع سِنَّ الندم ، ولات حينَ مندم ، قبل أن تُجمعَ ذُنُوبُك ، على ذَنُوبِك[1] ، وكَرْبُك فى كَرَبِك ، فمن أبصر ، أقصر ، وما حرّف ، مَنْ صديقَه خَوَّف .

فلا تجشَمْ مَضَّ العتـــا ... ب يلقاك يوماً بلقياه لاقٍ[2]
فإنَّ الدواء حميـــدُ النَّمالِ ... وإن كان مرًّا كريهَ المذاق

يا مستقِيلَ عَثْرِ الشِّعْر ، والمستقِلَّ بقِلِّ النظم والنثر .

قد استحييتُ منك فلا تَكلفْنى ... إلى شيء سِـــوى عُذْرٍ جميل[3]
وقد أخــذتُ ما حقّى عليــه ... قبيحُ الهجو أو شَتْمُ الرسولِ[4]
وذاك على اقترادك قوتُ يوم ... إذا أنفقتَ إنفاقَ البخيـــل
وكيف وأنت خُطْوُهُ السَّجايا ... وليس إلى اقتصادك من سبيل ٢٩/١
وقد يُقوى الفصيحُ فلا تُقابِلْ ... ضعيفَ الســيرِ إلا بالقبول
وإنّ الوزن وهو أصــحُّ وزن ... يُقام ســناهُ بالحرف العليل[5]
فإنْ يَكُ ما بعثتُ به قليــلا ... فلى حالٌ أقلُّ من القليـــل

تجزّنه من كلام المعرى .

والسَّلام عليك ما سَبَّحَ الفَلَك ، وسبَّح المَلَك[6] . ورحمة الله وبركاته .

---

(١) الذخيرة : « فى ذَنُوبك » . والذَّنوب ، بالفتح : الدلو .
(٢) الذخيرة : « فلا تتبع . . . فيلقاك . . . لقاه » .
(٣) المعرى فى شروح سقط الزند ١١٤٤ — ١١٤٩ .
(٤) يعنى الرسول الذى أتعبه بالرسالة .
(٥) الذخيرة : « وإن الشعر وهو أتم وزن » وما فى الأصل يطابق ما فى الشروح .
(٦) الملك : الملائكة .

رد أبي يحيى بن مسعدة

الرد على ابن غرسية منشئ الرسالة المتقدمة ، مما على إنشائه وتأليفه الشيخ المبارك الأفضل أبو يحيى بن مسعدة نفعه الله بها وجعلها حجّةً له عند الحاجة إليها(*) :

ومن يَعصِ أطرافَ الزِّجاجِ فإنّه ... يطيعُ العوالي رُكِّبت كلَّ لَهْذَمِ(١)

إيّاكَ أعني أبا عامر ، ولا أقول خاصرى أمّ عامر(٢) ، بل أعْرِيك جَنَى غرسيّه(٣) ، فالتقط باللقيط غرسيّة(٤) .

هيهات جئت إلى دِفْلَى تحرّكها ... مستطعماً عنباً حرّكْتَ فالتقط(٥)

شُربك الحميم ، وشعارى لك حاميم(٦) ، فاخلعْ عن منكبك البَرِيم(٧) ، وذق إنك أنت العزيز الكريم .

رُميت بما لو أنّ الجنّ تُرمَى ... به لتنجّبتها الإنسُ نهبا

لئنْ بعثتَ يا غيثُ من هامد دَجْنك أوارا ، وأرّثتَ من خامد أبْنك نارا(٨) .

وإنّ النّار بالعودين تُذكَى ... وإنّ الحرب يَقدُمها الكلامُ(٩)

(*) هذا الرد لم يرد في نسخة التيمورية .

(١) البيت من معلقة زهير .

(٢) أم عامر : كنية الضبع . يقال لها خامري ، أى استترى .

(٣) أعراه النخلة : أعطاه إياها يأكل رطبها . وغرسيه ، أى غرسى ، زاد هاء السكت .

(٤) يعنى أن أباه غرسية التقطه وتبناه .

(٥) الدفلى كذكرى : شجر مر أخضر حسن المنظر يكون فى الأودية .

(٦) جاء فى حديث الجهاد : « إذا بيّتم فقولوا حاميم لا ينصرون » . فهى مما يستظهر به على استنزال النصر على العدو . وأنشد أبو عبيدة لشريح بن أوفى العبسى :

يذكرنى حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حاميم قبل التقدم

(٧) البرم : خيطان يكونان من لونين .

(٨) جمع أبنة بالضم ، وهى العيب والوصمة .

(٩) من أبيات مشهورة لنصر بن سيار . البيان والتبيين (١ : ١٥٨) والطبرى (٩ : ٩٢) . ويروى : « أولها الكلام » .

مثلك يادَنيّ النَجْر ، ودَنيّ النَجْر ، تمدّى للأعراب تواليه بسفّه ، أو تصدّى لمعارضة فخارها ببنت شفة ؟! غرّكَ أن ولّيتها بحكم القاسم [1]، وأن ظارت أمّك لها أحورَ من جآذر عاسم [2]. كلا :

* فما الكَرْخ الدُّنيا ولا الناس قاسمُ *

٢٩ ب ما استجلاك الدوّ يا آبقُ إن سَفَرت ، ولا خلا لك الجوّ حتى بِضْت وصَفَرت ، في مثل هذا المَشْتَر ، نقِّر واصفِر [3]، وبهذا المحتَر ، يا مصفّر استه حمّر وصفّر [4]، بموقف لا يعزّ على الأوس بن تغلب ، أن تهان وتُغلب [5].

رُوَيدك حتى يلحق الدارِيّون ، أصحابُ الجياد السكّيون [6]، وتالله لا تغسلك مني الحواريّون [7]، بعد أن أتقدّم لتأديبك ، وأفضح في الحقّين عِذرة أديبك [8] مُناقلك في الأراجيز ، وناقلك إلى مَعرِض التعجيز ، شيخ الاعتزال ، وصريع أهل السُنّة إذا تداعَوا نزال ، الأعمى البصر والبصيرة ، وشُعوبيُّ هذه الجزيرة [9].

عُمَيٌّ حَذوك القيّ أيّ عجيبة   أعمى دليلٌ هُدًى أو أخرسٌ ينطق [10]

---

(١) يعني مقاسم القاسم . (٢) عاسم : اسم ماء لكلب بأرض الشام .

(٣) أخذه من رجز طرفة :

يا لكِ من قبّرة بمعمر   خلا لكِ الجو فبيضي واصفري

ونقّري ما شئت أن تنقّري

(٤) رمي له بالأبنة . والتحمير والتصفير باستعمال الزعفران والطيب . انظر اللسان (حمر ، صفر) .

(٥) في الأصل : « وتغلبا » .

(٦) فيه نظر إلى قول الراجز وأنشده في المقاييس واللسان (دور) :

ليت الفلا يحمل الداريون   ذوو الجياد البدن السكّيون

وفي الأصل هنا : « أصحاب الجباب » .

(٧) الحواري : القصار الذي يبيض الثياب ، ومنه حواريو المسيح عليه السلام ، لأنهم كانوا قصارين .

(٨) أصله من المثل « أبى الحقين العذرة » وهي بكسر العين العذر . ومنشأ المثل أن رجلا ضاف قوما فاستسقاهم لبناً وعندهم لبن قد حقنوه في وطب ، فاعتلوا عليه واعتذروا فقال : أبى الحقين العذرة : أي إن هذا الحقين يكذبكم .

(٩) لعله يعني ابن سيده . انظر ما سبق في ص ٢٣٣ .

(١٠) في الأصل : « حذوك القي » . حذاه : أعطاه ووهب له .

لشد ما سَمَّع بك فى الأملاء[١] ، وسرّك بالإجراء فى الخلاء[٢] ، وأرسلك سائماً ورتع فى خلاء ، كفته فى معانى القرآن زُحلوقاته الزُّلّ الضُّل ، وكفته فى نحوه عثراته التى يَدمَى منها الأظَلّ ، مُماتِحك فى الدِّلِىّ والدَّوِىّ[٣] ومُطارِحك السلام على ذى الروية المروى ، لقد أعلّك بواضحها وأبلّ ، وأغلّك من فاضحها ما أسَلّ[٤] ، ورماك يا رجيم بدائه وانسلّ ، فتصنّعت بِعُمار حُلاه ، وتعلّقت بما تلاه ، وتشبّثت بالعار الذى تولّاه ، كالقصىّ يفخر بمتاع مولاه .

كثاقبةٍ لحَلْىٍ مستعارٍ ... بأذنيها فشانَ بها الثُّقوب[٥]

فردّت حَلْىَ جارتها إليها ... وقد بقيت بأذنيها ثُقوبُ

أوْلى لك يا زُفَر ، يا أستَ عَيرٍ يحكّه الثَّفَر ، حين نهَقت ، وبلسان العرب سُباتك[٦] تفقّهت ، فقلت :

أولئك قومى إن بنوا شيّدوا البُنى ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدّوا

مالَكَ يا وَقاح ، ولهذا الحىّ اللَّقاح[٧] . تفوّهتَ بكلامهم ، وتَيَّهت عن أفهامهم[٨] ، وأعلت بشعارهم ، وتمثّلت بأشعارهم ، وشَحَجت فى أميارهم ، وما نارك من نارهم[٩] . هلّا رتقت بقِطاتك ، ونطقت بعُجمتك ورطانتك .

(١) التسميع : التشهير . والأملاء : جمع ملأ ، وهم أشراف القوم .

(٢) نظر إلى المثل : « كل مجر فى الخلاء يسر » ، والمجرى : الذى يجرى دابته ، فهى فى الخلاء لا منافس لها .

(٣) الماتحة : مفاعلة من المتح ، وهو جذب رشاء الدلو . والدلى : جمع دلو . والدوى : المفازة .

(٤) يقال : أسله الله فهو مسلول ، شاذ على غير قياس .

(٥) لابن هرمة فى الأغانى (٥ : ٢٨) .

(٦) السباة : جمع ساب ، من السبى وهو أخذ الناس عبيدا وإماء .

(٧) من لقاح ، كسحاب : لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم فى الجاهلية سباء .

(٨) فه : أعيا وكل وضعف .

(٩) النار : السمة ، وأصلها سمة الإبل ، تجعل كل قبيلة لإبلها سمة خاصة .

٣٠ / ا أظنك شاهدت لياليهم بالجمع[1]، أو قعدت منهم مقاعد للسمع، ودانيت السِّرار فاسترقت[2]، وضنَّك السَّرار فأغدقت[3]، وأعجزك النزعُ فأمرقت[4]، وأورقت وما أغرفت، ثم قَسَلت، وظننت أنك طُلت، بل سَفُلت، وحيث وجب لك أن تسجد بُلت.

وقيــل يا رخمُ انطـقي   في الطـير إنكِ شرُّ طائرْ[5]
فأتتْ بمـــا هي أهـلُه   والعيُّ من شـكل المحاور[6]

أما كان لك يا لثيمَ الجدود، ومدرأ الحدود، ولآبائك لفظٌ تحكيه، أو لذوي ولائك من العجم قبرٍ بجلق تبكيه[7]، أو نحوٌ بلسانك تضمه، أو لحنٌ في شأنك تخفضه وترفعه، فقاولت العربَ بلسانِ هامان، وناضلتها بطمطمة بيحائيل وروماني، فطورها تسير ما خلّقت، وتصبر لسبائك على لكّيك لمّا صدّقت.

فما على البدر من نبح الكلابِ ولا   يوماً على البحر يُرمى فيه بالحجرِ

هذا جزاؤها في تدريبك وتعليمك، وتصريفِ أيفاتها في حلْقة ميمك، فلا ماء وجهك أبقيت، ولا جرحَ أمك الثعلاء أسقيت. ما أبذك يا نبيذُ لتمامها، وأقلّ شكرك على كفالتها لك وإلقاء أقلامها[8]، لكن أبيتَ سورةَ إقدامها،

(١) جمع هي المزدلفة، وفيها يقول ابن هرمة:
سلا القلب إلا من تذكر ليلة   بجمع وأخرى أسعفت بالمحصب
(٢) السرار، بالكسر: المسارة. استرقت، يريد استرقت السمع.
(٣) السرار، بالفتح: جمع سرارة، وهي من الوادي أفضل موضع فيه.
(٤) أمرق السهم إمراقاً: جعله يمرق من الرمية وينفذ.
(٥) الكميت. الحيوان (٣: ٥٢٠). وأوله فيه: «إذ قيل».
(٦) كذا ورد في الأصل.
(٧) إشارة إلى قول النابغة:
لئن كان للقبرين قبر بجلق   وقبر بصيداء الذي عند حارب
والقبران يعني بهما صاحبي القبرين، وهما يزيد بن الحارث الأعرج، وأبوه الحارث الأعرج، والنابغة يمدح عمرو بن يزيد بن الحارث الأعرج ويعدد أباه وجده.
(٨) فيه نظر إلى تنازع الأحبار وزكريا في كفالة مريم وإلقائهم الأقلام ليحكم أيهم يكفلها.

وضاقت عن مثلك سعةُ أحلامها ، فساجلتها بخَلَق أرماتها[١] ، وجاذبتها فضولَ كلامها . « ليسَ قطًّا مِثلَ قُطَيّ » ، ولا الرُّشد من الغيّ .

يموت الفتى من عثرةٍ بلسانه … وليسَ يموت المرء من عثرة الرجلِ[٢]

فُرورغى جَعَارِ[٣] ، وبِدَارِ الإنصافَ بِدار .

مَن يَهُنْ يسهل الكلامُ عليه … ما لجُرحٍ بميتٍ إيلام[٤]

وبعد فَرْع صنك ، وصَنَع قفاك ، تنتقل إلى نُقَة أديانكم ، وجهلة أحباركم ورُهبانكم ، وإقامة أقانيمكم الثلاثة فى ستودسانكم الستّ وهذيانكم ، ثم نُرسل عليكم خيل البيان شُزَّبًا غِراثًا[٥] ، ونبعثها ملاحم تُنسى الكُلابَ ومَلْهمًا ويُماثًا[٦] ، وتنقض ما غزلَتْ أمُّك الورهاء بعد قوةٍ أنكاثا . ٣٠ ب

ها الشَّطانان تطول حولَكا … لأقطعنّ بالمرار حبلَكا[٧]

اشدُدْ حيازيمَك للمناقش ، واجذُذْ جراميزك عن المُناهش ، فعلى أهلها دلّت بأذاها براقش ، أتظنّ أن تقتحم منك التّين بالأرش ، أوسبأ الحاضرون ردّ العرش[٨] ، هذا يا ضبُّ أشدُّ من الحرش ، نكرتَ يا أُنَكير ، ويا عُوَير ، أن تتحاقى الشَّعرةُ أيوَسَها بالنَّوير ، لو حلّ والدُها أرضَ تبالة ، لما حُرِم ولا تَوالة ، ولكنّما أعرضَتْ عنه تبالة ، ورأى أكمة فتباله ، وترك الضّغث والإبالة ، وجَهد أن

---

(١) يقال حبل أرمام ، أى بال ، وصف بالجمع ، كأنه جعل كل جزء منه واحدا ثم جمع . وفى الأصل : « أرمامها » .

(٢) البيت لجعفر بن محمد بن على بن الحسين . العقد ٢ : ٤٢٣ .

(٣) جعار ، كقطام : اسم الضبع . والمثل بتمامه : « روغى جعار وانظرى أين المفر » . يضرب لمن يروم أن يفلت ولا يقدر على ذلك .

(٤) البيت للمتنبى فى ديوانه (٢ : ٣٣٨) بشرح العكبرى ، برواية : « يسهل الهوان » .

(٥) شزب : جمع شازب ، وهو الضامر . والغراث : جمع غرثان ، وهو الجائع .

(٦) الملاحم : الحروب الشداد . الكلاب وملهم ويمات : مواضع كان بها بعض أيام العرب .

(٧) المرار : الحبل الذى أجيد فتله .

(٨) فى الأصل « الحاضرين » ، تحريف . وهو نظر إلى قول الأعشى :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ … يبنون من دون سيله العرما

يلحق آله وثماله ، وقال مَن ابنُ يزيدَ ومن ثُمالة[1] .

تيامنْ تجاهلَكَ تلقَ الكلا ... مُثيراً وتأمنَ في المسلكِ

إيه ليت شعري مَن عِلقك الرَّبيحُ في الزمان ، وهل أحاط بسُقْعه هدهدُ سليمان[2] ؟ لعلك تعني الموفّق ، ذا التجار الملفّق ، حاجب القاهر ، وملوك معافر[3] ، عَجَمٌ دانية ، وعَرَكٌ سَردانية[4] . أين أَمُّك[5] ، ثكلتك أمك ، وهل سوى زِعنفةٍ من زعانف الرِّيف ، وسفاسف السِّيف ، العُراةِ الحِقوَين ، الشُّراةِ كمُسْرى القَين[6] ، المعتصمين بالخيزرانة بعد الأين[7] .

ومن يسكنِ البحرَين يعظُمْ طِحالُه ... ويُغبَطْ بما في بطنه وهو جائعُ[8]

متى جرى يا عَبْدَ عبدةِ الأوثان ، مدحُ القبح على آسانٍ من لسان[9] ، أو تيمهم قائلٌ بإحسان ، عياذاً ببشرٍ وأبنية وحسّان ، وحقٌّ للمعروف تقريضه ، للوقوف على حَلقة بجّانة قريضه[10] وإنْ كانت أرضَ الجن ، فيما نُودي عليكم

---

(١) إشارة إلى قول عبد الصمد بن المعذل في هجاء محمد بن يزيد المبرد ، وهو من قبيلة ثمالة :

سألنا من ثمالة كل حي ... فقال القائلون ومن ثمالة
فقلت محمد بن يزيد منهم ... فقالوا زدتنا بهم جهالة
فقال لي المبرد خل عني ... فقومي معشر فيهم نذالة

(٢) السقع ، بالسين : لغة في الصقع ، وهو الناحية .

(٣) معافر ، بفتح الميم : حي من اليمن .

(٤) العرك : جمع عركي ، وهو صياد السمك .

(٥) الأم : القصد .

(٦) سرى القين مثل في الكذب . يقولون : «إذا سمعت بسرى القين فإنه مصبح» . وأصله أن القين بالبادية ينتقل في مياههم ، فيقيم بالموضع أياما فيكسد عليه عمله ، فيقول لأهل الماء : إني راحل عنكم الليلة ! وإن لم يرد ذلك ، ولكنه يشيعه ليستعمله من يريد استعماله .

(٧) إشارة إلى قول النابغة في صفة الفرات :

يظل من خوفه الملاح معتصما ... بالخيزرانة بعد الأين والنجد

الأين : الفترة والإعياء . والنجد : العرق والكرب .

(٨) عرفت البحرين قديماً بأن أهلها مطحولون . الحيوان ٤ : ١٣٩ .

(٩) الآسان : البقايا ، الواحد أسن بضمتين .

(١٠) التقريض : التقريظ ، وهو مدح الإنسان حياً والثناء عليه . وانظر ما سبق في ص ٢٤٦ .

بأبخس الثَّمن ، أن يُزدرى بفَرعك النَّجيل ، وجيلك النَّجيل ، من النَّجْل
والتنجيل[1] ، يا أشلاء الرَّجم البجيل ، والبَظْر السَّجيل ، وقد راعكم من غسّان ٣١/أ
وخَولان ، وصَميم قيس وعيلان ، الزائغ النَّجيل ، أصحابُ الدُّرَر والتحجيل ، الذين
مَثَلُهم في التوراة ومَثَلهم في الإنجيل[2] ، يا تَتِمَّة المجوس ، وقَرَعة القَرن
والناقوس ، آنَسْنا بالقُوس وأنتم بالقرقوس[3] ، عَبَدَة التثليث ، وشَرَدة أجزاء
الثالوث ، لقد أعيتم الشِّرّة العاضد ، وجئتم بما فضحتْ قومَها غامد[4] ، الجوهر
وروح القدس وابن الإنسان إله واحد ، حَتّى شام ، لا بالصِّياخ ولا الصِّيام
بالحرّا تألّفتْ لكم تلك الأقانيم الثلاثة في قُرونٍ من الدَّهر ، وقد كان بين أقنومين
منها بزعمكم ستمائة شهر . لقد ضلّ أقنومٌ بين سنودسين[5] ، واتّحدَ أهلُ
التكليف منكم خلال اتحاد الكلمة بالتمسيح ، وليتها كانت تسعةً فانقرض
عليها جيلُكم ، وانقرض من الاختلاق إنجيلكم . يا قُرْبَ ما تلفّقت لكم هذه
الأُلوهةُ دون تكليف ، وتنزّهتْ وحدانيتها عن التأليف بالتسويف . وعلى أنّ
الجاثليق قد أتاكم في الزِّيادة عليها ببعض القول ، وردَّ فرضَ أحكامكم المنسوخة
إلى العَول[6] . كفى ما بين الملْكانية والنَّسطورية[7] من فسادٍ في الوضع ،

(١) النجل : النسب ، نجله أي عابه .
(٢) إشارة إلى قوله تعالى في صفة أصحاب الرسول الكريم : «ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه» . آخر سورة الفتح .
(٣) القوس ، بالضم : رأس الصومعة . والقرقوس ، بالتحريك : القاع أو الوادي الأملس .
(٤) فيه إشارة إلى قول امرأة من غامد في هزيمة ربيعة بن مكدم لجمع غامد وحده :

ألا هل أتاها على نأيها	بما فضحت قومها غامد
تمنيتم مائتي فارس	فردكم فارس واحد

انظر البيان (١ : ٢٤٩) .
(٥) الأقنوم : واحد الأقانيم وهي الأصول . والسنودس هو المعروف في مصر بالسنهودس ، وهو المجمع الديني . انظر مروج الذهب ١ : ٣١٨ — ٣١٩ والتنبيه والإشراف ١٢٢ ، ١٣٦ .
(٦) العول : عول الفريضة في الميراث ، وهو أن تزيد سهام الورثة فيدخل النقصان عليهم ، كأن يكون لأحدهم الثلث فيصير له السبع .
(٧) الملكانية : فرقة منسوبة إلى «ملكا» ، ومعناه الملك بالسريانية ، والمراد بهم أتباع =

واختلاف في الأناجيل الأربعة بغير إسناد ولا قطع ، لهؤلاء جزء من الإله ولهؤلاء جزء ، أليس هذا يا هُزْأَةُ عينَ الفكاهة والهزء .

وحاطبٍ جاء بحارٍ يحطبُ ... بفيه من ذاك حِجارُ الأثلبِ(١)

ثم ما لكم ويلكم ، توسّعتم في الكيان وضايقتم معبودكم بتضايف المكان ، ونقلتموه من عالم العقل إلى عالم الحسّ ، وأفردتموه من الإنسانية عن رُوح القُدُس ، فنقضتم الأسلوب ، وقستم الجَمْعَ المربوب ، وعبدتم منه الجزء المصلوب . أبدع بهذا البِدْع ، وأقذر بشَعْب(٢) هذا الصَّدْع ، وأقذِرْ بالشَّيءِ المَذْع(٣) ، وأحقِرْ بأمّة لم تنقذ معبودَها من الجِذْع ، أتظنّونه أعفاكم من طلب ثاره ، وأعاذَكم يومَ هول المُطَّلَع من ناره ، أم تراه إذا قادكم المَرْضى وأوقفكم بين يديه للجزاء يأخذ بحقّه منكم ويوفّيه ، أم يترك النَّاسوت هدراً ثلاثةً فيه . ٣١ ب

جاءوا بِعِقّ ثم قالوا بثّوا(٤) ... يا ويحَهم أحمُقوا أم جُنّوا

وإنّا أخلفكم التبطين والتحليق ، وأعيا عليكم التَّدخين والتخليق ، وخلف على دينكم الجاثليق ، حلّيتم خشبةَ المسيح بعد رفعه مسجداً ، وتوليتم مكانها عيداً ومسجداً ، هلّا نصرتموه في حياته ، أو نجدتم بتأليف أمّته قبل وفاته .

هلّا جعلتم رسولَ الله في سَفَطٍ ... من الألُوّة أحوَى مُلبَساً ذهبا(٥)

= مذهب قياصرة الروم ، الذي يسمى أيضاً المذهب الخلقيدوني ، الذي أقره المجمع المعقود في خلقيدونية سنة ٤٥١ م . انظر تاريخ الأمة القبطية (الحلقة الثانية ٩١ — ٩٢) . والنسطورية : أتباع نسطوريس ، وكان بطريركا بالقسطنطينية سنة ٤٢٨ وأتى ببعض البدع ، فحكم عليه المجمع المسكوني الثالث المعقود في أفسس سنة ٤٣١ باللعن والنفي ، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد إخميم والبلينا ، ومات بقرية يقال لها « سيفلج » . انظر ما كتبته في حواشي الحيوان (٤ : ٤٥٨) .

(١) الأثلب : التراب والحجارة .

(٢) في الأصل : « شعب » . وشعب الصدع : لأمه وأصلحه .

(٣) في الأصل : « وأقزر » .

(٤) العِقّ : أول ما يخرج من بطن الولد . وبث بالمكان : أقام .

(٥) الألوة : ضرب من العود . والبيت في اللسان (ألا) لأعرابي مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يدفن .

ثم مَهْيَمْ ، يا أبا مريم ، وهات الحديث عن مريم ثالثة آلهتكم ، والنُّصُب الذى تُوفِضون إليه ببلاهتكم ، أليست العذراء البتول ، المُحْصنة أمّ الرسول ، الطيِّبة النَّجار ، الطاهرة الإزار ، ما لكم قذفتموها بإنكار المهدِ قبل قذفها بيوسف النجار .

صَلامةٌ كَحُمُر الأبكْ　　لا جَذَعٌ فيها ولا مُذَكْ[1]

يا غُواةَ الهُدَى ، وعُواةَ العِدَى ، لقد خذلتكم ضَلالاتُ السُّرَى ، وخبلتكم خيالاتُ الكَرَى .

أطرِقْ كَرَا أطرِقْ كَرَا　　إنَّ النعام فى القُرَى[2]

أىُّ حذاء من أديمكم يُرقَع ، أم أىُّ حَلْق لسانكم بمقمع ، ألِاتخاذكم الصاحبة للرحمن ، أم لرميكم بالكذب ابنة عمران ، تصدِّقون بين مشبِّهكم لوطا و بُهتانا ، وتكذِّبون من قال لو أردنا أن نتّخذ لهوا لاتخذناه من لدُنّا . بالعُجاب ، وهل أمامَ هذه السَّوأة من حجاب .

حاتِيَة من هائقٍ أو بيشا　　تحلق حلق النُّورة الجيشا

لمثل هذا استقلوك السَّفَه والتيه ، وجعلتَ أمَّنا لأمتكم أمَة .

أسمعُ صوتاً ولا أرى أحدا　　مَن ذا الشقىُّ الذى أباح دمَه

حاشى لإبراهيم أن يكون لكم أبًا وإن كنتم بنيه فمَه ، ثم مه　وهَبْكَ ٣٢/أ
هاجر أمة ، بَخٍ بَخٍ ، أَزْم بعقبك البخ ، نِكاح ، أم سِفاح ، وكم بينَ محظورٍ

---

(١) الصلامة ، القوم المستوون فى السن والشجاعة والسخاء . والأبك : موضع تنسب إليه الحمر . والمذكى : المسن . والرجز لحطية بنت بشر الأعرابية ، ضربها مروان بن الحكم وهى ترتجز بهذا وتنزع بدلو على إبل لها ، فخطبها فتزوجها فولدت له بشر بن مروان . الأغانى (١ : ١٢٩ — ١٣٠) .

(٢) الكرا : لغة فى الكروان ، وهو طائر صغير يشبه به الذليل . والمثل يضرب للرجل الحقير إذا تكلم وغيره أولى منه بالكلام .

ومُباح . أنّى لبُضع أُمّاتكم الحنيفية جُنوح ، أو في نِكاح عمّاتكم ما أوصى به نوح ، لقد ذهبتم من العار بجُمّة ورُمّة ، والفحل السَّوء يبدأ بأمّه . في الفرق بين السَّرارى والمهيرات ، وخبرهنّ النافع وأبنائهن الأنبياء والخلفاء والسّادة السَّراة ، ما يرفع الالتباس ، ويعرِّف بمُنْجِبات الناس . وسل عن سِبْط داود وسليمان ، وبني عبد المطلب وخلائف[1] بني العباس . على أنّ العرب لا تترجّج للأمّهات ، ولا تتبجّح بذكر الحُرُمات ، ولا رضيَتْ الشِّغارَ كفعلكم بالبنات ، بل وأدتها الحفيظة غَيْرا ، ووردت بها حِياضَ الثُّكل صَبْرا ، واختارت لهنّ جَنَن القبور صِهرا .

* والموتُ أكرمُ نزّالٍ على الحُرَمِ[2] *

وتقذَّر يا قُدار[3] ، ما صيَّرتَ لألأك في ذكر سارة[4] من حديث مُدار . ربّة الإياة[5] أمّكم ، بل ابنة هارانَ عمّكم ، ذارئة السِّبط ، وعاريّة صادوف طَرْخان القبط ، إذ غصبها[6] ، ولولا عصمة النبوّة لعضّتها ، فتداركها اللهُ بأمْنها

(١) في الأصل : « خلائب » .

(٢) من بيت لإسحاق بن خلف ، في الحماسة بشرح المرزوقي ٢٨٣ . وصدره :

* تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً *

(٣) هو قدار بن سالف ، الذي يقال له أحمر ثمود ، عاقر ناقة صالح ، وهو مثل في الشؤم .

(٤) سارة ، ضبطت في اللسان (سقم ، هجر) بتشديد الراء ضبطاً بالقلم . والوجه فيها تخفيف الراء . وفي سفر التكوين ١٧ : ١٥ « وقال الله لإبراهيم : ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي ، بل اسمها سارة » وفي الحواشي أن معنى « سارة » رئيسة . انظر الكتاب المقدس طبع الأميركانية ١٩٠٦ . وفي التنبيه والإشراف ١٤٣ أن نقفور ملك الروم أنكر على الروم تسميتهم العرب « ساراقينوس » معناه عبيد سارة ، طعناً منهم على هاجر وابنها إسماعيل . قال المسعودي : « والروم إلى هذا الوقت تسمي العرب : ساراقينوس » .

(٥) أصل الإياة ضوء الشمس وحسنها . وكانت سارة بارعة الجمال .

(٦) في القاموس أن الطرخان اسم للرئيس الشريف ، خراسانية . وفي فتح الباري (٦ : ٢٧٨) أن اسم الذي حاول اغتصابها عمرو بن امرئ القيس بن سبأ ، وكان على مصر ، ذكره السهيلي ، وهو قول ابن هشام في التيجان . وقيل اسمه « صادوق » وحكاه ابن قتيبة ، وكان على الأردن . وقيل سنان بن علوان بن عبيد بن عريج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ، حكاه الطبري . وانظر قصة اغتصاب فرعون لها في سفر التكوين ١٢ : ١١ — ٢٠ واغتصاب أبيمالك ملك جرار لها في ٢٠ : ١ — ١٨ .

ذات للناسك الحبس ، وخلَّصتها من مَلِك عين الشَّمس[1] ، إذ نافَسْت عنها بإرهاص الوحي والتنزيل ، وشهدت ببراءتها عند إبراهيم الخليل ، فاختارها على أشكم لوراثة أمره ، وتسرَّاها بعد ثمانين من عمره ، فكانت بكرَ سلالته ووصيَّ أبينا إسماعيل صلوات الله عليه حامِل رسالته ، وما زالت أشكم حتَّى نافستها في السَّلام ، ووسمتها بثلاثٍ لَتذْرها بقين سنَّةً في الإسلام[2] ، ولم ترض لها بيسان بها فرضي الله بالبيت الحرام .

لزَّت بها ضَرَّةٌ زهراء واضحـــة كالشَّمس أحسن منها عند رائيها

٣١ ب فرحلت عنها أثرة الفِراق ، طاهرة الأعراق ، سائرة مع جبريل على البُرَاق ، فيحقَّ تَزْهى بنو هاجَرَ ، بالتهاجر ، وتَلهى بالتَّكاثر والتَّفاخر ، يا فاجر .

رأيت الأُســـــانَ على أهله إذا قاده الجهلُ ليثاً هَصُورا[3]

وأمَّا ماجلَبتَ عليه ياحائنُ برِجْلك ، وتكَّستَ به حذاء صدركَ بِصَالَ نَبلك من ذكر صواحب الرايات[4] ، والسَّارين بأمثال أمَّك البَنِيَّات ، فقد رجعتَ في ذلك بالشَّلْم على أدراجك[5] ، وبحثتَ عن مُدْيةٍ لأوداجك ، جِلاً أمِّ عامرٍ[6] عساكِ نادرتنا من أقرب طِيَّة ، ونزعتْ بك إلينا عُروق[7] من سُمَيَّة . دونك هيلي بكَيْلكِ الوافي .

* وامرئزي مَيَّادَ القوافي[8] *

---

(١) عين شمس ، المدينة المصرية المعروفة . قال ياقوت : « اسم مدينة فرعون موسى » .

(٢) في اللسان (هجر) : « هاجر أول امرأة جرت ذيلها ، وأول من ثقبت أذنيها ، وأول من خفض . قال : وذلك أن سارة غضبت عليها فحلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها ، فأمرها إبراهيم عليه السلام أن تبر قسمها بثقب أذنيها وخفضها ، فصارت سنة في النساء » .

(٣) أنشده ابن قتيبة في عيون الأخبار (١ : ٣٣٠) برواية :

* إذا ساسه الجهل ليثا مغيرا *

(٤) انظر ما سبق في ص ٢٤٩ . (٥) الشلم : التكبر ، يقال شم ، أي تكبر .

(٦) تهكم بكنيته « أبو عامر » انظر ما سيأتي في ص ٢٨٠ س ٧ .

(٧) في الأصل : « عرق » .

(٨) لابن ميادة ، واسم الرماح بن أبرد . وميادة أمه ، كان يضرب جنبيها ويقول لها :

* امرئزي ميادة القوافي *

سُمَيَّةَ أخيذةٌ من أسراكم(١) ، وسريةٌ تصيّرت إلى أبي جَبْر(٢) ثم إلى الحارث ابن كَلَدة من هدايا كِسراكم ، فأزوجها الحارث مسروحًا(٣) في حيّ مُضَاع ، وبيت قعيدتُه لَكاع ، تَسرح في حِيَال(٤) ، وتبيت عندها مصطليًا شيخُ العيال(٥) فإن كان واتيها حليفَ عهد ، أو سافهها أو خاتلها عن قَصْد ، فـأتحفته بما ساعها . ثم صارت إلى عُبَيد ، بغير عقد ، وظنّت أنّ في كل أوديتها بني سَعد(٦) .

كعادتها فيما مضى من شـــبابها ... كذلك تدعو كلَّ سِرٍّ أرامهُ

أتراها من الاثني عشر ألفًا بقين ، ببلاد الأرمن ، حاضرةِ مُلككم ، وشُمَيْساط(٧) واسطةِ سلككم ، اللائي حظرهنّ طاغيتكم من التزويج ، وأباح

= يريد أنه يهجو الناس فهم يهجونه ويذكرون أمه . واصرنزم : تقبض ، وفي الأصل : « واعزى » ، صوابه في الشعراء ٧٤٧ والأغاني (٢ : ٨٦) . وبعده :

واستسمعين ولا تخافي ... ستجدين ابنك ذا قذاف

(١) كانت سمية من أهل زندورد ، وهي مدينة كانت قرب واسط . معجم البلدان والمعارف لابن قتيبة ١٢٠ .

(٢) في الأصل : « ابن جبر » ، تحريف . وفي المعارف والعقد (٥ : ٤) « أبو الخير » تحريف كذلك . وأبو جبر كان أحد ملوك اليمن ، واسمه كنيته ، وقيل هو أبو الجبر يزيد بن شراحيل الكندي ، وقيل أبو الجبر بن عمرو الكندي . وفيه يقول ابن دريد في مقصورته المشهورة :

وخامرت نفس أبي الجبر جوى ... حتى حواه الحتف فيمن قد حوى

انظر ابن خلكان (٢ : ٢٩٤) في ترجمة يزيد بن مفرغ .

(٣) وكذا عند ابن قتيبة في المعارف ، لكن بلفظ « مسروح » بالحاء . لكن في العقد وابن خلكان أن زوجها هو « عبيد » ، وهو عبد وهبه أبو الجبر للحارث بن كلدة مع سمية . وهو الصواب ، فقد ورد فيما روى من خطبة لزياد بن أبيه : « فأما عبيد فإنما هو والد مبرور ، أو ربيب مشكور » . انظر العقد (٦ : ١٣٢) ومروج الذهب (٣ : ١٦) . وما ذكر هنا يجمع بين الروايتين .

(٤) نوق حيال وحول : لم تحمل .

(٥) يقال صلب العظام واصطلبها : جمعها وطبخها واستخرج ودكها ليؤتدم به . قال الكميت :

واحتل برك الشتاء منزله ... وبات شيخ العيال يصطلب

(٦) إشارة إلى المثل : « في كل واد بنو سعد » .

(٧) في الأصل : « سبياط » ، تحريف . وشميساط : مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات ، ولها قلعة في شق منها يسكنها الأرمن . معجم البلدان .

فُروجهنّ لفراميل العُلوج ، بوظيفة دينارين ونصف دينارٍ فى السنة على كل واحدةٍ وَقَفَها على مأكله ومشربه ، وجعلَها سُنّةً باقيةً فى عقبه .

فلولا الرّيح أسمع من بنجد صليلَ البيض تُقرع بالذُّكور[1]

فيا لها نسبةً ، أضاعتْ طِلبة ، وغُنْمَ إفادة ، جلبتْها زيادةٌ ، وزكاء خراجٍ ، يمخض زُبْدَه إدخالٌ وإخراج ، ويملأ فى كل زُقاقٍ عُسَّ أبى سُواج[2] ، ٣٣/١
أتحيط ، يا بليط ، بهذه الروايات حُسبانا ، أو تحصّل لها بطونا أو جُوفانا . لقد تنبّهت بهذا السماع هاما ، وقلقلت القِراع بها يَقَظا وشآما . أتلك هذا اعتمدت ، أو جمعت فاقات الكندىّ[3] وأنشدت :

شرف ينطح النجوم بروقَيْـ ـهِ وعزٌّ يقلقل الأجبالا[4]

مهلا يا جاهلُ ، وشرٌّ مُباهِل ، سُقْت البيت الثانى بعده والثالث[5] ، وضِقْتهما بشرف قومك على إيقاع الثانى والثالث ، أأردت يا ضيعُ أن تخلع لغارها التغلبىّ ، وتكسوَه مغلوبه الدمستق[6] السبىّ ، إذ أذاقه سيفُ الدولة بأساً ونكالا ، وغطّى منه ببَنِيّة الحَدَث جبيناً وقذالا[7] .

---

(١) البيت لمهلهل . والرواية المعروفة : « أهل حجر » . وانظر حواشى البيان (١ : ١٢٤) .

(٢) أبو سواج : رجل من ضبة كان قد جاور فى بنى يربوع فلاموه فى أهله ، فاحتال لى خانه — وهو صرد بن حمزة اليربوعى — بأن سقاه ماء رجلين تداولا مباضعة إحدى الإماء ، فعير بنو يربوع بذلك . انظر شروح سقط الزند ١٧٨٠ — ١٧٨٨ .

(٣) يعنى المتنبى ، وهو أحمد بن الحسين الجعفى الكندى الكوفى .

(٤) من قصيدة له فى مدح سيف الدولة . الديوان (٣ : ١٠٤) بشرح العكبرى . وانظر ما سبق فى ص ٢٥١ .

(٥) هو قوله :

حال أعدائنا عظيم وسيف الـ ـدولة ابن السيوف أعظم حالا

كلما أعجلوا النذير مسيرا أعجلته جياده الإعجالا

(٦) الدمستق ملك الروم ، وفى الأصل : « الدمستق » .

(٧) يعنى بنية الحدث التى بناها . والحدث : مدينة بين ملطية وسميساط .

وحملها بكلّ مطرّد الأكـ ... ـعاب جَور الزمانِ والأوجالا(1)

ألم يأنِ لك أن ترجع في الروايات إلى رِبِّيتك، وتأخذ هذه النحلة من رِبِّيتك(2)، وتستر دونها من عُوَاري، وتغطّي هذه الفضيحة بأطماري، فاربَعْ لا ربعت، ولا طِرتَ مع التّوكّي ولا وقعت.

وقُدْ بزمامٍ يَقْرَ أمّك واحتفر ... بأير أبيك الفسلِ كرّاث عاسمِ(3)

وأمّا عَوسك بالإيغال(4)، وتَوسك في خبر أبي رِغال(5)، فناهيك من تَفَوّق مَتالف، وناجيتِ أنق عدوّه نائف، ضمّه القسر، وضامه الأسر، فساق(6) لأعدائه الأعراض والوسوم، ووصف لهم الأطلال والرسوم، حتى بلّغ حتفه أبا يكسوم، فأتره بالنفس بعد صيالِه، وأزله عن محمودٍ غير محمودٍ لاستئصاله(7)، وأسلمه الصّلّيم الصالم، فهل هو في ذيال همدان ظالم(8)؟

وعلى أنّ العربَ لم تُغفِر إليه في استكانته للأعادي، ودلالته المتخلّص بفيل المُعادي، ورَجَمتْ قبره كما رَجَمتْ قبر العبادي(9).

(1) في الأصل: «والآجالا»، صوابه من الديوان.
(2) الربي: الحبر العالم. والربي أيضاً: الجماعة الكثيرة.
(3) الطرماح بن جهم السنبسي، كما في الحماسة بشرح المرزوقي ١٤٨٧.
(4) في الأصل: «غوسك» تحريف. والعوس، بالمهملة: الطوف بالليل، وهو أيضاً الوصف.
(5) أبو رغال: رجل من ثقيف، وهو الذي دل أبرهة أبا يكسوم على الطريق إلى مكة، وخرج معه حتى أنزله «المغمس» فلما أنزله به مات أبو رغال هناك فرجمت قبره العرب. السيرة ٣٢ جوتنجن. (6) في الأصل: «فساب».
(7) محمود: اسم الفيل الذي وجه إلى الكعبة.
(8) إشارة إلى قول عمرو بن براقة الهمداني، في الأمالي (٢ : ١٢٢):

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم ... فهل أنا في ذا يال همدان ظالم

(9) في الأصل: «العبادي»، تحريف. وفي مروج الذهب (٢ : ٧٩): «وفي طريق العراق إلى مكة — وذلك بين الثعلبية والهبير نحو البطان — موضع يعرف بقبر العبادي ترجمه المارة إلى هذه الغاية كما ترجم قبر أبي رغال».

ها إنّها عِذرةٌ إلّا تكُنْ نفعت   فإنّ صاحبها مشاركُ النّكدِ[1]

وتعرف ، يا مُقْرِف ، إذ أخسَرْتَ بشأننا ، وسَخِرت لانتصاف قُصَيٍّ من ٣٣ ب
أبى غُبْشاننا ، والأصح فى الآثار ، من ثقة الأخبار ، أنّ أبا غُبشان ما أضاع
البيت ولا باعه ، وأن عبد مناف وأخاه رزاحاً غلبا عليه خُزاعة[2] ، وانتزعاه
منه عنوةً ورأى اللهُ انتزاعَه ، وإن صحّ البيع فى مفرد الإسناد ، وانتسب إلى
أهل الجدَل والعناد ، فخُزاعة لم تُعرقْ فى السّدانة ، ولا كان لها طوقٌ بحمل تلك
الأمانة ، فرزّحت بحمْلها ، وضَحّت عن ظلّها ، وأسلم أبو غُبْشان مفاتح الكعبة
لأهلها ، ورثةِ الدّعوة الإسماعيلية ، وخالصة الملّة الإبراهيمية ، قُرعة ولد إسماعيل
فى قصيٍّ وعبد مناف ، والبقرة الهاشمية أولى الرّحلتين والإيلاف .

الخالطين فقيــــــرهم بغنيّهم   والظّاعنين لرحلة الأضــيافِ[3]

أربِحْ بها صفْقةَ تمْر ، وولاية أمرٍ ونفس ، وشراء أمّ رِحْمٍ بزق خمر[4] .

شرت القُلوبَ رخيصةً أعلاقُه   ومضى يَعَضُّ بنانه المغبونُ

أين نيلُ هذا ، من حوارِيِّكم يهوذا ، الذى هو عندكم أفضل من موسى
بِكر التنزيل ، وخير من نوح وسرافيل[5] والخليل ، إذ سامَ بالمسيح عيسى على
دعواكم سَوْمَ العبيد ، وباعَه بثلاثين درهماً من اليهود ، فجلّلوه الخَبَط ، وسقوه
الخلَّ وأفرشوه السّبَط[6] ، ثم جنّبوه ، وسحبوه وصلبوه ، فلمْ — وقال الله تعالى :
﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ . وما فتئتم بعد تُولون يهوذا التّعزير والتبجيل ، وتأخذون

---

(١) النابغة الذبيانى فى ديوانه ٢٣ .
(٢) انظر ماسبق فى حواشى ص ٢٥٢ .
(٣) لمطرود بن كعب الخزاعى فى السيرة ١١٤ جوتنجن . وروايته فيها :
المنعمين إذا النجوم تغيرت   والظاعنين لرحلة الإيلاف
(٤) أم رحم : اسم من أسماء مكة .
(٥) كذا . ولعله « إسرافيل » ، وهو الملك الموكل بالنفخ فى الصور .
(٦) السبط : ضرب من النبت . وانظر إنجيل متى ٢٧ : ٣٣ — ٣٤ ومرقس ١٥ : ٣٦ ولوقا ٢٣ : ٣٦ ويوحنا ١٩ : ٢٨ — ٣٠ .

عنه مختلفات الأناجيل ، وتسجدون له ولصاحبيه مَرْقُش(1) ومَتّى ، وتزعمون أنّهم يمشون على الماء ويُحيون الموتى . شاهت تلكم الوجوه ، ولا عُدم اللّطم منها والتجبوه(2) .

إذا لم تخشَ عاقبة الليالي ولم تستحي فافعلْ ما تشاء

ذلك كلُّه والنبوّة غضّةٌ بمائها ، وعصا المسيح بقرنها وحلائها ، والوحي من
٣٤/أ ورائها ، والثبات على أرجائها ، والعهد جديد ، والخلقة حديد . لكنّهم :

رَمَوا بسهمِ قطيعةٍ تهفو به ريشُ العقوقِ فسارَ غير سديد

فأينَ بُناة الصُّروح وبُناة الشُّروح ، بل عُصبة الشُّموخ ، ولَعَقة الدّم المسفوح ، متى ملكوا الأرضين ، أو أعطوا من جزيرة العرب مارَقين(3) ، أبعد أنْ استباحتهم الحُبْشان ، وضُربت عليهم الجزيةُ وكانت أوّلَ خراجٍ بالزّمان . فما زالتم تشغلونهم من أبنائكم بالأماثيل ، ويعملون لهم ما يشاؤون من محاريب وتماثيل ، حتّى أخدموكم بيوتَ النّيران ، وقدّموكم لحرث مع الثّيران ، فما أنِفَ ذو حاجبكم ولا أنْفَر ، ولا أحلى ولا أمقر(4) ، كذلك الكلاب على على البقر(5) . أهذه الأعبُد البُهَّم ، لا رعاة شياءٍ ولا بَهَم(6) . ومَنْ أرعى الشُّوَيهات يا كُشاجم(7) ، غير الشِّقاء والأعاجم ، سُوّاس الخنازير ، وحُرّاس

---

(1) كذا بالشين المعجمة ، وهو مرقس ، ويسميه المسعودي « مارقس » .

(2) تجهه : استقبله بما يكره ، وزجره وردعه .

(3) سبق مثل هذا التعبير في ص ٢٤٩ .

(4) أمر : كثف والتف . وأمقر : كان مرا . وفي الأصل : « أمقر » ، تحريف .

(5) هو مثل ، يقال بالرفع والنصب ، أي أرسلها على بقر الوحش . ومعناه خل امرأ وصناعته .

(6) انظر ما سبق في ص ٢٤٧ .

(7) كشاجم : لقب لشاعر معروف ، واسمه محمود بن الحسين . توفي سنة ٣٥٠ أو ٣٦٠ . الفهرست ٢٠٠ ، وسير النبلاء القسم الثاني من الجزء ١٠ ص ٢١٨ ، وحسن المحاضرة ١ : ٢٦٨ وشذرات الذهب ٣ : ٣٧ . قالوا سمي بذلك لأنه كان كاتباً شاعراً جواداً منجماً ، ثم مهر في الطب فقيل « طشكاجم » .

الجازِر ، تدّحة الأكَر[1] ، ولقّعة الشّجر لا التسكّر ، ما حاكوا — ثُلّت — بُرودا ، ولا ساسُوا قُرودا ، ولا لا كوا عُرودا . لقد أوضحتَ لو وافقت ، ووصفت لو أنصفت ، قل لي فمن رَقَم البرودَ بنيسابور ، وغرس زيتونَ العراق لسابور إذْ غلّ أيمانكم ، وكسر صُلبانكم ، وقسر على الفِلفة الشفاء القُلفة وِلدانكم ، تمّيدّهم وعبدّهم ، وسوّرهم وخلّدهم[2] ، وطوّقهم وقرطقهم[3] ؛ وماشّهم وطرّقهم[4] . وبعد ذلك أخذ في جذْكم وتقلسكم ، وزنق قنْعة هرقلسكم ، فصارت في ملوككم مُثلة ، ولهذا لم تُرْتَق بعدُ في أرضكم بقلة ، إنّما تتجرّعين من الاعذاء[5] ، أو تعرّج عن شماتة الأعداء ، يفعل هذا بالذّليل يابني الصّيداء[6] ! ثُرَى ، يا قمّع وادي القُرى ، حضّر هناك لسانكم حَوكَ بُرود ، ورشفَ بَرود ، ولوكَ عرود ، رُزْها ، يا مُرَّهى ، بدامنة فُهود ، كما زعمت وسياسةِ قرود ، وتذكّرْ حال أيتامك ، وقدّر على هذا الإصبع سَمّة خَيتامك .

ولا تفضبَنْ من سِيرة أنتَ سِرتَها   وأول راضٍ سيرةً من يسيرها[7] ٣٤ ب

---

(١) يقال تدحت الشيء ندحا ، إذا وسعته . والأكر : جمع أكرة ، وهي الحفرة في الأرض .

(٢) خلدهم : سلاهم بالخلد — بكسر ففتح — وهي الأقراط .

(٣) القرطق ، بضم القاف وفتح الطاء : القباء . معرب « كرته » .

(٤) أصل الميش خلط الصوف بالشعر ، والطرق ضرب الصوف والشعر بالقضيب ليختلطا . قال :

عاذل قد أولعت بالترقيش   إلى سرا فاطرق وميشي

(٥) الأعذاء : جمع عذى ، وهو الزرع لا يسقى إلا من ماء المطر . والعطها « الإعداء » .

(٦) إشارة إلى قول زيد الخيل ، وكان بنو الصيداء — وهم من بني أسد — قد أخذوا فرسه :

يا بني الصيداء ردوا فرسي   إنما يفعل هـذا بالذليل

الأمالي (١ : ١٢) والأغاني (١٦ : ٤٧) والعقد (٣ : ٣٤١) .

(٧) خالد بن زهير الهذلي . الشعراء ٦٣٢ وديوان الهذليين (١ : ١٥٧) .

وما ذكرت من إتاوة غسّان ، لسَليح يا خَطِل اللسان[1] ، فتلك ساريةٌ من خلال الأزد ، وفُلّال عَرِم السّدّ ، رازُوا لقومهم البلادَ فضلُّوا ، وفقدوا ملاءَم فقلُّوا ، فأعدام ، أن داهنوا عِدام ، حتّى استقلُّوا ، وأمِرُوا فتَلُّوا . ولمّا تدارك غابرُهم ، ودعا دَرَاكِ حارثُهم وعاسِرهم ، قصّروا خُطامهم ، وقَصَروا مَظامهم ، وأعطاهم جِذْعٌ من سيفه ما أعطاهم[2] ، ثم جعل قومُه بعدُ يضربونهم في الأعراض والرّواجب ، ويناوبونهم بين الصّقَربة والرّواجب[3] ، حتّى استرهنوا منهم قَوسَ حاجب[4] ، رغبةً في خفرهم ، وإجارة سَفْرهم ، وتجويز لطائمهم ، وتجويز خطائمهم[5] ، وجعلَتْ ملوكُكم تَخَوّلُنا بالجمائل والوضائع ، وتَنْحلُنا ضروب الوشي والقطائع .

وإساءاتُ ذي الإساءة يذكر نَكَدَ يوماً إحسان ذي الإحسان

هذه أنيالكم الأكاسرة ، وأجيالكم القياصرة ، لاهَا اللهِ[6] إلاّ القيوج للقاصرة ، وعُلوج تحت نصّر وناصرة[7] ، عابدُو اليمن ، وحاملو الأُمُن[8] ، وباذلو

---

(١) سليح ، بالحاء المهملة : هم بنو سليح بن حلوان ، بطن من قضاعة . وفي الأصل : « لسليخ » ، تحريف . وكانت غسان تؤدي إلى ملوك سليح دينارين كل سنة عن كل رجل . العقد (٣ : ١٢٢) .

(٢) جذع ، هو جذع بن عمرو الغساني ، وكان سبطة بن المنذر السليحي يلي ضرائب غسان ، فلما طالب جذعا بالدينارين دخل جذع منزله واشتمل على سيفه ثم خرج فضربه به وقال : « خذ من جذع ما أعطاك » ، فامتنعت غسان من الدينارين بعد ذلك .

(٣) الرواجب الأولى : جمع راجبة وهي مفاصل أصول الأصابع . والثانية أراد بها الغزوات التي في شهور رجب .

(٤) هو حاجب بن زرارة التميمي . انظر قصة قوسه في ثمار القلوب ٢٠١ والعقد (٢ : ٢٠)

(٥) جمع خطيمة ، يقال خطم الناقة : وضع على أنفها الخطام . وفي الأصل : « حطائمهم » .

(٦) ها الله : يعني والله ، وها التنبيه قد يقسم بها .

(٧) ناصرة : قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا .

(٨) الأمن : جمع إمان ، وهو الفرجون .

السكّين ، والهن ، يا طَغام الأحلام ، وحُمّال أوتار الحُلّام[(١)] أفهذه الخلال ، واستقراء الأحوال بهذا الاستدلال ، نحن أرقاؤكم وعبيدكم ، وعُتقاؤكم وعبدتكم ؟! لو سائرة شوار كلّمتنى ، أو ذات سِوارٍ لطمتنى ! ألم تدر يا أشتر[(٢)] ، يا مُجتنِيَ الخَتْر[(٢)] أنّ جدّنا يعرب هو الذى أرقاكم ورضكم ، وصَقَع بالتاج من صَقَعكم ، ووسمكم بسَوادِ جلدته وسفعكم ، وأجلاهم عنكم إلى ريف عُمان وماسان ، وأطراف خراسان ، فلمّا غمطتم نعمته ، وأمطتم إِنّه[(٣)] ، عادكم من عيده ، وسابقة وعيده ، ذو نُواس[(٤)] فدلسكم وداسكم ، وخرّب نواويسكم ،

٣٥/١ وبهر أنفاسكم ، وجدّ كم عن ماء المعمودية[(٥)] ، وردّ كم إلى دين اليهوديّة ، فمن أىّ دينٍ تحتسبون ، أو إلى أىّ رحم تنتسبون ، أ إلى الأغبياء الثّورية ، أو إلى الأغبياء النّسطورية[(٦)] ، والأدعياء الصّفُّورية[(٧)] ، نسبٌ موضوع بين الصفار والنّفر ، ومنتسَبٌ مقطوع فى رومة ونهر الصّفر .

فخالِفْ فلا والله تهبط تَلْعةً   من الأرض إلا أنتَ للذّلِّ عارفُ

---

(١) الحلام : القتيل الذى ذهب دمه بالحلا . قال مهلهل :

كل قتيل فى كليب حلام   حتى ينال القتل آل همام

(٢) الأشتر : المنشق العين . والختر : الغدر وهو خاص سلب لم يشكل ولم ينقوه . فى الأصل : « أختر » و « الحتر » ، تحريف .

(٣) الإنة ، بالكسر : النعمة .

(٤) أحد أذواء اليمن . وكان أهل نجران على النصرانية ، فسار إليهم ذو نواس فدعاهم إلى اليهودية وخيّرهم بين ذلك والقتل ، فاختاروا القتل ، فخد لهم الأخدود وحرّق بالنيران وقتل بالسيف حتى أسرف فى ذلك . وفى ذلك قول الله تعالى : « قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود » . السيرة ٢٢ — ٢٥ .

(٥) فى الأصل : « المعمودية » ، تحريف . والمعمودية بتخفيف الياء ، ويقال بتشديدها : ماء للنصارى يغمسون فيه ولدهم للتطهير . وفى تاج العروس أنه معرب من « معموديت » ومعناها الطهارة .

(٦) انظر ما سبق فى حواشى ٢٦٢ — ٢٦٣ .

(٧) نسبة إلى صفورية : بلد بالأردن .

وما لكم ، والذى كَثَّرَ آلكم ، وأنتم أعجز الأمم حولا ، وأجفرها قولا ، وأقلُّها ظهراً محمولا ، ومنكم الأسقفُ والمطران ، والبطرِّك والمطرِّان[1] ، وفيكم الجَبُّ والخصاء ، والمدّ فى وَدْعة اللباس والإحصاء[2] ، إلى إفراد رئيسكم ورَهبانيّة شمّاسكم وقِسّيسكم ، وأنتم مع ذلك أكثر أهل الكتاب عدداً ، وأبقى نسائهم ولداً[3] ، ما ذاك إلاّ أن ضَرَبت فيكم الأكراد والأنباط ، والحبشة والأنباط ، فتنكم الصُّفر والشُّمر ، والغُر البُرش الحمر ، يظاهرون بقرفيهم لا متجيبيهم ، والأمّ تضحك منهم لعلها بأبيهم :

ألا أنها تسرى إذا نام أهلُها فتأتى بشىء ليس فى الظنّ يخطُر

وما فخرت به يا حمار ، يا ميراث أعار ، من حَمَلة الأسطرلوميق ، والعلم بالأرغاطيق والأوطيق[4] ، كفخر الأمة بجذع ربّتها ، ذلك لمستنبطى يونان وساسان ، وكيتيّة بابل وكلذان وكاسان ، أصحاب النجوم الأرضية ، والتعاليم الرياضية ، من الطبقة الفيثاغورية ، والفلاسفة الهرمسية . معالم عفّت ملوككم آثارها ، وطمست أنوارها ، بغواية قسطنطينكم ، وغباوة المُلَق لدينكم ، ابن الهلانيّة[5] ، وثم اللغة الطبانية .

حبوت النصارى بها معلناً لهـــا غيرَ كاتم أسرارها
ولم أدرِ أنك من قبلهـــا تحبُّ السِّياط بأثمارها[6]

(١) البطرك والبطريرك ، هو بالرومية « بطريركس » تفسيره رئيس الآباء ، انظر التنبيه والإشراف ١٢٣ .

(٢) المراد باللباس الباضعة . ويقال ودع الماء يدع ، إذا سال .

(٣) بقت المرأة : كثر ولدها .

(٤) انظر ما سبق فى ص ٢٥١ .

(٥) يعنى قسطنطين بن هيلانى . قال المسعودى : « وهو أظهر دين النصرانية وحارب عليها حتى قبلت وانتشرت فى البلاد » . التنبيه والإشراف ١٢٩ . وانظر الفصل (٢ : ٧٣) .

(٦) ثمرة السوط : عقدة طرفه . وذكر الثعالبى فى الكنايات ١٨ أن ثمرة السوط يكنى بها عن الفقحة . وأنشد لدعبل :

ألى عليجين لم تقطع ثمارها قد طال ما سجدا للشمس والنار

أراد أنهما لم يختنا . وانظر الكلام على هذه الكناية النادرة حواشى البيان (٣ : ٢٢٨ — ٢٢٩) .

اللهمّ ناقةٌ فيكم من فارس(1) ، وخَدَمة تلك للدارس ، تلقَّفوا من آثار الصحون طريقة ، وحكّوها تقليداً لا حقيقة ، يقدبون بها فى توحكم ، ويقصفون ٣٥ ب
عليها فى سَماتكم وفَصحكم ، فما أنتم وذا ، لا قُذِّيت(2) أعينكم من قذى ، إن قلتُ : السكم بوطيق لا موسيق ، وأرضرثيق لا جومطريق(3) ، وصفتُ قومَك ، وعرّفت سومَك .

إيّاك يعنى القائلون بقولهم إنّ الشقىّ بكلّ حبل يخنقُ

وأمّا تِيكَ يا سفساف ، من العرب فى نائلة وإساف ، فتانك صخرتانِ نُصِبَتا كاللات ، وثالثتهما مناة ، وجدُوها على زمنهم مَواثِلَ جُلْفا(4) ، وطافوا بها ظنًّا أنْ تقربهم إلى الله زُلْفى . فإن صحّ الخبرُ ووضح الأثر ، بمسخهما عبرةً لمقارفة العبث ، وموافقة الفسوق فى حرم الله والرفث ، فزيادةٌ فى الإنذار ، وأخذ فى تعظيمِ شعائر الله بالإعذار . أين هذا المتقَدّ يا بنى الأستاه ، الأجلاه ، من جحود السماء عندكم سبحانه سنة أن نحت السكم اسم ابن الله ، وأن يُحْنَا الغيثَ المنزلَ المطر(5) ، الآتى من أنفُس(6) فى الكنائسة والجلاد بالبُهت المُسْطَر(7) ، مستجٍّ فى بيعته الآن ، من ذلك الأوان ، عبيط الدم ، غضّ الأدَم ، مشيراً باليد والقدم .

يحج مأمومةً فى قعرها لَجَفٌ فاستُ الطبيب قذاها كالمغاريد(8)

---

(1) اللهم ، كلمة تستعمل فى الاستثناء بمعنى إلا . انظر شفاء الغليل ٣٠ .
(2) قذى عينه تقذية : أخرج منها القذى .
(3) انظر ما سبق فى ص ٢٠١ .
(4) جلفا ، أصلها « جلفا » جمع أجلف ، وهو الضخم ، أو المنحنى الظهر .
(5) فى الأصل : « المنت المنزل المطر » . (6) فى الأصل : « أسيس » تحريف .
(7) المسطر : المكتوب . وفى الكتاب : « وكل صغير وكبير مستطر » .
(8) البيت لعذار بن درة الطائى ، كما فى اللسان (حجج) . يحج : يصلح . والمأمومة : الشجة بلغت أم الرأس . وفى الأصل : « مأمونة » صوابه فى المقاييس (حجج) واللسان (حجج ، لجف ، غرد) والحيوان (٣ : ٤٢٠) .

وأنسيت ياهامان ، ما وعوعت به وجمجمت في قبر كسرى والنعمان .

يا مدّعي سُــورانَ منزل جدّه   قل لي لمن أهناسُ والفيّــومُ[(١)]

أحرار الفرس كِفاؤنا ، وأعداؤنا أكفاؤنا ، نُجلد ونحتطم ، وكما قال أخو لقمان : « ألطمك إذا لم أجد من ألطم » . فما الرُّوم والفرس ، أولي الأراكنة القُلْس[(٢)] ، والأعاريبَ الخُمْس . « حَنّ قِدحٌ ليس منها » . ومع هــذا فقد أنبأتك الأممُ الخوالي ، والرمم البوالي ، أنّ العرب لا تنكح العجم ولا الموالي ، لذلك أحبّ أبرويز أن يَعصمَها بهدانه ، وأراد من أبي قابوس أن ينكحه إحدى

٣٦/أ أخواته ، ويستولي على حُرَمه وحُرُماته ، فرغب عن صِهره ، على عظيم أمره ، وطوى الحديث معه على غَرّه ، وأغراه في قومه بالسّواد . وأحاله على بَقَر السّواد ، فكان في حقّ الإباء ، وكرم الآباء ، ألا يلوي إليه صفحا ، ويَضربَ عنه الذكر صَفْحا ، وينأى بكسرويّته ، ويشمخ بقوميّته ، ولا يرجع لغدره وكَيْده ، ويستزيده خدعة وقد نصب لصيده .

ذئب تلاقي كيدُه دارع   صادف ليثاً كيدُه خاسرُ

والذي دلّ على فَسَالته ، وخفّة نُسَالته[(٣)] ، رأيه العاجز بعد موته ، في حرائبه ورُزْئه[(٤)] وتهافُته على أخْذ ماله وأهله ، فحاها عنه ذُؤْبان العرب وحُمْسها ،

---

(١) سوران ، لعلها « سوفان » أو « سوراب » وهما من بلاد الفرس . وأهناس : قرية قريبة من الفسطاط ، ذكر بعضهم أن المسيح عليه السلام ولد بها . ياقوت .

(٢) في القاموس (ركن) : « والأركون ، بالضم : الدهقان العظيم » . ومثله في اللسان . وفي معجم استينجاس ٣٨ أن الأركون هو الرئيس أو الحاكم . والكلمة يونانية الأصل دخلت في الفارسية والعربية .

(٣) النسالة ، بالضم : ما سقط الريش .

(٤) الحرائب : جمع حريبة ، وهو المال المسلوب . وفي الأصل : « حرائبه » .

شَيْبانها ومازنها وأوسها ، وصدُّوه عن حَوزته إلى الأطرار[1] ، واتّبعوه بحرب ذى قار ، ثم أزالوه عن مُلك ظَفَار[2] .

إذْ جئنا خيلنا من ظفار ثم سرنا بها مسيراً بعيدا[3]
فاستبحنا بالخيل مُلكَ قُباذ وابن أقلوذ جاءنا مصفودا[4]

فهـذا أبرويزكم ، لا أبانَ تميزكم ، الذى يذكره نبجَحتَ ، وعذرَه رجَحتَ ، هو الذى دوّخ أربابكم ، ووطئ أكنافكم[5] ، وأورثنا وراثه بالمدائن أسيافكم ، وحطّكم من الحزوم ، وأقصاكم إلى أبعد التُّخوم ، وبه نزلَتْ فى قصتكم : ﴿ الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ ، فأخَذْنا الخئولة فيكم بثأرها ، ونَضَحنا بالحية من عارها[6] ، وتداعينا بعضر الحراء وتزارها ، يا لهمير الحيرية ، والعصائب اليمنية والضريّة ، بين أبناء ذى مَرَاثد[7] والصّـباح ، وجَذِيمة الوضّاح ، وأبرهةَ ذى المنار ، وعمرو ذى الأذعار ، وناشر النِّعَم[8] والرائش ، وسـلمة ذى فائش ،

(١) الأطرار : الأطراف ، جمع طر بالضم .
(٢) ظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء . وفى الأصل : « ذفار » فى هذا الموضع والبيت بعده ، تحريف .
(٣) من قصيدة منسوبة لتُبّع فى أخبار عبيد بن شرية ٤٥٨ . وروايته :

وسلى عن مسيرنا من ظفار بجموع تؤم غورا بعيدا

(٤) فى أخبار عبيد ٤٥٩ :

واستبحنا جميع ملك قباذ وجيناه صاغرا مصفودا

(٥) الأكناف : النواحى . وفى الأصل : « أكنافكم » ، تحريف .
(٦) النضح : الذب والدفع . وفى الأصل : « نصحنا » ، تحريف .
(٧) فى الأصل : « من ذى أبناء صباثد » ، تحريف . وذو مراثد ، هو الرائش الأصغر ، واسمه الحارث بن الهمال ذى شدد ، أحد ملوك اليمن . التيجان ٧٨ — ٧٩ .
(٨) انظر مروج الذهب (٢ : ٧٦) والتيجان ٢١٩ وأخبار عبيد بن شرية ٤٢٥ حيث ذكر فى الأخير علة تسميته .

والمدعاد ، وابن عبّاد ، والحارث بن شدّاد ، والفيّاض[1] والضحاك[2] والبرّاض[3] ، والحارث بن مُضاض .

٣٦ ب هو المشهد الفضل الذي ما يُحابه لكسرى بن كسرى لا سنامٌ ولا غَرْبُ

فما هو إلاّ أن وضَح التمييز ، ورجَح التبريز ، وقيل هذا دِرَفْش[4] راية أفْرِيدِز ، فحين قوّضنا بنيانه ، وحطمنا سُنْدانه ، وتركنا إيوانه ، وأخمدنا نيرانه .

ولم أرَ أمثال الرجال تَهافتُوا على المجد حتى عُدَّ ألفٌ بواحدِ

ولله أيامٌ بالقادسية واليرموك ، وعُتاةٌ منهم مواليكَ وأبوكَ وجدوكَ ، يا عُبيد البيد ، وعَبيد العبيد .

لو كنت من نخبة الموالى إذاً لم تتّسموا في نُخْبة العرب

إذ جشمونا أعقاد الرمل ، وأعدادَ النمل ، قد اعتقدوا ، واحتدموا واحتقدوا ، فمن دمائهم ما خاضوا ولصِلائهم ما أوقدوا ، وعند ما تنادَوْا يا أساورة تأهّبى[5] ، وقلنا يا خيلَ الله اركَبى .

بضربٍ تَرقُصُ الأحشاء منه وتَبطُل مهجةُ البطل النجيدِ

---

(١) هو عبدالله بن جدعان . انظر خبره في الاشتقاق ٨٨ — ٨٩ والحيوان (٢ : ٢٠٢) .

(٢) الضحاك أحد ملوك الفرس ، وهو المسمى بيوراسب . وفي التنبيه والإشراف ٧٦ أن اليمانية من العرب تدعى الضحاك وتزعم أنه من الأزد » . وفي جمهرة الأنساب لابن حزم ٨ : « والضحاك بن معد هو الذي أغار على بني إسرائيل في أربعين فارسا من تهامة » .

(٣) هو البراض بن قيس بن رافع الضمري ، وهو الذي قتل عروة الرحال بن جعفر ابن كلاب . الحيوان (١ : ١٦٦) والتنبيه والإشراف ١٧٨ .

(٤) في معجم استينجاس ١٣٠ أن « درفش كاوان » اسم راية فريدون . وفي التنبيه والإشراف ٧٥ — ٧٦ أن رجلا إسكافيا من الفرس يسمى « كابى » رفع راية من جلود ، ودعا إلى خلع الضحاك وتمليك أفريدون ، فلما تم الأمر تيمن القوم بتلك الراية فسميت « درفش كابيان » إضافة إلى كابى صاحبها . قال المسعودى : « والدرفش بالفارسية الأول الراية ، وبهذه الفارسية اشتق العرز . وحليت بالذهب وأنواع الجواهر الثمينة وكانت لا تظهر إلا في حروب عظيمة ، تنشر على رأس الملك أو ولى عهده أو من يقوم مقامه » .

(٥) الأصل : « تاهين » .

تسنام تَشطرٌ في العوالي   وشطرٌ في لَظَى حرِّ الوَقود

فما أغنى عنكم في تلك المشاهد أنوشروانكم وقُباذُكم ، ويزدجردكم وشهريارُكم ، وشهيوركم وخُرَّذاذُكم ، ونسطوركم ويعقوبكم ، ونسطسكم وبروسكم(1) .

غدَت غيرانُهم لهمُ قبورا   كَفَت فيهم مؤوناتِ اللحود

أهؤلاء الفيول ، كما ذكرت على خيول ، كأنها فُيول ، بل الخُيل الفُيول إذا لاذت الخيل بالسكيول(2) ، وألاّ سألتكِ يا أمَّ عامر(3) بحرمة الصليب ، وجرى المذكَّيات في طلبكم واليعابيب ، أيّةُ خيولٍ لأسلافك ، أم أيّ حَلْبة شاهدتها لأنيالك وأردافك . متى عرفَ ذَوُوكِ لها اسما ، أو حكَوا عنها شيَة أو وَسما . لعلّها تقدّمت من جنائبكم في السوابق ، أو لحقت من مقانبكم بآل الوجيه وأعوج ولاحق ، أو راهنت بها القائد والمُذهب ، وقُرزل(4) واليحموم والبطين ٣٧/أ وزاد الركب ، أو داحس والغبراء ، أو الحَنْفاء والشقراء . أم هل من براذنكم المُجلّي والمصلّي ، والعاطف والعاتب والتلّي(5) .

عنها الحديث إذا ما حاوَلوا سَمَرا   والرزق منها إذا حلّوا أماريتا(6)

لكم الكَوْدن والقَطيم ، والسُّكَيت الأخنس والفِسكِل اللطيم .

تبكّي عليهنّ البطارق في الدُّجى   وهنّ لدينا مُلقَيات كواسد

---

(1) كذا . ولعلها « وأريوسكم » . وأريوس كان قسيسا بالإسكندرية كان في زمن قسطنطين الأول ، وكان قسطنطين هذا على مذهب أريوس . الفصل (١ : ٤٨) .

(2) الفيول الثانية : جمع فيل ، والفيل : الثقيل الحسّ . السكيول : آخر الصفوف في الحرب .

(3) تهكم به وبكنيته أبي عامر ، جعله « أم عامر » . وانظر ما مضى في ٢٦٦ س ١٣ .

(4) في الأصل : « قرزال » ، وليس في أعلام خيلهم . وانظر الخيل للكلبي ٢٢ وابن الأعرابي ٧٠ والعمدة (٢ : ١٨٢) وشرح الحماسة للمرزوقي ١٤٩٤ .

(5) التلي : التالي . وفي الأصل : « التبلي » ، ولا وجه له .

(6) الأماريت : القفار ، جمع أمرات ، وهذا جمع مرت . والبيت لأبي العلاء المعري . انظر شروح سقط الزند ١٦١٠ .

شيخ زعمت رُجُح ، بُذُخ وُضُح ، فمن الشُّنُخ الوسخ الوُدُح . من التجم قُلتَ القُدُم ، نَعَم الشُّكُن القُدُم ، الحُلُمُ لكن عمّن بلغ الحُلُمَ ، بُصُر صبر ! ! بُصُر بأوقات السمر ، وأفول القمر ، ودبيب الضَّراء والخَمَر(١) ، صُبُر على الدَّهر والقدر ، وذَفَر القَمَر ، وأطر السَّكَر ، وبُجُرٌ مُرَرٌ ترمى بشَرَرٍ كالقَصَر(٢) . مُلْسُ الأَدَم ، قلتَ ، هذا وأبيك والتفكيك يا دَيُّوث والتخنيث ، وعِرْض السّقاء الخبيث(٣) ، لقد نَبَهْتَ [يا] هذا الخبيث ، وقلنا إليك يساق الحديث .

تصيخ للنّبأة أسماعها ... إصاخةَ النّاشد للمُنْشِد(٤)

جُرَزةُ أذيال ، لكن على دَمَال وأبوال(٥) ، لا كجُرْزنا الموالي للإهوال ، وإعلام الأشبال منّا للاحتيال ، بريش الرِّئال(٦) .

أبقتْ بنى الأصفر المصفرّ كاسمهم ... صُفْرَ الوجوه وجلّتْ أوجُهَ العربِ(٧)

آنِفًا يا حَضَاجِر(٨) ، يا باردا فى شهر ناجر ، وصفّقت العرب بعاقرة الدّنان ، وقُيان القيان ، والآنَ فخرتَ عليهم بالنّبيذ والسّميذ ، والجدى الحَنيذ ، لم لا تفاخر بالتّطبيخ والوقيذ ، وأكل الهبيّة بعد التشميذ(٩) . وأمّا حينئذ

---

(١) يقال دب له الضراء ، ودب له الخمر ، إذا ختله وخدعه . وما واراك من أرض فهو الضراء ، وما وراه من شجر فهو الخمر .

(٢) اقتباس من الآية الكريمة . والقصر ، بالتحريك قراءة ابن عباس وابن جبير ومجاهد والحسن وابن مقسم . تفسير أبي حيان (٨ : ٤٠٧) في سورة المرسلات .

(٣) العرض ، بالكسر : الرائحة .

(٤) للمثقب العبدي في الكامل ٦٣ ليبسك والبيان (٢ : ٢٨٨) . وانظر شروح سقط الزند ٣٧٦ والأمالي (١ : ٣٤) . وصواب الرواية : « يصيخ للنبأة أسماعه » ، لأن قبله في صفة ثور :

كأنما ينظر من برقع ... من تحت روق سلب مذود

(٥) الدمال ، كسحاب : السرقين ونحوه . وفي الأصل : « ذامال » ، تحريف .

(٦) الرئال : جمع رأل ، وهو ولد النعام .

(٧) لأبي تمام في ديوانه ١٢ .

(٨) حضاجر : اسم للذكر والأنثى من الضباع .

(٩) التشميذ ، لعل المراد به الانتفاخ . وأصل الشمذ رفع الذنب والإزار .

الجِداء والحُملان ، وكُوم متون الجِفان ، فلنا منها البضيع بعد الذَّكاة والسَّديف ، والوشيق المسرهد والقدير المعجّل والشّواء الصّفيف .

لنا الجفَنات الغُرُّ يَلمَعن بالضُّحى وأسيافُنا يقطُرْن من نجدةٍ دما[1]

وأما القِيان والقُنيان ، والمعاقرة والدِّنان ، فنحن اخترنا صِرفَها ، واختبرنا ٣٧ ب
صفوها وعَفْوها ، وأخذْنا في الجاهلية وصفَها ، وأهدينا أنفاسَ النسيم شذاها وعَرفها ، ومنكم غارس حُبْلها وآبرها ، ومنقّحها وزازرها ، وسالف سلفها وعاصرها ، ومنّا أبو عُذْرها وفاطرها ، ومديرها بحديث الرُّكبان ومعاقرها ، تدوسونها لنا بالأرجل ، وتقلونها قبل حلول الأجل ، ثم تجلبونها من جُوَاثَى والرَّسّ ، وتَسبونها من قُطْرُبُّلَ وبيت رأس ، وتجهّزون بها بنانكم بأكواب الساج ، ومدارع الدِّيباج ، فيرشُفنها بالشِّفاه قبل الزجاج ، وبهذا توفّرت على ضغنها في المِزاج ، وأخذَتْ من رءوسنا ثأرَها عند أرجل الأعلاج ، فلنا الحَلْب ، وعليكم الجلْب ، ومنّا الأجر ، وإليكم التَّجْر ، ومن بضائع القهر ، ثمن البُضْع والشُّكر ، وكالئ المهر[2] .

مُستردَفات فوقَ جُردٍ أورَتْ آكفالُها من رجْعِ الأكفالِ

ولا حَرَب ، أن شدهت العرب ، بربّات الشنوف ، وولِهتْ بوُطْف الجفونِ وذُلْف الأنوف ، ودُلِّهتْ بعزْف القيانِ والشُّرب بالنُّغَر التشوُّف .

فإذا ما شربوها وانتشَوا وَهَبوا كلَّ جَوادٍ وطِمِرّ[3]

ثم راحوا عَبِقٌ المسكِ بهم يُلحفون الأرضَ هُدّابَ الأُزُرْ

لهم عُرف النَّسيب والتشبيب ، وعليهم وُقف التَّسهيد والتعذيب ، ولهم

---

(١) لحسان بن ثابت في ديوانه ٣٧١ .
(٢) الكالئ : النسيئة المتأخر .
(٣) لطرفة بن العبد في ديوانه ٦٨ .

الجآذر في زيّ الأعاريب[1] ، شُهروا بالحبّ والجوى ، وحُيّروا بالتحرّق للتفرّق والنوى ، وعزّوا الموت كرماً وذلّوا الهوى . ثم حَدَوا الرَّكبَ بالحنين والإرزام ، وعارضوا السُّحبَ بحبيى عروة بن حزام[2] ، بكَوا الديار ، وندَبوا بصدق عُهودهم الطُّلولَ والآثار ، وحَمَوا الذِّمار ، وردُّوا أيديَهم عن حُرمة الجار .

قومٌ إذا حاربوا شدُّوا مآزرَهم   دونَ النِّساء ولو باتت بأطهار[3]

رَضُوا لِفضل النَّيل بفُضول الغَبوق والقيل ، وتبرّءوا من رَضاع الغَيل[4] ، ولم يعرفوا غيرَ داعي النَّداء وزَجْر الخيل . ٣٨ / ١

أضاءت لهم أحسابُهم ووجوهُهم   دُجَى الليل حتّى نظّم الجَزْعَ ثاقبُه[5]

أرزاقهم في السُّمْر والإسآد ، وإنفاقهم من أكُفّ الآساد .

والليث حيث ألبّ من   أرضٍ فذلكَ له عرينُ

أنِفُوا السياحة والفلاحة ، وأنفوا الاستباحة لامتلاء الراحة ، ملكوا الأرض وما ملكتْهم ، وتخيّروا البقاعَ فما تهكّتْهم ، منازلُهم من المعمورة بمكان الثُّرَيّة ، وحظُّهم من الفَلَك رأسُ المَجَرّة ، أغناهم من الأعمال المدَنية ، والمَلَكة البدنيّة ، إيضاع الشَّدَنية ، وإنضاء النّاقة الفَدَنية ، طلباً للاعتزاز ، وضرباً في مجاهل الأرض للابتزاز ، وكفاهم عارضَ النَّسرِ ، وأرضَ الرَّمس[6] ، إيثارُهم على النّفس ،

---

(١) فيه لمحة إلى قول المتنبي :

من الجآذر في زيّ الأعاريب   حمر الحلي والمطايا والجلابيب

(٢) فيه نظرة إلى قول المتنبي :

فكأن كل سحابة وكفت بها   تبكي بعيني عروة بن حزام

(٣) للأخطل في ديوانه ٢٠ وشرح شواهد المغني ٢٧٠ .

(٤) الغيل : أن ترضع المرأة ولدها على حبل .

(٥) البيت لقيط بن زرارة في الحيوان (٣ : ٩٣) والشعراء ٦٩٢ . ويروى أيضاً لأبي الطمحان في الحماسة ١٥٩٨ بشرح المرزوقي والكامل ٣٠ ليبسك والوساطة ١٥٩ .

(٦) الأرض : الرعدة والنفضة . والرس : أول الحمى .

والاستقبالُ بأبنيتهم مطالعَ الشمس ، تَنعموا بأفلاذ الحَشَا ، والاحتشاء من الكُشَى ، عن الثّأرِيّ لا في القدور ، والتمرىّ لوَهَج التَّنُّور .

بقرصٍ تُصَلّ ظهرَه نبطيّةٌ   بتنّورها حتّى يطير له قِشْر
فأمّا البَهَطُّ وحيتـــــانُكم   فما زِلْتَ منها كثيرَ السَّقَم[1]
وَسَكّنُ الضباب طعام العُرَيب   ولا تشـــتهيه نفوسُ العَجَم[2]

تُوقِف الطِّباعَ على الصَّبِر والخلاصة ، وتُوقِي به شُحَّ النَّفس والخَصاصة ، يسوا كالنَّهمة الحَقَرة ، الأكلة الحَقَرة ، حَقَرة الجفان ، وحَقَرة الأعناق للنيران ، أعدُّوها للتَّحصين ، لا للتحسين ، وأوقَدُوا بها على الطِّين للبطين ، لا للمُوطِين ، إذ لم يُغْنهم القَهْرُ عن الحَصر ، ولا عَقْد الجسر عن الأسر ، أهجانهم العُرْبانُ ، القربان ، عن الانتفاع ، بالتِّفاع ، والاعتصام ، بالأعصام ، والاحترام[3] ، بالأحرام .

ولذاك كانوا لا يَغْشَوْن الوغَى   إلّا وقد علموا مكانَ العرب   ٣٨ ب

وأما القُسُل ، والمُشُل ، فقدأجلّها الله عن افتراسكم واحتراسكم ، وطهَّرَ النخلةَ عمّتنا من أدناسكم ، ويَخْرِ أنفاسكم ، وحبا العربَ بها عُجالةَ صائمهم ، ولُهْنة طاعمهم ، ونقيعةَ ضَيفهم ، وفاكهة شتائهم وصيفهم ، تُحفة الكبير ، وصُنَّته الصغير ، وتَخرِسةُ مريمَ ابنةِ عمران ، من الرّاسيات في الضّحل ، الراسخات في الوحل ، المطعمات في المَحْل[4] .

---

(١) الشعر لأبي الهندي ، كما في الحيوان (٦ : ٨٨ — ٨٩) . وانظر محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٣) والفصول والغايات ٤٧١ والمخصص (١٦ : ١٧/٨٣ : ١٠) . والبهط : الأرز يطبخ باللبن والسمن ، معرب من الفارسية عن الهندية . انظر تحقيقه في حواشي الحيوان . ورواية الحيوان : « فما زلت منها » .

(٢) العريب بالتصغير : العرب . قال ابن منظور : « صغرهم تعظيما » .

(٣) الاحترام ، أراد به أنه دخل في حرمة لا تهتك . والمعروف « الإحرام » .

(٤) وصف النخلة هذا ينسب إلى أبي خشة ، وهو عبد الله — ويقال عامر — =

فاخراتٌ زروعها في ذُراها   وأغاضَ العَيدانُ والجبّار

فأينَ صنيع قومك الجِلّة ، من صنيع مُحرِق البقر والجِلّة ، لما أمّنوا اللّهفان ، وخوّفوا أسدَ خفّان(١) ، وأنت نارُهم الغضى والألاء(٢) .

ضرّبوا بمَدرجةِ الطّريقِ قبابَهم   يتقارعون بها على الضّيفان

لم يبقَ إلّا الجِلّة والبقر ، أو خالفةُ طِرافٍ من أدمٍ أو بيتٍ من الشَّعَر ، خلّوا فحلّوا ، وعقّوا وعُقِّلوا .

* هنالك إن يُستَخبَلوا المالَ يُخبِلوا(٣) *

قنِعوا بالجِلّة عن الجليل ، ومن الحُلّة بالشّليل(٤) ، وبالخُرزة عن المُوَرَّد ، وبالحَلَق عن الخِرَق ، والسّندس والإستبرق ، من كلّ مدبّج .

سَتْرُ الفتـــى بإهابه   أولى من السِّربالِ

ما أكلَ ذو جارٍ لم بهواه(٥) ، ولا استأثر على مَن حلّ ربعه وثوّاه(٦) ، متى جاع أشد أمّ مثواه ، أيا ابنة مالك وابنة عبد الله(٧) :

= بن ساعدة بن عامر الخزرجي . الأمالي (٢ : ٥٨) . وإلى عبد الرحمن بن حسن النجاري . التنبيه للبكري ٩٥ . وإلى خالد بن صفوان . اللسان (خرس) . والخرسة : طعام النفساء .

(١) خفّان : مأسدة قرب الكوفة .

(٢) الألاء : شجر يبض ، واحدته ألاءة ، ويسمى كذلك ما دام رطبا ، فإذا يبس فهو الخاظ .

(٣) صدر بيت لزهير في ديوانه ١١٢ ، وعجزه :

* وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا *

(٤) الحلة ، بالضم : القميص والإزار والرداء . والشليل : غلالة تلبس فوق الدرع .

(٥) بهواه ، أي بما يهوى ، والمعنى أنه يخضع لجاره فيما يطعم ، يحكمه في ذلك ، مبالغة في رعايته . في الأصل : « ذو جارهم بهداه » .

(٦) يقال ثوى بالمكان وثواه أيضاً .

(٧) نظر إلى قول حاتم الطائي — وليس في ديوانه — :

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك   ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد

الحماسة ١٦٦٨ بشرح المرزوقي . والبيت التالي هو قرين هذا البيت .

إذا ما صنعتِ الزادَ فالتمسى له ... أكيلاً فإنى لستُ آكِلَهُ وحدى

هذا المجد السرىّ ، والفخر الحرىّ ، والنسب العُرْمىّ ، لا ما تقوّلتَه خلاك الله ولها أباك ، وحيّا من أباك ، بين نحرٍ بالقديم ، الشُقرى للأديم ؛ أغضيتَ فانتبهْ ، « مَن يطُلْ أيْرُ أبيه ينتطقْ به » .

أتبغض جوهَرَ العربِ المصفّى ... ولم يبغضْهمُ مولًى صريحُ

فما لك حيلةٌ فيهم فتُجدِى ... عليكَ بل تموتُ فتستريحُ ٣٩/أ

أما لكَ فيهم بعد الملوك العاربة ، والكواكب الطالعة الغاربة ، من الثمودية والعادية ، والطَّسْمية والجديسية ، والوَبارية[1] والأُميمية ، ما يقرع صَفاتك ، ويقمع بماء الملام صفاتك ، إلى خالفة من المتعرّبة[2] خلقتْ خِلاقها ، وارتضعتْ فى البأس والجود أخلاقَها ، وإن كانتْ من جمكم كالبعرة فى البيداء ، والشّعرة البيضاء فى اللّمّة السوداء ، حطّت ذُرا كم من اليفاع ، وخطّت فى صدوركم بخُطَى الخطّىّ لا باليراع ، يستبِلُّون من أنسِئة الآجال[3] ، ويَنْهدون إليكم بقلوب أسدٍ فى صدور رجال ، أقلامهم الردينيّات واليزَنيات ، وصُحُفهم المشرفيّات والسُّرَيجيّات ، ولحقهم الوضاء الداوديّات ، وسُرُرهم المقرّبات الغُرّ الأعوجيات .

إذا ركبوا الخيلَ واستلأموا ... تحرّقت الأرضُ واليومُ قُرُّ[4]

بروكاتهم لا بروايتهم ، وبراياتهم لا بإدراتهم[5] ، نصَبوا الأحياء ، وتسبوا الأشياء ، وشقّقوا الأسماء ، وتسموا على حصص البروج السماء ، فوصفوا النجوم ،

(١) نسبة إلى « وبار » . وفى الأصل : « الأبارية » ، تحريف . وانظر البيان (١ : ١٨٧) ونهاية الأرب (٢ : ٢٩٢) .

(٢) المتعربة هم بنو قحطان بن عابر الذين نطقوا بلسان العرب العاربة وسكنوا ديارهم . نهاية الأرب ٢ : ٢٩٢ . وفى الأصل : « المتغربة » ، تحريف .

(٣) الأنسئة : جمع نسىء ، بمعنى مؤخر . ويستبلون ، أى يبلون . عنى أنهم يكرهون الآجال المؤخرة فهم يستعجلون الموت .

(٤) لامرىء القيس فى ديوانه . (٥) فى الأصل : « وبرياتهم لا بإدارتهم » .

وعرّفوا الرُّجوم[١] ، وزجروا السَّانح والبارح ، وأثاروا الصيد وعلّموا الجوارح ، ثمّ كَرَوْا نهر مِهْران[٢] ، وبنوا قصر غُمْدان ، وحَدَوْا بالرَّكب المُنْخُل من وَدَّان[٣] ، فجابوا الأقطاب ، واجتنوا الرُّطاب ، ومدّوا الأوطاب ، وميّزوا التَّوكيت والتذنيب والإرطاب[٤] ، وانفردوا بالحكمة وفصل الخطاب .

سُوَرُ القُرآنِ الغُرُّ فيهم أُنزلت ولهم تُصاغ محاسن الأشعار

قد كان يكفي بإذاتَ النَّحيين ، وكَبوح الحيَّين[٥] ، في بعض محاجّاتك ، وعُرْض مداجاتك ، أن هذَّذْتَ شفتيك بلحنك للاخوري ، وأنفذتَ حِضْنَيك بغثّات أبي العلاء المعرّي ، فأقت فيها صنافك بالحرف العليل[٦] ، وبُقّيتَ فوق ميتفاك بالنّم[٧] ، ما هو أقلُّ من القليل ، فأزحتَ[٨] من فشلك وخولك ، وأبحتَ هجوك وشتم رسولك ، ثم شكوتَ قتار حالك ، وأبنتَ واهيَ تركك بزُور انتحالك ، فحسبُك بها بإذا العَضْب فرضاً وجزاء[٩] ، وانتهاء إلى النهاية لا أبا لك واعتزاء ، واقتساماً لأدْيك[١٠] بيد التدمير أجزاء . ٣٩/ب

---

(١) في الأصل : « الرجوم » ، تحريف . والرجوم : النجوم التي يرمى بها .

(٢) كروا : حفروا .

(٣) ودان : موضع بين مكة والمدينة . وفي معجم البلدان : « وقرأت بخط كراع الهنائي على ظهر كتاب المنضد من تصنيفه : قال بعضهم : خرجت حاجا فلما جزت بودان أنشدت :

أيا صاحب الحيات من بعد أرثد إلى النخل من ودان ما فعلت نعم

فقال لي رجل من أهلها : انظر هل ترى نخلا ؟ فقلت : لا . فقال هذا خطأ ، إنما هو النحل . ونحل الوادي : جانبه » .

(٤) التوكيت : أن يصير في البسرة نقط من الإرطاب . وفي الأصل : « التركيب » ، تحريف . والتذنيب : أن يصير فيها نكت من الإرطاب من قبل ذنبها .

(٥) كبوح ، لعلها « نبوح » ، وهو ضجة القوم وأصوات كلابهم . والنبوح أيضاً : جماعة النابح من الكلاب .

(٦) إشارة إلى قول أبي العلاء وقد سبق في نهاية رسالة ابن غرسية :

وزنت الوزن وهو أصح وزن يقام صفاه بالحرف العليل

(٧) بقيت : أعنت على ما تبغي . وفي الأصل : « بغت » .

(٨) في الأصل : « فأرحت » . (٩) العضب : اللسان الذليق . يتهكم به .

(١٠) في الأصل : « لأديك » .

إنّ العبيـــدَ إذا أذللتَهم صلحوا   على الهوانِ وإن أكرمتَهم فسدوا

لماكَ ، لا لما لك ، فضحكَ اليمّ ، أوصبحكَ النّيمّ ، فندمتَ على بادرةِ خذلانك ، وسقطات لسانك ، وهببتَ من غفوةِ التأسّي ، أو للتأسي ، وقلت مَن الأسى ، من حزّ هذه التواسي ، لياذاً بالإسار ، من دعوة الأمصار ، وعياذاً على الإعلان والإسرار ، من مستكِنّ الكفر والإصرار ، وتيمّم الهاشميّين بدعوة أبي عُبيدٍ المختار ، والتعشّم بسيدنا ونبيّنا محمد المختار .

« متى كان الخيامُ بذي طلوح[1] » ، أو جمعنا الرَّحم في سام بن نوح ، أعْرَضَ عليكم ثوبُ الشَّلْبَس[2] بالتحامل على يافث ، والتراخي في الإلحاق به على القائف والنافث ، وإلّا أيُّ عيصٍ إلينا ضمّكم ، أو بأيّ بركةٍ خصَّكم صلّى الله عليه وسلم أو عمّكم . ما عمّك ، من أعمّك ، ولا ذمّك من أذمّك[3] ، وعمّك وأخّك ، وقتل أباك وسبّك وأمّك . ابن عمّكم الطاغوت وسيّدكم البَرْهَمنُ والبَرَهوت[4] ، شتّانَ ما بين النجوم الطّارقة والشموس الفارقة ، وبين سُقّاط الجرامقة ومُقّاط الأفارقة[5] ، الوُضْر الأخذال ، والبُخْر السُّبال ، لا غُسْلَ ولا طهارة ، ولا نظافة لطامثٍ ولا عِطارة .

قومٌ إذا جرّ جاني قومهم أمِنوا   من لؤم أحسابهم أن يُقتلوا قَوَدا[6]

(١) صدر بيت لجرير في ديوانه ٤١٢ . وعجزه :
* سقيت الغيث أيتها الخيام *

(٢) يضرب مثلا لمن كثر من يتهمه . الثلبس : التطفل ، وهو التهم .

(٣) أذمه : وجده ذميا . وفي الأصل : « أزمك » ، تحريف .

(٤) برهمن ، هو الذي ينسب إليه مذهب البراهمة الهنود . جاء في دائرة المعارف الإسلامية أنه ملك مترهب عالم ، عقد مجمعا من الحكماء وسن بمعونتهم قواعد الدين ، كما وضع نظرية الأدوار الفلكية واخترع أرقام العدد . . . وأما البرهوت فهو واد بحضرموت يحفه جبل بركاني عند سفحه بئر تعرف ببئر برهوت ، يذكرون أن أرواح الكفار تأوي إليه . دائرة المعارف الإسلامية ومعجم البلدان . وانظر أيضا مروج الذهب ١ : ٧٩ .

(٥) اللاقط ، مولى المولى .

(٦) الحكم بن زهرة ، أو عويف القوافي . انظر ما كتبت في حواشي الحماسة بشرح المرزوقي ٢٤٩ .

لأ ناصرٌ أهلَ أمّ القُرى	لأمّ الذَّبيحِ ألا ناصرُ(١)
أُسامرُ نجدًا ومَن بالصَّفا	وإن لم يكن بالصَّفا سامرُ
وإلا فأين حِمى يعربٍ	حفائظُ لم يَحمِها عابرُ(٢) ٤٠/١
فيا للرضيِّ وأبنـــائه	ومَن وَلدت أمُّه هاجرُ(٣)
وللعُرب أعراقِ زَنْدِ الثَّرى	أكابرُ أورثَها كابرُ
أضحَتْ قُصَيٌّ وأخلافها	ونصر وعامرُها الجادرُ(٤)
لملوكِ فتىً أخي غَيْبةٍ	لتسيير أبٍ مُلحدٌ كافرُ
يهزُّ بدانيـــــةٍ أعظمًا	بمكّةَ قد ضمَّها قابرُ
وخالِصُها في ثرَى طيبةٍ	نبيُّ الهدى القمرُ الزاهرُ
تَفتقي الجماجمَ من هاشم	ومن تَيْمَ عمرٍو أو عامرُ
وهرَّت جفوني كأسَ الكرى	وسحَّ بها دمعُها الماطرُ
لئن لم أجاهِدْه لا جَرَّ لي	قنا الخطِّ في الصُّحْفِ الخاطرُ
أبا عبدَ عبدٍ ألا تستحي	ولا لكَ دون النُّهى زاجرُ
مَواليك أخسرتَ من شأنِهم	ستَعلم ويلكَ من الخاسرُ
فإنْ تنجُ منّي بنَزْعِ الشَّوى	كما أبَقَ الضَّبعُ الباسرُ(٥)
فما في ضُلوعك من نُطفةٍ	وماء السكراض دمٌ مائرُ(٦)

---

(١) أم الذبيح، يعني بها هاجر.

(٢) عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

(٣) يعني أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت.

(٤) يعني عامر الأجدار، وهم بطن عظيم من كلب، وهو أخو عامر بن صعصعة لأمه. انظر حواشي شرح المرزوقي للحماسة ٣٤١. وفي الأصل: «الجاذر»، تحريف. وفي اللسان (جدر) أنه سمي بذلك لسلع كانت في بدنه.

(٥) في الأصل: «كما أنف».

(٦) السكراض: ماء الفحل. في الأصل: «لما في ضلوعك».

هَلاَّ طمعت يا مصر ، يا آكل الأشلاء لا يُخيل ضوء القمر ، في استدراك المقال ، والانفكاك من هذا المقال . كلاّ لو تجلو معيارك ، وتمحو طومارك ، وتقلّم أظفارك ، وتنزع صلبانك وزُنّارك[1] ، وتُمعِن سبالك ، وتنصب قذالك ، وتقول ذالك ، وتجمل الخصل كلّه للعرب ، والفضل الجمّ على القرَب . كفاك أنّ منهم آساد الله ، وضراء الله ، وسُيوف الله[2] ، ولهم بيتُ الله ، وفيهم رسولُ الله ، وعترتُه أولياء الله ، أئمة الهدى ، وتتمة البأس والنّدى ، وخيرُ من انتعل وارتدى المؤثرون على أنفسهم ابنَ عمّنا صدقا ، وهادينا ومرشدنا وسيدنا حقاً ، سيّد ٤٠ / ب
البشر ، وخاتم الرسل في مُحكم الزُّبُر ، شفيع هذه الأمّة ، وحاديها إلى عِلّيين في خير أمّة ، سَقيَ يوم العَرْض ، وإمام أهل السموات والأرض ، منتهى لَبِنة الأحساب ، في الأحساب ، الناطق بكلامه داعى أهل الجنة ومنادى الحساب ، الحاشر العاقب ، الشّهاب الثاقب ، السابق الغالب ، المتخيَّر من ذؤابة لؤى بن غالب ، الذى به نَسخْنا ملّتكم ، وفسخنا مُتْعتكم ، وكسّرنا صُلُبَكم ، وغوّرنا قُلُبَكم ، وطهّرنا بِيَعَكم ، واستظهرنا قِلَلَكم ، واستوطأنا نَضائدكم ، واستبطنّا ولائدكم .

أُهيلِن عن شد البُرَى ولطالما غودرن أن يمشين غير مجال

بهذا النبيّ الأمىّ ، السيّد العربى ، تفاخر البشر ، وتكاثر المطر ، وتناظر الشّمس والقمر ، صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وأصهاره ، وصحبه وأنصاره ، وحزبه ، ومن مات على حُبّه ، كِفاء العجّ والثجّ ، والملبّين بالحج ، وسلام الله ورضوانه على سلالته الطاهرة ، ووارث ملّته المنصورة ، الإمام الهدى أبى عبد الله

---

(١) الصليب والزنار مما كان يتميز به المسيحيون . وفى الأصل : «طابانك» . وانظر ما ورد من كثرة اقتران الصليب بالزنار فى الديارات للشابشتى ١١٣ ، ١٣٢ وما أنشد من قول أبى نواس :

وبالصلب العظيمة حين تبدو والزنار فى الخصر الدقيق

(٢) كان يقال لحمزة بن عبد المطلب : أسد الله . ثمار القلوب ١٦ . وفى اللسان (ضرا) : «وفى الحديث أن قيدا ضراء الله» . والمعنى أنهم شجعان ، تشبيها لهم بالسباع الضارية . وكان يقال لخالد بن الوليد : سيف الله ، سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسن آثاره فى الإسلام ، وصدقه فى قتال المشركين . ثمار القلوب ١٦ .

محمد بن عبد الله القرشي العلوي ، الفاطمي المهدي(١) ، وخليفة أمره العليّ ، ومقامه القرشي ، سيّدنا الإمام الرضيّ العربي ، المضري القيسيّ أبي محمد عبد المؤمن بن علي(٢) . والدعاء لحفظة سرّه النبويّ ، وخلافة أمره الدينيّ والدنياوي وأسدّ الله حضرةَ مولانا أمير المؤمنين سيدنا الإمام أبي عبد الله الرضي ، الشاب التقي ، الناصر لدين الله العلي ، بمواد النصر الحقي ، والنصر القصيّ ، وسائر العترة المهتدين ، والسّادة الأكرمين ، والعصابة الموحّدين(٣) ، ورضي الله عنهم أجمعين ، عدد الذرّ والرمل ، والطلّ والبغش ، والملائكة الحافّين من حول العرش ، ما رسا ثبير ، وعسا ديجور(٤) ، وسمر ابنا سمير ، وسلّم تسليما .

يا باحثاً بالظلف عن حتفه — أذكرت أشياعك من ناسا
لا تمرِ أخلاف الردى ضلّةً — إن مسح الإبساس إيناسا(٥)
وميزْ قرارَ الحق من نوسه — فليس من قرّ كمن ناسا(٦)
أعداك جهل النجم مُحيا بها — فأوّسي يا عَسير ترى الناسا(٧)

والسلام على من رضيَ الإسلام ، ووحّد السلام ، وأبدى الاستسلام ، ٤١ ب ورحمة الله وبركاته .

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن تومرت ، المسمى بالمهدي . ولد بسوس ورحل إلى المشرق سنة ٥٠١ في طلب العلم وانتهى إلى بغداد ولقي أبا بكر الشاشي والمبارك بن عبد الجبار ، ويقال إنه لقي الإمام الغزالي بالشام . ثم قام بدعوته في المغرب سنة ٥١٤ . ولد سنة ٤٨٥ وكانت وفاته سنة ٥٢٤ . المعجب ١١٥ وابن خلكان (٢ : ٣٧ — ٤١) .

(٢) كان عبد المؤمن بن علي هو الساعد الأيمن لمحمد بن تومرت ، وقد ولي الأمر بعده واستولى على وهران وتلمسان وفاس وسلا وسبتة ومراكش . ولد سنة ٥٠٠ وتوفي سنة ٥٥٨ . المعجب ١٢٥ وابن خلكان (١ : ٣١٠ — ٣١١) .

(٣) انظر تعريفا دقيقا لهؤلاء القوم ، في المعجب ١٣٠ ، ٢٢٥ .

(٤) عسا الليل : اشتدت ظلمته . والديجور : الليل المظلم .

(٥) في الأصل : « ظلة » ، تحريف . والإبساس : صويت الراعي يسكن به الناقة عند الحلب .

(٦) الميز : التمييز . وفي الأصل : « ومن قرار » . والنوس : التذبذب والاضطراب .

(٧) أوس : زجر العنز والبقر .

رسـالة ثانيـة

في الرد على ابن غرسية

رسالة ثانية في الرد على ابن غرسية(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما

أيةَ نارٍ قدحَ القـادحُ وأيَّ سهمٍ فوقَ الـكاشحِ(1)

• إحـدَى لياليكِ فهيسي هِيسي(2) •

لشدّ ما استهواك أيها الشُّعوبي شيطانُك ، والتفّت على نَزَغك أشطانك ، أدرَيتَ ، حين زرَيتَ ، أيَّ أديمٍ فريت ، وأيَّ ظهر المكارم اعروريت ، رمَيتَ بكلّ أفوقَ ناصلٍ رَمِيّ(3) ، وأوضحتَ غير جليّ ، وراهنتَ على الجحاش كلَّ سبّاقٍ أعوجيّ ، من الأُدْم ، القُدم ، ليسوا بعُجْهُبٍ خُرْس ، ولا عجوسٍ فُرْس . أعِدْ نظراً في الأمم العادية ، والأجيال الجُرهُمية ، والجبابرة الطَّسمية ، والعماليق الغُلْب الإرَمية ، ما يروعك ، ولا يُفرخ له رُوعك . وفي مضرَ الحمراء وأقيال عدنان ، والتَّبابعة من يعرب بن قحطان ، وأبرهةَ ذي المنار ، وعمرو ذي الأذعار ، ما يوقظك من سِنَة هواك ، ويحجزُك عن باطل دعواك ، أنوف شُمَّخ ، وجبال رسَّخ ، ومجد تليد ، وعزّ مشيد .

رسا أصلُه تحتَ الثّنا وسما به إلى النَّجم فرعٌ لا يُنالُ طويلُ(4)

(*) انظر ما سبق في التقديم ص ٢٣٢ .

(1) البيت لأبي نواس في ديوانه ١٩٢ والبيان (٣ : ١٩٨) . وانظر الحيوان (١ : ٩) والرواية فيها جميعاً : « وأي جد بلغ المازح » .

(2) هاس هيسا : سار . والرجز في المقاييس واللسان (هيس) ومجالس ثعلب ٢٩٣ والمخصص (٧ : ١١٣) . وبعده :

• لا تنعمي الليلة بالتعريس •

(3) الأفوق : السهم المكسور الفوق وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . والناصل : الذي سقط نصله .

(4) للسموأل بن عادياء في الحماسة ١١٤ بشرح المرزوقي ، برواية : « تحت الثرى » .

اخسأ فلن تعدوَ الأصفريةُ أقدارَها ، ولن تصدم المجوسُ نارها . أرومتنا إسماعيلية نبويّة ، لا عيصوية أصفرية(١) ، حُرِم أبوكم بين ذويه ، دعوة إبراهيم أبيه(٢) شَايَخ لها من النبوّة سلخ الأديم ، وعُدِل بها عن الحنيفية ملّة إبراهيم ، فما أنتَ والفخرَ بالقديم ، إلّا كدابغةٍ وقد حَلِمَ الأديم . منّا الحي القّاح ، أولو النَّجدة والسَّماح ، لمّا عدت عليهم عَوادى الزمن ، تفرقوا عن سيل اليمن ، أيادىَ كما انتشر القَيل ، وانحدروا إلى أطوار الشام قُدُماً كما انحدر السَّيل ، فحلوا ، ربما استقلّوا(٣) .

والليثُ حيثُ أَتَبَّ من أرضٍ فذاك له عرين(٤)

٤١ ب فحين سمّيتموهم الأساورة رموكم بسهم ما أخطاكم ، وأخذتم من جذع ما أعطاكم(٥) ، مُجدٌ ، نُجُد ، إن نازعتم فيدُنا الأقوى ، [أ] وفاخرتم فالكرم التّقوى(٦) ، ما شُبنا خِنزيراً ولا عَبدنا ناراً ، ولا عقدنا على الذُّلِّ زُنّاراً ، بل ملكنا ، نفوسنا ونفسنا(٧) ، على الأملاك ، للملوك ، حتى أنفذ الله حكمه في الدّعوة الإبراهيمية فأمّها ، ولأمّ بها عباديد العرب ولَمَّها ، فحين نظمها من الدِّين ناظ ووضح لها من الإيمان معالم ، وثوّب بالفَلاح مُناديها ، وتطاولت إلى هاديه هواديها ، أتيمّنكم الخيلُ دوائس(٨) ، عقباناً تحت أسدٍ عَوَابس(٩) ، فقتلت

---

(١) العيصوية : نسبة إلى عيصو ، وهو العيص بن إسحاق عليه السلام . وفي نهاية الأرب (٢ : ٣٢٢) : « وولد روم بن العيص بن إسحاق بني الأصفر ، لأن روم كان رجلا أصفر في بياض ، فلذلك سميت الروم بني الأصفر » . وانظر سفر التكوين ٢٥ : ٢٤ — ٢٦ .

(٢) في سفر التكوين أن الذي بارك يعقوب وحرم عيصو أخاه الأكبر إنما هو إسحاق بوهما . الأصحاح ٢٧ : ٢٢ — ٤٠ .

(٣) الاستقلال : الارتحال . (٤) سبق في ص ٢٨٣ .

(٥) إشارة إلى المثل : « خذ من جذع ما أعطاك » . وانظر ص ٢٣٧ لتقف منه أيضا إلى ما ورد في ص ٢٣٧ من دلائل تعزز نسبة الرسالة ، وكذا ما في ٢٩٨ س ٤ .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

(٧) كذا وردت العبارة .

(٨) في الأصل : « دوامس » ، تحريف . وفي اللسان : « أتتهم الخيل دوائس ، أى يتبع بعضهم بعضاً » . (٩) في الأصل : « عوابس » ، تحريف .

عروشَ أنو شِروانكم وقباذكم ، وفَلّتْ غربَ يَزْدَجِرْكم وشَهْرِيارِكم[1] . وسدُّوا مسالككم ، وخلعوا خَلْعَ الحائل ممالككم ، وحطُّوا عن مفارقكم تيجانكم ، ونسخُوا فِصْحَكم ومهرجانكم ، وورثوا أرضكم ودياركم ، وأطفئوا بنور الله ناركم ، أصِخْ أيها القُمر ، فقد آن لك أن توقد بصيرتك مدارجُ العمر[2] ، فذكِّرْ قتلى باليرموك وجبَتْ جنوبُها ، وأشلاء بالقادسيَّة عصَفَتْ عليها من النون هَبُوبها[3] ، تهافتوا علينا أمثالَ الدَّبا ، لم تُغنِ عنهم الأسنَّة ولا الظُّبا ، فتعلمَ أن البأسَ للعرب ، وأن النَّبعَ ليس من الغَرَب[4] .

ولم أرَ أمثالَ الرِّجال تفاوتُوا على المجد حتَّى عُدَّ ألفٌ بواحدِ

هم طردوكم عن أكناف الشَّام ، ورُستاق العراق ، طردَ غرائبِ النِّياق ، وجذُّوكم عن تخوم بابلَ وخُراسان ، جذَّ العَيرِ الصِّلِّيان[5] .

بضربٍ يُزيل الهامَ عن مُستقرِّه وطعنٍ كإيزاغ المخاض الضَّوارب[6]

مُنكَرٌ ، نُكَرٌ ، لم يتَّخذوا القصور وُكورا ، ولكن مَذا كَ ذُكورا . بنيتم بالشِّيد وبنَينا[7] وأحدقتم بالحيطان ، وأحدقنا بعوالي المُرّان ، وألِفتم الأبنية والأندية ، وجُبنا في طلب العزِّ الهامةَ والأودية ، وأذَلتم الدبابيج والمِرس[8] ، وذلَّلنا المناجيج الضُّمَّر ، جُرْزةُ عَوالٍ[9] ، وبدُّة نوال .

---

(١) في الأصل : « شهر باذكم » ، تحريف . وانظر ما سبق في ص ٢٨٠ .
(٢) في الأصل : « القمر » .
(٣) الهبوب : الريح تثير الغبرة .
(٤) انظر ما سبق في ص ٢٩٠ .
(٥) الصليان : ضرب من الشجر . (٦) النابغة في ديوانه ٨ .
(٧) لعل هنا كلمة ساقطة يتم بها السجع مع « الشيد » .
(٨) الدبابيج : جمع ديباج ، وهو ثوب يتخذ من الإبريسم ، وفارسيته « ديباه » . ويقال ديباج كسروي . والمرس : ضرب من تقطيع ثياب النساء . وفي الأصل : « الدبابيج والمرس » .
(٩) عوال : جمع عالية ، وهي أعلى الرمح ورأسه ، والعالية أيضاً القناة المستقيمة .

٤٢/١ فما دبَّ إلا فى بيوتهم النـدى ولم تَرْبَ إلا فى حجورهم الحربُ

دِيتم بالراح ، ودنَا بدرَّات القّاح ، فشتَّان بين محظور ومباح (١) . ماذا الإيغال ، فى أبى رغال ، وقد غالَه من الإلْه ما غال ، حين دَلَّ على بيت الله أغربة الأحابش ، كما دلَّت على أهلها براقش ، فهلك وهلكوا ، وحَذَا بهم حادى الرَّدى أيَّةً سلكوا . وضُح ، صُرُح ، لم تُعرِق فينا سُحْمة الحُبْشان ، لجئنا صُفْر الألوان ، ذوى نُطَف أمشاج (٢) ، بين الزُّنوج والأعلاج . أشهد أنَّ الشَّاسانية ، المديعة الإنسانية ، نكحت أمَّاتِها وبناتِها ، وتشبَّهت بالبهائم فى شهواتها ، ألاَّ زجرَهم عنه معقول ، أو دِينٌ عن الأمم منقول ، ذهبوا والله من العار بِغَثِّه ورثِّه (٣) ، وحَلَّ السُّوء بيدأ بأمّه ، ألغزا بالحنيذ ، والنَّبيذ ، هلاَّ بقِرى الضُّيوفِ والسُّنونَ غُبْر ، وعِزَّةِ الجارِ والأسنَّةُ حُمر ، وكرمِ الوفاء إذا استُؤْزِر بالغدر ، وكَتْمِ السِّرِّ حين تجيش مراجلُ الصَّدر .

دع المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها واقعُد فإنَّك أنت الطاعم الكاسى (٤)

أيها الزارى علينا بشان ، أبى غُبْشان ، وماذا على رجلٍ تخوَّف فصَرف على أربابها السِّدانة ، ووفَّى فأدَّى إلى أهلها الأمانة ، دون خُدعةٍ ولا خِلاب ، وجَرىُ المذكِّيات غِلاب (٥) . تُجُمِّع ، رجح ، لا تَطيش بهم الأحلام ، ولا تساجلهم الأيام . فمهْ أيُّها المتعاطى لما لا يُدرِك ، المتشبع بما لا يملك ، المتبجِّح فى دعواه ، كالخصىِّ يفخر بمتاع مولاه . إن حظَّكم من الأسترلوميق (٦) والأرثماطيق ،

(١) فى الأصل : « محظور » ، وهو تحريف حسى .
(٢) أمشاج : مختلطة . وفى الأصل : « ذوعطف » .
(٣) أى بقليله وكثيره . انظر ما سبق فى ص ٢٦٥ س ٢ .
(٤) الحطيئة يهجو الزبرقان . ديوانه ٥٤ .
(٥) المذكى من الخيل : المسن . والغلاب : المغالبة . والمثل يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه فى حلبة الفضل .
(٦) انظر هذا وما بعده ما سبق فى ص ٢٥٩ .

والتعاليمِ المنطقية والموسيقى ، والفنون الفلسفية والجومطريقى — حظُّ الزمان من
من الهرم⁽¹⁾ ، والحُمُرُ من تأليف النَّغَم ، لـكنّها والله أقوى منـكم لَحنًا ، وأقومُ
هَديًا ، وأثقب خواطر ، وأصدق بصائر . تلك علومُ يونان ، ومبادئ كَلْدان ،
ونتائجُ هِرمِسيّة⁽²⁾ ، ونِسبٌ فيثاغورية ، لا ما أثم بنو الأسباء منه متماطون⁽³⁾ ، ٤٢ ب
وفى عشوائه خابطون ، إنّ العرب بأمّيّتها لأدركت بعلومها ، ما أدركته الأوائلُ
بتعاليمها ، أهلُ البيانَ وأربابُه ، لم تُفتحت أبوابه ، ورضت واليَفاع قبابُه ؛ نزل
القرآنُ بلسانها ، فدلَّ على إحسانها .

فلو أنّ السماء دنتْ لمجدٍ ومكرُمةٍ دنت لهم السماءُ⁽⁴⁾

عُتُق صُدُق ، جعلَ الله لها الـكعبةَ البيتَ الحرام قياما ، والحنيفيّةَ السمحةَ
قواما ، وإنّ بيتًا رفعَ منه إبراهيمُ القواعدَ وإسماعيل ، ونطَقَ بفضله التنزيل ،
وسفرَ بين ساحتيه جبريل ، لمَظِنَّةُ خيرات ، ومصبُّ بركات ، ومَنجم آيات
معجزات ؛ مشاعر معظّمة ، ومناسك مكرّمة ، وملتقى آدمَ وحوّاء ، ومَهبِط
الوحى من السّماء ، ذلك بيتُ الله لا بيوت نيرانِكم ، وشعارُه لا شِعار صُلبانكم ،
ومدارس الذِّكر لا مدارس البُهْتان ، ومدارج المَلَك لا مدارج الشّيطان ، إنّ
القرآن ليس بديوانكم ، ولا الـكعبة من زَخاريف إيوانكم .

إنّ الذى سَمَكَ السماء بنى لنا بيتًا دعائمه أعزُّ وأطوَلُ⁽⁵⁾

---

(1) أى ليس لهم حظ من تلك العلوم والفنون ، كما ليس الزمان حظ من الهرم ، فإن الزمان دائم الشباب .

(2) انظر الـكلام على « هرمس » ابن النديم ٤٩٤ وابن أبى أصيبعة ١ : ١٦ — ١٧ والقفطى ٣٢٢ حيث ذكر هرمس الثانى والثالث . وأما هرمس الأول ، وهو هرمس الهرامسة ، وهو إدريس عليه السلام فقد ذكره فى ٦ — ٧ . وراجع ما أسلفت فى حواشى الرسالة المصرية ص ٣٩ .

(3) العرب تسمى بنى الأمة : بنى استها . وانظر ص ٢٣٦ س ١١ .

(4) لأبى البرج القاسم بن حنبل ، فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٦٥٩ .

(5) الفرزدق فى ديوانه ٧١٤ .

بيت فى كِسْرِه اعتلج محمد صلى الله عليه وسلم ودَرَج ، وفيه دبَّ وإلى السماء عَرَج ، ثمرة دوحةٍ زكت فى مُضَر منابتُها ، ونَما فى النَّضر بن كِنانة نابتُها ، ووشَجت إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم أعراقُها ، وتوثّقت من هاشم أغصانُها وأوراقها ، سمت صُعُدا بين السَّنا والسناء ، أصلها ثابتٌ وفرعها فى السماء ، صلواتُ الله عليه وعلى آله الطيّبين الطاهرين ما فاحت الأنواء ، ووُرِدت المياه ، واستغفرَ اللهَ كلُّ منيب أوّاه ، وعلى صحبه وعِتْرته نجوم الهُدى ، ورُجوم العِدى ، الرُّكَّع السُّجود ، القُوّام الهُجُود ، أصحاب الغُرَر والتحجيل[1] ، وحملة التنزيل ، والتلقّة بالتأويل ، ﴿ ذلك مَثَلهم فى التَّوراة ومَثَلُهم فى الإنجيل ﴾ . إليكَ فقد بيَّن الصُّبحُ لذى عينين ، وطبَّق بين الطافقين . فلا تفقَرْ أيها الأثيم الأفّاك ، بقديم بعدها فاك ، ولئن أوجعناك ، فبما قدَّمت يداك . أجلْ ، صديق المرء عقلُه ، ٤٣/١
وعدوُّه جهله ، ولا يحزنْك دمٌ هَرَاقه أهلُه .

تمرّتَ قناتى غمزةً فوجدتَها ... من العِزِّ يأبى عودُها أن يكسَّرا
فإنْ تغضَبوا من قسمة الله بيننا ... فلَلّهُ إذْ لم يُرضِكم كان أبصرا

كملت الرسالة والحمد لله رب العالمين

(١) فى الحديث « أمتى الغر المحجلون » ، أى بيض مواضع الوضوء من الأيدى والوجه والأقدام . وكتب إزاء الكلمة فى الجانب : « والمحجول » . وانظر ماسبق فى ص ٢٦٢ س ٣ لتضمه إلى ماسبق فى ٢٣٧ من دلائل تعزز نسبة الرسالة مشفوعا بما نبهت عليه فى الحاشية رقم (٥) من ص ٢٩٥ .

رسالة ثالثة

في الرد على ابن غرسية

لأبي جعفر أحمد بن الدودين البلنسي

رسالة ثالثة في الرد على ابن غرسية

أجابه بها الأديب أبو جعفر أحمد بن الدودين البلنسي[١]

اخسأ أيها الجهول المارق ، والرذول المائق ، أين أمك ، ثكلتك أمك . أو ما علمت أنك سُحِيت من عِقالك لعُقَّالك[٢] ، وقدّمت أوّل قدمك ، لسفك دمك ، و بسطت مكفوف كفك ، لسلطان حتفك ، وفتّحت شبا أقلامك ، لاصطلامك ، وجريت بجريرك ، لذهاب خُبْزك ، وشققت في قرطاسك ، لشقّ راسك ، فما حقيقةُ جوابك ، على خَطَل خطابك ، إلا صَلْبُك من إهابك ، وصَلْبك على بابك ، ولو كان بالحضرة أقيال ، وحضرك رجال ؟! لتركك بين هَمَج هامج ، ورَعاع مائج ، « مذبذبين بينَ ذلك لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء » . فأقسم ببارئ النسم ، وناشر الأمم من رفات الرِّمم ، لا صيِّرنَّ عليك أيها السخيف ، المضعوف ، على نذالتك ، وفسالتك ، عرضَ البَساط[٣] ، أضيقَ من سَمّ الخياط ، ولأخلّدنّ لك سمراً غابراً[٤] ، ومثلاً سائراً ، أو تُشوّه محيّاك ، وتُحلق [سَبَالك[٥]] من قفاك ، وتحتزم بزُنّارك ، وتلحق بأديارك ، مالك ، ومقرأ لك[٦] ، [و] أسرتك الأرذلين ، وعترتك الأنزلين[٧] ، الصُّهب السبال ، مَن وَلَغ الدم وشُرِّب

---

(١) انظر ما سبق في التقديم ص ٢٣٨ . وفي الذخيرة : « فرد عليه أبو جعفر برقعة قال فيها » .

(٢) عقل البعير : ثنى وظيفه مع ذراعه وشدهما جميعاً في وسط الذراع ، وذلك الحبل هو العقال . والعقال ، كرمان : ظلع في قوائم الدابة . في الذخيرة : « إنما سحبت » .

(٣) البساط ، بالفتح : الأرض الواسعة .

(٤) الغابر : الباقي .

(٥) التكملة من الذخيرة . وفي أصلها : « سبالك » . والسبت : الحلق .

(٦) المقر : حل العنق .

(٧) في الذخيرة : « الأنذلين » .

الأبوال ، أ كَلَة الجيف ، وحَلَة السكُنُف[1] ، « الوُضّح ، الرُّجّح » ، رُجُح
٤٣ ب الأكفال ، وُضُح كذوات الأحجال ، فلله أبوك لقد أجدتَ فى قومك الوَصْف ، وبسطتَ لنا منهم النّصف ، وأنا الآن أنصِف ، وقَدَارك أنصِف . « عُزٌ ، حل » عُزٌ بالتّداوى من القَرَم ، ومَنافع القلم ، حُلٌ عن كلّ مجاوزِ الحُلُم . أ « جُنُح طُنُح » الآنَ صدقتَ ، وغلطك استدركت ، جُنُح فى الإحجام ، عن الإقدام ، طلبَ الفرار ، يوم الاعتصار وإدراك الثار ، طُنُح إلى كلّ رَمُوح طَموح ، يطُول الشّبْر ، ويُطِيل الشّبْر ، معَلّف ، مقَلّف[2] ، ذى خَلْقٍ مرصوص ، وهامةٍ كالفصوص[3] .
إيّاك وأمثالك ، أن يمحوَ كتابَك .

« حماة السروح غاة الشّروح[4] » ، النّصَفة ، يا مكشاجم لا الأئمة[5] ، غُضّ قليلاً من طرفك ، وأمسِكْ عنانَ طرفك ، ولنتحاكمْ فى ذلك إلى ظَرْفك ، هل يصحّ فى التحصيل ، أو يجوز فى المعقول ، أن يحمى قومُك سروحَ شائهم ، وقد أباحوا فُروجَ نسائهم ، أليس هذا عيْن المحال ، ومغالطةَ الجُهّال . فهلّا توهّمت يا فتى الجوابَ ، قبل الخطاب ، وأبصرت الوَرْطة ، قبل السّقطة .

وأما ما فخرتَ به وعزّعتَ ، من صواحب الرايات ، فهن وأبيك بعضُ بنات ربّة الإيالة[6] ، إماؤنا المسبيات المتّهنات ، ملكتُناهنّ ظُبا البيض الهندية ، وشَبا السُّمر الرُّدينيّة ، فما عُجْنا بهنّ عما عوّدتموهنّ من البِغاء ، للاسترضاء ،

---

(١) حلة : جمع حال . انظر ما سبق فى ص ٢٤٦ . والكنف : جمع كنيف ، وهو كل ما ستر من بناء أو حظيرة .

(٢) المعلف : السمين . وهذه الكلمة ليست فى الأصل ، وبدلها فى الذخيرة « مطلب » . والمقلف : ذو القلاف ، والمراد به القلفة ، وهى الجلدة تقطع عند الختان . وبدله فى الذخيرة : « مقلب » .

(٣) الفصوص من الفرس : مفاصل الركبتين والأرساغ .

(٤) فى الأصل : « بناة السروح » ووجهه من الذخيرة مطابق لما مر فى ص ٢٤٧ .

(٥) انظر لكشاجم ما سبق فى ص ٢٧١ .

(٦) انظر ما مضى فى ص ٢٤٩ .

فيكم معشرَ الغربان ، من ولد سارتكم الإِمْوانُ والعُبدان(١) ، وفيك من ذلك أصحُّ دليلٍ وأوضح برهان . فهلّا يا فتى ثقِفت ، ودونَ هذا الفصل وَقَفت .

« بُصُر صُبُر » ، بُصُر بتركيب عُصَب أنابيبِ السُّرر ، ومنافيها بزعمهم الجسم والبصر ا صُبُرٌ على إيغال ، القَرَاميل الطُّوال .

« سُرُج ، وهُج » سُرج المَضاجع ، لا يُطفأ وَهَجانُ ذلك السُّمُر ، إلا بدافق ماء السَّكَر .

« مُلْس الأُدُم ، ما حاكُوا قطُّ بُرودا ، ولا لا كُوا مُرودا » . هذا وأبيك من التَّعريض الرَّقيق في مقالك ، وآلك ، وذلك أنَّك وصفتَهم بمُلاس الجلود ، ٤٤ / أ
وقَفّيت بنَفْي لَوْك المُرود ، وإيجابُ ذلك ، لا يليق إلّا ببالك(٢) . فهذا لعمرك من بديع التَّحقيق ، فانظرْ فهاتان صفتان سُقْتَا لكم . وأما لَوْك المُرود فإن ذلك أوضح(٣) من السِّراج الوهَّاج ، في اللَّيل الدَّاج(٤) . قد تحدَّث(٥) أنَّ ولداتكم عَطَّلوا في وقتٍ سُوقَ نسائكم ، فنُمِي ذلك إلى مليككم(٦) ، فحكَم ، أكرِمْ به من حَكَم(٧) ، أن يبيع النِّسوان ، من أنفسهنَّ ما أباحَ الوِلْدان ، وامتثَلَ ذلك فانْتَفت الخالان ونَفَقَت السُّوقان ، وما سُمِع في الأزمان ، بأغربَ من هذا الشَّان ، فاشمَخْ بأنفك ، واقْرَرْ بنصَفك(٨) .

---

(١) الإموان بكسر الهمزة وضمها : جمع أمة ، وهي المرأة المملوكة .
(٢) في الأصل : « ألا يليق إلا ببالك » .
(٣) هذا ما في الذخيرة . وفي الأصل : « فأوضح » .
(٤) الداجي : المظلم .
(٥) الذخيرة : « قال المحدث » .
(٦) نمي : رفع وبلغ . يقال نموت الحديث أنموه وأنميه . وفي الأصل : « فنعى » تحريف ، صوابه من الذخيرة . وإنما يقال منه أنهيت إليه الخبر فانتهى وتناهى .
(٧) الذخيرة : « من محكم » .
(٨) النصف : الإنصاف . الذخيرة : « بنصفك » .

وأما حَوْكُكم البرود، فناهيك من الغِفارة الإفرنجية(١) إلى الديباجة الروميّة، والتُّبان، بذلك تشهدان.

وأمّا قَرْك رَبّة الإيالة فيالَيتَها حين ولدتكم ثَكِلتكم، فلقد سربلتموها عاراً مجدَّدا، وعصبتم بها شَنَاراً مخلَّدا، حين جُبنتم عن الكفاح، حذَرَ الصّوارمِ والرّماح، فأسلمتم لعُداتها، من بناتها، كلَّ طَفْلة رَدَاح(٢)، جائلة الوشاح، ذاتِ ثغرٍ كالأقاح، وغُرّة كالصباح، أعجلن عن لَوث أُزُرِهن، واعتجار خُمُرِهنّ، فعوِّضن من الإدلال بالإذلال، ومن الحِجال بالرجال.

خَلْفَ العضاريط لا يُوقَيْنَ فاحشةً مستمسكاتٍ بأقتاب وأكوارِ(٣)

وعيّرتَ العربَ بالاغتذاء بالحيات، لتغذّيكم بالدّماء والميْتات، فيمتاز الضدّ، ويقع الحدّ، بين من تناهت جُرأته، وماتت همّتُه. على أن لا افتخارَ في مشربٍ ولا مطعم، لعرب ولا لعجم. وكذلك ما عيّرتهم به من حرق الجِلّة والبعر، غَرُّوا بإضرام النّيران، لإكرام الضّيفان، وإطعام القرور الجوعان، إلى أنْ عَدِموا الأرطَى والغضَى، وموجودَ السَّمُرُ، وسائر أنواع الشّجر، فلجؤوا إلى الجِلّة والبعَر.

وكذلك وصفُك قومَك بأن «ليسوا حفَرة أكَرٍ، ولا حَفَرة عَسْكَر»، الله أجلَّ الأكَرَ أن يحفروها، والعسكرَ أن يحفزوها، لكنّهم حفَرة جِحْشان، ٤٤ ب
وحفَرة كهوفٍ وغيران، اتخذوها مخبأً عن حبائل الرُّبان(٤)، وملجأً من وقع

(١) الغفارة: مثل القلنسوة يلقيها الرجل على رأسه فتبلغ الدرع ثم يلبس البيضة فوقها، وربما جعلت من ديباج وخز أسفل البيضة. والإفرنجية، قال ياقوت: «هم في شمال الأندلس نحو الشرق إلى رومية». وانظر الفهرست ٣٠، ٣١ ومروج الذهب ٢: ٣٤ والقاموس.

(٢) الطفلة، بالفتح: المرأة الرخصة الناعمة. والرداح: العجزاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق.

(٣) النابغة الذبياني في ديوانه ٤٢. العضاريط: الأتباع والأجراء.

(٤) الذخيرة: «عن حبائل».

الصَّوارم والمُرّان، قبل الخِزّان واليرابيع والجِرذان(1) .

وأمّا تحرّكُ بعلمهم الشرائع، فمن أبدع البدائع، «استنّت الفِصالُ حتّى القَرْعى(2)»، وجهلُهم بذلك أوضح، من أن يُشرَح، وأبين، من أن يبيَّن، لكن أنكتُ من ذلك نُكتة، وأنبذُ منه نُبذة، تصمّهم صمّا، [و] تردُّ صُهبَ أدمُهم سُفعا. وأنّى يكون ذلك، هُبِلتَ لأُمّك، ولم يأخذوه عن نبيّ، ولا تلقَّوه عن حَوارِيّ، ولم يزالوا يحاورون أصلَهم الإنجيلَ بالزيادة والنُّقصان، إلى أن أصاروه في حيّز الهَذَيان. وحسبك بهم جهلاً أنّهم يعتقدون إلهًا نبيَّهم، يسمّونه بالربِّ المعبود، ويصيّرونه بعدُ مصلوبَ اليهود، فأعجِبْ بجهلٍ يجمع بين هذين الطرفين، وأعجبُ من ذلك أنّهم يُجمِعون(3) أنّ عيسى ينزلُ إلى الأرض، لحسابِ الخلائق يومَ العرض، فما ظنُّك يفعل باليهوديّة(4) على ما قدّموه على زعمهم من صلبه، فهل يصحّ بهذه الآراء الضعيفة، والعقول السخيفة، دين، أو يثبتُ لهم معه يقين. ولولا أنّي أجلُّ قلمي، وأنزّه كفّي، عن سخافاتهم، في دياناتهم، ورسومهم، في أحكامهم، لأوردتُ من ذلك ما لا يستجيزه إلّا مثلُ قومك العجم، عقولِ البُوم والرَّخَم.

وأمّا علم الطبائع فسلّمْ بعضَها لهم، لما تقدّم في أثناء الرسالة، من علمهم بخواصّ تلك الآلة، والصدقُ أزينُ ما به نُطِق، وإليه سُبِق.

وما ذكرته من أبي رِغال، فذلك جدٌّ محتال، إنّه غدا(5) علماً منه باستئصالهم

---

(1) الخزان: جمع خزز بضم ففتح، وهو ولد الأرنب.

(2) استنت: جرت في نشاط. والقرعى: التي أصابها القرع، وهو بثر. يضرب مثلا للرجل يدخل نفسه في قوم ليس منهم.

(3) الذخيرة: «يحبون».

(4) في الأصل: «يفعل اليهودية»، صوابه من الذخيرة.

(5) بدله في الذخيرة: «بأعداء عداه».

عن اختيارهم إلى بوارهم ، فعجل الله بأرواحهم إلى نارهم .

وقضيّة أبي غُبْشان التي عظّمت ، ليس الأمر كما توهّمت ، لأن الكعبة بيت الله لا شريكَ له وضَعَه تعالى للعباد ، وسَوّى بين العاكف فيه والباد ، وأبو غُبْشان
٤٥ / ١ إنما باع خِدمتَه في البيت ، وهَبْها قضية سفيهنا الغوى(١) ، أين تقع في قضية إمامكم يَهُوذا الحوارىّ ، إذ باع نَبِيَّه روح القدُس ، من أعوانه بالأفلُس(٢) ، فكذّب الله ظنّه ، وأنجى نبيَّه ، فدونك ضعْ قضية سفيهنا في كِفّة وفي أخرى قضيةَ إمامك ، ورجِّح بينهما بفضّ ختامك .

وأمّا وصفُك قومَك أنّهم « مجُد ، نُجُد ، شمخ ، بُذخ ، عرقٌ ، غرقٌ » ، فهيهات ذلك منهم ، تلك صفاتُ قومنا العرب ذوى الأنساب ، والأحساب ، والعلوم ، والحلوم ، أولى اللَّسَن ، والبيان واللَّحَن(٣) ، والإسهاب ، في الصواب ، والحكمة وفصل الخطاب ، فُرسانِ الإعراب ، وأرباب القِباب ، ومُعْمِلِى الصوارم والحِراب ، أنديتهم عِراصُ الثنيّة(٤) ، وأرديتهم بيض المشرفية ، ولَبوسهم مُضاعَفَة اللاذية(٥) .

مُتهكين من صدإ الحــديد كأنّهم تحت السَّنَوَّر جِنّــــة البقّار(٦)

مجالسهم السُّروج ، وريحانهم الوشيج ، ومُوسيقاهم رَنّات الأعوجيّات ،

---

(١) الذخيرة : « وصية سفيهنا العرق » .

(٢) كان ثمنه ثلاثين من الفضة . متى ٢٦ : ١٥ . وقد ندم بعد ذلك ورد الثلاثين ثم مضى وخنق نفسه ٢٧ : ٣ — ٥ .

(٣) اللحن ، بالتحريك : الفطنة .

(٤) عراص : جمع عرصة ، وهي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

(٥) اللاذية : السهلة اللينة . والمضاعفة : الدروع التي نسجت حلقتين حلقتين .

(٦) للنابغة في ديوانه ٣٥ والحيوان (٦ : ١٨٩ ، ٤٩٠) . البقار : موضع كثير الجن .

وطُو يقام الشرَيجيات(١) ، لم تكن قادتُهم النساء ، ولا رادتُهم في آجالهم النَّساء(٢) .

يَستعذِبون منايام كأنهمُ   لا ييأسون من الدنيا إذا قُتِلوا(٣)

عُنُوا بعدّ أطناب الأبنية ، عزّةً وأنفة عن تشييد الأبنية ، مُعالق الصَّحاصح والبيد ، فِعلَ الأساود والأسود ، قُصورهم المناهل ، ومَعاقلهم الذّوابل ، صُبُرٌ ، وُقُرٌ ، إذا ثارَ الغبار ، واسودَّ النهار ، وحسُنَ الفِرار ، وذُهِلت الأذهان ، وأبهم البيان(٤) ، وتلجلج اللسان ، وتلاطمت السيوف ، وحَميت الحتوف ، وقلَصت الشفاه ، وعصَبَ الرِّيقُ [بالأفواه(٥)] ، وتعانَقَ الشُّجعان ، وتشاجر الأقران ، وبرم الحِمام ، وفَلَّ الحسام ، وحَمِيَ الوطيس ، والتفّت الأقدام والرءوس ، فلا ترى إلا حزّ الغلاصم ، وشَيْمَ الصَّامم في الجماجم(٦) فهنالك تلقاهم ، لا دَعِهكَ لِقاهم ، أقيالَ الأقيال ، مَحَرة الأذيال ، أسود الأغيال ، حُماة الأشبال ، لا مُلْسُ أدْمٍ ولا جررة الأذيال ، وهكذا فليكن أقيالُ الرجال ، يا مسلوب الحجال(٧) . ٤٥ ب

كُتِب القتلُ والقِتال علينا   وعلى الغانياتِ جرُّ الذُّيول(٨)

وما كان أغناك يا كُشاجم ، عن كشف عَورات آلِك الأعاجم ، لكن ضَعْفُ نظَرك ، حداكَ إلى هَذَرك ، وسوء أدبك ، وأق بك على عطَبك ، نسأل الله سِتراً يمتدّ ، ووجهاً لا يسودّ .

---

(١) الطويق ، سبقت في ٢٠١ ، ٢٧٦ بلفظ « يوطيق » . والسريجيات : سيوف منسوبة إلى قين معروف .

(٢) رادة : جمع رائد . والنساء ، بالفتح : تأخير أداء الدين إلى أجل .

(٣) لأبي تمام من قصيدة يمدح فيها المعتصم . ديوانه ٢٢٩ .

(٤) الذخيرة : « وأبهم » .   (٥) التكملة من الذخيرة .

(٦) شام السيف : أغمده . والصامم : جمع صمصام ، وهو السيف القاطع .

(٧) الحجال : جمع حجلة ، وهي بيت كالقبة يستر بالثياب يكون له أزرار كبار . عني أنه مهتوك الستر .

(٨) لعمر بن أبي ربيعة في عيون الأخبار (٢ : ٤٩) والأغاني (٨ : ١٣٣) وزهر الآداب (٣ : ٧٦) .

رسالة رابعـة

في الرد على ابن غرسية

لأبي الطيب بن منّ الله القروي

وعنوانها كما في كتاب البلوى وكشف الظنون

حديقة البلاغة، ودوحة البراعة، المورقة أفنانها، المثمرة أغصانها، بذكر المآثر العربية، ونشر المفاخر الإسلامية، والرد على ابن غرسية فيما ادعاه للأمم الأعجمية.

ومن ردّ أيضاً عليه ، وأجاد ما أراد (أبو الطيب بن منّ الله القروى) برسالة طويلة أثبتُّ منها بعض الفصول ، تخفيفاً للتثقيل ، قال فيها[١] ، وافتتحها بهذه الأبيات :

وذِى خطل فى القول يحسَب أنه مُصيبٌ فما يُلمِمْ به فهو قائلُهْ[٢]
تَهَدّتُ له حتّى تبيّتُ عِيَــــانَهُ عن الجهل واستولَتْ عليه تماثلُهُ
تعالَ لخبّرنى عـــلامَ تشدّدت قُوَى العير حتّى أحرزتْكَ مجاهلُهُ

أيُّها الفاخر بزَعمه ، بل الفاجر برُغْمه ، ما هذه البَسالة ، فى النسالة ، ما هذه الجسارة ، على الخسارة ، لقد تجرأْت ، ومن اللّٰه تبرأت ، أبالعرب تمرّست ، وفى مجدها تفرّست ، وعلى شَرَفها تطّيت ، وإلى سُؤددها تخطّيت .

(وفى فصل) : فأخبِرْنى عنكَ أما كانت للعرب يدٌ تشكرها ، أومِنّة تذكرها أمَا جبرَتْ نقيصتَك ، أما رفعت خسيستَك ، أما استنهضَتْكَ من وهدتك ، أما أيقظتْكَ من [غفلتك و[٣]] رقدتك ، ألم نُرَبِّكَ فينا وليداً[٤] ، ألم تتّخِذك لها تليداً[٥] . ألم تُمْنَنْ بتخريجك[٦] ، وتدريجك ، أما أنطقتْك بعد العجمة ،

(١) إلى هنا ينتهى تطابق ما فى الأصل والذخيرة ، وما بعده إلى نهاية الأبيات الثلاثة ليس فى الذخيرة وانفردت به نسخة الأصل . أما البلوى فى ألف باء فقال : « أما أحدهم فافتتح الرد عليه بقوله :

وذى خطل فى القول يحسب أنه مصيب فما يلمم به فهو قائله »

ولم يعين ذلك الأحد ، وانظر الكلام على هذه الرسالة وعنوانها ما سبق فى ص ٢٣٩ .

(٢) البيت لزهير فى ديوانه ١٣٩ . والبيتان بعده لم يردا فى الديوان .

(٣) التكملة من الذخيرة .

(٤) فى الأصل : « ألم نربك فينا وليدا » ، تحريف سببه الحرص على نص الآية .

(٥) فى الأصل : « ألم تتخذك » . والتليد : الذى ولد ببلاد العجم وحمل فتياً ببلاد العرب .

(٦) فى الأصل : « ألم تمن » ، وفى الذخيرة : « ألم تكن » ، وكلاهما محرف .

أما أسلقتك بعد اللُّكْنة(١)، حتَّى إذا اشتد كاهلك، وعَزّ جانبُك، وقَوِيَ ساعدُك، ورَقّ صاعدُك، كثرت نصبتُها لديك، ونثرت عصمتَها من يديك، وأخذت تطاولُها بأرسانها، وتُقاولُها بلسانها، وتُناضلها بسهامها، وتُهاطلها برهامها(٢) أحين نسكْتَ أسرَكَ من أقذورة القَلَف(٣)، وأخذت بضَبْعك(٤) من أهوية السَّلَف، وشدَّت ظهرَك المِتان(٥)، واعتمدت طُهرَك بالختان(٦)، ناهضتَها بعُصابها، ٤٦/١
وجاهضتَها بكلامها، ورميتَها [بسهامها(٧)]، عن قوسٍ هي نبعتُها، ومن هضبةٍ هي قلعتُها.

أعلِّمه الرِّماية كلَّ يوم ... فلما اشتدَّ ساعدُه رماني(٨)

([وفي فصل(٧)]): وهات أرِنا مفاخرَك، نُرِك مساخرك. أنت صاحب الشَّوْب، الشَّهْب، والشَّاة شهباء، والجهَام صهباء. كذلك أنتم لا خَيْر ولا مَيْر، ولا عمرو ولا عُمَير، ليس للسَّخاء بالرُّومية اسم، و[لا(٧)] للوفاء في المسيحيّة رسم. أين أنت عن السُّمر، القمر، البيض غُرراً وصِفاحا، السُّود طُرَراً وأوضاحا، الدُّعْج عيوناً ورِماحا، البُلْج وجوهاً وسَماحا، قِمَمٌ في العمائم، وهِمَمٌ في الغمائم، سَعّروا عليكم نارَ الحرب، بتلك الأينُق الجُرْب، فكسّروا كياسرتكم، وقَصَروا

(١) السلق: رفع الصوت، وبلاغة الخطيب. والمعروف «سلق» وأما «أسلق» فلم يرد في المعاجم المتداولة.

(٢) المهاطلة: مفاعلة من الهطل، وهو تتابع المطر وسيلانه. الذخيرة: «تطاطلها»، تحريف. والرهام: جمع رهمة، وهي المطر: أشد وقعا من الديمة وأسرع ذهابا

(٣) القلف: مصدر الأقلف، وهو الذي لم تقطع غلفته بالختان. في الذخيرة: «القلف» بالقاف، وهما سيان.

(٤) الذخيرة: «بضبعيك».

(٥) المتان: مصدر ماتنه، أي باعده في الغاية. والمتان أيضاً: جمع متن، وهو الظهر.

(٦) في الأصل: «ظهرك»، صوابه في الذخيرة.

(٧) التكملة من الذخيرة.

(٨) لمعن بن أوس في البيان (٣ : ٢٣٢) واللسان (سدد). وقد اتفقت النسختان هنا على رواية: «اشتد»، وهي رواية مضعفة، والأصح «فلما استد» بالسين المهملة.

قياصرتكم[١] . وأخمدوا نارَ صولتكم ، ومحَوا آثارَ دولتكم[٢] ، وطهّروا الأرض المقدسة من أنجاسكم ، والمسجدَ الأقصى من أرجاسكم ، الذين يُنْجِبُون ولا يستنجون ، ويتجنَّبون ولا يتطيَّبون[٣] ، رُعاة الخنازير ، وأَ كَلة الشنانير ، أمّا رجالكم فقُلْفٌ ، غُلْف ، وأما نساؤكم فقُذُرٌ ، بُظْر[٤] ، لا يعرفون الخِفاض ولا الخِتان ، ولا يألفون الشّانَ ولا العِنان ، ويحك بما آثرت ، وبمن كاثرت ، أما استحييت ، بما انتحيت ، هل كانت العربُ إلا كَنْز ، عِزٍّ ، وذُخر ، فخر ، وذخيرة[٥] ذخرها الله إلى الوقت المحتوم ، وأسكنها أرضاً يرغب عنها أولو البِطنة ، ويرغب فيها ذَوُو الفطنة[٦] ، حفظ فيها أحسابها ، وطهّر بها أنسابها[٧] ، واختارها ليختار منها صفيّه[٨] ، وميّزها ليميز منها حَفِيَّه ، ثم اختصّها بالأحلام الزكية ، والأفهام الذكية ، والأنفس الأبيّة ، إن جاورتَهم نصَرُوك ، وإن حاورتَهم قصَروك ، وإنْ فاضلتَهم فضَلوك ، وإن ناضلتهم نضَلوك ، وإن طاولتَهم طالُوك ، وإن استقلتَهم أقالوك ، يمشي أحدهم إلى الموت ثابتةً وطأتُه ، فسيحةً خطوتُه ، ٤٦ ب
شديدةً سطوتُه ، جريئاً على الكُماة جَنانُه ، دربًا بتصريف القناةِ بنانُه[٩] ، بصيراً بمُهَج الدّارعين سنانُه ، وأنتم كما وصفت مُلْس ، لُمْس ، لا تَغيرون ولا تغارون

---

(١) في الذخيرة : « كياسركم » و« قياصركم » : وجمع كسرى على « كياسر » أو « كياسرة » غير معروف ، وإنما يجمع على « أكاسر » و « أكاسرة » و « كساسرة » و « كسور » . وأما « قيصر » فجمعه على « قياصر » و « قياصرة » قياس صحيح .

(٢) هذا الوجه الأوفق من الذخيرة . وفي الأصل : « صولتهم » و « دولتهم » .

(٣) التجنب : أن يصير في حال جنابة ، يقال أجنب وتجنب ، وجنب ككرم وعلم . في الذخيرة : « ويجنبون ولا يطهرون » .

(٤) البظراء : الطويلة البظر ، وهو ما تقطعه الخافضة .

(٥) الذخيرة : « وخبيئة » .

(٦) في النسختين : « ذو الفطنة » .

(٧) هذا الصواب من الذخيرة . وفي الأصل : « وطهرها أدناسها » ، تحريف .

(٨) هذا الصواب من الذخيرة . وفي الأصل : « ليمتاز بها صفيه » .

(٩) دربا ، بحذقا في الذخيرة : « لقنا » . وفي قول مالك بن الريب :

وكنت إذا ما الخيل شمصها القنا لبيقا بتصريف القناة بنانيا

ولا تغنمون ولا تحتمون ، قلوبكم تَوَّاه ، وأفئدتكم هواء ، وعقولكم سواء ، قد لانت جلودكم ، وتهدّت نهودكم ، واحمرّت خدودكم ، تحلقون اللّحى والشّوارب[1] ، وتتهادون القُبَل فى الشّارب[2] . والعرب تذمّ بالدّعة ، وتهجو بالسّمة ، وتفخر بالجلادة ، وتتبجّح بالصّلادة ، فإنْ فاخرتَها فبغير الطعام والشراب ، ولكن بالطّعان والضراب ، وما عليك من لَوك الثّرود ، أخفقتَ إنجازَها ، وخشيت إعوازَها ، أبكَ حاجة إليها ، ألك حرصٌ عليها ، لشدّ ما أدركتك الحميّة فيها ، وحرّكتك العصبية لها[3] ، هذه نادرة لم تقصد قصدها . ومن الآيات ، ذكر صواحب الرايات ، والمباضعة ، عندكم كالمراضعة ، مالى الشّكر ، عندكم نُكر ، تبيحون ولوج ، الفروج ، على بدور ، الخدور ، الزّنا ، عندكم سَنا ، والفجار ، بينكم فخار ، فكيف أنكرتَ ، ما ذكرتَ ، وأنت على سَنَن ، تلك السُّنن ، الحال قائمة ، والنّيّة دائمة ، « وأوّل راضٍ سيرةً من يسيرها[4] » .

([وفى[5]] فصل) : فساروا مُعرقين ، وعلّوا مشرّقين ، لا تردُّهم رادّة ، ولا تصدّهم صادّة ، حتى أهلكوا ساسان وكاسان ، وملكوا خُراسان وماسان ، وسلكوا بالقهر ، ما وراء النهر ، فأدخلوكم الدُّروب ، وألزموكم الكُروب ، بجريدة خيل ، وطَريدة ويل ، وأمضَوْا فيكم العزائم ، وأرضَوْا منكم الهزائم ، حتّى أجحروكم روميّة[6] الدّنيا ، والقسطنطينيّة البحرا ، وتازلوكم منها على فراقين ، وصرعوكم بين المصراعين .

(١) اللحى : جمع لحية . وهذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « اللحاء » ، وهذا إنما هو جمع لحى بالفتح ، وهو ما ينبت عليه العارض .

(٢) الشارب : جمع مشرب ، وهو الموضع الذى يشرب منه ، عنى بها الأفواه .

(٣) الذخيرة : « أدركت » و « حركت » .

(٤) عجز بيت لخالد بن زهير الهذلى . ديوان الهذليين (١ : ١٥٧) . وصدره :

« فلا تجزعن من سنة أنت سرتها »

(٥) التكملة من الذخيرة .

(٦) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « رومة » . وروميّة : أرض بالمدينة فيها بئر رومة التى ابتاعها عثمان وتصدق بها .

ألم تبلغك ضربةُ يزيدَ بعموره[1] ، وخبر خالد بن يزيد فى أخدوده ؟ والرايةُ المعلمة ، والآيةُ المحكمة ، مسجد مَسْلَمة[2] . ٤٧/١

ثم كم قائظة ، غائظة ، وصائفة ، عليكم طائفة . ثم خطفوا مغرّبين ، وللأرض مخرّبين ، فما تركوا من الأعاجم عاجاً ، ولا ناجاً ، ولا بقّوا من البرابر غابراً ، ولا عابرا ، وساروا قُدُماً يذبحون البرّ ذبحا ، ويَسْبَحون البحر سبحا ، حتى طرقكم طارقُهم فى هذا الطرّف ، ورشقكم راشقُهم فى هذا الهدف ، واقتحموا عليكم هذه البلاد فأوطئوها ، وكأنما رموها بالحجارة فما أخطئوها ، فملكوا أرضكم بساحتيها ، وأحاطوا بها من ناحيتيها .

وضمّوا جناحَيْكم إلى القلبِ ضمّةً   تموت الخوافى تحتها والقوادم[3]

فما تمرّضك لقوم سلكوا بلادَكم ، واستعبدوا أولادَكم . ثم إنّهم حين قَدَروا ، فقرّروا ، ووضعوا الإتاوة على جماجم الأعاجم ، والرسوم فى براجم السّلاجم[4] فلا يحضُرون العَشّار ، إلا بالعِثار ، ولا يشهدون الأسواق ، إلا بالأطواق ، فإن

---

(١) كان يزيد بن معاوية قد حاصر القسطنطينية وهو ولى عهد وذلك فى سنة ٤٩ أو ٥٠ وأبلى بلاء حسنا فى غزاته . ولعل ذكر « الضربة بالعمور » إشارة إلى حادثة تاريخية معينة فى تلك الحرب .

(٢) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بنى مسجد القسطنطينية فى أيام أخيه الوليد . وقد أطلعنى الأخ الثقة الدكتور جمال الدين الشيال على نص هام لابن واصل فى (مفرج الكروب) الذى يقوم بتحقيقه ونشره . جاء فى الورقة ٢٠٤ من المخطوطة باريس رقم ١٧٠٢ : « وذكر أن سبب بناية هذا الجامع المذكور ، فى كتاب تذكرة ابن حمدون ، أنه بنى فى سنة ست وتسعين الهجرة ، ووقع الصلح مع الروم على أن يبنى بالقسطنطينية جامع فبنى . فلما طالت مدته جعلوه حبسا . وقال غيره : إن الصلح تقرر بين المسلمين والروم على أن يبنى جامع على قدر جلد بعير ، وعقدت الأيمان على ذلك ، فلما استقر الحال عمد المسلمون إلى جلد بعير فقدوه سيورا ومدوها ، فأنكر الروم ذلك ، فقالوا المسلمون : إن هذا جلد بعير ما زدنا عليه شيئاً وقع الاتفاق عليه ، فسكتوا . وقيل إن بانيه مسلمة بن عبد الملك بن مروان فى أيام أخيه الوليد » . وانظر الروضتين لأبى شامة ٢ : ١٦٠ والسلوك تحقيق الدكتور زيادة ١ : ٤٣٢ .

(٣) أصل البيت للمتنبى . ديوانه ٢ : ٢٢١ . وقد غيره ليتسق به الكلام . والشاهد : « ضممت جناحيهم على القلب ضمة » .

(٤) السلجم : الطويل من الرجال . فى الذخيرة : « السلاجم » .

دخلتم في الدّين قُطِعت أسنانكم(1)، وإن خرجتم منه أُخذت التي فيها شفاهكم(2)، وكنتَ أنت من رذايا، تلك السَّبايا، ومن خبايا، تلك الحبايا(3)، ومن خطايا، تلك العطايا، فلا تَحرِدْ حَرْدَ المقهور، ولا تضجرْ ضَجَرَ المبهور، ولا تحنق حَنَق الأسير [على القِدّ(4)]، ولا تغضب غضب المستقي على العِدّ(5)، ولا بأس عليك فهبك قَصَّروا الأمم، وقصَّروا القمم، وهم أبكار الزمان، وأفكار الأوان، لم العرب العاربة، ومنهم عادٌ العالية، ذات(6) الأحلام الشِّداد، والأجسام الشِّداد، وإرمَ ذاتِ العماد، التي لم يُخلق مثلها في البلاد، ومنهم لقمانُ صاحب النسور، وباني القُصور، ومنهم ثمودُ الذين جابوا الصَّخرَ بالواد، ونحتوا البيوتَ في الأطواد، والعمالقة والفراعنةُ أشمّ لها أكّارون، وحَرَّبة عكّارون، والتبابعة، والمرابعة(7)، وذو القرنين صاحب السَّدّ، وشِمر مخرِّب سمرقند.

٤٧ ب قال الله تعالى: ﴿أهم خيرٌ أم قومُ تُبَّع﴾، فضربهم مثلا في الجلالة. ولهم الملوك من حمير والمقاول [من كهلان(8)].

كانوا سماء الورى قبل النبيّ وهم ... لما أتى الحقُّ فيهم أنجمٌ زُهُرُ(9)

سموا بملكهم قبلَ الهدى وسَمَوا ... مع الهدى فهمُ آوَوْا وهمْ نَصَروا

---

(1) كناية عن الختان.

(2) كناية عن الرءوس. في الأصل: «أخذت التي فيه»، وفي الذخيرة: «أخذت التي فيه»، وكلاهما محرف عما أثبت.

(3) خبايا: جمع خبيئة، وهو الشيء المخبأ. وهـذا ما في الذخيرة. وفي الأصل: «خبايا». والحبايا: جمع حبيئة وهو ما خبئ. في الأصل: «الحايا»، وصوابه في الذخيرة.

(4) التكملة من الذخيرة. والقد: السير يشديه الأسير.

(5) هذا الصواب من الذخيرة. وفي الأصل: «غضب الأسير على القد». والعد، بالكسر: الماء الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها، مثل ماء العين وماء البئر. وغضب المستقى عليه غاية في الحمق.

(6) الذخيرة: «ذوات».

(7) كذا وردت في النسختين.

(8) التكملة من الذخيرة. (9) في الأصل: «لما أتى الحق».

ولاة ، علاة ، سماة [حماة[1]] ، لهم العلوّ والعَلاء[2] ، وفيهم التباهلة والأذواء .

همُ الأنفُ في وجه الزّمان ومجدُهمْ ... على صَفَحات الدّهر ليس بجلمد[3]

وسدُّوا على يأجوجَ لما تتابعت ... على الصّين في قُطر من الصّين مبعد

ترى كلَّ ممطوف الوشاحين أخمص ... على كلّ مخطوف الجناحين أجرد

فمن أمردٍ في السلم في جسم أشيب ... ومن أشيبٍ في الحرب في جهل أمرد[4]

بأيديهم البيضُ الرِّقاقُ كأنّها ... جداول ماء الموت قيل لها اجعدى

فأين حَصاتك من جبالهم ، أم أين سَفَاتك من نبالهم[5] .

(وفي فصل) : وعلامَ جئتَ أصلك من الأنباط ، وأزحت فَصْلك عن الأقباط[6] ، ما كان ذنبهم إليك ، وجنايتهم عليك ، حتى أخرجتهم عن جملة الأعاجم ، ونفيتَهم عن جُملة أصحاب التراجم[7] ، بسبب كريمتهم ، ومن أجل شريفتهم ، لتسبَّ العربَ بولادةٍ من تعلّق بك ، وتشبَّث بنسبك . أما علمتَ أنَّ أحقَ أفعالك ، وأخرق أقوالك ، سبُّك عدوَّك بولادةِ امرأةٍ من أهلك ، أما هذا من جَهْلك .

---

(١) التكملة من الذخيرة .

(٢) الذخيرة : « العلاء والطلاء » .

(٣) هذا ما في الذخيرة . وفي الأصل : « وهم على صفحات الدهر قس تخلد » .

(٤) هذا ما في الذخيرة . وفي الأصل : « في ثوب أسود » .

(٥) السفاة : واحدة السفى ، وهو الشوك . في الأصل : « سفاتك » ، وفي الذخيرة « سماتك » ، والوجه ما أثبت .

٦) ناظر إلى قولهم : « لا أصل له ولا فصل » ، أى لا حسب له ولا لسان . انظر اللسان (أصل) . وفي الأصل : « نفسك » وفي الذخيرة : « فضلك » .

٧) التراجم : جمع ترجمان ، وكان لملوك الفرس والروم تراجم . في الأصل : « البراجم » وما أثبت من الذخيرة .

ولما قال ابن فَضالة[1] فى ابن الزُّبير :

وما لى حين أقطع ذاتَ عِرقٍ إلى ابن الـكاهليَّة من مَعادِ[2]

قال ابن الزُّبير : لو علم لى أمَّا هى شرٌّ من عمَّته لسبَّنى بها ونسبنى إليها !
أفلا ترى كيف غلب عليه ، وسقط[3] شِعرُه فيه ؟! وحاشا لمن كُنّا فى ذِكره
بل ْ لها الشَّرف الأرفع ، والسَّناء الأمتع[4] . هذا على اتِّصال نسبك بُرومان ،
فإن كنت من ولد كَنعان فما أبعَدَ دارك ، وأشحطَ مزارَك ، وأطمسَ آثارك . ٤٨/١
وأمّا الخيلُ فسابيح العربَ بركوبها ووثوبها ، وخلٌّ بينهم وبين عيوبها ، فلا حظَّ
لك ولا لأصحابك فيها . عليكم بالبراذين الحذْفة[5] ، والـكوادن الموكّفة ، الخيلُ
حَرثُ العرب وحَصادُها ، وعُدّتُها وأرصادها ، وإنَّك لتعلم أنَّ خيلَهم أشهر من
ملوككم[6] أسماء وألقابا ، وأظهر من نُسولكم أنسابا وأعقابا . قالوا : بنات
أعوجَ ، وآل الوجيه ولاحق ، وبنات المسجدى، وآل ذى العُقّال ، وداحس
والغبراء ، والجرادة والحَنْفَاء[7] ، والنّعامة والشّماء ، وحافل والشقراء ،[والزَّعفران

(١) هو عبد الله بن فضالة بن شريك الأسدى . الأغانى (١٠ : ١٦٢) . على أن الشعر ينسب أيضاً إلى عبد الله بن الزبير (بفتح الزاى) يقوله فى عبد الله بن الزبير (بضم الزاى) . زهر الآداب (٢ : ١٦٤) وخزانة الأدب (٢ : ١٠٠) .

(٢) الكاهلية هى زهراء بنت خنزاء ، من بنى كاهل بن أسد ، وهى أم خويلد بن أسد بن عبد العزى ، كما فى الخزانة والأغانى .

(٣) الذخيرة : « حتى سقط » .

(٤) يقال متع النهار متوعا : ارتفع وطال . الذخيرة « الأمنع » بالنون .

(٥) الحذفة : المقطوعة الأذناب . فى الأصل : « الحدفة » ، وفى الذخيرة : « المخرفة » والوجه ما أثبت .   (٦) فى الأصل : « من أسماء ملوككم » .

(٧) الكلمة مبيض لها فى الأصل ، وهى فى الذخيرة : « الحيفاء » ، والوجه ما أثبت . انظر القاموس واللسان (حنف) والخيل لابن الكلبى ٩ وابن الأعرابى ٧٠ والمخصص (٦ : ١٩٦) ونهاية الأرب (١٠ : ٤١) والعمدة (٣ : ١٨٢) . وهى أخت داحس لأبيه .

والحَرُون ، ومَسْكُون والبَطين ، والصريح وقُرْزُل ، والعصا[1]] . وأسماؤها كثيرة وألقابها شهيرة ، ولعلك أن تذكر لنا من خيول آبائك الأولين ، وأفراس أعراقك الأقدمين[2] ، فرساً مشهورا ، وفارساً مذكورا . ولو كنت فاخرت العرب بنَصْب الدَّواليب ، وعطف الكلاليب ، وغرس الأشجار ، في الأحجار ، وقَطْع ما عظُم من الميدان ، وعمل الفَلَاة والسُّدْان ، رضينا ، وسلَّمنا . فأما نُحر[3] الإبل ، بآذان الخيل ، وطئ الفلاة ، بأيدي اليَعْمَلات ، وشنُّ الغارات ، وطلب الثارات ، فلا عليك أن تخلِّي بينهم وبين شعائصهم[4] ، وألَّا تنازعهم في خصائصهم ، فإنَّها إليهم أقرب ، وهم بها أدرب ، وهي بهم أليَق وأعلق ، [وهم إليها أسبق[5]] يركبون إلى الحرب ، في ثياب الشَّرب ، ويمتقون الفَوارس ، كما يمتقون الأوانس .

(وفي فصل) : وما عجبت من قوم يترفون البِرَاح ، ويشربون القَراح ، ويرضعون البِهاد ، ويُعْظِمون الرَّماد .

الموقدون بنجـــدٍ نار بادية · لا يَحْضُرون وفقدُ العزِّ في الحضَرِ[6]
إذا هَمَى القطر شبَّتها عبيـــدُهُمُ · تحتَ الغمائم للسَّارين بالقُطُرِ

---

(١) التكملة من الذخيرة . على أنه يلتبس الكلام ثمة عند السجعة ولعلها «وعجيل» . انظر اللسان والصحاح والقاموس (عجل) وديوان لبيد ٣٦ فينا ١٨٨١ . يقول لبيد :

تكاثر قرزل والجون فيها · وعجيل والنعامة والخبال

وقرزل جاءت محرفة في أصلها : « قرن » ، والوجه ما أثبت . انظر الخيل لابن الكلبي ٢٧ وابن الأعرابي ٧٥ ونهاية الأرب (١٠ : ٤١) والعمدة (٢ : ١٨٢) والحماسة بشرح المرزوقي ١٤٩٤ .

(٢) أعراق : جمع عرق ، وعقد جمع عرقة .

(٣) الذخيرة : « بحر » وهي صحيحة . والبحر : الشق .

(٤) في الأصل : « فلا على » الشعائص : العقائد ، يقال : نق الله عنك الشعائص .

(٥) التكملة من الذخيرة .

(٦) الأبيات لأبي العلاء في سقط الزند . انظر الشروح ١٤٢ .

وما أدري من أين كان عَدُّ الأحطاب لو فقدوها مَثْلبة [وليست معدودةً في حسب ، ولا نسب[1]] ، ولقد اهتديتَ إلى طريفة ، وانتهيتَ إلى لطيفة[2] ،
٤٨ ب فسبحان الله ما أصدقَ حِسَّك ، وأسبق حَدْسك ، تدقَّقت وترقَّقت ، حتى توثَّقت وتحقَّقت ، لا ولـكنك تعمَّقت حتى تحمَّقت . فإنْ كان الأمرُ كما ذكرت ، فأين غَضَى نجدٍ وتُلامه ، وأين رَنْدُه وبَشامُه ، وأين غَرَبه وثُمامه ، وأين سلَمه وسَلَمه ، وأين الدَّمّ والدَّنجان ، وأين السّاسَم والبان ، وأين الشِّيزَى والأثْأب ، وأين الرَّنْف والشَّوحط[3] ، وكيف عرَفوا دوحَ الـكنهبل ، ومساويكَ الإسحل ، وكتابُ النَّبات يشهد عليك ، بما فيه من الأيك .

(وفي فصل) : وكيف استجزت على فَضْلك الباهر ، وشَرَفك — بزعمك — الظاهر ، أن تستعينَ على فخرك بخلاف الحقّ[4] ، وتلجأ في فُجورك إلى غير الصِّدْق[5] ، هل كان الذُّبيانُ إلا مِلْكَ أملاك ، وشمسَ أفلاك ، أصلُه عريق ، وفرعُه وَرِيق ، نزل الحِيرة ، وأتم له جيرة ، ملكٌ شهم ، من لدن مالك بن فهم ، له سَقْيُ الفرات يجبي خراجَه[6] ، ويستعبد أعلاجَه ، فـكنا كم العربُ جمعاء ، من جلَّق إلى صنعاء ، يذبُّ عنكم بماله ، واحتياله ، بعد عقدٍ موكد ، وعهد منكم مؤيَّد ، وأجارت العربُ من أجار ، وأغارت على من أغار[7] ، وحسُنَتْ حال الفُرس بمكانه ، وعزّت بسُلطانه ، فلمّا شمخ على أعلاجكم ، وامتنع من زَواجكم ،

---

(١) التكملة من الذخيرة .

(٢) الكلام بعده إلى « كما ذكرت » ساقط من الذخيرة .

(٣) عدم اطراد السجع هنا يشعر بسقط . والكلام بعده إلى نهاية هـذه الفقرة ساقط من الذخيرة .

(٤) هذا ما في الذخيرة . وفي الأصل : « بغير الحق » .

(٥) هذا ما في الذخيرة . وفي الأصل : « في لهرك » .

(٦) هذا ما في الذخيرة . وفي الأصل : « سقيا » . و « يجبى » كذا وردت بالنون في الأصل ، والأولى « يجبي » بالياء ، وفي الذخيرة : « يجبي » .

(٧) هذا ما في الذخيرة . وفي الأصل : « وأغارت ما أغار » .

وقال لباغى السَّواد ، عليك بِقَرِّ السَّواد ، استزرتموه ، فغَدَرتموه[1] . فكيف رأيتم غضبَ العرب لثارها ، وطلبَها لأوتارها ، ألم تصدمكم بذى قار ، صدمةَ ذى احتقار ، فأدركَتْ فيكم رِضَى الرحمن ، وأخذت بثأر النُّعمان ، وطحطحت بنى ساسان وآل كاسان ، ولم تقم لِفُرْسٍ بعدها قائمة ، ولا رعَتْ لها سائمة . ولم تزل فى قواصف تتقاذف ، وعواصفَ تترادف ، حتى تمّ الله آذنَها ، واستأصل الإسلام شأفتَها . وأمّا آل غسّان فالشرفُ الأقدم ، والبناء الذى لا يُهدَمُ ، سالت من بلادها حينَ سال سيل العرم جائلة ، وسالَتْ من أرضها جافلة[2] ، هاجرةً لأعطانها ، نافرة عن أوطانها ، وجاوزَتِ الحجاز وهبطت الشّام[3] فوجدت بلاداً ٤٩/١
ريفاً خريفا[4] ، ورجالا جُوفاً مُجوفا[5] ، لا يحمون ولا يحتمون ، فقالت : غنيمةٌ باردة ، وبهيمةٌ فاردة ، فنزلَت الزَّوراء ، والغُوطة الزَّهراء .

وحلّت على الجَوْلان ثم تصيّدت مُناها بصَيداء الذى عند حارب[6]

فألقتْ عصاها واستقرّتْ بها النّوى كما قرّ عيناً بالإياب مسافر[7]

على رغم أنوفكم ، وقَطْع شُنوفكم ، ووَلَجُوا خدورَكم ، على غيظ صدوركم .

وما بُقيَا علىّ تركتمانى ولكنْ خفتما صَرَدَ النِّبال[8]

فلكم قضيّة كريهة ، ونصبة عجيبة ، وسورٌ له باب ، [باطنُه[9]] فيه الرحمة

---

(١) يقال غدره وغدر به ، إذا نقض عهده . الذخيرة : « شرد تموه فزرغوه » .
(٢) فى الأصل : « وساخت » والذخيرة « سالت » ، والوجه ما أثبت .
(٣) انظر العمدة (٢ : ١٧٧ — ١٧٨) .
(٤) الذخيرة : « حريفا » .
(٥) هذه الكلمة ساقطة من الذخيرة .
حارب : موضع من أعمال دمشق .
(٧) البيت لمعقر بن حمار البارقى ، أو عبد ربه السلمى ، أو سليم بن ثمامة الحنفى . اللسان (عصا) . ونسبه الجاحظ فى البيان (٣ : ٤٠) إلى مضرس الأسدى . الذخيرة : « استقر » و « المسافر » .
(٨) البيت للشاعر يهجو جريرا والفرزدق . اللسان (صرد) .
(٩) التكملة من الذخيرة .

وظاهره من قبله العذاب ، لا يُستكفُّ الغَرْب ، إلا بالغَرْب ، ولا يُقطَع الحديد إلا بالحديد ، ودفع الشّر بالشر أحزم . فمتى أدّوا إليكم الإتاوة ، وحملوا لكم الإداوة[1] ، وهم يحمونكم حِمَى القُروم أشوالَها ، ويمنعونكم منْع الأسود أشبالَها . أم تُرا كم تركتم لهم الشامَ رعيًا لذِمامهم ، وصِلةً لأرحامهم ! !

(وفى فصل) : وقرنت بالرياضيّة والأرضيّة ، صدقت وبُتّ عنّى فى الجواب . هى كالرياض سريعةُ الذبول ، كثيرة الُجفول ، زَهْر مشرق ، ونَور مطرق ، لا ثمر ، ولا كَثَر[2] .

وهـــــل فى الرياض لمستمتع سِوَى أن يَرَى حُسنَ أزهارِها

وكالأرض الأريضة ، ذات القرصة العريضة ، لا بناء فيُحَلّ ، ولا سماء فيُظِلّ[3] ، يُدفن فيها الأموات ، وتخمد فيها الأصوات .

وأما الاسطرلوميق الهندسية[4] فعلم عملى مبنى على التقاسيم ، والتراسيم ، وكله آلات ، ومحالات ، وأدوات ، وقذّوات ، ومساحات ، وساحات ، وأمداد ، للأعداد ، وفى أثانين ، القوانين ، ليس فيها معنًى من تحصيل دقائق الفصول ، ولا تفصيل حقائق المحصول ، فأهلها عمّال ممتهنون ، وبأشكالها مرتهنون ، والعرب بعيدةٌ من المهنة ، نافرة من الخدمة . ومن قولكم أنّ قسم العلم أفضل من قسم العمل فهى إذن أرذَل القِسمين ، وأسقَطُ العِلْمين .

٤٩ ب والجو مطريقى علم الهيئات ، والطوالع وكُوَرِها ، وجنسها ذو نوعين[5] ، وبابه على مصراعين ، القضايا ، وليست وصَايا[6] . أما الأوّلون فقسموها[7] على

---

(١) الذخيرة : « وأملوا » .
(٢) الكثر ، بالفتح وبالتحريك : طلع النخل . وفى الحديث : « لا قطع فى ثمر ولا كثر » .
(٣) السماء مؤنثة ، ولذا ذكرت متوليها السقف . اللسان (سما) .
(٤) انظر ما سبق فى ص ٣٤٦ .
(٥) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « وجنسها لذ نوعين » .
(٦) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « وليست برضايا » .
(٧) الذخيرة : « فنوعها » .

أنّ الطوالع مدبرة مقبلة ، وهى أصولٌ فاسدة ، وسوق كاسدة . وقال آخرون : هى كالعيافة ، والزّجر والقِيافة . وهــذا باب مسلَّمٌ للعرب لهم فيه اليدُ الطّولى ، والمنزلة الأولى ، لهم السّوانح والبوارح ، والقواعد والنّواطح[1] ، وعندهم الأيامن والأشائم ، والأواقى والحوائم ، وغير ذلك من التمائم والرتائم ، وفيهم من لا يعتمده ولا يرتصده ، وفى أشعارهم[2] شواهد على ذلك . وأما الكهانة فكانت فيهم فاشية ، ولهم غاشية ، وقد سمعت بشِقّ وسَطيح ، وزرقاء اليمامة وطُليحة الأسدى ، ومُسيلمة الحنفى ، والأسود العنسى ، وزُهَير بن جناب الكلبى ، وأبى نَجران ، وحازى خَطَفان[3] فلما جاءت النّبوة ، بطلت الكهانة ، ولما نزل القرآن ، رُجِم الشّيطان .

وكذلك الدّرجة الأخرى ، فالعربُ بها أحقُّ وأحرى ، وهى معرفةُ الشهور والأيّام ، وحساب الدّهور والأعوام ، والأفلاكِ وأدراكها ، والأبراج وأدراجها ، والنيّرات وتعاورها ، والدّرارى وتعاورها[4] ، عرفوا السّماء ومعالمها ، والأرض ومعالمها ، ووصفُوا الطّوالع والغوارب ، ورتّبوا الثوابت وأنواءها ، والنّوائب وأدواءها ، والأزمنة وأهواءها ، فلا ينجم نجم إلّا سمّته ، ولا ينبت نَبْتٌ إلا وَسَمَته ، ولا عيشٌ فى سائر الأقطار ، إلا بضامن الأمطار[5] ، كما لا ثبات للحيوان إلّا بالنبات ، فقد عرفوا إذن طريقَ الحياة ، ووصفوا طريقَ النّجاة ، وما سوى ذلك فضلٌ ، ليس فيه فضل .

---

(١) جمع قاعد وناطح ، ويقال أيضاً قعيد ونطيح . فالقعيد : ما أتاك من ورائك من ظبى أو طائر ، يتطير منه ، بخلاف النطيح .

(٢) فى الأصل : « ولا فى أشعارهم » وكلمة « لا » مقحمة . وهــذه الجملة ساقطة من الذخيرة .

(٣) الحازى : الكاهن . وفى الأصل : « جازى » ، صوابه فى الذخيرة . وانظر حواشى الحيوان (٦ : ٢٠٤) والبيان (١ : ٢٨٩ — ٢٩٠) .

(٤) بدله فى الذخيرة : « الأعراب أدرى بها » .

(٥) الذخيرة : « بماير الأمطار » .

وأما الطبُّ فجمعته العربُ في كلمتين مملوءتين ، ولفظتين محفوظتين ، على رأيها في الاقتصار ، ومذهبها في الاختصار ، فقالت : « المعدة بيت الداء ، والحِمْية رأسُ الدواء » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « أصل كلّ داء البَرَدة[1] » ، وقالوا : « كلْ وأنتَ تشتهي ، ودَعْ وأنت تشتهي » ، فجمعوا الطبَّ بأطرافه ، والصلاحَ بحذافيره ، و إذا فتشت أصولَ سُقراط ، وتبيّنتَ فصول بُقراط ، لم تجد مُستزادا مستجادا ، ولا مستزاداً مستفادا ، وليست هذه الأمورُ مما ينفرد بها بها أفرادُهم ، ولا يختصُّ بها آحادهم ، بل يتعلق بها صغارُهم وكبارُهم ، ويعرفه نساؤهم ، ويهتف به إماؤهم ، وأشعارُهم بذلك ناطقة ، وأخبارهم عنه صادقة ، ما تلوا فيه متلوًّا ، ولا قرّوا به مقرّوًّا[2] ، لكنّها الطّباع الصافية ، والقرائح الكافية ، والغرائز السليمة ، والنّحائز الكريمة ، تلتقط الحِكَمَ من مخاطباتهم ، وتسير الأمثال من مجاوباتهم ، على منهاجٍ واحدٍ من الفصاحة في المحاورة ، والمشاورة ، وعلى طريقةٍ واحدة من البلاغة في المسالة ، والمراجعة ، والمواجزة ، مع المناجزة ، ولا يتعلّمون ولا يتأمّلون ، بل يرسلون الحِكَم إرسالا ، ويبعثون الفِطَن أرسالا . والموسيقى علم اللّحون [فما[3]] بالعَجَم إليه حاجة مُجحِفة ، وضرورة مُجحِفة ، لعجز[4] طباعهم من الأوزان ، وقلّة اتّساعهم في الميدان[5] ، لأنّ لغاتهم قليلة ، وقُواهم كليلة ، لا تستجيب إلّا بوسائط ، ولا تستقلّ إلّا ببسائط ، ليس عندهم شِعر موزون ، ولا كلامٌ مرصون ، ولغة العربِ واسعةُ العبارات ، ناصعةُ الإشارات ، لها الشّعر الموزون ، والنّظم المكنون ، والكلام المنثور ،

---

(١) البردة ، بالتحريك : التخمة ، لأنها تبرد المعدة فلا تنضج الطعام.
(٢) الذخيرة : « ولا قرءوا فيه مقروا » .
(٣) التكملة من الذخيرة .
(٤) الذخيرة : « لنبو » .
(٥) هذا ما في الذخيرة . وفي الأصل : « الميزان » .

والسَّجع للأثور ، والرَّجَز المشطور ، والمُزدوِج المبتور ، وأسيدها فى ذلك كله اللُّحون الشجيّاتِ ، المطربات ، والعامل والمعامل[1] ، والأهزاج والأرمال ، وغير ذلك من الأعمال ، كالرُّكبانى والأعرابى ، والنَّصْبِى[2] والمدَنى ، والثقيل الثانى ، وعود المدنى ، والماخُورىّ والسُّرَيجى[3] ، وخفيف المدنى ، وهى كثيرة ، أثيرة ، ٥٠ ب
تُسمَّى معها الأرغَن[4] والسلمان[5] والصَّنْج[6] والكنكلة[7] والمندورة[8] والقيثارة[9] ، فلا يعرفن ولا يؤلّفن .

وما أظنُّ تَميداً والفريضَ وأصحابهما قرءوا قطُّ موسيقَى ، ولا سمعوا منطيقاً .

---

(١) كذا بالإهمال فى الأصل . وفى الذخيرة : « والتهاليل والتعاليل » .

(٢) النصْبى : ضرب من الغناء . وفى الأغانى (٥ : ١٢٣) فى أخبار أحمد النصبى : « النصبى هو صاحب الأصحاب وأول من غنى بها ، وعنه أخذ النصب فى الغناء » . فى الأصل : « النصى » مع إهمال النون والباء ، صوابه فى الذخيرة .

(٣) الماخورى هو خفيف الثقيل الثانى ، وهو نقرتان خفيفتان ثم واحدة ثقيلة . مفاتيح العلوم ١٤٦ . وورد بكثرة فى أغانى أبى الفرج . انظر منها (٥ : ٢٦ ، ٥٨) طبع دار الكتب . والسريجى : نسبة إلى سريج المغنى . والكلام بعده إلى « الشلياق » ساقط من الذخيرة .

(٤) الأرغن : آلة موسيقية هى باليونانية : « أرجن » Arghan أو أرجنون Arghanun معجم استينجاس ٣٨ . وفى مفاتيح العلوم الخوارزمى ١٣٦ « الأرغانون : آلة لليونانيين والروم تعمل من ثلاثة زقاق كبار من جلود الجواميس يضم بعضها إلى بعض ويركب على رأس الزق الأوسط زق كبير ، ثم يركب على هذا الزق أنابيب صفر ، لها ثقب على نسب معلومة يخرج منها أصوات طيبة مطربة مشجية على ما يريد المستعمل » . ونحوه فى كشف الظنون فى رسم (الموسيقى) ، ونسب كاتب چلبى صنعته إلى « أرسطو » . وانظر ابن النديم ٣٧٣ حيث ذكر الأرغن البوقى ، والأرغن الزمرى .

(٥) كذا . وفى مفاتيح العلوم ١٣٦ : « الشلياق : آلة ذات أوتار لليونانيين والروم تشبه الجنك » .

(٦) الصنج : آلة وترية ، وهى بالفارسية « چنگ » مفاتيح العلوم ١٣٧ ومعجم استينجاس . فى الأصل « الصنج » بدون إعجام . وفى الذخيرة : « الصنج » ، صوابه ما أثبت .

(٧) فى معجم استينجاس أن « كنكِره » اسم آلة موسيقية تستعمل فى الهند . وفى الذخيرة : « الكنكلة » .

(٨) وردت الكلمة فى الأصل مهملة . وفى الذخيرة : « القيدورة » .

(٩) الكلمة مهملة فى الأصل . وفى الذخيرة : « القثارة » . والقيثارة : معرب من Kithara اليونانية .

فاعرِضْ إن شئتَ ألحانَهم المطبوعة ، على أوزانكم المصنوعة ، فأظهِرْ غلطَهم في التنغُّم ، وخطأَهم في الترنُّم .

على أنّه من الصنع المذموم ؛ روى في الحديث : « إنّ أول مَن غنّى وناح إبليس حينَ أكلَ آدمُ من الشجرة » . قيل : وهو أوّلُ مَن عمِل الطُّنبور ، فلا مرحباً بعلمٍ إبليسُ اللعينُ فيه الأستاذ .

وقد كان منهم مَن إذا غنّى ثَنَت الوحشُ أجيادها ، وفارقت اعتيادَها ، وعطفت خُدودَها ، وتركت شُرودَها ، مصغيةً إليه ، مقبلةً عليه ، فإذا قطع عاودَتْ نِفارها ، وطلبت أوكارها ، هذا فعلُ الأوابد ، والوحوش الشوارد ، فما ظنُّك بالقلوب الرقيقة ، والفِطَن الرشيقة . ولقد ألّفَ الإسلاميُّون في الأغاني ، وما يتّصل بها من المعاني ، ما إنْ نظرْتَ بتمييز وحكمت بعدل ، وقفت[1] على الفضل ، في هذا الفصل ، ولم تُحوِجْك العصبية ، والنَّفسُ الغضَبيّة ، إلى شهادة الزُّور ، والجور المأزور .

وأما الأُوطيق والوطيق[2] فهنالك جاءت الاحموق ، والأخروق ، وظهر عجزُ القوم وبانَ أنّهم أغمار ، ليس فيهم إلّا حِمار[3] ، وضلّ سعيهم في الحياة الدنيا ثمّا وصلوا إلى حيثُ تنفرد العقول[4] بنظرها ، والبصائر بفكرها ، فمنهم الدَّهرية أنكروا المعقول ، والعِلمَ المنقول ، والدّليلَ والمدلول ، وهم يُبصِرون تعاقب الأضداد وتعاوُرَ الكون والفساد ، ومنهم الطبيعيون وهم أيادي سبا[5] ، وفِرَقٌ شتّى ، قوم يقولون العالم من أصلين : هوائيّ وأرضيّ ، فجمعوا بين الرّاسب والطافي ،

(١) في الأصل : « ووقفت » صوابه في الذخيرة .
(٢) في الذخيرة : « الاطوطيق والطوبيقا » . وانظر ما سبق في ص ٢٥١ .
(٣) الذخيرة : « أنهم أعجاز ، ليس فيهم إلا جاز » .
(٤) الكلام بعده إلى « العقول » التالية ساقط من الذخيرة .
(٥) الذخيرة : « أيادي سبا » .

والكَدِر والصافي[1] . ومنهم من قال إنّ العناصر أربعة هي بسائط المركّبات ، فقضوا بائتلاف المتضادّات ، وتركيب المتعادِيات[2] . ٥١/أ

فإن قيل : كيف صارت متظاهرة ، وهي متنافرة [وغدت متجاورة ، وهي متفاورة ، وإذا كانت تتهارج ، كيف تمازج[3]] ، أم كيف يمتزج الصاعد بالراكد ويلتبس الحارّ بالبارد ؟ قالوا : جمعها جامع ، وقسّمها قاسم ، بطبعه لا باختياره ، وفعله لا باقتداره ، وهـذا غايةُ المحـال ، ونهاية الاختلال ، لأنّه لا بد أن يكون الخامس مثلَها أو مثلَ بعضها ، أو مخالفاً لكلّها . فإن كانَ مثلها أو مثلَ بعضها فلا حاجة بها إليه مع وجود مثله ، وإن كان مخالفاً لسائرها فلا بد من سادس لتغايرها ، ثم كذلك إلى غير غاية .

قال صاحب الكتاب[4] : وبيّن أبو الطيب بُطلانَ كلامهم[5] في احتجاج طويل ، تركته تخفيفاً للتثقيل[6] . ثم قال :

وأمّا أصحاب الطوالع ، وعُبّاد المطالع ، فاختلفوا في الهيئة أيضاً على جهات ، ووصَفوها بصفات ، لا سيّما المنجّمين ، وهم فنونٌ ، في الجنون ، يقولون فَلَك الأفلاك ، ودَرَك الأدراك ، والفَلَك الأثير ، وهذَيان كثير ، وعبدوا الشّمس ، وسَجَدوا للنّار والكواكب وهم يرون آثار النّقص فيها ، ودلائلَ الحدث تعتريها ، من طُلوع وأُفول ، ويزعمون أنّها تتغاير وتتمانع ، وتتكاسف

---

(١) بعده في الذخيرة : « ذهب بقوله أبو الطيب :

تبخل أيدينـــا بأرواحنا … على زمان هي من كسبه

فهذه الأرواح من جوّه … وهذه الأجسام من تربه » .

(٢) التعادي : التخالف والتنازع .

(٣) التكملة من الذخيرة ، ولم يبق لها في الأصل . وفي نسخة الذخيرة « متفاورة » وإنما هي « متفاورة » أي متفاوتة يغير بعضها على بعض .

(٤) هو ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة . انظر التقديم ص ٢٣٦ .

(٥) الذخيرة : « قولهم » .

(٦) في الذخيرة : « أضربنا عنه تركاً وتخفيفاً للتطويل » .

وتخاسف، وكلٌّ بصاحبِ هذا التخليط، من هذه الأغاليط، لا يعرفون رُشْدًا، ولا يهتدون قصدًا.

هذا مقدارُ عقول حكمائك، ونهاية آراء علمائك، وهذا قليلٌ من كثيرِ هذيانهم، وأُوارٌ من غُوار غليانهم. فإنْ قلت: فإنّ العرب أيضًا كانت تعبد الأصنام؟ فنحن ما أخذنا عنها دينًا، ولا رضينا يقينًا، بل نعلم أنّ من قال منها بالإشراك، فقد قصّر في الإدراك. وهي على كلّ حال تذكُر الله تعالى، كما قال عزّ وجل: ﴿ولئن سألتَهم مَنْ خلقَهم ليقولُنّ الله﴾ وقالوا: ﴿ما نَعْبُدُهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زُلْفَى﴾. وكثيرٌ من يقرّ بالبعث والجزاء، ويعترف بالحشر
٥١ ب واللقاء، وكان منهم من رغِب عن عبادة الأوثان، وتفرّقوا في الأديان، فكانت حِمْيَرُ على دين مُوسَى، وكان بنو الدَّيّان وأهلُ نَجْران وتغلب وغسّان على دينِ عيسى، وكانت فيهم المِلّة الحنيفية الإسلامية، والشّريعة الإبراهيمية، ومن أهلها كان قسُّ بن ساعدةَ الإياديّ، وورقة بن نوفل الأسديّ، وزيد بن عمرو من بني عدي[1]، وقتلته الرُّومُ هناك[2]. وقد قيل في خالد بن سنان ما قيل[3].

وكان أبو كَرِب الحِميَريّ[4] أحدُ التبابعة قد آمن برسول الله عليه السلام، قبلَ مبعثه بسبع مائة عام، وقال:

---

(١) هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي. السيرة ١٤٣ جوتنجن.

(٢) الذي في السيرة ١٤٩ أن بني لخم هم الذين قتلوه. فقد يكون ذلك بإيعاز من الروم.

(٣) في الحيوان (٤ : ٤٧٦): «أحد بني مخزوم، من بني قطيعة بن عبس، ولم يكن في بني إسماعيل نبي قبله، وهو الذي أطفأ الله به نار الحرتين». وانظر بقية خبره في الحيوان وحواشيه ومروج الذهب (١ : ٦٧).

(٤) سماه في مروج الذهب «أسعد أبو كرب». وفي التيجان ٢٩٤ أنه تبان أسعد أبو كرب. ومثله في السيرة ١٢. وفي العمدة (٢ : ١٧٦) «تبع بن كليكرب، وهو أبو كرب تبع الأوسط».

شهدتُ على أحمدٍ أنّه ... رسولٌ من الله بارى النَّسَم(١)
فلو مُدَّ عُمرى إلى عمره ... لكنتُ وزيراً له وابن عم

وقد ذكر بعضُ أهلِ المقالاتِ أنّ عبد المطلب بن هاشم كان من المهتدين فى الدِّين ، واستدلّ بأنه أُجيب لمّا سأل(٢) ، وسُقِىَ حين ابتهل ، وذكّرَ سيفَ ابنَ ذى يَزَن ، وحزِنَ على فوته أشدَّ الحزن ، وأكّد له المهود ، وحذّره عليه اليهود(٣) .

ولمّا دُعُوا دخلوا فى الدِّين أفواجا ، وأتوه أزواجا ، إلّا من أدركته النَّفاسة ، وحبُّ الرياسة ، وسبقت عليه الشِّقوة ، وورِمَ أنفُه من النَّخوة ، كأبى جهل بن هشام ، وعامرِ بن الطُّفَيل ، وأُميَّةَ بن أبى الصلت وغيرهم .

وقال معاوية فى كلام له مشهور(٤) : « فما كان إلا كغِرار النَّوم حتّى جاء نبىٌّ لم يسمَع الأوَّلون بمثله ، ولا يَسمع الآخَرون به ، ولقد كنّا نفخر بذكره على من نطرأ عليه(٤) [ويطرأ علينا(٥)] وإما لنكذّبه ، ونتبجح بذكره وإما لنحاربه » .

هـذه لمعٌ من أمور الجاهلية ، وطُرَف من مفاخر الأوَّليَّة ، إن أنصفتَ نفسك ، أو صدقت حسّك ، عرفتَ أين يقع منها مُفاخِرُوها(٦) ، وهل يشقّ غبارَها مُجارُوها(٧) .

---

(١) البيتان فى المراجع المتقدمة . وزاد المسعودى — فى بعض نسخه :
وألزم طاعته كل من ... على الأرض من عرب أو عجم
(٢) سأل الله حماية البيت من الحبشان . السيرة ٣٤ — ٣٧ .
(٣) يشير إلى قول سيف بن ذى يزن لعبد المطلب حين وفد عليه لتهنئته : « والبيت ذى الحجب ، والعلامات على النصب ، إنك يا عبد المطلب ، لجده غير الكذب ، فاحفظ ابنك واحذر عليه من اليهود فإنهم له عدى ... ولولا أن الموت مجتاحى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار مملكته » . التيجان ٣٠٩ .
(٤) فى الأصل : « يطرأ عليه » ، والصواب من الذخيرة .
(٥) التكملة من الذخيرة .
(٦) فى الأصل : « مفاخرها » ، صوابه فى الذخيرة .
(٧) فى الأصل : « مجاورها » ، صوابه فى الذخيرة .

(وفي فصل) : وما تصنع إذا نُشِرَت الكتائب ، ونُثِرت الكنائن ،
٥٣ / ا وقَرَعتك القوارع ، وقَرَعتك الفوارع[1] ، وماست رايات السّيادة ، وخفقت ألوية السّعادة ، وطلعت عليك طوالع النبوّة في أبّهة الجلال والجمال ، وسَماحة[2] العزّ والكمال ، وقيل لك : هذا سيّد ولد آدم أوّلهم وآخرهم ، خاتم الأنبياء ، وقائد الأتقياء . أشهدُ أنّ الله لم يجعل محمداً هاشمياً إلا وهاشمٌ خير قريش ، ولا قرشياً إلا وهم خير مضر ، ولا مضرياً إلا وهم خير العرب ، ولا عربياً إلا وهم خير الأمم . لهم كعبةُ الله ، وولادةُ إسماعيل ، ودَعوة إبراهيم ، وإليهم مُهاجَر هود وصالح وشُعيب وأتباعهم من المؤمنين ، وأشياعهم من المُوقنين . فيهم كان رحامُهم، وعندهم دُفِنت رِمامُهم ، لا كَتَنائك[3] الذي أسررت فيه حسواً في ارتغاء ، ودفعاً في ابتغاء ، وكشفتَ فيه ضَبابك ، عن ضِبابك[4] ، وهتكت أستارك ، عن ابتسارك[5] ، وظننتَ أنّ مخالطك ، تُخفي مَعَالطك[6] ، وأنّ مدحك ، يستر قَدْحك حين مدحتَ مدحاً بَجَليّاً[7] ، وأتيت مثله دَخَلياً[8] ، ولم يُمدَح مَن ذُمّت

(١) هذه الجملة ساقطة من الذخيرة .
(٢) في الأصل : « سماحة » ، وأثبت ما في الذخيرة .
(٣) في الأصل : « لا كتنائك » ، وفي الذخيرة « لا كنائك » ، والوجه فيهما ما أثبت .
(٤) في الذخيرة : « وكشفت فيه ضبابك » ، صوابه في الأصل . والضباب ، بالكسر : جمع ضب ، وهو الحقد والعداوة . قال :

فما زالت رقاك تسل ضغني وتخرج من مكامنها ضبابي

وفي الأصل : « ضبابك » صوابه في الذخيرة .
(٥) الابتسار : أن يؤخذ الشيء غضا طريا . في الأصل : « من استارك » وفي الذخيرة « من ابتسارك » ، ووجههما ما أثبت .
(٦) المعالط : جمع معلط ، من المعلطة ، وهو السمة يوسم بها .
(٧) إشارة إلى قول عويف القوافي في مدح جرير بن عبد الله البجلي :

لولا جرير هلكت بجيله نعم الفتى وبئست القبيله

انظر الأغاني (١٤ : ٩٩/١٠٧ : ١٤) .
(٨) الدخل ، بالتحريك : العيب والغش والفساد . وفي الأصل : « وخليا » ، والذخيرة « وجليا » ، صوابهما ما أثبت .

قبائله[1] ، ولم يثبت مَن جُذَّت حبائله . أجعلتَ ويلك تيه في الرَّغام ، بل الرَّغام لأنفك ، والرُّغام لوجهك[2] . لقد أخللتَ بنفسك وزلّت قدمُك ، وأحللت بمقدك وقد حلّ دمُك . ولو صحّ اعتقادُك ، لصحّ انتقادك ، ولو خلص باطنُك ، لأقصرَ باطلك ، ولو اصطلحت ، ما ظُلِمت ، ولو اختَرْتَ ، ما وفى بما اجترمت[3] .

سمع عمر بن عبد العزيز رضي الله بعض كاتبيه ، وعُيِّر بنصرانية أبيه ، فضرب لنفسه مثلا يجلّ عنه ، ويرتفع عن قدره ، فقال له عمر : أوَقد قلتها ، والله لا تشرب الباردَ بعدها ! وأمر به فضربت عنقه .

فأمّا إذ أغفل ولاةُ الأمر تأديبك ، وتأديبَ الكافّة بك فأهملوا تأنيبك ، وتأنيب السُّفهاء مثلك ، فتُبْ إلى الله توبةً تهديك ، وتُنْجيك . وعلى أنك خلقتَ ، من ذلك التلف ، رأيك فيه رأي أمثالك ، وفرعك جارٍ على أصلك ، إلاّ أنّ السيفَ قهرك ، والدِّين قسرك ، وأخذك حكم الدار ، وخوفُ البدار ، فأنتَ ٥٢ ب
تَشرَقُ بريقك ، وتَغصُّ برحيقك ، ولابدّ للمصدور أن ينفث ، وللمبهور أن يغوِّث[4] .

ولا بدّ للمـــاء في مرجل ... على النّار موقدةً أن يفورا[5]

كمل التقييد والحمد لله كثيرا[6] .

---

(١) سبقه بنحو هذه العبارة محمد بن سلام . الأغاني ١٩ : ١٤ .
(٢) الرغام بالفتح : المخاط .
(٣) هذا ما في الذخيرة . وفي الأصل : « أوفى بما اجترمت » .
(٤) غوث تغويثا : قال : واغوثاه .
(٥) الذخيرة : « مسعرة » .
(٦) هذه صورة ما ورد في ختام الأصل من مجموعة الإسكوريال .

المجموعة الرابعة

وقد ألحق بها (الفهارس العامة) للمجلد الأول

١٥ - رسالة في شرى الرقيق وتقليب العبيد، لابن بطلان.
١٦ - هداية المريد، في شراء العبيد، لمحمد الغزالي.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذه هى المجموعة الرابعة من (نوادر المخطوطات) ، وهى تضئ بيانا تاريخيا على ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية التى عاشتها أجيال شتى على جنبات هذه الدنيا . وهى وثيقة تاريخية للباحثين فى حضارة أسلافنا العرب وأسلافنا المصريين ، نعرضها مبسوطة فى هذين الكتابين النادرين . وقد اقتضانا موضوعهما أن نمهد لهما بكلمة فى تاريخ الرق فى العصور القديمة ، ثم فى العصور الحديثة .

كلمة فى الرق والرقيق

الرقيق كلمة مأخوذة من الرق ، وهو الملك والعبودية ، يقال رق العبدُ وأرقه واسترقه ، فهو مرقوق ومُرَقّ ورقيق ، ومرجع معناها إلى القدر المعنوى المشترك فى هذه المادة ، وهى الضعف والخفة . كما أن العبد مأخوذ من العبودية ، وهى الخضوع والطاعة . و « الرقيق » من الألفاظ التى تقال للواحد والجميع ، فالعبد رقيق والعبيد رقيق أيضاً .

الرق عند قدماء المصريين :

لم يكن نظام الرق مما ابتدع الإسلام ، وإنما كان نظاما يسود الأمم القديمة ، عرفه المصريون واستخدموا الرقيق ، ولا سيما فى قصور ملوكهم وبيوت كهانهم ورجال الحرب . وكانت الأَمَـة ترفع أحيانا عندهم إلى مقام الزوجة ، وكان من شريعتهم أن من قتل الرقيق يقتل فيه[1] .

---

(١) انظر الرق فى الإسلام لأحمد شفيق باشا بترجمة أحمد زكى باشا ص ٩ .

عند الأسيويين :

وكان كذلك عند الهنود ، وكانوا يسومون الرقيق سوء العذاب ، ووضعت شريعتهم القديمة عقابا قاسياً للجرائم التي ترتكبها طبقة (السودرا) التي يؤخذ منها الرقيق (دازا) .

وكذلك عرفه الأشوريون والإيرانيون والصينيون . وكان الصيني يضطر أحياناً لبيع نفسه أو أولاده لكي يعيش .

عند الإسرائيليين :

وعرفه الإسرائيليون ، فكانوا يبيعون الفقراء ويملكونهم[(١)] . وكما كان الفقر من مبررات الرق كانت السرقة كذلك من مبرراته ، فمن ثبتت عليه السرقة بيع بسرقته[(٢)] .

ودينهم يوصي بحسن معاملة الرقيق ، بل يضرب أجلا مقداره ست سنوات للعبد العبراني يقضيها في خدمة مولاه ثم يضحي بعدها حراً طليقاً[(٣)] .

وإذا ضرب إنسان عين عبده أو عين أمته يطلقه حراً عوضاً عن عينه ، وإن أسقط سن عبده أو سن أمته يطلقه حراً عوضاً عن سنه[(٤)] .

عند اليونان :

وأما اليونان فكانوا كذلك يقتنون العبيد والجواري ، وكان أرسطو يقول بأن الرق نظام مطابق للطبيعة[(٥)] . وكان يعرف الرقيق بأنه آلة ذات روح أو متاع

---

(١) لاويين ٢٥ : ٣٩ ، ٤٠ و ٤٧ — ٥٥ .

(٢) خروج ٢٢ : ١ — ٣ .

(٣) خروج ٢١ : ٢ وتثنية ١٥ : ١٢ .

(٤) خروج ٢١ : ٢٦ — ٢٧ .

(٥) القانون الروماني للدكتور محمد عبد المنعم بدر ص ٩ .

قائمة به الحياة [١]. وأرسطو نفسه كان له غلمان وقيان ، جاء في وصيته عند ما حضرته الوفاة [٢]:

« ... والعناية بما ينبغي أن يعنوا به من أمر أهل بيتي وأربلس خادمي ، وسائر جواريّ وعبيدي » .

وهو يأمر بعتق بعض جواريه بعد موته : « . . . ولتعتق جاريتي أمارقيس ، وإن هي بعد العتق أقامت على الخدمة لابنتي إلى أن تتزوج فليدفع إليها خمسمائة درخمي [٣] وجاريتها ، ويدفع إلى ثاليس الصبية التي ملكناها قريباً غلام من مماليكنا وألف درخمي » .

ويرى الاحتفاظ بغلمانه فيقول في وصيته : « ولا يباع أحد من غلماني ولكن يقرون في الخدمة إلى أن يدركوا مدرك الرجال ، فإذا بلغوا فليعتقوا » .

عند الرومان :

أما الرومان فكانوا كذلك يؤيدون نظام الرقيق ، بل يعتبره الخطيب الروماني شيشرون : (Cicero) نظاماً ضرورياً . وكذلك يذهب سينيك : (Sénèque) أحد فلاسفة الرومان إلى أن لا غضاضة في الرق ، فإن الحرية إنما هي حالة نفسانية من حالات الضمير ، فالعبد إذا كان عاقلاً يمكنه أن يعيش حراً في الواقع ، إذ العبد الحقيق هو من كان طوع شهواته [٤].

---

(١) الرق في الإسلام لأحمد شفيق ١٨ .

(٢) إخبار العلماء للقفطي ٢٥ — ٢٦ .

(٣) هي الكلمة اليونانية التي جعلت في العربية « درهم » ، وقد اختلفت قيمة الدرهم الفضي باختلاف الأزمان والبلدان ، فكان يعادل ما يقرب من أربعين مليما مصريا وأربعين قلماً مرابياً . وكلمة « دراخمة » معناها قبضة لأنها كانت مساوية لقيمة قبضة من النقود الحديدية والنحاسية التي كان يستعملها عامة الشعب . وكانت قيمة الدراخمة الشرائية عالية جداً ، حتى أن الرجل الذي يبلغ دخله خمسمائة دراخمة كان يعد من الأغنياء . النقود العربية للأب أنستاس ٢٤ ، ٨٨ . هذا ، وقد جرى العرف عند فقهائنا المحدثين أن يقدروا الدرهم بخمسة وعشرين مليما أو قرشاً مرابيا .

(٤) انظر القانون الروماني ص ٩ .

وأصل نشأة الرق عندهم مبنى على المبدأ الذى كان متبعاً فى الحروب القديمة التى وقعت فى العصور البدائية ، إذ كان الناس فى أول الأمر يقتلون أعداءهم إن ظفروا بهم ، إذ لم يكونوا يستطيعون استخدامهم بطريقة مأمونة منظمة ، ولكن بتحضر الإنسان واستيطانه لأرض معينة يقوم بزراعتها ورعى ماشيتها شعر بحاجته إلى استخدام هؤلاء الأعداء فى الزراعة والرعى بدلا من قتلهم ، فكان الرق .

فالسبب الرئيسى للرق عند الرومان هو الأسر فى الحروب ، وكذلك الولادة من المرأة المملوكة ولو كان رجلها حراً .

والرومانى لا يمكن أن يصير رقيقاً فى نفس البلدة التى عاش فيها حراً ، فالرومانى الذى يصير رقيقاً لا بد أن يكون تسليمه خارج روما ، إما بحكم القاضى أو بوساطة الشخص الذى يخوله القانون حق بيعه . فللقاضى أن يبيع خارج روما الرومانى الذى لم يقيد اسمه فى قوائم التعداد ، أو الذى يهرب من الحرب أو التجنيد . وللأب أن يبيع أولاده خارج روما باعتبارهم أرقاء . وللدائن أن يبيع مدينه المعسر خارج روما . وللمسروق منه إذا ضبط السارق متلبساً بالجريمة أن يبيعه كذلك . وللقاضى أن يسلم الرومانى الذى اعتدى على دولة أجنبية موالية لروما .

هذا ما كان متبعاً فى العصر الجمهورى . أما فى العصر الإمبراطورى فقد ألغى نظام استرقاق الشخص الرومانى بالمسوغات السابقة إلا فى حال السرقة واستبدل بها مسوغات أخرى ، هى أن يتواطأ الشخص مع غيره أن يبيعه على أنه رقيق حتى إذا تمت الصفقة استرد حريته وقاسم شريكه الثمن ، ففى هذه الحالة يحرم حريته ويصير رقيقاً حقاً . وكذلك المحكوم عليهم بالإعدام أو بالأشغال الشاقة أو بمنازلة الأسود ، يضرب عليهم الرق . وتظهر ثمرة ذلك بالنسبة لورثتهم فإنهم يحرمون من ميراثهم الذى أصبح ملكا للإمبراطورية . كما أجاز القانون أن يسترق العتق معتوقه بعد عتقه ولا عبرة بجحود هذا الأخير .

ومع ذلك أوصت القوانين الرومانية بحماية الرقيق من سوء معاملة السيد[1] .

---

(١) انظر القانون الرومانى ص ١٦ .

وكان هناك ضرب من العبيد يسمى « عبيد الحراثة » وهم عبيد الأرض ، وهؤلاء يعدون أحسن العبيد حالا عندهم ، يتمتعون بحقوق لا يتمتع بها غيرهم[1] .

عند الأوربيين :

وكذلك كثر الرقيق فى أوربا القديمة عند الأمم البربرية وعند الغاليين والجرمانيين الذين بلغ من ولوعهم بالميسر أن يقامروا على نسائهم وأولادهم ، بل على حريتهم الشخصية[2] . وكذا الفرنج واللومبارديون والأنجلوسكسون .

ومما يجدر ذكره أن من أوائل الدول الأوربية التى حرمت الرقيق الدنمرك إذ صدر بها قانون سنة ١٧٩٢ يحرم تجارة الرقيق منذ سنة ١٨٠٢ وأصدر الإنجليز قانون تحريمه سنة ١٨٠٧[3] . وفرنسا ألغت نظامه بعد ثورتها فى فبراير سنة ١٨٤٨[4] .

عند العرب :

وأما العرب فى جاهليتهم فكانوا فى أعقاب الغزو يستحوذ الغالب منهم على رجال المغلوب ونسائه ويتخذ منهم الرقيق . ونجد فى الشعر الجاهلى العبد والعبيد والعبدان ، والأمة والإماء والإموان ، والسباء .

وفى أسد الغابة[5] أن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من قضاعة وأمه من طيء ، فأصابه فى الجاهلية سباء ، لأن أمه خرجت تزور قومها بنى معن فأغارت عليهم خيل بنى القين بن جسر فأخذوا زيداً فقدموا به سوق عكاظ ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد . وقد وهبته خديجة لرسول الله فأعتقه .

وكان للعرب كذلك رقيق من الأمم الأخرى ممن حرره الإسلام فيما بعد ، ومن أشهر هؤلاء الموالى بلال الحبشى ، وسلمان الفارسى .

وأجاز الإسلام فى أول الأمر استرقاق المسلمين للعرب الذين يؤسرون فى

---

(١) انظر (أعجب ما كان ، فى الرق عند الرومان) لزعيم مصطفى كامل ص ١٨ — ١٩ .
(٢) الرق فى الإسلام ص ٣١ .
(٣) انظر : The great encyclopedia of universal Knowledges
(٤) الرق فى الإسلام ص ٤٨ . (٥) أسد الغابة ٢ : ٢٢٤ .

الغزوات ، كالذى كان فى غزوة بنى المصطلق — وهم عرب من خزاعة — يروى ابن هشام[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب منهم سبياً كثيراً فشا قسّمه بين المسلمين ، وأن جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار زوج رسول الله كانت فيمن قد سبى ، ووقعت فى القسمة فى سهم ثابت بن قيس بن الشماس أو ابن عم له ، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسول الله تستعينه فى ذلك فقال لها : هل لك فى خير من ذلك ؟ أقضى عنك كتابتك وأتزوجك . قالت : نعم يا رسول الله . وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله قد تزوج جويرية . فقال الناس : أصهار رسول الله ! وأرسلوا ما بأيديهم . قالت عائشة : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

ولكن ذلك لم يدم طويلا ، إذ حتّم الإسلام فيا بعد ألا يقبل من عربى إلا إحدى اثنتين : إما الإسلام وإما القتل[2] .

وبذلك اقتصر أمر الرقيق فى الإسلام على وقوع الكفار من غير العرب أسرى فى أيدى المسلمين عند الحرب ، أو عند سقوط بلادهم المفتوحة عنوة فى أيدى المسلمين فيجوز للإمام أن يسترقهم ، ويجوز له أن يضع الجزية على رءوسهم[3] ، يختار من ذلك ما يراه فى مصلحة المسلمين .

وهذا الرقيق يعد فى جملة الغنائم الحربية ، شأنه شأنها ، ينقلها الإمام إلى دار الإسلام ويقسمها أخماساً ، فالخمس للفقراء والمساكين وسائر وجوه البر ، وسائر الأخماس تقسم على المقاتلة ، للفارس سهمان أو ثلاثة — على خلاف بين الفقهاء[4] — وللراجل سهم واحد .

وبانتشار الفتوح الإسلامية كثر الرقيق المجلب من البلاد المفتوحة كثرة ظاهرة ، وصار من الميسور أن تجد الرقيق فى كل بيت ، حتى كان الزبير بن العوام

---

(١) السيرة ٧٢٩ جوتنجن .

(٢) جاء فى حاشية ابن عابدين ٣ : ٣١٦ : « إلا مشركى العرب والمرتدين فإنهم لا يسترقون ، ولا يكونون ذمة لنا ، بل إما الإسلام أو السيف » .

(٣) فتح القدير ٤ : ٣٠٥ — ٣٠٦ والدر المختار بهامش ابن عابدين ٣ : ٣١٦ .

(٤) فتح القدير ٤ : ٣٢٠ .

فيما يروى المسعودي[١] مسئولياً على ألف عبد وأمة . ويبدو أن كثيراً من هذه المماليك قد آلت إلى ولده عبد الله الذي طالبه أعداؤه بأن يعتقهم فقال[٢] : « وأما عتق مماليكي فوالله لوددت أنه قد استتب لي أمرى ثم لم أملك مملوكا أبداً » .

وهذا يفسر لنا حرص كثير من الرؤساء على حيازة العبيد .

والرقيق متاع مملوك مثله مثل عروض التجارة ، لمالكه أن يبيعه وأن يهبه ، وللسيد أن يستمتع بأمته ويستولدها ، فإذا ولدت منه كان ابنها ولده ، وسميت هي أم ولد له ، وبقيت في رقها ، ولكن لا يجوز له أن يبيعها ما دام حيا ، فإذا مات صارت حرة لا سلطان لأحد عليها ، وأبناؤها منه أحرار من يوم يولدون .

والسراري حل للرجل بملك اليمين يتسرى منهن من شاء ولو بلغن ألفا أو أكثر في العدد ، ما كن صاحيات دين سماوي .

وللرجل أن يتزوج الجارية بعقد النكاح في حدود الزوجات الأربع والدين السماوي ، إذا كانت مملوكة لغيره ، لا يمنع من ذلك العقد إلا أن يكون متزوجاً قبلها بحرة في عصمته أو ما تزال في عدة الطلاق ، فقد نهى الحديث أن تنكح الأمة على الحرة[٣] .

وليس للسيد أن يتزوج أمته ، لأن ملك الرقبة يفيد ملك المنفعة وإباحة البضع فلا يجتمع معه عقد أضعف منه[٤] .

فنظام الرق في الإسلام نظام اختياري يقابله نظام الجزية .

وقد وضع بجانب نظام الرق نظام آخر في مصلحة الرقيق ، هو نظام الكفارات التي من بينها عتق العبيد ، كما أوصى الإسلام فيما أوصى بحسن معاملة الرقيق .

ففي صحيح البخاري[٥] : « لا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي » .

---

(١) مروج الذهب ٢ : ٣٤٧ .
(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٩٤ .
(٣) فتح القدير ٢ : ٣٧٧ .
(٤) المغني لابن قدامة ٦ : ٦١٠ .
(٥) انظر فتح الباري ٥ : ١٣١ .

وفيه أيضاً عن المعرور[1] قال : « لقيت أبا ذر بالربذة — وعليه حلة وعلى غلامه حلة — فسألته عن ذلك فقال : إني ساببت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر ، أعيرته بأمه ! إنك امرؤ فيك جاهلية ، (إخوانكم خولكم) جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » .

وقد زخرت كتب التشريع الإسلامي ببحث مسائل الرقيق ومشاكله الواقعية والافتراضية جميعاً .

الرقيق في العصر الحديث :

وقد وجد العصر الحديث أن أمر الرقيق قد أسرف فيه ، واعتراه كثير من الخلط والفوضى ، وأن أبصار النخاسين قد اتجهت إلى اجتلابه بشتى الوسائل التي لا تمت إلى الشرع بسبب ، فبيعت في أسواق النخاسة بنات الأسر السلمات واختطفت كرعة قومها لتنالها يد السري القادر ، فأحفظ ذلك بعض الولاة في مصر وفي غيرها ، ووافق ذلك تكاتف الدول الأوربية على أن تقضي على تجارة الرقيق في بلادها ومستعمراتها الإفريقية والأسيوية ، وبذل بعضها في ذلك المال لتعويض ملاك الرقيق . يقول الرافعي[2] : « اعتبر ذلك في أن الحكومة الإنجليزية حينما قررت إبطال الرقيق في أملاكها خصصت عدة ملايين من الجنيهات لتعويض موالي الأرقاء المحررين » .

ويذكر الرافعي أن الاتجار بالرقيق منع من عهد محمد علي ، « ولكن هذا المنع لم يكن إلا اسميا ، وبقيت تجارة الرقيق في السودان قائمة إلى عهد سعيد باشا بعين الحكومة وبصرها وبتأييد موظفيها ، وكان يتولاها تجار أقوياء لهم بيوت تجارية كبيرة تتجر في حاصلات السودان وفي الرقيق ، وتربح من كل ذلك الأرباح الطائلة . وكان تجار الرقيق لما لهم من النفوذ والسطوة والمال يقيمون في مختلف

---

(١) انظر فتح الباري ١ : ٨٠ / ٥ : ١٢٦ .

(٢) عصر إسماعيل لعبد الرحمن الرافعي ١ : ١٣٦ .

الجهات معاقل حصينة اتخذوها مراكز للتجارة واصطياد الرقيق ، فلما تبوأ إسماعيل عرش مصر اعتزم أن ينضم إلى حركة العاملين على تحرير الأرقاء فى أنحاء العالم وأن يكسب ثناء الإنسانية فى مقاومة الرقيق ، وبذل جهوداً كبيرة فى هذا السبيل (١) » .

وكان لاهتمام الوالى أثره فى ضبط سبعين سفينة مشحونة بالأرقاء بين كاكا وفاشودة أطلق سراحهم ، واعتقل التجار الذين جلبوهم ولم يفرج عنهم إلا بعد تعهد بعدم العودة إلى ذلك . كما كان لاحتلال فاشودة سنة ١٨٦٥ أثر كبير فى سد طريق النيل فى وجه تجار الرقيق الذين كانوا يقتنصون الأرقاء فى جهات بحر الغزال وخط الاستواء ويشحنونهم فى السفن .

أما العبيد المملوكون قبل صدور هذا الأمر فقد وضع لهم تشريع يخولهم الحق فى التحرير إذا ثبت أن السيد أساء معاملتهم (٢) .

ويأخذ الرافعى على إسماعيل بعض الأخطاء فى تنفيذ هذا الأمر : منها أنه لم يفكر فى تعويض تجار الرقيق ، وكانوا تجاراً أقوياء لهم أنصار لا يستهان بهم ، فضلا عن أن الأيدى العاملة فى الزراعة ورعى الماشية وغير ذلك كان معظمها من الرقيق . هذا إلى أن الخديوى قد جعل على رآسة مقاومة الرقيق جماعة من الأجانب منهم السير صموئيل بيكر ، وغردون الذى لم يقترن اسمه إلا بمحاربة الاتجار بالرقيق (٣) فاستثار وجودهم عواطف الأهلين الدينية ، فاستهدفت الحكومة لعداء طبقة كبيرة من أعيان السودان وتجاره ، مما ظهر أثره فى نجاح دعوة المهدى فى أوائل عهد توفيق ، إذ انضم إلى الثورة تجار الرقيق فى السودان (٤) .

هذا هو الرقيق فى موجز تاريخه ، ومع ذلك فلا تزال تجارة الرقيق قائمة فى إفريقية . وفى العدد ١٥٣٠ من المصور الصادر فى أول جمادى الآخرة سنة ١٣٧٣ خلاصة تقرير يقع فى ٢٠٠ صفحة لعالمين من علماء الاجتماع هما « جاك آلان » و « جورج هيرالد » قضيا فى تتبع عصابات الرقيق أربعة أعوام . وفيه من المآسى ما ينطق بقسوة الأوربيين من تجار الرقيق وفظائعهم التى يرتكبونها فى هذه القارة البائسة .

(١) عصر إسماعيل ١ : ١٣٤ . (٢) عصر إسماعيل ١ : ١٣٥ .
(٣) عصر إسماعيل ١ : ١٦٣ . (٤) عصر إسماعيل ١ : ١٣٦ .

وهذه عجالة لم نستطع فيها أن نستقصي القول في الرقيق الذي كان في بعض العصور نصف الدنيا ، وكان له في الحياة العربية أثر بالغ في النواحي الحضارية والعلمية والأدبية والفنية ، وحفظ لنا أبو الفرج الأصفهاني في تضاعيف أغانيه وثائق شتى فيما يتعلق بالرقيق ، كما زخرت كتب الأدب والتاريخ القديمة بذكر آثارهم وأخبارهم . وتناول الكتاب المحدثون في أبحاثهم هؤلاء الرقيق من جوانب شتى أذكر منها فجر الإسلام وضحاه للدكتور أحمد أمين ، والرقيق في الإسلام لأحمد شفيق (باشا) وضعه بالفرنسية وترجمه أحمد زكي (باشا) ، ومنها الفصول التي كتبها الرافعي في (عصر إسماعيل) ، وكتاب الدكتور محمد فؤاد شكري (الخديو إسماعيل والرقيق في السودان) وضعه باللغة الإنجليزية . وكتبت دائرة المعارف البريطانية فصلا ضافياً في الرق (Slavery) . وللزعيم المغفور له مصطفى كامل كتيب في الرق ألفه عند ما كان طالباً بمدرسة الحقوق ، سماه « أعجب ما كان ، في الرق عند الرومان » طبع بمطبعة المحروسة سنة ١٣١٠ في عشرين صفحة .

ابن بطلان وكتابه

ابن بطلان :

هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون الطبيب البغدادي المعروف بابن بطلان .

ويبدو أن اسمه الكنسي هو « يوانيس » كما ورد ذلك بخطه في نص نقله ابن أبي أصيبعة[١] .

ويذكر القفطي[٢] نظيراً لذلك في ترجمة صاعد بن هبة الله ، قال : « كان اسمه أيضاً ماري ، وهو من أسماء الكنيسة عند النصارى فإنهم يسمون أولادهم عند الولادة بأسماء فإذا عمدوهم سموهم عند المعمودية باسم من أسماء الصالحين » .

أخذ علمه في العراق عن أبي الفرج عبد الله بن الطيب المتوفى سنة ٤٣٥ ،

---

(١) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة .
(٢) إخبار العلماء ١٤٥ .

وكان عالماً بالمنطق والحكمة والطب ، وفيه يقول ابن بطلان[1] : « وشيخنا أبو الفرج عبد الله بن الطيب بقى عشرين سنة فى تفسير ما بعد الطبيعة ، ومرض من الفكر فيه مرضة كاد يلفظ نفسه فيها » . وكان أبو الفرج يجل تلميذه ابن بطلان ويعظمه ، ويقدمه على تلاميذه ويكرمه[2] .

ولازم أيضاً أبا الحسن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحرانى الصابى المتوفى سنة ٣٦٩ وهو عم أبى إسحاق الصابى ، وكان من أكبر الأطباء الحاذقين فى بغداد فانتفع به ابن بطلان فى صناعة الطب ، وفى مزاولة أعمالها . وكانت صناعة الطب هى المهنة التى كان يرتزق منها ابن بطلان .

وعاش ابن بطلان حياته للعلم لم يتخذ امرأة ولا خلف ولداً . وفى ذلك يقول :

ولا أحد إن مت يبكى لميتتى سوى مجلسى فى الطب والكتب باكيا

رحلة ابن بطلان للقاء ابن رضوان :

كان ابن بطلان معاصراً لعلى بن رضوان الطبيب المصرى ، وكان بينهما — كما يقول ابن أصيبعة — مراسلات عجيبة وكتب بديعة غريبة ، ولم يكن أحد منهما يؤلف كتاباً ولا يبتدع رأياً إلا ويرد عليه الآخر ويسفه رأيه . قال : وقد رأيت أشياء من المراسلات التى كانت فيما بينهم ووقائع بعضهم فى بعض .

فصح عزم ابن بطلان فى مستهل رمضان سنة ٤٤٠ أن يخرج إلى لقائه فى مصر استجابه لما أملته عليه المنافسة ، فخرج من بغداد إلى الجزيرة والموصل وديار بكر ، ودخل (حلب) وأقام بها مدة أحسن إليه فيها معز الدولة ثمال بن صالح وأكرمه إكراماً كبيراً .

ويروى لنا القفطى حياته فى حلب ، أنه لما دخل إليها تقدم عند المستولى عليها وسأله رد أمر النصارى فى عباداتهم إليه ، فولاه ذلك وأخذ فى إقامة القوانين

(١) القفطى فى إخبار العلماء ١٩١ ، ١٩٨ .
(٢) القفطى ١٩٢ .

الدينية على أصولهم وشروطهم فنكرهوه . وكان بحلب رجل كاتب طبيب نصرانى يعرف بالحكيم أبى الخير بن شرارة وكان إذا اجتمع به وناظره فى أمر الطب يستطيل عليه ابن بطلان بما عنده من التقاسيم المنطقية فينقطع فى يده ، وإذا خرج عنه حمله الغيظ على الوقيعة فيه ويحمل عليه نصارى حلب الذين هجوه هجاء اضطر معه إلى فراقهم .

خرج ابن بطلان من حلب إلى (أنطاكية) ، ثم إلى (اللاذقية) وقد وصف هذه البلدان التى مر بها وصفاً ناقداً عجيباً فى كتاب كتبه إلى الرئيس هلال ابن المحسن[1] ثم أتم رحلته إلى مصر فدخل (الفسطاط) فى سنة ٤٤١ وأقام بها ثلاث سنين وذلك فى دولة المستنصر بالله من الخلفاء الفاطميين ، وجرت بين الرجلين وقائع كثيرة ونوادر طريفة لا تخلو من فائدة . وقد ضمن ابن بطلان تلك الحوادث والمحاورات رسالة بعث بها إليه بعد خروجه من مصر . وقد حفظ لنا القفطى هذه الرسالة فى كتابه[2] ، ونشرها يوسف شاخت وماكس مايرهوف سنة ١٩٣٧ .

وقد اتسع نطاق المناظرة بين الرجلين حينما تخرج من حدود المناظرة العلمية إلى حد المهاترات الشخصية ، فيذكر ابن أبى أصيبعة أن ابن رضوان كان أسود اللون ولم يكن بالجميل الصورة وكان يناضل عن نفسه من هذه الجهة حتى ألف مقالة يرد بها على من عيره بقبح الخلقة ، بين فيها « أن الطبيب الفاضل لا يجب أن يكون وجهه جميلا » . فانتهزها ابن بطلان فرصة له فوقع فيه ، وكان يلقبه « تمساح الجن » وقال فيه :

فلما تبدى للقوابل وجهـــه نكصن على أعقابهن من الندم
وقلن وأخفين الـكلام تسترا ألا ليتنا كنا تركناه فى الرحم !

ويعقد ابن أبى أصيبعة مقايسة علمية بينهما فيقول :

« كان ابن بطلان أعذب ألفاظاً وأكثر ظرفا وأميز فى الأدب وما يتعلق به ؛

---

(١) القفطى ١٩٣ — ١٩٥ .
(٢) القفطى ١٩٥ — ٢٠٧ .

ومما يدل على ذلك ما ذكره فى رسالته التى وسمها بدعوة الأطباء . وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها » .

ويذكر صاحب النجوم الزاهرة[1] أن ابن رضوان «كان فيه سعة خلق عند بحثه » .

خاتمة ابن بطلان :

خرج ابن بطلان من مصر غاضباً على ابن رضوان ورجع إلى أنطاكية مرة أخرى فأقام بها ونزل بعض الديرة فيها وترهب منقطعاً إلى العبادة إلى أن توفى بها[2] ودفن فى كنيستها .

فيذكر القفطى المتوفى سنة ٦٣٦ أنه توفى سنة ٤٤٤ وكذلك صنع ابن العبرى[3] المتوفى سنة ٦٥٨ على حين يذكر ابن أبى أصيبعة أنه قد اطلع على مخطوطات شتى لابن بطلان وفيها من التوارخ ما يشهد بأن حياته امتدت إلى سنة ٤٥٥ كما نقل عنه تسجيلات لوفيات أعيان العلماء الذين عاصروه ، منهم الشريف المرتضى (٤٣٦) والماوردى (٤٥٠) وأبو الطيب الطبرى (٤٥٠) ومهيار الديلمى (٤٢٨) وأبو العلاء المعرى (٤٤٩) . وهذا مما يجعلنا نرجح أن وفاته كانت بعد التاريخ الذى ذكره القفطى بنحو عشر سنوات على الأقل .

آثاره العلمية :

يذكر المؤرخون له من الكتب غير كتابنا هذا :

١ — كناش الأديرة والرهبان ، ذكر فيه الأمراض العارضة لرهبان

---

(١) ابن تغرى بردى ٥ : ٦٩ .

(٢) هذه رواية القفطى . ويذكر ابن أبى أصيبعة أنه سافر من مصر إلى القسطنطينية وأقام بها سنة . ويبدو أن رحلته إلى القسطنطينية كانت بعد ذلك ، أى فى أثناء إقامته بأنطاكية إذ يسجل ابن أبى أصيبعة أنه ألف كتاباً فى القسطنطينية سنة ٤٤٠ .

(٣) تاريخ مختصر الدول ٣٠٦ طبع ١٦٦٣ .

الأدوية ومن بعد من الدبغة ، كما جاء فى مقدمة كتاب البيارات الشابستى بتحقيق كوركيس عواد . ومنه نسخة بمكتبة الفاتيكان .

٢ — تقويم الصحة ، فى قوى الأغذية ودفع مضارها . نشرت ترجمة لاتينية له فى إستراسبورج سنة ١٩٣١ وترجمة ألمانية فى استراسبورج أيضاً فى السنة التى تليها كما ما ورد فى دائرة المعارف الإسلامية ، ومنه نسخة بالمتحف البريطانى وأخرى بالفاتيكان .

٣ — مقالة فى شرب الدواء المسهل .

٤ — مقالة فى كيفية دخول الغذاء فى البدن وهضمه وخروج فضلاته وسقى الأدوية المسهلة وتركيبها .

٥ — مقالة إلى على بن رضوان عند وروده الفسطاط سنة ٤٤١ جواباً عما كتبه إليه ، وقد نشر فى (خمس رسائل) تحقيق يوسف شاخت وماكس مايرهوف ، مطبوعات كلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٣٧م .

٦ — مقالة فى علة نقل الأطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التى كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة إلى التدبير المبرد ، كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها ، ومخالفتهم فى ذلك لسطور القدماء فى الكنانيش والأقرباذينات وتدرجهم فى ذلك بالعراق وما والاها على استقبال سنة ٣٧٧ إلى سنة ٤٥٥ صنفها بأنطاكية وكان قد أهل لبناء بيارستان أنطاكية .

٧ — مقالة فى الاعتراض على من قال إن الفرخ أحر من الفروج بطريق منطقية ، ألفها بالقاهرة سنة ٤٤١ . وقد نشر فى مجموع (خمس رسائل) .

٨ — كتاب المدخل إلى الطب .

٩ — كتاب دعوة الأطباء ، صنفه على غرار (كليلة ودمنة) ألفه للأمير نصر الدولة أبى نصر أحمد بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر المتوفى سنة ٤٥٣ كما فى النجوم الزاهرة .

قال ابن أبى أصيبعة : « ونقلت من خط ابن بطلان ، وهو يقول فى آخرها : فرغت من نسخها أنا مصنفها يوانيس الطبيب المعروف بالمختار بن الحسن بن عبدون

بدير الملك الفسيح قسطنطين بظاهر القسطنطينية فى أواخر أيلول سنة ١٣٦٥ . هذا قوله ويكون ذلك بالتاريخ الإسلامى من سنة ٤٥٠ » .

وقد نشر هذا الكتاب الدكتور بشارة زلزل بالمطبعة الخديوية بالإسكندرية سنة ١٩٠١ عن نسخة بمكتبته ، وقد تصرف فيها بعض التصرف بحذف « عبارات لا يألفها ذوق الأدباء من أبناء هذا العصر !! » كما ذكر ذلك فى مقدمته .

١٠ — كتاب وقعة الأطباء

١١ — كتاب دعوة القسوس

١٢ — مقالة فى مداواة صبى عرضت له حصاة .

عوز تأليف لهذا الكتاب :

باتساع الرقعة الإسلامية واتساع جلب العبيد تبعاً لذلك قامت تجارة الرقيق نافقة يتولاها النخاسون الذين سميت صناعتهم بالنخاسة [1] ويشرف على تجارتهم قيم يدعونه « قيم الرقيق » [2] .

والرقيق كسائر السلع يرى المشترى أن يختار لنفسه منه ، وأن يأمن جانب الغش والخدعة فيه ، فى عالم غص بأجناس شتى من الأمم من الترك والأرمن والصقالبة والهند والزنج والبربر وغيرهم ، ولكن السوق قاسية ، والبائع يحاول أن يتخلص مما فى يديه ولو سلك فى ذلك سبل الغش والخداع جميعاً ، لذلك قامت إلى جانب النخاسة مهنة أخرى هى مهنة « الدلالة » التى تكفى المشترى مؤونة الخبرة وتكفى البائع من جهة أخرى أن يبالغ فى تزييف سلعته [3] . وقد ذكر ابن بطلان رجلاً اسمه « أبو عثمان » كان من هؤلاء الدلالين ، ولكن الدلالة أو « السمسرة » بعبارة أخرى كان سلاحا ذا حدين نفاع وضرار .

---

(١) النخاس يطلق فى الأصل على بائع الدواب ، سمى بذلك لنخسه إياها حتى تنشط . وقد يسمى بائع الرقيق نخاسا . اللسان (نخس) .

(٢) الأغانى ٢٠ : ٢٢ وضحى الإسلام ١ : ٨٢ .

(٣) يذكر أحمد شفيق (باشا) فى كتابه الرق فى الإسلام عند الكلام على رق الرومان : « وكانت العادة أن المشترى يطلب رؤية الأرقاء عراة تماما لأن بائعى الرقيق كانوا يصبغون وجوها كثيرة من المكر لإخفاء عيوب الرقيق الجثمانية » . ولا تزال تلك العادة باقية إلى الآن كما أخبرنا بذلك من شهد أسواق الرقيق .

ثم إن الأغراض التي يقتني لها العبيد والإماء مختلفة جداً ، وهذه الأغراض لا تتحقق جميعها في جنس واحد من أجناس العبيد ، فالخدمة والطهي ، والقيام على الخزائن والحراسة والقتال ، وطلب الولد والإرضاع ، والغناء والعزف ، والاستمتاع والجمال ، كلها أغراض يتحقق بعضها ممتازاً في بعض الأجناس ولا يكون في الأخرى .

ثم إن العوامل النفسية كالرغبة العاجلة في الشراء ، وهي رغبة تتجاوز عن كثير من السيئات ، والعوامل الاقتصادية كوفرة الرقيق في المواسم واغتنام تلك الفرصة لاستعمال طرق الغش والخداع ، والعوامل الشخصية كأن يدس بين الرقيق من يتخذ من الأعداء عيناً على سيده المنتظر فيفسد عليه أمره فيما بعد ، وكذلك ما للعبد من ماض طيب أو سيئ ، أن لكل أولئك وأمثالها آثاراً شتى يجدر بالمشترى أن ينظر فيها طويلا وأن يحزم أمره بالتريث .

وهناك أخطاء كان يقع فيها السادة فيجنون مغبتها ، هي الأخطاء الصحية والنفسية التي لا يتبينها إلا طبيب حاذق ، عالم بالطب وعالم بالفراسة التي تتأدى من النظر في الظاهر إلى معرفة الباطن : الباطن البدني والباطن النفسي أيضاً ، فقد يشترى عبداً معلول الجسم أو معلول النفس وظاهره لمن لا يعرف بارع خداع .

كل أولئك حفز صاحبنا المتطبب « ابن بطلان » أن يضع كتابه هذا في ذلك الموضوع الخطير في تلك العهود التي كان الرقيق فيها جماً هائلا له حسابه وله ميزانه .

موارد الكتاب :

وأقصد بذلك المنابع التي استقى منها ابن بطلان معارفه في هذا الكتاب . وهو قد صرح في أول كتابه أنه اعتمد على رسائل معلم الإسكندر وغيره من العلماء والفلاسفة . وقد ظهر لي في أثناء التحقيق أنه اعتمد في باب الفراسة اعتماداً كلياً على ما ورد في كتاب « جمل أحكام الفراسة » لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١١ يظهر ذلك من المطابقة التامة في الألفاظ وفي نظام التأليف .

ولـكن صاحبنا لم يظهر اسمه اكتفاء بما ورد مبهماً في قوله « من العلماء والفلاسفة » .

التحقيق في شراء الرقيق :

هو مخطوط قديم في المكتبة التيمورية برقم ٤٨ فضائل ورذائل ، مجهول المؤلف ، خـدم به مؤلفه اسم « الملك الصالح أبي الظفر أحمد بن الملك الظاهر أبي الظفر غازى بن الملك الناصر أبي المظفر يوسف بن أيوب بن شادى » .

وقد اعتمد هذا الـكتاب في بيان خصائص الأجناس اعتماداً ظاهراً على ما ورد في كتابنا هذا ، وصرح في بعض المواضع بالنقل عنه ، كما في ص ٢٤٣ ، ٢٥٧ باسم ابن بطلان ، وفي ص ٣٩ ، ٤٤ باسم ابن عبدون ، وكان بذلك معيناً على تحقيق أو توضيح بعض ما ورد من نصوص كتابنا هذا محرفاً أو مبهماً .

نسخة الأصل

هي نسخة جامعة القاهرة رقم ٢٣٣٢٧ المصورة عن مخطوطة برلين رقم ٤٩٧٩ ومع أنها مجهولة التاريخ هي قديمة الخط ، ولم أعثر على نسخة أخرى من هـذا الـكتاب بعد بذل جهد طويل .

وإليك الـكتاب في ضوء التحقيق .

رسالة جامعة لفنون نافعة

في شري الرقيق وتقليب العبيد

تأليف الشيخ أبي الحسن المختار
بن الحسن بن عبدون البغدادي المتطبب

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة جامعة لفنون نافعة في شرى الرّقيق وتقليب العبيد

يعلم منها الراغبُ في هـذا الشأن الأعضاء السّليمة من المَؤُوفة ، والأخلاقَ الطّاهرة من الرديّة ، وأيُّ الإماء يَصلُحن للخِدمة ، وأيّهن للمُتعة ، وأيُّ الأجناسِ عبيدُ طاعة وولاء ، وأيّهم ذَوِي أنفةٍ وحمية ، وأيّهم لا يُصلحه إلاّ الـكدّ والعصا فيختارُ من كلّ جنسٍ ما يوافق غرضَه ، وينال به أرَبَه ، فإنّه يقال :

من أراد الجاريةَ لَلذة فليتّخذها بربرية ، ومن أرادها خازِنةً وحافظة فروميّة ، ومن أرادها للولد ففارسية ، ومن أرادها للرضاع فزنجية ، ومن أرادها للغناء فـكّيّة .

ومن أراد العبيد لحفظ النفوس والأموال فالهند والنّوبة ، ومن أرادهم للـكدّ والخدمة فالزّنج والأرمن ، ومن أرادهم للحرب والشجاعة فالتُّرك والصقالبة .

هذا كلامٌ جمعنا متشتّته ونظّمنا منثوره من رسائل معلّمُ الإسكندر[1] وغيره من العلماء والفلاسفة .

ومقالتنا هذه تشتمل على فنون خمسة :

الأول منها : في وصايا ينتفع بها في البيع والشّرى .

الثاني منها : فيما يتفقّد من أعضاء الرقيق بحسب ما يراه الأطباء .

---

(١) يعني أرسطو . قال القفطي في إخبار العلماء : « وكان أرسطوطاليس معلم الإسكندر بن فيلبس ملك مقدونية ، وبآدابه عمل في سياسة رعيته وسيرة مملكته ، وانقمع به الشرك في بلاد اليونانيين ، وظهر الخير وفشا العدل . ولأرسطوطاليس إليه رسائل كثيرة معروفة مدونة » .

الثالث : فى معرفة أخلاق العبيد بقياس الفراسة على مذهب الفلاسفة .

الرابع : فى معرفة صور كلّ جنس وما يصلحون له من الأعمال بحسب خواصّ بلادهم والمنشأ .

الخامس فى كشف تلبيسات يدلّس بها النخّاسون الرقيق على المشترى ، تجرى مجرى الحِسْبة .

ومن بعد تحديدنا لهذه الرُّتَب نعقد بها جملةً يَخُصُّهَا[1] تفصيلها ، ليسهل على القارئ مأخذها فيحيط علمه بها .

والله ولى المعونةِ والعصمةِ لقوّة البشرية ، من كل خطَل وزَلّة ، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

(١) كذا وردت الكلمة مضبوطة فى الأصل . ومعنى يخصها يخلها .

مبلغ ما يحتاجه إلى معرفته من أحوال العبيد والإماء عند ابتياعهم وَبيعهم ، من وصايا يُنْتفَع بها في البيع والشِّرَى منتزعة من كلام الحكماء .

ومن تفقُّد أجسامهم وصحّة أعضائهم بحسب ما يراه الأطباء .

ومن تعرف أخلاقهم بقياس الفراسة على مذهب الفلاسفة .

ومن معرفة صور كل جنس وما يصلحون له من الأعمال ، بحسب خواصّ بلادهم والمنشأ .

ومن كشف تلبيسات يدلّس بها النّخاسون الرقيق على المشترى ، يجرى مجرى الحِسبة على ما بُيِّن من أحوال ذلك .

وهى عن خمسة أشياء ما[1] :

[١]

منها الوصايا التى ينتفع بها فى شِرَى الرقيق على ما قاله الحكماء والفلاسفة ، عشر وصايا ، من ذلك ما يعم المماليك والإماء أربع وصايا :

شرحها : (الوصية الأوّلة[2]) ما أمروا أن يكون عليه[3] المستعرض عند التّقليب الشِّرَى ، وما نَهَوْا عنه من القَطْع بأوّل نَظْرة ، قالوا : إنّ المستعرِض لأسيرٍ ما يجب ألاّ يكون ذا فاقةٍ إليه ، فإن الجائع يستجيد كلّ طعام يُشْبِعه[4] ، والعُريان يستوفِقُ كلّ طِمْرٍ يدفئه ويستره ، وبحسب هذا قالوا : لا يَستعرِضْ

---

(١) كذا وردت هذه العبارة .

(٢) فى اللسان (وأل) : « حكى ثعلب هن الأولات دخولا ، والآخرات خروجاً ، واحدتها الأولة والآخرة . ثم قال : ليس هذا أصل الباب ، وإنما أصل الباب الأول والأولى كالأطول والطولى » . (٣) فى الأصل : « عليها » .

(٤) فى كتاب التطفيل ص ١٣ : « وقال الحكيم : الجائع يستجيد لكل طعام يشبعه » .

جاريةً شيق، فليس لمنحط[1] رأى، لأنه يقطع بأول نظرة، وأول نظرة بسحر والجديد والغريب رَوعة؛ فإذا صادف منه حاجةً داعية قطَع بما تكذّبه الحواسُّ عند الاستغناء. ولهذا قيل: تكرير اللّحظ يُخلِق كلَّ جِدّة، ومعاودة التقليب يُظهر التصنّع، ويُبهرج التدليس.

(الوصية الثانية) ما حذّر منه القدماء قبل الشّرى. قالوا: كن على حذَرٍ من شِرَى الرّقيق في المواسم، ففي مثل تلك الأسواق يتم للنخاسين الحِيل، فكم من قَضيفة بيعت بمُخصَّبة[2]، وسمراء كَبِيدة بيعت بصَفراء مُذْهَبة، وممسوح العجز بثقيل الروادف، وبَطين بمجدول الحشا، وأبخر الفم بطيّب النكهة، وكم صفّروا البياض الحادث عن القروح في العين، والبرص والبَهَق في الجلد، وجعلوا العين الزّرقاء كَحلاء، وكم مِن مَرَّةٍ حمّروا الخدود المصفرّة، وسمّنوا الوجوه المقشعة[3]، وكبّروا النِّقاح المزيلة، وأعدموا الخُدودَ شَعر اللّحى، وأكسبوا الشُّعورَ الشُّقر حالك السواد، وجعّدوا الشعور السّبْطة، وبيّضوا الوجوه المسمرّة، ودَمْلَجوا السِّيقان المرّقة[4]، ورطّلوا الشُّعور المرّطة، وأذهبوا آثار الجُدَرِيّ والوَشْم والنَّمش والحِكّة.

ولكلٍّ من هذه أسباب يعرفها الأطبّاء قد أوردناها في مقالتنا في الحسبة، وستورد منها في الفن الخامس شَذْرة بحسب الحاجة.

وكم مِن مريضٍ بيعَ بالصّحيح، وغلامٍ بجارية، هذا زائدٌ على ما يُوطِئونَ

---

(١) في الأصل: « لمنبط ». وما أثبت من الصواب يوافق ما في التحقيق ص ١٤.
(٢) القضيفة: النحيفة. في الأصل « قصيفة ».
(٣) لعلها « المتقشفة ».
(٤) المرقة: الضامرة القليلة اللحم. وفي اللسان: دملج جسمه دملجة، أي طوى طياً حتى أكتز لحمه.

به الجوارى من دَلٍ وَمَجَانَة[1] على مُسافرين شـباب قد أحلّ لهم لحمُ الميتة ، سوى ما يفعلنه من زينتهن بالخضاب والحِنّاء ، والملابس المصبّغة الفاقعة .

سمعنا بعض النّخاسين يقول : « ربع درهم حِنّاء يزيد فى ثمن الجارية مائة درهم فضة ! » .

والتحرز من هـذا لا يكون فى موقف واحد ، ولهذا قيل : اتّهِم نظرَك فيما استحسنته حتّى يكون الاستحسان دائماً على صُورةٍ لا ينقُصها تكرار النظر ، وهذا لا يتمّ إلا فى دفعات ، وعلى صفاتٍ مختلفات .

(الوصية الثالثة) ما نُهى عنه من القَطع بأوّل سَعْرٍ من المماليك [و] الإماء . قالوا : لا تقطعْ بأوّل لفظٍ من غلام أو جارية ، فربّما جاءت بالاتفاق فوافقت منك قَبولاً لا يكون وراءها أمثالُها فيتدلّس عليك بذلك مقابحُ مستورة وربّما جرى الأمر على خلاف ذلك . لكن كنْ إلى الريبة أميَلَ منك فى هذا الشأن إلى الثقة ، وخُذْ بسوء الظّن تَسلمْ .

(الوصية الرابعة) ما حُذّر منه الرؤساء خاصّة . قالوا ليحذر الرؤساء — ممن له عدوٌّ يخشى منه غِيلةً ، أو[2] يخاف أن يطلع له على سِرّ — شِرَى خادم أو جارية خاصةً إن كانت كاتبةً خرجت من دار سلطان ، إلّا بعدخبرته بها ، ولا شِرَى جارية مولّدة من تاجر أو جَلّاب ، فإنّ هذه حيلةٌ قد هلك بها جماعةٌ من الملوك والرؤساء .

● ● ●

ومن ذلك ما يختص بشِرَى المماليك خاصّة ، ثلاث وصايا ، شرحها :

(الأوّلة) ما حُظِر على المشترى من ابتياع مملوكٍ قد تمرّن على الضّرب

---

(١) فى الأصل : « ما يوصوا به الجوارى من ذل وعانة » . والمجانة : مصدر مجن يمجن مجوناً ومجانة ، وهو ألا يبالى ما صنع .

(٢) فى الأصل : « أن » .

والخصومة . قالوا : لا تشترِ مملوكاً كان مولاه يُكثِر ضربه ، ولا تترك المسألة عن مالك المملوك ، وعن سبب بيعه . واستعلِمْ ذلك قبل ابتياعه ، من المملوك وغيره ، ففي هذا الفحص فوائد كثيرة ، في ارتباطه ، أو تسريحه وتركه .

(الثانية) مأخوذة من جُرأة المملوك على ذمّ مولاه ، وتنقُّصه له ، أو امتعاضه من ذمّه وقلّة احتفاله به ، وهل سببُ بيعه من جهته أو من جهة مالكه .

(الثالثة) ما وُصِّى به قبل استخدامه . قالوا : المملوك على ما يراه منك أوّلَ دخوله دارك ، فإن أطمعتَه طمع ، وإن هذّبته انقمع ، وإن خالطه مفسد من مماليكك وغيرهم فسد .

* * *

ومن ذلك ما يختص بشراء الإماء ، وصنفان ، شرحهما :

(الأولى) فيما تُعلم به براءة الجوارى من الحَبَل قبل الشراء . قالوا : تحرَّزْ في استبراء الإماء من الحَبَل قبل التملُّك لهن ، واحذَرْ بهرجتهنّ بالسداد والمعاوى الكاذبة ، فإنّ كثيرا ما يجعلن في فروجهن خرقاً بدماء غيرهن[1] . ولكن من يستبرى ذلك منها امرأةً تكره أن تُلصِق بك ولد غيرك ، ومُرها بتفقُّد ثدييها وجَسّ حشاها .

واعلمْ ذلك من شُحوب لونها وشهوتها للطعام المالح ، فإن ذلك دالٌّ على توحمها ، واستبِر ذلك بتقدير الغثيان وبخورات تذكر أخيراً كما وعدنا .

(الثانية) ما يراعى بعد الشرى من الغيلة في الحمل من غير إرادة المولى . قالوا : راعِ أمراً ذا ركنين :

---

(١) في الأصل : « ما يجعلن في فرجهن خرق بدماء غيرهم » .

إذا اشتريتَ جاريةً غير بالغة فربّما بَلَغَت في ملكك وأنت لا تعلم ، وكتمتْ ذلك عنك رغبةً في الولد .

احذر الجواريَ اللواتي يوهمنَ أنّهن عُقْم وهنَّ كارهات للحبَل ، فربّما خدَعْنَك بذلك .

ومن ذلك ما يختص بالبائع دون المشترى .

وصـــية

قالوا : لا تُخْرِجْ جاريةً من ملكك إلى نخّاس إلّا في دم ، فربما تمّ عليها في الحَيْض أن تحبل فادّعت أنه منك .

على أنّا قد شاهدنا في زماننا مَن حاضت مُدّةَ زمانِ حملها . وهذا نادر .

[٢]

ومنها ما يتفقّد من أجسام الرقيق بحسب كلٍّ واحدٍ من الأعضاء على مذهب الأطباء ، ثمانية وثلاثون فصلا .

من ذلك ما يعم جميع البدن ، ثلاثة أشياء ، تفصيلها :

من اللون ، وهو ألّا يكون حائلا[1] إلى الصفرة الدّال على ضعف الكبد وغلبة الصفراء ، ولا إلى السّواد الدالّ على السّوداء وضَعف الطّحال ، لكن إنْ كان أبيضَ فليكن مُشرَبًا حمرة ، وإن كان أسمر فلتكن سمرته سمرةً صافية .

ومن البشرة بأن تكون لينة نقية خالية من بَهَق أو برص أو وشم أو قُوباء أو كيّ أو صبغ أو ثآليل أو خِيلان أو أثر قَرحة ، لا سيّما إنْ كانت عن عَضّة كلبٍ كَلِب .

ومن تناسب الأعضاء ، بأن تكون بعضها مناسبةً لبعض في الطول والقصر والعظم والصغَر ، فإنّ طول الأعضاء مع غير مناسبةٍ في العرض جيّد في مباشرة الأعمال العظيمة ، مع ضعف القوة . والقصرُ بالضدّ عن ذلك .

***

ومن ذلك ما يختص كل واحد من الأعضاء ، ثلاثون فصلا .

منها (ما يختص بالرأس) أربعة أشياء ، وهي شكله ، بأن لا يكون مسفّطا[2]

(١) الحائل : المتغير اللون . وردت كذا بالحاء . وفي كتاب التحقيق ٦٨ : « اللون إذا كان حائلا دل على علة في الكبد » .

(٢) المسفط : الذي شكله شكل السفط . في القاموس : « رجل مسفط الرأس : رأسه كالسفط » . والسفط محركة كالجوالق أو كالقفة .

ولا مشوّهاً ، ولكن يكون ككرة شمع قد غُمزت من جانبها فصار لها نتوء من خلف وقدام .

وشعره بأن لا يكون خفيفاً أو متفرقاً ، ولا به داء الثّعلب والحيّة[1] ، ولا بعضُه أبيض مجتمع كالبلَق في البهائم .

جلده بأن لا يكون قَحِلا ولا فيه سَعَفة[2] وبثور ، أو أثر جرحٍ غائر يدلّ على عظم .

فضلاته البارزة منه بأن لا يكون كثير المخاط والبصاق ، كثير النوم كدر العين والحواس ، فإن ذلك من أسباب الصَّرْع ، ولا سيّما إن ارتعشت بعض أعضائه .

(ما يختص بالعين) خمسة أشياء ، وهي من حركتهما بأن لا تكونا مضطربتين فإنّهما من علامات الوسواس لا سيما إذا لم يكن الكلام منتظماً ، وهذا يعتبره العارف بلغة الملوك . ومن لونها بأن لا يكون بهما زُرقة في السواد لم تكن من قبل ، لأنّها من علامات الماء . ولا يكون بياضهما كدراً أو أصفر أو فيه عروق ، فإنّه من مقدمات السَّبَل[3] . ومن شكلها بأن لا يكون شكل العين مستديراً ، لا سيما إن كان الوجه متحجّراً فإن ذلك من علامات الجُذَام . ولا يكون نَقْبا الحدقة سواداها [غير[4]] متساويين ، ولا أحدهما أكبر من الآخر وكأنّه مشقوق بالطول[5] . وهذا يعتبر بأن يغمض كلّ واحدة منهما و يُرى

(١) داء الثعلب : علة يتناثر منها الشعر ، والثعالب يصيبها ذلك الداء ، كما في اللسان (سعف) . وجاء في كتاب التحقيق ص ٨٤ : « وكانت الشعر المعية فإنها تتلفه ، وداء الثعلب فإنه يحرقه ، وداء الحية فإنه يجرده » . وانظر الحيوان ٤ : ١٠٨ .

(٢) السعفة : قروح تخرج بالرأس تورث القرع .

(٣) السبل : دم في العين شبه غشاوة كأنها نسج العنكبوت بعروق حمر .

(٤) في كتاب التحقيق ٩٦ — ٩٧ : « وإذا كان حرفا العينين غير متساويين وسواداهما غير متماثلين » .

(٥) في التحقيق : « أو كان الحرفان قد شقا بالطول » .

أشكالا مختلفة . ومن المآقي بأن لا يكون في المأق ظَفَرة[١] ولا لحمٌ زائد ولاناصور[٢] . وعلامته أنك إذا عصرت المأقي خرج منه مِدَّة . ومن الأجفان بأن لا يكون شعرها منتثراً ولا منقلباً ، ولا تكون الأجفان غليظة .

(ما يختص بالشم والسمع) ، وهو شيء واحدٌ : تنظرهما في الضَّوء لئلا يكون فيهما لحمٌ زائد ، وتعرض عليه الكلام والروائح بعد سدِّ أحد ثقبيهما .

(ما يختص باللسان) وهو شيء واحد ، أن يُستنطَق لئلا تكون به لثغة ، وهذا يكون من صِغَر اللسان وغلظه ، أو سقوط جزء منه ، أو لآفة في عَصَبه ، أو لسقوط بعض الأسنان ، أو لالتصاقه من الجِبِلَّة ، أو لأثر قُرحة به ، فَسَل[٣] عن جميع ذلك . فإن لم يكن فتصيٌّ غلُظك به ، فربما كان قد عَضَّ لسانه لصَرْعٍ به ويحرّه بقرن اليمزي ، وأطعمه كبد تيس مشوى فإنه يُصرَع إن كان مصروعا .

(ما يختص بالأسنان) شيئان ، وهما : إن لم تكن موجودة بعد الثغر فإنها لا تعود[٤] ، وإن وجدت تفقَّدْ ألوانها وصلابتها وسلامتها من الحفور ، وبعدها من الضَّرَس بصبرها على الحامض . واجتماعُها أجود من تفرُّقها ، وإنْ كان الشَّنَب مذهباً محبوباً عند العرب[٥] .

(ما يختص باللِّثة) شيء واحدة وهو أن لا تكون فيها قروح . واستنكهه لكيلا يكون به بَخَر . وهذا يكون من عفَن اللثة ، أو تأكُّل ضرس ، أو بلغم عفن في المعدة .

---

(١) الظفرة ، بالتحريك : جليدة تغشى العين نابتة من الجانب الذي يلي الأنف على بياض العين إلى سوادها .

(٢) في الصحاح : الناسور بالسين والصاد جميعاً : علة تحدث في مآق العين يسق فلا ينقطع . قال : وقد يحدث أيضاً في حوالي المقعدة وفي اللثة ، وهو معرب .

(٣) رسمت في الأصل « سل » مع إهمال النقط .

(٤) في الأصل : « تعد » . وفي هداية المريد : « وإن وجد سقوطها من بعد إثغاره فإنها لا تعود » . (٥) الشنب : التفليج في أحد معانيه .

(ما يختص باللَّهاة) شيء واحد ، وهو أن لا تكون مسترخية ، فإن ذلك سبب اتِّصال السعال ، ولا نازلةً إلى أسفل ، فإنَّه يتبع ذلك الخُنَان[1] . فتأمّل ذلك في الضوء .

(ما يختص بالنَّغانغ والأزبيون[2]) شيء واحد ، وهو أن لا يكون فيهما أثر خنازير .

(ما يختص بالصدر) شيء واحد ، وهو ألا يكون ضيِّقاً أو معوجاً أو قليل اللحم ، فإن ذلك [يكون] سبباً للرئة والسُّعال والنَّزلات ، ولا سيما إن كانت الأكتاف مجنَّحة .

(ما يختص باليدين) شيء واحد ، وهو ألا تكون إذا قدرتهما وجدت إحداهما أقصر من الأخرى ، أو هما قصيرتان ، فإن ذلك رديء في الأعمال .

(ما يختص بالسواعد) شيء واحد ، وهو أن يكون تَنْي المرفق سهلاً بلا التواء ولا ورم ولا تشنُّج من جرح أو عرق مدني[3] ، واسبُرْه أن يقبضَ على يديكَ بقوة .

(ما يختص بالحشا) جميعه خمسة أشياء : منها ما يعمّ الحشا جميعها ، شيء واحد ، وهو أن لا تكون غليظةً جميعها أو بعضها . وهذا بأن تأمره أن يستلق على ظهره وتَجُسّ حشاه من فَمِ المعدة إلى العانة ، فإنْ رأيت ثَمّ غلظاً أو ألماً فاقض به ، لا سيما إن وافق ذلك فساد لون وتهييج في المحاجر . ويحقق ذلك انقطاع نَفَسه عند إحضاره وصياحه .

* * *

(1) الخنان : داء يأخذ في الأنف تسد منه الخياشيم .
(2) كذا وردت هذه الكلمة . والنغانغ : لحمات تكون في الحلق عند اللهاة .
(3) جاء في حواشي حماية المرجد : « المدني بثرة تحدث في الساقين تتنفط .. ثم يخرج منها شيء [كالدود] د ، ولا يزال يطول ، وربما كان له مد ، لمدة مادة ، ومدة توجع ، وقطعه خطر .

ما يختص بواحد واحد من أعضائه ، أربعة أشياء . تفصيل ذلك :

(المعدة) بأن لا تكون جاسية[١] ، ولا بها سوء استمراء من سوء مزاج حارّ أو بارد ، ولا بها خلط داعٍ إلى أكل الطّين والفحم .

(الكلى والمثانة) بأن لا يكون فيها قُرحة أو حَصاة أو رَخاوة ، وهذا بأن يتبين في البول رملاً أو مِدّة ، و يراعى في ليالٍ كثيرة فلا يبول في الفراش .

(الأنثيين) بأن لا يكون فيهما دَوَالى[٢] ، أو بأحدهما قيلة اليما .

(القضيب) بأن لا يكون تحت الكَمَرَة معوجًا ، وهذا يتأمّل عند البول .

ما يختصّ (بالرّجلين) أربعة أشياء ، منها ما يعم جميعها ، شيء واحد ، وهو أن لا يكون بهما عَرَج أو تشنّج أو عِرقُ نسا أو خلع ورك . وهـذا يتبيّن إذا أسرته بالإحضار و إذا قدّرتهما لم تنقُص إحداهما عن الأخرى .

ما يختص بواحدٍ واحدٍ من أجزائها ، ثلاثة أشياء ، تفصيل ذلك : الرّكبة بأن لا يكون فيها ورم صُلب أو شوكة . الساقان أن لا يكون بهما تقويس أو حَنَف أو فَحَج ، ولا في باطنهما دوالى[٣] . القدم والكعب بأن لا يكون فيهما داء الفيل .

(ما يختص بالرحم) شيئان ، وهما ما يختصّ بجرمه بأن لا يكون ما بين السُّرّة والعانة غليظاً أو صلبا ، فإن ذلك دليلُ السّرطان . وما يختص بأيام

---

(١) جاسية : صلبة . وفي الأصل « حاسية » .

(٢) إثبات الياء في مثل هذا جائز ، بل رجحه يونس . التصريح ٢ : ٣١٠ . وكذا جاءت بإثبات الياء في كتاب التحقيق ص ١٤٧ .

(٣) أي لحم زائد متدلٍ ، وفي التحقيق ١٤٥ : « ولا في باطنهما دوالٍ » .

الحيض لئلا يعرضَ لهنّ الغَشْيُ الشبيه بالسكتة ، فإنّ ذلك دليل احتراق الرحم (١) الذي يتبعه موتُ الفُجاءة .

ومن ذلك ما يُتأمّل من الأعضاء في زمان النّوم خمسة أشياء ، شرحها : بأن لا يكون ممّن يتبرّز في الفراش ، أو يَهذي في نومه ، أو يمشي على غير علمٍ منه أو يصرّ أسنانه ، أو ينام على وجهه ، فإنّ هذه أشياء إذا علمها الأطباء انتفعوا بها ١٤ عند التماسهم صحة المرضى .

---

(١) في التحقيق ١٤٨ : « اختناق الرحم » .

[٣]

ومنها تعرُّف أخلاق العبيد والإماء بقياس الفراسة، أحدٌ وتسعون فصلا. فمن ذلك أصولٌ تقدَّمها قبل الكلام فى الفراسة عددها أربعة، شرحها:

حدّ الخُلق. والخلق داعية النَّفس للإنسان إلى أن يفعل أفعالا بلا رويّة، فإنّ الجبان إذا فاجأه الصَّوتُ ارتاعَ بسرعة، والماجن يضحك من أيسر تعجُّب، والنَّذْل[1] يرغب فى أدنى قيمة، والحر بالضد. ولهذه الأخلاق دليل من الفراسة.

كيفية تعلم القياس الصحيح فى الفراسة يجرى بأن لا يتسرع الإنسان إلى الحكم فى الفراسة من دليلٍ واحد، لكن يجمع منها ما أمكن ثم تكون قضيته بحسب ذلك. ومتى اجتمعت الدلائل المتضادَّة حَكم بأقواها ورجّح أظهرها، بعد أن تعلم أنّ دلائل الوجه والعَين خاصة أقوى الدلائل وأصحُّها فى الحدّ الذى ينتهى إليه العلم بقياس الفراسة، ويجرى هكذا من الإنصاف أن تعلم أن قياس الفراسة مقدّماته مأخوذةٌ من مشابهاتٍ موجودة بين أشخاص الناس، أو من مشابهات موجودة بين الحيوان والإنسان. وسنورُد على ذلك مثالا من الشُّجاعة تراه مأخوذاً من صفات الأسد. فالاستدلال فى الفراسة على أفعال الصُّور من لازم الهيولى، فإذا عرف القياس ذلك ... دّ ... فاس كالمطبوع[2].

مثال من الشجاعة على قياس الفراسة، وهو أن يكون قوىّ الشعر خشِنَه،

(١) فى الأصل وكذا فى التحقيق ١٤٨: «النذل» بإهمال الدال. والنذل: الخسيس المحتقر فى جميع أحواله.

(٢) كذا وردت هذه العبارة على ما بها من نقص بيض له فى الأصل. وفى التحقيق ١٢ «فإذا عرف القائس ذلك قاس كالمطبوع».

شديدَ العظام والأطراف والأصابع ، عظيم الصدر والأكتاف والرقبة ، عريض القَصّ ، شاخص الورك معرّق الجبهة[١] قويّ المفاصل ، منتصب القامة ، ممسوح الأليتين ، بعيدَ ما بين المنكِبين ، ممدودَ الحاجبين ، أزبُّ الصدر والكتف . والجبانُ بالضد .

ومن ذلك ما يختص بأخلاق الذُّكور والإناث والخِصْيان شيئان . شرحها :

الأنثى من كل جنسٍ أنوثُ نفساً ، وأقلُّ جلَدا ، وأسهلُ انخداعا ، وأسرع غيوراً وسكونا ، وأشدُّ مكرا ، وأصغر رأسا ، وألطف وجها ، وأدقُّ عنقا ، وأضيق أكتافاً وصدرا ، وأعظم بطناً ووركا ، وألطف كفًّا وقدما ، وأسوأ أخلاقا من الذَّكَر في كلّ جنس[٢] .

أخلاق الخِصيان كالمشابهة لأخلاق النّساء ، ومن وُلِد بلا خُصيتين أو كانتا فيه صغيرتين كان أشَرّ .

ومن ذلك دلائل الشعر سبعة أشياء : تفصيلها :

اللين منه يدل على الحمق[٣] . الخشن دليل الشجاعة . كثرته على البطن دليل شَبَق[٤] . كثرته على القُلب دليل الشجاعة أيضاً . كثرته على العنق والكتفين دليل حمقٍ أيضاً . كثرته على الصدر دليل قِلّة الفطنة . قيام الشعر دليل جبن[٥] .

---

(١) المعرق : القليل اللحم .
(٢) انظر سائر الفروق بينهما في كتاب الفراسة لأقليمون ١٧ — ١٨ . على أن العبارة تكاد تكون مطابقة لما ورد في كتاب الرازى ٩ — ١٠ .
(٣) في جمل أحكام الفراسة لأبي بكر الرازى ص ٧ وكذا في كتاب التحقيق ٨٣ : « على الجبن » .
(٤) في الأصل : « سبق » تصحيف . وعند الرازى : « يدل على الشبق » . وعند أقليمون ٣٩ : « كثرة شعر جميع الجسد ولا سيما البطن والفخذين دليل الحمق » .
(٥) عند الرازى : « الشعر القائم في الرأس وعلى جميع البدن دليل على الحمق » . وعند أقليمون ٣٩ : « قيام شعر الجسد واستواؤه دليل على الحمق » .

ومن ذلك دلائل اللون ، أربع دلائل ، تفصيلها :

الأشقر والأحمر يدلّان على كثرة الدم والحرارة . اللون الناريّ دليلُ تأنٍّ . والأحمر دليل حياء . اللون الذى بين البياض والحمرة يدلان على الاعتدال . والأخضر اللون دليل سوء الخلق[1]

ومن ذلك دلائل العين سبع عشرة دلالة :

عظمُهما دليل كسل . غورها دهاء وحسد[2] ، جحوظهما دليل هذَر وقِحَة . زُرقة إحداهما يدل على بلادة . شدّة سوادها دليل جبن . شبههما بعيون الأعنُز دليل جهل[3] . سرعة حركتهما بحدّة بصرها دليلُ مكرٍ وحيلة ، بطء حركتهما دليلُ مكر . عِظَمهما وارتعادها دليل كسل وشبق . حمرتهما دليل شر وإقدام . سوادها دليل كسل و بلادة . الزُرقة مع اصفرار دليل رداءة الأخلاق جداً . فإن مالت إلى الصفرة كان صاحبها سفّاكا للدماء . البقرية تدل على الحق . النقط والشعب حوالى السواد يدل على غدر وحق وحسد وشر . صغرها وجحوظهما دليل على الميل إلى الشهوات ، إذا برز السواد عن البياض دل على حمق .

ومن ذلك دلائل الحاجب ، ثلاث ، شرحها :

كثرة الشعر فيه دليلُ الغم . طوله إلى نحو الصدغ دليل التّيه والصلف . طولُه إلى نحو الأنف دليل على البله .

ومن ذلك دلائل الأنف ، أربعة دلائل ، تفصيلها :

دقّة طرفه دليل محبة الخصومة ، فإن كان مع ذلك طول دل على الحمق . غلظه دليل على قلة الفهم . القَطَسة[4] دليل الشبق . غلظ أرنبته دليل غضب .

---

(١) عند الرازى « من كان لونه أخضر أسود فهو سيئ الخلق » .

(٢) الرازى : « من كانت عيناه غائرتين فهو داه خبيث » .

(٣) الرازى : « من كانت عيناه تشبه عيون البقر فى لونها فإنه جاهل » .

(٤) القطسة : اسم من القطس ، وهو عرض قصبة الأنف وطمأنينتها . ونحو هذا فى كتاب التحقيق ص ١٠٤ .

ومن ذلك دلائل الجبهة :

منها : المستطيلة التي لاغضون فيها دليل شغب وخصومة . كثرة غضونها دليل صلف . كبرها دليل كسل . صغرها دليل جهل .

ومن ذلك دلائل الفم والشفة واللسان والأسنان ، أربعة . شرحها :

سعة الفم دليل شجاعة . غلظ الشفة دليل حمق . ضعف الأسنان دليل ضعف البنية . طول الأنياب دليل شره وشرّ .

ومن ذلك دلائل الوجه والصدر ، ثمانية ، تفصيلها :

من كان كأنه سكران أو غضبان أو حَيِيّ[1] فخلقه كذلك . كثرة لحم الوجه دليل كسل ، وغلظ طبع ، وضدّه بالضد . الوجه المستدير دليل جهل . الصغير دليل جهل : الصغير دليل خِفّة ومَلَق . العظيم دليل كسل . السمج الوجه رديءُ الخلق . طُوله دليل القِحّة . الأوداج البارزة دليل غضب .

ومن ذلك دلائل الأذن واحدة . عظمها دليل جهل ودَهاء وطول عمر ، وبالضد .

ومن ذلك دلائل الصوت والنفس والكلام أربعة ، منها :

المظلم الصوت دليل شجاعة[2] سُرعة الكلام دليل عجلة وبَلَه . حُسن الصوت دليل رعونة . التنفّس الطويل دليل رداءة الهمة .

ومن ذلك دلائل اللحم اثنان ، وهما :

اللحم الكثير الصلب دليلُ غلظِ حسٍّ وفهم . اللين بالضد .

ومن ذلك دلائل الضحك أربعة عشر شرحها :

---

(١) في الأصل : « حيى » ، تحريف . وعند الرازي » : « وإذا كان صورة الإنسان كمال الخجل فهو حيي خجل » .

(٢) الرازي » : « من كان صوته غليظاً جهيراً فهو شجاع » .

كثرته دليل دماثة ومساعدة وقلة اهتمام بالأمور ، وبالضد . علوّه دليل قحة . ومن عرض له عند الضحك سعالٌ وربْو فهو وقّاح[1] . التبسّم مستحي .

ومن ذلك دلائل الحركات دلالتان[2] وهما :

السّريعة دلالةٌ على الطيش . البطيئة دليلة البلادة .

ومن ذلك دلائل العنق ، ثلاثة ، شرحها :

صغرها دليل مكر . طولُها دليل جبن . غلظُها دليل شجاعة .

ومن ذلك دلائل البطن دلالتان[2] وهما :

كبرها دليل على البلادة . صغرها بالضد .

ومن ذلك دلائل الظهر ، ثلاثة ، تفصيلها :

عرْضه يدل على القوة والغضب . استواؤه علامة العقل . احتداؤه علامة رداءة الخلق .

ومن ذلك دلائل الكتفين ، ثلاثة ، شرحها :

العريض دليل جودة العقل . الدقيق ضده . شُخوص رأسِه دليل حمق .

ومن ذلك دلائل الذراع دلالتان[2] ، وهما :

إذا بلغ منه الكفُّ الرّكْبة دلَّ على نُبل النفس وحبّ الرياسة . قصره ضده .

ومن ذلك دلائل الكفّ دلالتان[2] ، وهما :

الليّنة اللطيفة دليلُ سرعة العلم والفهم وبالضد . الطّويلة الدقيقة تدل على دعارة الخُلق .

ومن ذلك دلائل الحُقُو والساق والقدم ، خمسة دلائل ، تفصيلها .

القدم القّحِم الصُّلب دليل بلادة . الصّغير الخشن دليل فُجور ومرح . غِلَظ

(١) الوقاح : القليل الحياء ، كالوقح . وعند الرازى ٦ : « من كان يقع عليه عند الضحك سعال فإنه سليط سخاب » .

(٢) فى الأصل : « دلالتين » .

العقِب دليلُ شِدّة ، وبالضد [دليلُ [1]] حبّ النساء .

ومن ذلك دلائل الخُلُق ، واحدة ، وهي :

الخُلُق الواسعة البطيئة دليلُ تأنٍّ ، وبالضدّ [2] .

وتخصّ النساءَ فِراسةٌ تدلّ على أحوال من أخلاقهن وأعضائهن وشهواتهن أضربنا عن ذكرها تصوّناً عن إثباتها ، لقباحة مخارج ألفاظها وإن كانت علماً نافعاً .

---

(١) بياض هنا في الأصل .

(٢) كذا وردت العبارة مبتورة ، لعلها « والضد بالضد » .

[٤]

ومنها ذكر أجناس الرقيق بحسب بلادهم ومنشئهم ؛ ونحن نذكر ما انتهى إلينا خبره واشتهر أمره وتلقفناه من الكتب ، وسألنا السفَرة عنه من أجناس الرّقيق على اختلافها فى الخَلْق والخُلق ، لتكفى الطالبَ لهذا الشأن مؤونة التّجارب والامتحان ، خمسة وعشرين فصلا :

من ذلك كشف ألفاظ يحتاج القارئ إلى معرفة دلائلها ، فصل واحد :

إذا سمعتنى أقول « فارسية » فاعلم أنها مولَّدة فارس . فإن اتفق أن يكون أبواها فارسيين ، وإلا فيكفى أن يكون أبوها حَسْب . فولد الزّنجية إذا تكرّر فى النّسل مع البيض ثلاثَ دَفعات صار بعد السّواد أبيض ، وبعد الفَطَس أقنى ، ولانت أطرافه ، وتطيّبت أخلاقه .

ومثل ذلك أفهَمْ فى كلّ الأجناس .

وإذا سمعتَنى أقول جارية « خُماسيّة » فإنّى أريد بذلك أن طولها خمسة أشبار .

وإذا قلت « شَهْوارية » فليس بجنسٍ من الأجناس ، لكنها لفظة فارسية مشتقة من الشهوة الكاملة[1] .

وإذا قلت « منصورية » فأريد المنصورة التى فيما وراء النهر ، وهى للّتان ، لا منصورة العرب .

(١) فى معجم استينجاس أن معنى « شهوار » أحسن شىء فى جنسه . فقولها « من الشهوة الكاملة » .

ومن ذلك ما يتعلّق بالجهات الأربعة(١) ، أربعة فصول ، شرحها :

الأول ما يختص بالبلاد الشرقية ، وهـذه ألوان أهلها بيض مُشْربة حمرة وأجسامهم خَصْبة ، وأصواتهم صافية ، وأمراضهم قليلة ، وصورهم جميلة ، وأخلاقهم كريمة ، وأغنامهم كثيرة ، وأشجارهم عظيمة ، وما فيهم غضب ولا نجدة لاعتدال كيفياتهم ، لـكنّهم أهل سكون ودعة ، كلّ هذا لاعتدال كون الشمس في هذه الجهة ، فأغذيتهم معتدلة ، ومياههم صافية .

الثاني ما يختص بالبلاد الغربية ، وهؤلاء أحوالُم تكاد تضادُّ جميع ما ذكرنا في البلاد الشرقية ، لأن الشّمس لا تطلع عليهم بالغدامات .

الثالث ما يختص بالبلاد الشمالية ، وهي التي أهلُها يسكنون تحت بناتِ نَعْشٍ والجدي ، كالصَّقالبة ، وهؤلاء عِرَاضُ الصُّدور شُجعان ، وَحْشُو(٢) الأخلاق لسكون الحارّ ، دقاق السّوق لهربه من الأطراف ، طويلو الأعمار لجودة الهضم ، نساؤهم عواقر لأنّهن لا ينقّين من دم الحيض .

الرابع ما يختص بالبلاد الجنوبية ، وهي التي أهلها سكان تحت القطب(٣) الجنوبي كالحبشة ، وأحوالهم ضدُّ أحوال البلاد الشمالية ، وألوانهم سود ، ومياههم مالحة كدرة ، ومعدهم باردة ، وهضومهم ردية ، وأخلاقهم هادية ، وأعمارهم قصيرة ، بطونهم لينة لسوء الهضم .

ومن ذلك ما يختص بواحدٍ واحد من البلاد ، عشرون فصلا ، تفصيله :

الهنديّات أول الجنوب على تحت المشرق ، لهم حُسن القوام ، وسُمرة الألوان ،

---

(١) هذه عبارة صحيحة ، فإن المعدود إذا تقدم على عدده جاز فيه المطابقة وعدمها . حاشية الصبان على شرح الأشموني في أوائل باب العدد .

(٢) كذا وردت الكلمة في الأصل . ولها وجه من الوحش ، وهو القفر الخالي .

(٣) كذا في الأصل .

وحظٌّ وافر من الجمال ، مع صفرة وصفاء بشرة[1] وطيب نكهة ، ولين ونَعمة ، لكنّ الشيخوخة تسرع إليهم ، وفيهم وفاء عهد ومودّة ، وكثرة محافظة ، وبعد غَور ، وسلاطة ، ونفوس عزيزة ، لا يصبرون على الذلّ ولا يتألمون القتل[2] ، ركّابون للعظائم متى أحوِجوا[3] وأغضبوا . نساؤهم يصلُحن للولد ، ورجالهم لحفظ النفوس والأموال وعمل الصنائع الدقيقة ، غير أن النَّزلات تسرع إليهم .

(السنديات) بين المشرق والجنوب ، وهم قريبو الشبه بالهند لمتاخمة بلادهم لبلادهم ، غير أن نساءهم يتفردنَ بدقة الخصور وطول الشعر .

(المدنيات) سمر الألوان معتدلات القوام[4] ، قد اجتمع فيهن حلاوة القول ونَعمة الجسم ، ومَلاحةٌ ودَلّ وحسن شكل و بشر ، ونساؤهم لا غيرة فيهنّ على الرجال ، قَنوعات بالقليل ، لا يغضبن ولا يصخَبن ، و يوجد فيهنّ الأزوج ، و يصلحن للقيان .

(الطائفيات) سُمر مذهبات مجدولات ، أخفُّ خلق الله أرواحا ، وأحسنهم فكاهة ومزاحا ، لسن بأمّهات أولاد ، يكسلن فى الحبل ، و يهلكن عند الولادة ، رجالهنّ أشدُّ الناس تحبُّبا وأدوَمهم عشرةً ، وأحسنهم غِناء .

(البربريات) من جزيرة بَربَرة[5] ، وهى بين الغرب والجنوب ، ألوانهم على الأكثر سُود ، و يوجد فيهن الصُّفر ، وإذا وجدت منهن الكُتامية الأم الصِّنهاجية الأب المصمودية المنشأ ، فإنك تصادفها مطبوعةً على الطاعة والمواتاة فى كل

---

(١) فى التحقيق ص ٤٢ : « وصفاء يسير » .
(٢) فى التحقيق ٤٢ : « ولا يألمون القتل » .
(٣) كذا جاءت « أحوجوا » بالواو بعد الحاء . وفى التحقيق : « متى ألجئوا » .
(٤) فى الأصل : « معتدلو القوام » ، وبناء على الصواب فى التحقيق ص ٣١ .
(٥) جزيرة بربرة هذه من الجزائر التى تجاوز سواحل اليمن ، ذكرها ياقوت . وهذا وهم من ابن بطلان تبعه فيه صاحب كتاب التحقيق ص ٤٤ ، فإن البربريات منسوبات إلى بلاد البربر التى فى جبال المغرب . وهى التى تقطن فيها قبائل كتامة وصنهاجة ومصمودة التى سيجرى لها ذكر فيما بعد .

أمورهن ، نشيطات الخدمة ، ويصلُحن للتّوليد واللذة ، لأنّهنّ أحدب شيء على ولد .

وأبو عثمان — وهو من سماسرة هـذا الشأن — يقول : إذ اجتمع البربرية مع جودة الجنس أن تُجلَب وهي بنت تسع حجج ثم كانت بالمدينة ثلاثَ حجج وبمكة ثلاث حجج ، ثم جاءت إلى العراق ابنة خمس عشرة فـكانت بالعراق فى الأدب ، ثم مُلِكت بنت خمسٍ وعشرين سنة فتلك التى جمعت إلى جَودة الجنس شكل للدنيات[1] وخَنَث المكيات وآداب العراقيات ، واستحقَّت أن تُخبَأ فى الجفون ، وتوضع على العيون .

(اليمانيات) فى جنس المصريات ، وخَلْق البربريات ، وشَكْل الدنيات ، وخَنَث المكيات ، وهن أمّهات أولادٍ حِسانُ الوجوه أشبه شيء بالأعراب .

(الزَّنجيات) من بلد يقال له زَنْج ، ذكر ابن خرداذبة أنّ من هذا البلد إلى مدينة المُلْتان مسيرة شهرين — والملتان وسط الهند — وخاصةً هذا الجنس إذا بُوشِرن فمرقْنَ بدا منهنّ عَرَق كالمسك ، لكنهنّ لا يصلحن للولد .

(الزَّنجيات) مساويهن كثيرة ، وكلّما زاد سوادهن قبحَتْ صُوَرهنّ وتحددت أسنانهنّ وقلّ الانتفاعُ بهن ، وخِيفت المضرة منهن . والغالب عليهن سوء الأخلاق وكثرة الهرب ، وليس فى خُلقهن الفَم[2] ، والرَّقصُ والإيقاع فطرةٌ لهنّ وطبع فيهن ، ولعُجْمَتهن[3] ألفاظهن عُدِلَ بهن إلى الزَّمر والرقص . ويقال : لو وقع الزّنجي من السماء إلى الأرض ما وقع إلا بالإيقاع . وهم أنقى الناس ثُغوراً لكثرة الريق ، وكثرةُ الريق لفساد الهضوم . وفيهن جلَد على الكد ، فالزّنجي إذا شبع

---

(١) الشكل ، بالفتح والكسر : دل المرأة وغزلها .
(٢) كذا . وفى التطبيق ٤٦ : « والغلوم فيهم مفقودة ، وكذلك الصنائع اللطيفة » .
(٣) المعروف « العجمة » . ولكن ابن بطلان يجيد استعمال هذه الكلمة فى أواخر كتابه هـذه ، فهى من لغته .

فصُبّ العذابُ عليه صبًّا ، فإنه لا يتألّم له . وليس فيهن مُتعة ، لصُنانهن وخُشونة أجسامهنّ .

(الحبشيات) الغالب عليهن نَعمة الأجسام ولينُها وضعفها ، يتعاهدهن السلّ والدِّقّ ، ولا يصلُحْن للغناء ولا للرقص ، ورِقاق ، لا يوافقهن غيرُ البلاد التي نشأن فيها ، وفيهن خَيريّةٌ ومُياسَرة ، وسلاسة انقياد ، يصلُحْن للائتمان على النُّفوس يحفُظْهن قوةُ النفوس وضعف الأجسام ، كما يحفظ النوبةَ قوةُ الأجسام على دِقّتها وضعف النفوس ، تصارُ الأعمار لسوء الهَضْم .

(السكّيات) خفيّنات مؤنثات ليّنات الأرساغ ألوانهنّ البياض المشربُ بسمرة ، قُدُودهن حسنة ، وأجسامهن ملتفة ، وثُغورهن نقية باردة ، وشعورهن جَعدة ، وعيونهن رمراض فاترة .

(الزّغاويات[1]) رديات الأخلاق ذوات دمدمة ، يحملهنّ غلظُ الأكباد وشرُّ الطّباع على حمل عظيم الأثقال ، وهن شرٌّ من الزنج ومن جميع أجناس السّودان ، نساؤهن لا يصلحن لمتعة ، والرجال لا يصلحون لخدمة . .

(البجاويات) بين الجنوب والغرب في الأرض التي فيما بين الحبشة والنُّوبة ، مُذْهبات الألوان ، حسَنات الوجوه ، مُلْس الأجسام ناعمات البَشَر ، جوارى مهمّة إن جُلِبتْ صغيرة وقد سلمت من أن ينكّل بها ، فإنّهن يقوّرن ويمسح بالموسى بأعلى فُروجهنّ من اللحم كلّه حتّى يبدوَ العظم فيصرن كُشهرة من الشّهر ، وتقطع أثداء الرجال ، وتسلّ الرضفة[2] من رُكَبهن — زَعَم القائل — حتّى

---

(١) زغاوة ، قال ياقوت : بلد في جنوبي أفريقية بالمغرب ، وهم جنس من السودان .

(٢) الرضفة ، بالفتح والتحريك : عظم مطبق على رأس الساق ورأس الفخذ . في الأصل : « وسحل الرضفة » .

لا سيما النّاس منهم . والشّجاعة والسرقة فيهم طبع وغريزة ، ولهذا لا يُؤتَمنون على مال ولا يصلُح أن يكونوا خُزّانا[١] .

(النُّوبيات) من جملة أجناس السودان ، ذوات تَرَف ولطف وتقشّف ، وأبدانهن يابسة مع لين بشرة ، قوية مع دقّة وصلابة ، وهواء مصر يوافقهن ، لأنّ ماء النيل شُربهن ، وإذا انتقلن عن غير مصر تسلّطت عليهن العلل الدموية والأمراض الحادة . ويسير الأذّى يقدح في أجسامهنّ ، وأخلاقهن طاهرة ، وصورهن مقبولة ، وفيهن دين وخَيرية وعفّة وتصوُّن ، وإذعان للمولى ، كأنهنّ فُطِرن على العبودية .

(القُندُهاريات) في معنى الهنديات ، ولهنّ فضيلة على كل النساء ، فإن الثَّيِّب منهن تعود كالبكر . الصّفراء المولَّدةُ تُنسَب إلى أبيها وأمها ، وتمزج بينهما ، فأخلاقها مركّبة منهما[٢] .

(التُّركيات) قد جَمَعن الحسن والبياض والنّعمة ، ووجوهن مائلة إلى الجهامة ، وعيونهن مع صغرها ذات حلاوة ، وقد يوجد فيهن السمراء الأسيلة ، وقُدُودهن ما بين الرَّبْع والقصير[٣] ، والطُّولُ فيهن قليل ، ومليحتهن غاية ، وقبيحتهن آية . وهنّ كنوز الأولاد ، ومعادن النسل ، قلّ ما يتّفق في أولادهن وحش ولا رديّ التركيب ولا حان[٤] ، وفيهن نظافة ولباقة ، قدورُهم تَيدم[٥] يعولون

---

(١) في الأصل : « خزان » .
(٢) في الأصل : « فيمتزج بينا فأخلاقها مركبة منها » .
(٣) في التحقيق : « ما بين الربعة إلى القصير » .
(٤) كذا وردت في الأصل .
(٥) في الأصل : « قد وم » وإنما المراد أن سمدم ، بمنزلة القدور ينضج فيها الطعام .

عليها فى الطّبخ والنضج والمضغ ، لا يكاد يوجد فيهن نكهة متغيّرة ، ولا مَن له عجيزة عظيمة ، وفيهم أخلاقٌ سمحة وقلّة وفاء .

(الدّيلميات) حِسانُ المنظر ، جميلات المخبر ، غير أنّهن أسوأ الناس أخلاقا ، وأغلظهن أكباداً ، وفيهن صبر على الشّدّة ، شبه الطّبريات فى كل حال .

(اللانيات[1]) ألوان بيض محمّرة ، ولحوم كثيرة[2] ، وأمزجة يغلب عليها البرد ، وهنّ للخدمة أصلح منهن للمتعة ، لأن فيهن خيرية طبع ، وثقةً واستقامةَ أخلاق ، وحرصا[3] على المحافظة والموافقة ، وهن بعيداتٌ عن الشّبق .

(الروميات) بيض شُقر ، سِباط الشعور ، زُرق العيون ، عبيدُ طاعةٍ وموافقة ، وخدمةٍ ومناصحة ، ووفاء وأمانة ومحافظة ، يصلُحْن المخزن ، لضَبطهن وقلّة سماحتهن ، لا يخلو أن يكون بأكفهن صنائع دقيقة .

(الأرمنيات) الملاحة للأرمن لولا ما حُشُوا به من وحشة الأرجل[4] ، مع صحة بنية وشدّة أسرٍ وقوّة ، والعفّة فيهن قليلةٌ أو مفقودة ، والسرقة فيهن فاشية ، وقلّ ما يوجد فيهن بخل ، وفيهن غِلَظ طبع ولفظ ، وليست النّظافة فى لغتهن ، وهن عبيدُ كدٍّ وخدمة ، متى تَهَنّت العبدَ ساعةً بغير شُغل لم يدعْهُ خاطرُه إلى

---

(١) فى الأصل : « الأيات » تحريف . وفى التحقيق ٤٦ : « ذكر اللان . واعلم أن اللان جنس من الروم » . وقال ياقوت : « بلاد واسعة فى طرف ارمينية قرب باب الأبواب مجاورون الخزر . والعامة يغلطون فيهم فيقولون علان ، وهم نصارى تجلب منهم عبيد » .

(٢) فى التحقيق ٤٦ : « ألوانهم بيض محمرة ولحومهم مكتنزة » .

(٣) فى الأصل : « وحرص » .

(٤) فى التحقيق ٣٨ : « وحاشية الأرجل » .

خير . لا يصلحون إلّا على العصا والمخافة ، وليس فيهم فضيلة غير تحمّل العناء[1] والأعمال الثقيلة ، والواحد منهم إذا رأيته كسلانا فذاك لِلَقْزٍ فيه[2] ليس عن عجز قوة ، فدونك والعصا ، وكن مع ضَرْبه وانقياده لما تريده منه على حذَر ، فإنّ هذا الجنس غير مأمونٍ عند الرضا فضلا عن الغضب ، فلازِم لا يصلحن لمتعة .
وجملة الأمر أن الأرمن أشرُّ البيضان ، كما أن الزنج أشرُّ السودان ، وما أشبه بعضَهم ببعض في قوة الأجساد ، وكثرة الفساد ، وغلظ الأكباد .

---

(١) في الأصل : « عن عمل العناء » . وفي التحقيق : « وليس فيهم فضيلة غير الأعمال الثقيلة ولا يصبرون إلا على العناء » .
(٢) اللقز : خبث النفس . وفي الأصل : « لبه فيه » .

[٥]

ومنها التحرُّز من تدليسات النخاسين التي يدلِّسون بها في المواسم الرقيق على المشتري ، يجري مجرى الحِسبة ، ثمانية وعشرون فصلا .

من ذلك ما يفعلونه في الألوان ، تغيُّر البشرة بشيئين ، وهما : أمَّا السمراء فإنَّها تصير ذهبية إذا وضعت في أَبْزَنٍ[١] فيه ماء الكراويا أربعَ ساعات[٢] من النهار .

وأما الدُّرِّية اللون فتصير [بيضاء[٣]] إذا غمر وجهها بباقلي قد نقع في بطِّيخ سبعة أيام ، ونقل إلى لبن حليب سبعة أيام ، وغيِّر اللبن كل ليلة .

ومما يحمِّر الخدودَ الصفرة غَسولٌ صفته : دقيق الباقلي والكِرْسِنَّة خمسة أجزاء ، وعرق الزَّعفران وبُورَق ، من كل واحد ربع جزء .

---

(١) كلمة « الأبزن » معربة عن الفارسية : آبزن ، وهو حوض من نحاس أو حديد يستنقع فيه الرجل ، ويعرف في ألفاظنا الشعبية باسم « البانيو » . وفسر في معجم استينجاس بأنه حوض للاستحمام من نحاس أو حديد بطول جسم الإنسان يملأ بماء فاتر على يجلس فيه المريض أو يتمدد . وقد أهمل هذا اللفظ كثير من اللغويين ، منهم الليث والجواليقي وابن دريد والزمخشري . أما الليث فقد نص صاحب اللسان على إغفاله الكلمة ، وأما الجواليقي فلم يذكره في المعرب ، وكذا ابن دريد في الجمهرة ، والزمخشري في الفائق وأساس البلاغة . هذا مع أن الكلمة مستعملة قديما . جاء في شعر أبي دواد يصف فرسا وصفه بانتفاخ جنبيه :

أجوف الجوف فهو منه هواء   مثل ما جاف أبزنا نجار

اللسان ١٦ : ١٩٦ . ويفهم من هذا الشعر أنه كان يصنع أحيانا من الخشب . ويؤيده قول ابن بري : « الأبزن شيء يعمله النجار مثل التابوت » . وروى البخاري أن أنس بن مالك قال : « إن لي أبزنا أتقحم فيه وأنا صائم » . وقد فسر الأبزن في هذا الحديث بأنه الحوض الصغير ، أو حجر منقور كالحوض ، أو شيء يتبرد فيه وهو صائم يستعين بذلك على صومه من الحر والعطش . عمدة القاري ١١ : ١٣ ومشارق الأنوار وشفاء الغليل ١٤ .

(٢) في التحقيق ٢٥٢ : « ثلاث ساعات » .

(٣) التكملة من كتاب التحقيق ص ٢٥٣ .

فأما السُّودان منهن فمسح أطرافهنّ ووجوههن بالدُّهن الطيب . سمعنا بعض ربّات القصور تقول : كلسكون[1] السودان دُهن البنفسَج .

ومن ذلك ما يتعلق بالشَّعر ثلاثة أشياء ، شرحها :

ما يكسِب الشُّعور الشُّقر السوادَ الحالك . دهن الآس ، ودهن قشور الجوز وغسله بالأملج[2] ، ودهنه بدهن الشقائق وأشياء توجد في (الزينة) لأفريطن[3] يطول شرحها .

ما يُزيل الشعر من الوجه والأطراف ، أخذه بالمناقش ، أو طلاؤه بالنورة ومن بعد ذلك ببَيض النمل ، أو يدهن قد طبخ فيه ضفادع خُضْر ، أو عَظَاية[4] بدم الأرنب ، دفعات كثيرة ، ويغسل بالشب والبُورق والنقْس .

ما يجعِّد الشُّعور السبطة ، غَلّفُه[5] بالسدر والأزادرخت[6] والآس .

ومن عادة النخاسين إذا أرادوا أن يطوِّلوا الشعور أن يوصلوا في طرفه من جنسه[7] ، وإذا أرادوا الوضع من الإماء أن يُلصقوا في الأصداغ شَعراً أبيض ليحثّ البيِّع[8] على قبض الثمن .

ومن ذلك فنون مختلفة ستة عشر فصلا ، شرحها :

---

(١) قال داود : « كلسكون : غمرة من الك واسفيداج تحسن الوجه » . في كتاب التحقيق : « أن يمسح أطرافهن ووجوههن بالزيت الطيب أو دهن البنفسج » .

(٢) هو ما يسمى في مصر بالسنانير . تذكرة داود .

(٣) في إخبار العلماء للقفطي ٤١ : « أفريطون المعروف بالزين ، كان زمانه قبل جالينوس وبعد بقراط ، وله كتاب الزينة » .

(٤) العظاية : دابة على خلقة سام أبرص . في الأصل : « عضاية » تحريف . وفي التحقيق : « العطايه » تحريف أيضاً .

(٥) الغلف والتغليف : الطلاء والتلطيخ . في الأصل : « غلفة » .

(٦) فارسي ، ويسمى في مصر « الزنزلخت » . تذكرة داود .

(٧) كذا . وفي التحقيق : « أن يوصلوا في ضفائرها شعراً من جنسها » .

(٨) في الأصل : « ليحث » ، تحريف . والبيع : البائع والمشتري . وفي التحقيق : « ليحدوا به البائع على قبض الثمن » .

ما يسمّن الأعضاء المزيلة : الدَّلْك بالمناديل الخشنة والأدهان الحارة ، والطّلى بالعاقرقرحا ، والخراطيم المحرقة .

ما يعم[١] الأطراف الخشنة : الدُّهن والشمع واللوز المر[٢] والخلخال[٣] معمولة بماء الورد ودُهن بنفسج ، وترك مباشرة الأجسام الخشنة كالخشب والحجارة ، وهجر المآكل المولّدة[٤] للمرة .

وما يذهب آثار الجدرى والخش والوشم : غَسول معمول من عروق القصب واللوز المر[٥] والكرسنّة والباقلى وحبّ البطّيخ معجون بعسل .

ما يغسل به الخضاب من البرص : خل وأشنان مُغلّى وماء الباقلى أو نَاطف وماء حار .

ما يزيل الكلف من البشرة : الشُّونيز[٦] وأصل قِثّاء الحمار وورق الطبازى وبزر الجرجير وأصل الكرم ، يُعجَن بعسل ويطلى .

ما يزيل روائح الأنف : السَّعوط بدهن المَرْزَنْجُوش[٧] والبنفسج والنّيلوفر والنرجس والياسمين .

ما يجلو الأسنان : السواك بالأشنان والسُّكّر وسحيق الصينى ، أو الفحم والملح الدقيق .

ما يخضب البرص : القُلْقَدِيس[٨] والعفص والزّنجار من كل واحد جزء

---

(١) فى الأصل : « ما يعم » .

(٢) فى الأصل : « واللوز والمر » صوابه من التحقيق . وانظر ما يأتى فى س ٣٨٢ س ٦ .

(٣) فى التحقيق « والخلخله » ، ولم أهتد إلى صوابهما .

(٤) فى الأصل : « المولودة » .

(٥) فى الأصل : « واللوز والمر » ، صوابه فى التحقيق .

(٦) الشونيز : الحبة السوداء .

(٧) هو المردقوش ، معرب مرزنگوش الفارسية . وعربيته السمسق .

(٨) هذا ما فى التحقيق ، وفى الأصل : « القلقل يس » تحريف . القلقديس هو الزاج ، كما فى تذكرة داود فى أول حرف الزاى من المفردات ، وكذا معجم استينجاس ٩٨٥ وذكر أنه من اليونانى : Kalkitys .

يعجن بماء [و(١)] لبن التين ، ويغرز مواضعه بإبرة ويطليه أربعة أيام في الشمس يبقى أربعين يوما ، أو يطلى بمرّ وخلّ .

ما يقتل القمل والصِّئبان من الشعر والبدن ، بالبورق والميويزج(٢) وماء السَّلق أو دُرديّ الشَّراب والصابون .

ما يزيل الشَّعث الذى يكون فى أصول الأظفار : غَسْلها بالخل والقسل والرتك ، أو دهن الورد واللوز المرّ ، ويعالج البرص منها بالزرنيخ والكبريت .

ما يطيب الفم : مضغ العُود الرطب والكُسفرة والفوفل(٣) وقشور الأترجّ ، والمضمضة بالخل والمورد والعود المنقوع فى الشَّراب ، وأكل البنّ بعد الطعام وقيل الصَّحناة(٤) .

ما يطيِّب الجسد : الصَّندل والورد والرتك المربَّى بماء الورد ، والبخورات بالمثلثة المآخين(٥) وخلط الثياب بالمقبات والمعمولة من الرياحين على التفاح والفواكه المبخرة بالكافور .

ما يستعمل فى الثيب لتصير كالبكر : قلوب الرمان الحامض وعفص أخضر يُعجن بمرارة البقر ويتحمل فَرْزَجَة(٦) .

(١) التكملة من التحقيق .

(٢) داود : ميويزج : زبيب الجبل ، ويطلق على ضرس العجوز أيضاً . وضرس العجوز هو الحسك .

(٣) الفوفل بضم الفاء وفتحها : ثمرة كنخل النارجيل تحمل كبائس فيها الفوفل أمثال التمر .

(٤) الصحنا والصحناة ويمدان ويكسران : إدام يتخذ من السمك الصغار والملح . القاموس والمعتمد لابن رسولا ١٩٢ . وقال داود : « لا تعرف إلا بالعراق ، ويقرب منها ما يعمل بمصر ويسمى : الملوحة » .

(٥) كذا فى أصله .

(٦) الفرزجة فارسية ، ومعناها ما تحمله المرأة من دواء .

ما يصبغ البياض الذى فى سواد العين : لبن أتان حارّ .

ما يغير زُرقة العين لتصير كحلاء : يقطر فيها ماء قشر الرمان الحلو .

ما يُخفى الحمل : وَصاة النخّاس الجارية أن تحتمد الشَّداد وتُظهر الدم الكاذبَ المصنوع من ماء الصمغ ودم الأخَوين . هذا إذا لم يمكنها إعداد دم من حيوان .

ومن ذلك ما يتعلق بالحمل : شيئان ، وهما : تحقُّق الحمل ليعلم صحته . ومعرفة ذلك يتم بأن يوضع تحت المرأة بَخورٌ كالعنبر ونحوه ويُمنع خروجه من أردانها أو فُرَج أثوابها فإنْ ظهرت الرائحةُ من فيها فليست حاملا ، وبالضد .

معرفة الحمل هو بذكر أو أنثى ، وهذا يتبين فى الذكر من سرعة الحامل وإشراق لونها ، وأن يقدَّر بخيط من وسط السُرّة إلى وسط الفَقارة المحاذية لها من أحد الجوانب ويعلِّم السكان بمداد وتديره إلى الجانب الأخر ، فإنْ نقص الخيطُ عن العلامة من الجانب الأيمن فهى حامل بذكر ، وإن طال فبأنثى .

ومن ذلك ما يُوصى به النخاسون الجوارى ، ثلاثة أشياء ، تفصيلها :

من وصاياهم لهنّ أن يصرفن العناية كلَّها إلى النظافة والطِّيب ، والتبرج للمشترى تارةً والاختفاء أخرى ، فإن هذا بابٌ من التحبب مالكِ القلوب .

ومن وصاياهم لهنّ أن يُظهرن أجملَ ما فيهنّ ، ويخفين أقبح ما فيهن .

ومن وصاياهم أن يُدارين المشايخ والنافرى الطباع ويستميلنهم ، ويتجنَّون على الشباب ويمتنعون عليهم ، ليتمكَّنوا من قلوبهم .

ومن ذلك ما يأخذونهنّ به فى زينتهنّ شيئان ، وهما : ما يُلزمونهن من تحمير

خدودهن ، بالنشاستج وغسل سواريهن بالطمر[١] ، وخضاب حواجبهن بالرّامك ، وأطرافهن إن كانت الجارية بيضاء بالخضاب الأحمر ، وإن كانت سوداء بالذّهبي والأحمر ، وإن كانت صفراء بالأسود .

ما يفعلونه في ملابسهنّ ، فإنّهن يلبسن الأبدان البيض الخصبة[٢] الشفافة الثيابَ الطفيفة الـكحالىَ والمورّدة ، والسودَ الغلائلَ الحمر والصُّفر ، ويُجرون الصّناعة مجرى الطبيعة في كشف الضدّ بالضدّ في ألوان الزّهر .

---

(١) كذا في الأصل .
(٢) في الأصل : « الحصبة » .

[٦]

وأضيف إلى ذلك ما يعتبر به أرباب الصنائع[١] من العبيد والإماء ، ثلاثة عشر فصلا ، ومن ذلك فصول ينتفع بها فيما نحن بسبيله وعددها ثلاثة فصول ، شرحها :

(الأول) : في فصل منبه على ما فضّل فيه النساء على الرجال ، ويجرى هكذا :

طُبِع الرجالُ على جميع الصنائع ، واختصّ النساء بالغناء والغذاء ، فهنّ أطيب طبيخاً منهم لثباتهنّ في العمل ، وأحسن غناء لأنّهن مطبوعات على النغم ، لكن فيهم دُرٌّ ومُشَخْلَب[٢] ، ولهذا يحتجن إلى جهابذة ينتقدونهنّ .

(الثاني) : في الجيد من الغناء ، ويجرى هكذا :

إذا اجتمع للغناء أن يكون مطبوعاً سليماً من الخروج والنفور ، وكانت الجارية شُحروريّة الصوت ، جيدة الصنعة والضرب ، صحيحة التأدية للشعر ، قد أخذت عن الحُذّاق وتزيّدت من نفسها بجودة الطباع ، فهي الغاية القصوى في هذا الشأن ، فإن اتّفق لها مستمعٌ عارف بالطرائق والضّرب واللحن ومجرى الأصابع ، وقائل الشعر وما فيه من العَروض والنحو ، وما في الصوت من ردّات وترجيعات وشذرات ونقرات وتشييمات ، كان أوفر في اللّذّة وأنفق للصناعة .

---

(١) وردت الكلمة قديماً في التنبيه للمسعودي ، وإنباه الرواة للقفطي ١ : ١٩٥ والدرر الكامنة لابن حجر ٣ : ٤٢٠ .

(٢) في اللسان (شخلب) : « قال الليث : مشخلبة كلمة عراقية ليس على بنائها شيء في العربية ، وهي تتخذ من الليف والخرز أمثال الحلى . قال : وهذا حديث فاش في الناس : يا مشخلبة ، ماذا الجلبة ، تزوج حرملة ، بعجوز أرملة . قال : وقد تسمى الجارية مشخلبة بما يرى عليها من الخرز كالحلى » . وانظر المعرب للجواليقي ٣١٥ . وقد جاء قديماً في قول الوليد بن يزيد :

قد راح نحو العراق مشخلبه ... فصاره السجن بعده الخشبه

الأغاني ١ : ١٦٠ .

(الثالث) : فى الطيِّب من الطبيخ والّلذيذ من الغناء . اختلف الناس فى ذلك ثم اتّفقوا على أنّ هذا أمر يقال بالقياس إلى السّمع والذوق ، وكلّما كانت هاتان الحاسّتان سليمتين فى جوهرهما ، معتدلتين فى مزاجهما ذكيتين فى حسهما كان ما يدركانه لذيذا فى نفسه وعندهما[1] ، ومتى خرجت عن طباعها — وهذا بلانهاية عندنا — كان اللذيذ بقياسنا لافى نفسه . ولهذا بعض الناس يستخفّه نقرة فيقول : الغناء ما أطرب . وآخر لاهٍ عن تلك النقرة ، وواحد يشتهى لونا ، وآخر عنده ذلك اللون غير شهىّ .

***

ومن ذلك اعتبارات الصنائع على اختلافها فى العبيد والإماء ، أربعة فصول ، منها .

الطبّاخات : عمدة الطبيخ على طيب المرق وجودة المزاج ، فإن اتّفق الطبّاخة مع هذا جودةُ الصنعة وسرعةُ العمل فذلك غاية الأمل . وقلّ ما يتّفق أن تكون كاملةً فى البوارد[2] والشّواء والطبيخ والحلواء على أصنافها الثلاثة ، فهذا مما يعجز عنه قدر النساء . والذى يتحنّون[3] به الإسفيدباج[4] ، والدّيكبراكة[5]

(١) فى الأصل : « سليمة فى جوهرها معتدلة فى مزاجهما ذكية فى حسهما كان ما يدركه لذيذاً فى نفسه وعندهما » .

(٢) فى حواشى كتاب الطبيخ لمحمد بن الحسن البغدادى بتحقيق الدكتور داود الجلبى ص ٦ : « هى البقول المطبوخة الموضوعة فى الأشياء الحامضة كالخل وماء الحصرم والسماق وماء النفاح والريباس والماست . كتاب الأغذية والأشربة من الحسة النجيبية ، لنجيب الدين السمرقندى » .

(٣) فى الأصل : « يتحنوا » .

(٤) ضرب من الطعام يصنع من اللحم والبصل والحمص والأبازير . انظر صنعته فى كتاب الطبيخ البغدادى ٣٢ . ويقال له أيضاً « إسفيدبا » كما فى معجم استينجاس ٥٠٨ . ومعنى كلمة « إسفيد » فى الفارسية الأبيض ، واللامع .

(٥) جاءت فى كتاب الطبيخ ١٢ : « ديكبريكة » . ووجد الدكتور داود جلبى ضبطها فى أصل نسخته بفتح الكاف الأول وسكون الباء وكسر الراء ، قال : « وأظنها من الآرامية : « ديكابريكا » ، ومعناها الديك المبارك » . وصنعة هذا اللون قريبة من صنعة سابقه .

أما الإسفيدباج فلأنّ الأبازير معطّبة لها ، وكثرتها يسوّد سرقها ، وأتقنها بياضُها[1] فلهذا يتعذّر سلامتها . وأما الديكبرا كة فلأنها لون سهل يتبين فى التلطّف فى منع سهوكتها .

الخزّان : يختار لحفظ الأموال الروم ، لأنّ السخاء ليس فى لقتهم[2] . واعتبارهنّ يكون بإسراجهن[3] فى مالٍ معلوم الوزن وإهمال مراعاتهنّ والتصفّح له من بُعدٍ بغتة .

الحواضن والدايات : يختار لتربية الأطفال النُّوبة لأنهن من جنسٍ فيه رحمة وحنين على الولد ، وليس يلقّنّ الطفلَ لغة بَشِعة ، ويُختار الرّضاع الظُّئر الصحيحة الجسم الحديثة السن المعتدلة المزاج ، المائلة إلى البياض المشرب حمرة ، الصحيحة الولد واللبن . واعتبار اللّبن أن تقطر على ظفرك منه فإذا صار كالعدسة لا غليظاً مقبباً ولا مائعاً سيّالاً ، وكان طيّباً فى رائحته ، أبيض فى لونه ، كان جيداً . وبعض الأطباء اختار الزُّنج للرضاع ، لأنّ حرارتهن البارزةَ نحو الأثداء مُنضجة اللبن ، ولأنّهن لغلظه أكثر غذاء . وقال قوم : إنّ قياسه قياسُ لبن الأُتن فى القطاقة ، لغلظ أجسامهن .

رجال الحرب والنجدة : يُختار لذلك التُّرك والصقالبة ، لحرارة قلوبهم . واعتبارُهم يكون بإيراد الأشياء المفزّعة بغتة ، كإلقاء الحيات الخرق[4] أو طرح الأشياء التى لها صوت عظيم من علو بين أيديهم .

---

(١) فى التحقيق ٢٠١ : « وحسنها بياضها » .
(٢) فى التحقيق ٢٠٢ : « ليس فى طباعهم ولا أخلاقهم » .
(٣) كذا . وفى التحقيق : « فمن أراد أن يجعل خازناً غلاماً أو جارية فليعتبرهما بإسراجهما» وفى الأصل « بإسراجهن » تحريف . يقال أسرج الدابة : تركها تذهب حيث شاءت .
(٤) فى الأصل : « الحرث » . وفى التحقيق ٢٠٢ : « كإلقاء حيات الخرق » .

ومن ذلك ما يتعلق بالقيان ستة فصول ، شرحها :

العوّادات : يحتبرن بالعشرة الأصوات المبيّن عليها من المائة المختارة ، وخاصة بالثانى ثقيل ، وعموده ثلاث عشرة نقرة .

الرقّاصات : يحتاج الرقّاص أن يكون طرباً فى طبعه ، مجوّداً فى صنعته ، معتدلا فى جسمه وقامته ، عريض الصّدر[1] ليمتد نفسه ، مجدول الحشا لتخف حركته . وهذا يعرف من إحضاره وصياحه ، ويكون قيّاً بالبابات[2] جميعها لا سيا الشّيرازية منها .

السّكرّاعات[3] يحتبرن بالأرمال والأهزاج والنّصبى[4] والسكاكانى[5] .

الزوامر : يختار لهن الزمر لأنهن مطبوعات على الإيقاع . ولما يغنمن مجموعة[6] ألفاظهن عن الغناء عدل بهن إلى الزمر والرقص .

الطنبوريات : ذوات الطنبور البغدادى ، يحتبرن بالزريق والحجنى وخفيف رمل ابن طرخان . ومن آدابهن على الإجمال إصلاح آلاتهن قبل حضورهن

---

(١) فى الأصل : « الصلب » ، صوابه فى كتاب التطفيل ص ٢٤٩ .

(٢) البابات : الوجوه والطرق، أى طرق الرقص . فى الأصل : « بالثابات » ، صوابه فيما أرى من كتاب التطفيل ٢٤٩ .

(٣) السكراعة : كلمة مولدة كما فى اللسان (كرع) . وفى شفاء الغليل للخفاجى : « كراعة : مغنية تغنى على طبل صغير . قال ابن الرومى :

أنق إليها أذناً واستمع أيرد ما غنته كراعه » .

(٤) فى الأصل : « النصبى » وفى التطفيل : « النفى » بإهمال الحروف ماعدا الفاء . وقد سبق الكلام على « النصبى » فى حواشى ٣٢٤ من المجموعة الثالثة .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) انظر ما سبق فى ص ٣٧٤ س ١٥ .

القناء ، واستصحابها إذا نهضن لا سيما إذا كن بارزات دون الستائر ، الدف بالزفن[1] .

[صورة ما ورد في ختام الأصل]

تمت الرسالة في شرى الرقيق وتقليب العبيد ، تأليف الشيخ أبي الحسن المختار بن الحسن بن عبدون البغدادي المتطبب .

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

---

(١) كذا . وفي كتاب التحقيق ٢٤٩ : « والدفافات محسن بالزفن » . والدفافة : الضاربة بالدف . والزفن : الرقص .

هداية المريد في تقليب العبيد

صنيع غريق الذنوب، غريق بحر العيوب
راجي عفو مولاه، والدخول ساحة حماه
فقير ربه المتعالي، محمد الغزالي، لطف الله به

مقـــدمـــة

وهذا كتاب آخر ، موضوعه مشابه لكتاب ابن بطلان ، يتناول الكلام على اختيار الرقيق ، وكأنه صدى لكتاب ابن بطلان .

ومؤلف هذا الكتاب رجل مغمور من رجال العصر العثماني في مصر الذي امتد ثلاثة قرون ، بين سنتي ٩٢٣ و ١٢١٣ ، هو « محمد الغزالي » الذي لم أستطع أن أعثر له على ترجمة ، ولكنه في مقدمة كتابه يهدي كتابه إلى أحد الرجال الرسميين في مصر ، هو « أحمد بن محمد ، أفندي الديار المصرية » يقول المؤلف في شأنه « فاجتمعت بمولانا في خلوة الأنس والندام ، فاستجزته واستأذنته فأجاز وأذن في الإقدام ، استعطافاً لخاطر الفقير ، وجبراً منه للقلب الكسير » .

ونسخة الكتاب لم أهتد إلى أخت لها فيما أداني إليه البحث ، وهي مودعة بدار الكتب المصرية برقم (٤٠ فراسة) كتب على الصفحة الأولى منها : « أمانة سيدي عبدالله شبراوي ولله الحمد في ٣ من صفر الخير سنة ١١٢٦ عند كاتبه حسن على محفوظ » . وفي آخرها : « عند كاتبه حسن على محفوظ لسيدي عبد الله شبراوي حفظه الله تعالى في ٣ من صفر الخير شهور سنة ١١٢٦ » .

ولعل هـذا المالك هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين القاهري الشافعي الشهير بالشبراوي ، تلميذ الخرشي . وكان الشبراوي شيخاً للجامع الأزهر ولد سنة ١٠٩١ وتوفي سنة ١١٧٢ . وترجمته في سلك الدرر[(١)] .

وفي الصفحة الأولى من النسخة تمليك نصه « من نعم الله على عبده الفقير محمد الشربيني الجراح ، خادم الفقراء الضعفاء بدار الشفاء في سنة ٩٩ » . ويحتمل أن تكون سنة ١١٩٩ ، أو ١٢٩٩ .

والنسخة في ١٢ ورقة صغيرة بهامشها حواش وتعليقات حرصت أن أنقل المهم منها ، لما له من قيمة علمية تاريخية لا لأنه ذو فائدة محققة ، فنحن إنما نعرض هذه المنشورات للتاريخ ولبسط الثقافات العربية القديمة وتقديمها لجمهرة الباحثين .

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، لمحمد خليل المرادي ٣ : ٢ : ١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي وكفى

حمداً لك يا من أبدع نوعَ الإنسان في أحسن نظام ، وركّبه من أعصاب وشراسيف وأوردة ولحم وعظام ، وجعل هيكله معرضاً للصحّة والأسقام ، ورُوحه مركزاً لكمال الإنعام ، وصلاة وسلاما على خلاصة العناصر ، قُطب دائرة الوجود محطِّ المآثر ، وعلى آله وصحبه ما استدلّ الآسي على اعتدال المزاج ، واستعمل قانون التدبير في كيفية العلاج .

وبعد فلمّا استولى على أرض الخَلَد ، حليفُ التواضع موقعُ الاعتقادِ والمدد ، سقتها غامة الغمام من لطائفه ، فاهتزّت وربَت من ظرائفه ، وأنبتت حبة المحبة فالتقطها الأماثل ، وتناولها فضا الأفاضل (١) ، فعادت غذاء الأشباح ، وحياةَ روح الأرواح . وكيف وهي حبّة محبّة مَن

دعا فأجابته المعالي مطيعةً	وقد كان منها مَنعةٌ وإباء
وشُرِّفت الدُّنيا بأوصافه التي	تقاصَرَ عن إدراكها القدماء
وألقت له العَليا زمام انقيادها	فمنها له ما يبتغي ويشاء

مولانا مالكِ زمام شريعة سيد المرسلين أحمد ، أحمد بن محمد ، أفندي الديار المصرية ، صاحب الأخلاق المرضية ، لا زال اقترانُ الاسمين عائداً بصلة السّرّ الرباني عليه ، مشيرا بتوّق تمثّلات السّعادة لديه ، ولا برح ابنُ بوجه البزيعُ فائقاً رتق أبكار المعاني ، محرزاً قَصَبات السَّبق في مضمار حَلّ رموز المباني ،

---

(١) كذا وردت العبارة . ولعلها « فضلاء الأفاضل » .

ما غرّدت بنات الأيك على غصون الأشجار ، وفاحت مسكيّةُ عَرْفِ النّسيم في غُصون الأسحار ؛ وكان الفقير الخمول ممن له تَرداد على مجلس مولانا أندى الوما إليه ، لمزيد حبه للفقراء وحسن تَوَدُّده إليهم ، وشدة اعتقاده فيهم — دعاني الخاطر أن أجمع رسالة في العلامات الدالة على صحة أبدان الأعبُد ، والعلامات الدّالة على ضعفها ، وذلك لأنّه ممّا يَحتاج إليه الإنسان عند شرائهم ، وأن أرتبها على سبعة فصول وخاتمة ، وأن أقدّمها لمولانا المشار إليه . فأنْهيت الخاطرَ أيّاما فوجدته صحيحاً ، لصحّة علّته الخاملة ، فاجتمعت بمولانا في خلوة الأنس والُمدام ، فاستجزته واستأذنته فأجاز وأذن في الإقدام ، استعطافاً لخاطر الفقير ، وجبراً منه للقلب الكسير . وها أنا أشرع في التّرجمة ثم في المقصود فأقول :

الفصل الأول : في العلامات الدالة من جهة مزاج البدن ولونه وهيئة تركيبه وسطحه .

الفصل الثاني : في العلامات الدالة من جهة الرأس والعنق .

الفصل الثالث : العلامات الدالة من جهة الصدر واليدين .

الفصل الرابع : في العلامات الدالة من جهة الأحشاء والكليتين والمثانة والأنثيين والقضيب والمقعدة .

الفصل الخامس : في العلامات الدالة من جهة الرجلين وخصوص الركبة والساقين .

الفصل السادس : في العلامات الدالة من جهة السمن والهزال ، والطول والقصر .

الفصل السابع : في العلامات الدالة من جهة كيفية مزاج مطلق البدن وطبعه .

الخاتمة : فيما يناسب العبد إذا اشتراه من الرياضة والراحة والدعة .

الفصل الأول

فى العلامات الدالة من جهة مزاج البدن ولونه وهيئة تركيبه وسطحه ، أى بشرته

ليُعلَمْ يا إنسانَ عينِ الزمان[1] أنه من أراد شراء عبد أبيضَ كان أو أسود ، ذكراً كان أو أنثى ، ينبغى له أن ينظر إلى لون بدنه ، فإن وجده حائلاً كالأصفر دلّ ذلك على غلَبة الصفراء ، وعلى سوء مزاج حارّ مطلقاً ، أو على سوء مزاج حارّ فى خُصوص الكبد . وإن وجده أبيضَ جِصّيّاً دلّ على سوء مزاج بارد ، أو على برد الكبد ورطوبتها وغلبة البلغم . وإن وجده أسود كمِداً يشبه لونَ الرَّصاص دلّ على سوء مزاج بارد يابس ، وعلى برد مزاج الكبد ويبسها ، وعلى غلبة السوداء وضعف الطّحال . وإن وجده أبيضَ تعلوه حمرةٌ قليلة أو أسمر سمرتُه صافية ، أو أسود سوادُه حالك برّاق مع حمرة الشفتين دلّ على حُسنِ المزاج وصحة البدن .

وأن ينظر إلى هيئة بدنه ، فإن وجد أعضاءه بعضها أكبر من بعض ، كأنْ وجدَ رأسَه كبيراً ، ورقبته دقيقة ، وصدره ضيقاً ؛ أو وجد رأسه صغيراً ، ورقبته غليظة ، وصدره مخالفا لذلك ؛ أو وجد رأسه صغيرا ، وبدنه كبيرا ، ورجليه قصيرتين ، دلّ على رداءة الطبع وقبح المنظر . وإن وجدَها حسنةَ الشكل جيدة التركيب متناسبةً متشابهة بعضها ببعض فى العظم والصغر ، والسمن والهزال ، والطول والقصر ، دلّ على جَودة الهيئة وصحة التركيب .

وأن ينظر إلى سطح بدنه ، أى بشرته ، فإن وجده قضيفاً جداً دلّ على

---

(١) انظر ما سيأتى فى أول « الخاتمة » .

شدّة الحرارة واليبس ، والاستعداد لحدوث بعض الأمراض . وإنْ وجده سميناً جداً دلّ على كثرة البرودة والرطوبة والبلغم ، ولا يأمن صاحبُه من موت الفجاءة وحدوث المرض البطيء البُرء كالسكتة والفالج ، واللقوة والصَّرْع ، وما يجرى هذا المجرى . وإن وجد فى بدنه موضعاً مضيئاً فقد يكون برصاً أو قوباء أو بهقاً أبيضَ أو أسود . وإن وجد فيه كيّاً أو ضبّنا فليتفقّد ذلك تفقداً جيداً ، لاحتمال أنّه فعل ذلك بسبب برص ، وإن وجد موضعاً مغايراً للون البدن ، فلينظره نظراً شافياً ، لاحتمال أنّه برص صبغه بالشيطرج[1] أو غيره ، فيغسله المشترى بالأشنان والخل ، ويدلكه بخرقة خشنة دلكاً جيداً ، فإن كان برصاً ظهر واتّضح . وإن وجد فى بدنه آثارَ قروح فليسألْ بائعه هل عضّه كلب ؟ فإنْ قال نعم كان ذلك فلا يشتريه ، فإنه لا يأمن من أن يكون ذلك الكلب كلِباً فيؤولَ الأمرُ بصاحبه إلى الخوف من الماء ثمّ الموت ، وإن وجد البدن خالياً عن جميع ذلك سالماً منه دلّ على صحته .

الفصل الثانى

فى العلامات الدالة من جهة الرأس والعنق

وينبغى أيضاً أن ينظر إلى رأسه ، فإنْ وجده خفيفاً مرّطاً ، ونباتُه متفرقاً متباعداً ، دلّ على فساد جلد الرأس ، ورداءة مزاج الدماغ . وإن وجده ليناً ، دل على الجبن ، وإن وجده متقصفاً متساقطاً بكثرة دلّ على يبس الدماغ . وإن وجد به داء الثعلب أو داء الحية[2] دلّ على أخلاط ردية مفسدة للشعر . وإن وجده سالماً من ذلك وخشناً دلّ على جودة مزاج الدّماغ والشجاعة .

---

(١) نبات ينبت كثيراً فى القبور والحيطان القديمة والمواضع التى لا تحرث ، له زهر أحمر يطول نحواً من ذراع .

(٢) انظر ما سبق فى كتاب ابن بطلان ص ٣٨١ .

وأن ينظر إلى جلدة الرأس فإنْ وجد بها حَزَازاً[١] ، أو شطلة[٢] و بثراً ، أو أثر قروح وجرْح غائر ، دلّ على عظم قد سقط من القحف ، وهذا رديءٌ لا يؤمن أن يقع بهذا الموضع صدمة أخرى من شيء حادّ فيبلغ الدماغ فيخرجه ، أو من شيء ثقيل يرضّه فيتلفه .

وأن ينظر إلى شكل القِحف ، فإن وجده مسقّطا جدّاً[٣] دلّ على الرداءة من جهتين : أحدهما : سرعة الصَّرْع ، وثانيهما قبح النظر .

قال صاحب لقط المنافع[٤] : أما صغر الرأس وكبره فسببه المادة النُّطْفية ؛ إن قلّت قلّ ، وإن كثرت عظم .

و إذا كان الرأس صغيراً حسن الشكل ، كان أقلّ رداءة من الصغير الرديء الشكل ، على أنه لا يخلو من رداءة هيئة الدماغ ، وضعف من قواه . ولهذا قال أصحاب الفراسة : يكون هذا الإنسان لجوجاً سريع الغضب متحيِّراً في الأمور .

قال جالينوس : لا يخلو صِغر الرأس البتة من دلالةٍ على رداءة هيئة . وكبر الرأس ليس دليلاً في كلّ وقت على جودة الدماغ ما لم يقترن به جودةُ الشكل وغِلَظ العنق وسعةُ الصدر ، فإنها تابعة لعِظَم الصُّلب والأضلاع التابعَين لعظم النخاع وقوّته التابعَين لقوة الدماغ .

و إذا كان الرأس مستديراً دلّ على بُعده عن الخير إذا كانت الجبهة مستديرة ، والوجه طويلا والرقبة غليظة ، وفي العين بلادة .

---

(١) في حاشية الأصل : « الحزاز وهو النخالة التي تكون في الرأس ، سببها مادة حادة بورقية أو سوداوية أو دم سوداوي أو أبخرة حادة أو يبس » . وفي اللسان : « والحزاز : هبرية في الرأس كأنه نخالة ، واحدته حزازة » .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة . ولعلها « السعفة » وهي قروح تخرج بالرأس .

(٣) انظر ما سبق في حواشي ٣٠٩ .

(٤) هو ابن الجوزي . ولقط المنافع ، كتاب له في الطب جعله على سبعين باباً ، ثم اختصره وسماه مختار المنافع . كشف الظنون .

وأن ينظر إلى عينه ، فإن وجدها عظُمت فهو قبيح كسلان ، وإن وجدها غارت فيه داء خبيث ، وإن جحظت فهو وقح مهذار ، وإن وجدها ذاهبةً في طُول بدنِه فهو مكَّار خبيث ، وإن وجدها كأنها ناتئة[1] وسائر العين لاطٍ[2] فهو أحمق . وإن وجدها صغيرةً غائرة فهو مكار حسود . وإن وجدها ناتئة[3] صغيرة كعين السرطان فهو جهولٌ ميّال إلى الشهوات . وإن وجدها كبيرة ترعد فهو شرّير إن صغرت حدقتها . وإن وجدها عظيمة فهو قليل الشر عظيم الحُمق[4] .
وإن وجد حدقتها شديدة السَّواد فهو جبان . وإن وجدها زرقاء صغيرةً فهو كسلانٌ بطّالٌ كثير المحبّة للنساء . وإن وجدها زرقاء مشوبةً بصُفرة كالزّعفران فهو ردىء الأخلاق جدًّا . وإن وجدها زرقاء وهو أشقر اللون فهو ردىء جداً .
وإن وجدها زرقاء مشوبةً بصُفرة وخضرة كالفيروزج فهو أردأ الناس . وإن وجد فيها نُقطاً حُمراً أو بيضاً فهو شر الناس وأردؤهم . وإن وجدها بيضاء بياضُها كدر فهو غير جيِّد الحدقة . وإن وجدها مع ذلك مستديرة كعين الأسد ، والوجه متجهّم ، فهو ممن حدث له الجُذَام . وإن وجدها شهلاء فهو جيِّد العين . وإذا لم يكن شَهَلها شديد البريق ، ولا مشوباً بصفرة ولا حمرة فهو شديد جودة العين .
وإن وجد في عينه عُروقاً حمراء دلّ على حصول السَّبَل له[5] ، وإن وجد حاجبَها

(١) في الأصل : « ثابتة » ، صوابه من كتاب جل أحكام الفراسة ص ٣ . والناتئة : المرتفعة .

(٢) اللاطي : اللازق .

(٣) في الأصل : « ثابتة » ، صوابه من كتاب جل أحكام الفراسة .

(٤) نص الرازي : « صاحب العين الكبيرة الرعدة شرير إن كانت صغيرة ، وإن كانت عظيمة نقص من الشر وزاد في الحمق » .

(٥) جاء في حواشي الأصل : « السبل : عروق تمتلئ دماً وتسودّ وتحمر ، وأكثره مع سيلان دم وحمرة وحكة . وهو ثلاثة أنواع : أحدها يعرف بالسبل الرطب ، كأنه نسيج العنكبوت بعروق حمر دقاق ويكون معه رطوبة عظيمة في العين . والثاني يعرف بالسبل اليابس وتكون معه العين ناشفة كأنها صحيحة غير أن الما (؟) يكون مسبلا . والثالث المستحكم الذي قد غلظ ومنع البصر وبيض الحدقة » .

كثير الشعر فهو كثير الهم والحزن غثُّ الكلام ، وإن وجد مأقها الذى يلى الأنف تسيل منه رطوبةٌ فليعصره فإن خرج منه زيادةُ رطوبةٍ دلّ على مرض الناصور[1] ، وإن وجد فى هذه المآق زيادةَ لحمية ناتئة منبسطة نحو الحدقة فهى ظَفَرة[2] ، وإن وجد جفنها منتثرة[3] ، دلّ على مادّة حادّة تصل إلى أصول الأجفان فمنعها من جودة البصر وتسقطها ، وإن وجد الجفن ثقيلا مسبلا دلّ على غلظ أو جرب أو شَعرة . وإن وجده منكسراً أو مكبوباً من غير علة فهو ماكرٌ أحمق كذّاب .

وينبغى له أن يمتحن بصرَه قوّة وضعفاً ، بأن يريَه أجساما مختلفة الأشكال فإنْ كان لا ينظرها نظراً جيّداً ، أو كان ينظر إلى القريب منها نظراً جيّداً دون البعيد أو بخلاف ذلك فبصرُه ردىء ، ودلّت العلامة على آفةٍ قد نالت الدّماغ والرّوح الباصر .

وأن ينظر إلى سمعه ، فإن وجده ثقيلاً بأن يكلّمه فلا يجيبه ، دلّ على أنّ بسمعه آفةً ، إما من سُدّةٍ عارضة فى ثقب الأذن ، والسّدة إما من لحم نابتٍ أو ثألول[4] ، أو من قبل شىء عارض . فإن كانت من شىء عارض ، كحصاةٍ أو نُوية أو شعيرة أو وسخ ، فإنها تزول بالآلة التى يُخرج بها ما يَسقُط فى الأذن . وإن كانت من غير ذلك فبرؤه عسر ، وإن وجده كبيرَ الأذُن جاهلٌ بليدٌ طويل العمر .

وأن ينظر إلى أنفه ، فإن وجد غِلَظًا [أو] جَسًا[5] ، دلّ على أنّ هناك لحما

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٣٦١ .

(٢) انظر ما مضى فى حواشى ص ٣٦١ .

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) هذه لغة عامية فى « الثؤلول » نص عليها ابن الجوزى فى تقويم اللسان . والثؤلول : واحد الثآليل ، وهو الخراج يخرج فى الجلد .

(٥) فى الأصل : « فإن وجده غليظا جشا » تحريف . انظر له ما سيأتى فى أول الفصل الرابع . والجسا : اليبس .

زائداً وقروحاً في المنخرين ، فينبغي أن ينظرَ إليه في موضع مضيء مقابلٍ الشمس ليظهرَ له ذلك .

قال صاحب لقط المنافع(١) : من كان طرفُ أنفه دقيقاً فإنّه يحب الخصومة ، ومن كان أنفه غليظاً ممتلئاً فهو قليل الفهم ، ومن كان غليظَ الشّفَة فهو أحمق غليظ الطبع ، ومن كان قليلَ صبغ الشّفَة فهو ممراض ، ومن كان كثير لحم الخدّين فهو غليظ الطبع .

وأن ينظر إلى لسانه فإن وجده ثقيلا أو ألثغ أو ليس بيّن الكلام دلّ على صِغَر اللسان أو غِلَظه أو قصره ، أو قَطْعِ جزء منه ، أو آفةٍ لعصَب اللسان ، أو غير ذلك من الآفات ، أو من سنّ قد انقلعت . وإن وجد فيه آثارَ قُروح قد اندملت ، فيسألْ صاحبَه عن السبب ، فإن قال سببه قُرحةٌ عرضت في لسانه ، أو ورمٌ انفجر واندمل ، فلا يشتريه حتى يفحص عن ذلك فحصاً جيداً ، لاحتمال أن انصرَعَ فعضّ لسانَه فتورّم وتقرّح ، وأن يسمع صوتَه فإن وجده أبحّ حادًّا دلّ على أنّ هناك جُذاما سيظهر .

وقال بعض الأفاضل من العلماء : حُسن الصوت دليلٌ على الحمق وقلّةِ الفطنة .

وأن ينظرَ إلى أسنانه ، فإن وجدها ساقطةً ، ولا سيما الثنايا والأنياب والأضراس ، دلّ على القبح ، والمنع من بيان الكلام والمنع من جودة المضغ ، وإن وجد سقوطها من قبل أن يُثغر فإنه إذا ثُغرت عادت أجود مما كانت ، وإن وجد سقوطها من بعد إثغاره فإنها لا تعود . وأن ينظر إلى لون أسنانه ، فإن وجده أبيضَ أو أسودَ فهو عيبٌ قبيح إلاّ [أن] يكونَ قبلَ إثغاره فإنّ الإنسان إذا ثُغر عادت أسنانه ولونُها إلى أحسنَ ما كانا وأجودَ وأقوى .

---

(١) انظر ما سبق في حواشي ٣٩٧ .

قال أبو الفرج بن الجوزي[١] رحمه الله : وتفريق الأسنان وضعفها ورقتها دليل على ضعف الجسد[٢] وقصر العمر . والفم الكثير الصلب دليلٌ على غِلَظ الحسّ والفهم . ومن وقع عليه عند الضّحك سُعال أو ربو فإنّه وقِحٌ سليط .

وقال في موضع آخر : وأن يتفقّد أسنانه ، فإن القويّة طويلةُ البقاء ، والرّثيمة[٣] سريعة السّقوط ، والضعيفة المتفرّقة تدلُّ على قصَر العمر .

وأن ينظر إلى لِثَاة أسنانه ، فإنْ وجدها متشمّبة أو مسترخية أو فيها قروح[٤] دلّ على الرداءة . وأن يشتمّ نكهته ، فإن وجدها متغيّرة ، فتغيُّرها إمّا من عُفونة اللّثاة أو من ضِرس متآكل أو من بلغم عفنٍ في المعدة . فإنْ كان من الأوّل فيزول بتقوية اللّثة بالأدوية القابضة ، واستعمال الأدوية الحارّة ، وإن كان من الثاني فيزول بقَلع الضرس المتآكل ، أو بتنقيته أو بكَيّه ، وإن كان من الثالث فلا يسهل بُرؤه .

وأن ينظر إلى لَهاته ، فإن وجدها نازلةً إلى السّفل كثيراً دلّ على الرّداءة ، من جهة أنه متى عرض لها ورمٌ تبعه الُخناق . وإن وجدها مسترخيةً دلّ على الرّداءة من جهة أنّ صاحبه يَعرِض له السّعال كثيراً .

وأن ينظر إلى حلقه من خارج ، ويمسّ الغدد التي هناك ، فإن وجدها ظاهرةً

---

(١) يعني ، في كتابه « لقط المنافع » .

(٢) في حواشي الأصل : « قال السموأل : واجتماعها أجود من تفرقها ، وإن كان الشنب مذهباً محبوباً عند العرب » . قلت : السموأل هذا هو السموأل بن يحيى المغربي ، من العلماء الذين قدموا إلى المشرق ، وأقام بمدينة المراغة من ناحية أذربيجان ، وأولد أولاداً سلكوا طريقته في الطب ، وأسلم وحسن إسلامه ، وصنف كتاباً في إظهار معايب اليهود وكذب دعاويهم في التوراة ، ومات قريباً من سنة ٥٧٠ . القفطي ١٤٢ .

(٣) الرثيمة هنا بمعنى الرقيقة . وهي صحيحة . جاء في شرح درة الغواص للحريري ص ١١٨ : « والناس يقولون ثوب رثيم بمعنى رقيق ، كذا في أدب الكاتب ، وهو مجاز ، ولذلك أهملوه في كتب اللغة » .

(٤) في الأصل : « قروحاً » .

تحت اللمس مع صلابةٍ كان ذلك دليلاً على الخنازير(١) .

وأن ينظر إلى لون وجهه ، فإن وجده مثل لهب النار فهو مجبول مجنون ، وإن وجده رقيقاً فهو مستحي ، وإن وجده أخضر أسود فهو سيّئ الخلق . وأن ينظر إلى استدارة وجهه ، وإلى نحافته ، وإلى صغره وطُوله ، فإن وجده شديد الاستدارة فهو جاهل ، وإن وجده نحيفاً فهو مهتمٌّ بالأمور ، وإن وجده صغيراً فهو دنيء خَبيثٌ مَلاَّقٌ ، وإن وجده طويلا فهو وقح . وأن ينظر إلى عنقه ، فإن وجده قصيراً جداً فهو مَكّار خبيث ، وإن وجده طويلا دقيقاً فهو صَيّاح أحمق جبان . وإن وجده كثير الشعر فهو أحمق شديد الحرارة .

الفصل الثالث

في العلامات الدّالّة من جهة الصدر والإبطين واليدين

وينبغي له أيضاً أن ينظر إلى صدره ، فإن وجده ضيقاً والكتفان مرتفعان كأنّ له جناحين والظهر منحنياً دلّ على مرض السلّ ، لا سيَّما إن كان في سنّ الطفولة والشباب وكانت النزلات تعرض له كثيراً(٢) .

وأن ينظر إلى باطنه ، فإن وجد فيها غُدَداً دلّ على حدوث خنازير هناك .

وأن ينظر إلى يديه بعد أن يجمعهما ، ويقيس إحداهما بالأخرى ، فإن وجدهما

(١) في القاموس أن الخنازير قروح تحدث في الرقبة . وفي حواشي الأصل : « الخنازير ورم صلب شبيه بالغدد ، أما في اللحم الرخو الذي هو في العنق أو الذي في الأربيتين أو الذي تحت الإبطين ، وأكثر ما يكون هذا الورم في مقدم العنق وفي جوانبه . ويكون إما غدة أو غدتين أو ثلاثا وأكثر ، وكل واحدة لها صفاق خاصة كالسلع . وإنما سمي هذا الصنف خنازير لأن هذه الغدد تكون في أرقاب الخنازير . [وقال] قوم لأن الخنازير [تعرض به أيضاً] » .

(٢) في حواشي الأصل : « النزلة هي تحلب فضول رطبة من بطن الدماغ المقدمين إلى المنخرين » .

قصيرتين ، أو إحداهما قصيرة والأخرى طويلة دلّ على الرداءة والقبح ، والتمم من جودة الأعمال .

وأن ينظر إلى ساعده فإن وجـده ملتوياً لعلة عرضت فهو عيب ردىء ، وإن وجده ينقص عند ليّه عما يحتاج إليه دلّ على آفة عرضت الزَّند الأعلى . وإن وجد تفصيل مرفقه ينقص عند الثواية عما يحتاج إليـه دل على آفة عرضت الزَّند الأسفل .

وأن ينظر إلى معصميه ، فإن وجد بهما شبه ورم صغير وإذا لمسه وجد تحت اللمس ما يشبه العِرق أو الدُّود ، فإن ذلك يدل على وجود العِرق المدينى[1] .

وأن ينظر إلى كفه ، فإن وجده عسير الحركة عند قبضها أو بسطها فهى رديئة . والدَّليل على قوّة يده وضعفها أن يأمره المشترى أن يقبض على بعض أعضائه قبضاً شديداً ، فيظهر بذلك قوةُ اليد وضعفُها[2] .

الفصل الرابع

فى العلامات الدالة من جهة الأحشاء والكُليتين والمثانة والأنثيين والقضيب والمقعدة

ويتبغى له أيضاً أن يتفقد أحشاءه[3] ، فإن وجد فى الناحية اليمنى أو اليسرى غِلظًا أو جَسًا[4] بعد أن يأمره أن يستلق[5] على ظهره ، ويكون رأسه غير

---

(١) فى حواشى النسخة : « المدينى بثرة تحدث فى الساقين فتنفط . ـ ثم يخرج منها شىء [كالدود] د ، ولا يزال يطول ، وربما كان له حد لحدة مادته وشدة توجع ، فطعه خطر » .

(٢) فى حواشى النسخة : « قال السـوأل : وينبغى أن ينظر إلى أكل الجارية وعملها للأشغال فربما كانت الجارية تأكل بيدها اليسرى وتعمل بها أكثر أعمالها ، وذلك من العيوب » .

(٣) فى حواشى الأصل : « إنما عدلنا فى هذا الفصل من التعبير بالنظر إلى التعبير بالتفقد لأن هذه المواضع لا يجوز النظر إليها » .

(٤) الجسا : اليبس ، يقال جسيت اليد وغيرها جسوا وجسا : يبست .

(٥) فى الأصل : « يلتق » .

مرتفع ، ويبسط يديه نحو رجليه ويَشيل رُكبتيه إلى فوق ، ويصفّ قدميه ، ويلمس مَرَاقّ بطنه[1] من موضع فم المعدة وما دُون الشّراسيف إلى أن ينتهى إلى العانة ، ويمرّ بيده على ذلك مروراً شافياً — دلّ ذلك الغلظ أو الجسّ[2] على أن فى الكبد أو الطحال ورماً رديئاً يؤدى إلى الاستسقاء ، لا سيَّما إن رأى مع ذلك لونَ البدن رديئاً مائلا إلى البياض ، وأسفل الجفن الأسفل متهيِّجا .

وينبغى له إذا أراد شراء جارية أن يتفقّدها ، فربما يجد منها فيما بين السُّرة إلى العانة غلظاً أو صلابة ، فإن وجد ذلك دلّ على سرطانٍ فى رحمها[3] ، وليتفقّدها أيضاً إذا هى حاضت ، لاحتمال أن يعرِض لها الغشْى الشّبيه بالسّكتة ، فإن وجدَ بها ذلك ، دلّ على أن بها اختناق الرحم ، وهـذا ربَّما أوجد موتَ الفُجاءة .

وأن يتفقّد كُليتيه ومثانته ، فإن وجد فيهما أو فى أحدهما الحصاة ، دلّ على العيب الردىء ، ويعرف ذلك من وجود رمل فى بوله .

قال بعض الحكماء : لطافة البطن تدلّ على جودة العقل ، ودقة الأضلاع ورقّتها تدلّ على ضعف القلب .

وأن يتفقّد أنثييه فإنْ وجد عروقَهما أخذت فى الاتّساع ، دلّ على حدوث العِرق المسمَّى بالدالية ، وهو لا يظهر فى أوّل الأمر ، بل يبدو شيئاً فشيئا على طول المدّة ، ثم يعقبه آفة قويّة شديدة . وأن يتفقد تضيبه ، فإن وجد الثقْبَ[4] الذى فى جانب الكمَرَة الموجب لعدم استقامة البول مع جريانه إلى أسفل ، دلّ

---

(١) مراق البطن : أسفله وما حوله مما استرق منه ، وهى المواضع التى ترق جلودها ، قال الهروى : واحدها مرق ، وقال الجوهرى : لا واحد لها .

(٢) فى الأصل : «الجس» تحريف . انظر ما سبق فى الحاشية (٤) من الصفحة السابقة .

(٣) فى حواشى الأصل : « السرطان مرض سوداوى علامته أن يكون صلباً عديماً الصلابة بمنزلة الحجارة متمدداً ، ويكون شكله شبيهاً بالسرطان » .

(٤) كذا فى الأصل .

على الرداءة فى التوليد ، لأنّ المنىّ يحتاج إلى الاستقامة عند صدوره فى الرّحم كى يصل لأقصاه .

وأن يتفقّد مقعدته ، فإن وجد بها بواسير أو توتا[١] أو نواصير ، دلّ على الرداءة .

الفصل الخامس

فى العلامات الدالة من جهة الرجلين مطلقا ، وخصوص الركبة والساقين

وينبغى له أيضاً أن ينظر إلى رجليه بعد أن يأمره المشترى أن يجمع رجليه ، ويصفّ قدميه فى موضع مستوٍ ، فإنْ وجد إحداهما أقصرَ من الأخرى فذلك عيبٌ ردىٌ ، دل على تشنّج أو عرج نالَه من قِبَل عرق النَّسا . ويأمره بالمشى فإنْ يكن فى خطاه تقصير دلّ على قوّة العصب ، وسلامة المفاصل ، وإن كان الأمر بخلاف ذلك دلّ على آفة قد نالت العصب أو مَفصِل الورك أو غيرَه من مفاصل الرجل .

وأن ينظر إلى خصوص الرُّكبة ، فإن وجد بها ورماً صلباً ، أو الورم المعروف بالشَّوكة[٢] ، فإنّه ربّما لم يبرأ ، ويؤدّى بصاحبه إلى دقّة الساقين والزَّمانة ، وإن وجد فيها اعوجاجاً أو مَيْلا فهو داء قبيح .

وأن ينظر إلى خصوص السّاقين ، فإن وجدهما مقوّسين أو منقلبين[٣] إلى خارج ، فهو عَرَض ردىٌ يضرّ بالمشى مَضرّة قوية . وإن وجد عُروق باطن السّاقين أخذت فى الاتّساع فهو سببٌ لحدوث العروق المسمّاة بالدالية . وإن وجد فى الساقين غِلظاً وصلابةً وامتلاء فى موضع الكعبين إلى فوق فذلك يدلُّ على حدوث العِلة المسمّاة بداء الفيل .

---

(١) كذا فى الأصل . (٢) فى اللسان : « الشوكة : داء كالطاعون » .
(٣) كذا . والساق مؤنثة .

الفصل السادس

في العلامات الدالة من جهة السِّمَن والهزال ، والطول والقصر

وينبغي له أيضاً أن ينظر إلى جسمه ، فإن وجده سميناً فلا يشتريه ، لأنّ الشُّمنة[1] رديئة جداً ، لاسيَّما السِّمنة بالطبع ، فإنّها مستعدة لحدوث أمراض رديئة لأن الحرارة الغريزية تكون فيها ضعيفة لضيق عروقها ، وضيقُ العروق فيها لشيئين : أحدهما برد المزاج . ثانيهما ضغط الأعضاء السمينة لها ، فأصحابها لذلك أقل أعماراً ، لأن ضيق العروق يتبعه ضعف الحرارة الغريزية ونقصانُها ، وهذان يتبعان نقصان الروح ، وهم معرضون للسكتة والفالج وعسر النفس .

ومن أفرط سمنه وكان مراضاً ، فهو على خطر . وإن وجده قضيفاً مهزولا نحيفاً فلا يشتريه ، لأن النحيف رديء لِمَا يغلب على مزاجه من اليُبس ، فهو لا يقدر على الرياضة والأعمال الكثيرة ، لأن ذلك مما يسخّنه و يجفّفه فيزداد نحافة . وصاحب النحافة لا يقدر على الحرّ والبرد ، لأنهما يصلان إلى أعضائه الباطنة بسرعة فيعرّيانها من اللحم . وإسهال النحيف خَطَر .

وإن وجده معتدلًا ليس بالسمين ولا بالهزيل ، فليشتريه[2] فإنه من أحسن العبيد بدناً ، وأدومهم صحة ، وأصبرهم على الأعمال ، وأبعدهم عن الأمراض ، لأن الحرارة الغريزية متوفرة فيه ، والهضم جيِّد ، والأعضاء قوية لذلك .

وإن وجده طويلًا دلّ ذلك على غباوته وغفلته وقلة عقله . وإن وجده قصيراً دل ذلك على خُبثه وخداعه ومكره .

---

(١) هذه الكلمة بمعنى السمن مما لم يذكر في المعاجم المتداولة . وقد وردت بهذا المعنى أيضاً في شرح الحماسة للمرزوقي ١٢٦٢ ، ١٤٣٦ .

(٢) كذا جاءت بالأصل . وإثبات حرف العلة مع الجازم لغة لبعض العرب ، كقوله :

ألم يأتيك والأنباء تنمى ... بما لاقت لبون بني زياد

قال الجاحظ : النباوة والنذالة فى الطُّوال أكثر ، والخُبث والخداع فى القصار أبيَن ، واللُّطف فى النِّحاف والقِضاف أظهر ، والبلاظة والجفاء فى السِّمان أكثر ، وما سوى ذلك نادر .

قال صاحب لقط المنافع : قالوا : والطُّوال من الناس فى الشبيبة أحسن ، وفى الكبر أقبح ، لسرعة الانحناء إليهم . والمعتدلون فى الطُّول صالحو الحال .

قال الجاحظ : أجمعَ الناسُ على أنْ ليس فى الدنيا أثقلُ من أعمى ، ولا أبغض من أعوَر ، ولا أخفُّ روحاً من أحوَل ، ولا أقوَدُ من أجدَب .

قال بعض الحكماء : لا تبتاعنَّ مملوكاً قويَّ الشهوة فإنَّ له مولًى غيرك ، ولا قويَّ الرأى فيستعمل الحيلةَ عليك . لكن اطلبْ من العبيد مَن كان حسن الانقياد ، قويَّ الجسم ، شديد الحياء . واعلم أنه ما من شىء تنتفع به إلاَّ وفيه مضرّة ، فإن الخادم الذكيَّ الفطن الذى يُرِيحك من كدِّ الإفهام ويُفهمه منك الإشارةُ فى تبليغ الأغراض ، لا تقدر أن تستر عنه شيئاً من أمرك ، فسرُّك معه شائع ، وهو قادر لفطنته على الاحتيال عليك فى كل ما تريد . وإن كان الخادم غبيًّا وقفت أمورُك ، وانكسرت أغراضك ، ولا يفى كتمانُ سرِّك بوقوف أغراضك . فينبغى أن تستخدم الفطناء فى الأمور الخارجة عن المنزل ، وتستخدم البُلْه فى الأمور الداخلة . وكذلك الأصدقاء فى معاملتهم والمعاشون .

الفصل السابع

فى العلامات الدالة من جهة كيفية مزاج مطلق البدن وطبعه

فعلامات رطوبة مزاج بدنه كثرة الشحم ، واعتدال اللحم ، ولين الجسد ، ورخاوة الجلد ، وضَعف العصب ، واسترخاء المفاصل ، وعدم الشَّعر ، وكثرة النوم

وعلامات يبس مزاجه ، قضافة البدن ، وصلابة الملمس ، وقلّة الشحم .

وعلامات حرارة مزاجه سخونة الملمس ، وحمرة اللون ، وسرعة نبات الشعر وكثرته وخشونته وسواده ، ويكون صاحبه ذكيًّا ذهناً سريع الحركة والغضب ، عجولًا مبادراً ، غير متثبت ، شجاعاً بطلا مقداماً متهوّراً[1] قليل التهيب للأمور العظام ، ويكون نبضه سريعاً متواتراً ، ويكون هو سريعَ النموّ والنشوّ ، قويّ الشهوة ، جيِّد الهضم ، كثير الباه ، كثير اللحم ، قليل الشحم ، جهش الصوت[2] .

وعلامات برودة مزاجه برودة الملمس ، و بياض اللون ، وقلّة الشعر و بياضه و بطء إنباته ، ويكون صاحبه بطيء المشى ، بليداً قليل الفهم ، ثقيل اللسان ، بطيئاً فى الحركات ، متوقفاً فى الأمور ، جباناً فزعاً خائفاً قليل الغضب .

وعلامات حرارة ورطوبة[3] مزاجه كون الشعر أسود رَجِلًا سبطا ، وكثرة اللحم وقلة الشحم وحرارة الملمس ولينه ، فإن غلبت الرُّطوبة كان البدن عراضاً لحصول التعفُّن ، وإن غلبت الحرارة كان البدنُ أصحّ . وإن كانا معتدلين كان اللون مختلطاً فى الحمرة والبياض .

وعلامات حرارة ويبوسة مزاجه : كثرةُ الشعر وجعودته وسواده — لأنّ مادة الشّعر هو البخار الحارّ اليابس الذى يخرج من مسامّ البدن ، ويدفع بعضه بعضا إلى خارج ولا ينقطع خروجه — وقضافة البدن ، وحرارة الملمس ، وأدمة اللون ، والذَّكاء والذهن والشجاعة وقوّة الشهوة ، وجودة هضم الأغذية الغليظة ، والحرص على الباه .

وعلامات برودة ورطوبة مزاجه سبُوطَة الشعر[4] وشُقرته و بياض اللون ،

---

(١) فى الأصل : « مهوراً » .
(٢) كذا وإنما يقال أجش الصوت ، أى غليظ .
(٣) فى الأصل : « وبرودة » .
(٤) سبوطة الشعر ، أى انبساطه واسترساله . وفى الأصل « شروطة الشعر » .

وسمن البدن من كثرة الشحم ، ويكون صاحبه بليداً كثير النسيان ، قليل الفهم ، جبانا ، ضعيف الشهوة ، بطيء الهضم ، قليل الباه .

وعلامات برودة ويبوسة مزاجه بياض اللون الذى يضرب إلى الكمودة ، وقضافته ، وبرودة الملمس وشقرة الشعر الذى يضرب إلى الصُّهْرة ، مع قلته ، وامتناع الباه .

وعلامات مزاج البدن المعتدل : أن يكون متوسطًا فى الهزال والسِّمَن ، وأن يكون لونه مختلطا ببياض وحمرة ، أشقر إلى الحمرة ما دام صبيًا ، فإذا صار إلى سنّ الشباب صار الشَّعر أسود ، ويكون ملمسه معتدلا فى الحرارة والبرودة ، والصَّلابة واللِّين ، بمنزلة جلد بطن الراحة ، ويكون فهمًا فطنا عاقلا ، شجاعًا غير أهوجَ ولا جبان ، بَيْنَ الرحيم والقاسى ، عفيفًا متوسطا فى العلامات .

الخاتمـــة

فيما يناسب العبد إذا اشتراه ، من الرياضة والراحة والدعة

ليُعْلَمَ يا مِغناطيسَ الفؤاد[1] ، أنّ من اشترى عبـداً ينبغى له أن يستعملَه فى الرياضة ، وهى عند الأطبَّاء عبارةٌ عن الحركات البدنيـة ، ولها وقتٌ وفوائدُ وغاية تنتهى إليها .

فوقتها قبـل الغذاء ، حين يكون البدنُ نقيًا ويكون طعامُ أمسِ قد انحدر وانهضم ، وحضرَ وقتُ طعامٍ آخر . ولا تجوز الرياضة فى وقت الجوع . واستعمالُها قبل انحدار الطعام مولِّد للسُّدَد فى العروق التى بين الكبد والمعا .

قال جالينوس : رياضة قبل الطعام خير عظيم ، وسببٌ وكيدٌ فى حفظ الصحة

---

(١) انظر ما سبق فى مبدأ الفصل الأول ص ٣٩٥ .

ومن فوائدها : تنبيه الحرارة الغريزية التي في البدن ليَقوَى بذلك على جذب الغذاء وسرعة هضمه وقَبولِ الأعضاء له ، وتنظيفُ فضُول البدن وتحليلُها ، وتنقية المنافذ ، وتوسيع المسام ، وتصليب أعضاء البدن [1] ، وتنضيج الطعام الغير النضيج .

والرِّياضة بعد الغذاء خطأ ، لأنها توجب انحدار الطعام وهو غير منهضم ، فإنْ كان لزِجًا وصادف مجاريَ ضيِّقة أحدث سُدَدا ، وإلّا أوجَبَ أمراضا مختلفة .

وغايتها أن يحس الإنسانُ بالعيّ والتّعب .

ومن أنواع الرياضة الرّكوب لمن اعتاده ، والمَشْي السريع ، والقراءةُ بصوتٍ عالٍ ، والرّمي بالنّبال ، والثِّقاف والصِّراع ، واللّعب بالأُكرة [2] ، والصعود والقعود في المراجيح ، والمباطشة ، وشَيل الأحجارِ والأعمدة ، والتّصفيق والشّباك ، وتحريك أوتار الميدان ، وضرْب الطبول ، وتحريك الرِّجلين بسَعة الخُطَى وغيرها ، والانحناء والاستلقاء ، وبَسط القامة [4] ، والدَّلك بالأيدي والمناديل .

وأما الراحة والدعة ، فهما ضدُّ الرياضة ، ويخشى منهما إذا داما أن تطفئ البرودة والحرارة الغريزية ، فإنهما يحدثان في البـدن البرودة والرطوبة ، وكثرة البلغم والفضول ، ويُفسدان المزاج ، وقد يُحدثان حرارةً لاحتقان البخار الحارّ .

قال جالينوس : السكون الدائم يخاف منه أن يُطفئ الحرارةَ الغريزية .

فينبغي لمن أراد حِفظ صحته أن يتجنب الدّعة ، إلا أن يكون البدن متخلخلا .

وليتعهّد صاحبُ الدّعة نفسَه كلَّ قليلٍ بالتنقية .

نقّى الله نفوسَنا من درَن الذنوب ، وغفر لنا العيوب ،

بجاه ترجمان لسان الغيوب . آمين

---

(١) في الأصل : « توسع » و « تصلب » بدل « توسيع » و « تصليب » .

(٢) الثقاف والثقافة بالكسر فيهما : المجالدة بالسيوف .

(٣) في اللسان (أكر) : « ومن العرب من يقول الكرة التي يلعب بها أكرة ، واللغة الجيدة الكرة » . وفي القاموس : « الأكرة بالضم : لغة في الكرة » .

(٤) سابقة ساذجة لما يسمى اليوم « الألعاب الرياضية » .

الفهارس العامـــة

المجلد الأول

من نوادر المخطوطات

١ – فهرس الأعلام(*)

(*) ما قرن من الأعلام بنجم فهو مما ورد في الشعر فقط .

٢ – فهرس القبائل والطوائف ونحوها

٣ – فهرس البلدان والمواضع ونحوها

٤ — فهرس الأشعار

(١) ولجرير أيضاً .

شطر بيت

تخميس

٥ — فهرس الأرجاز

٦ — فهرس الأمثال

٧ — فهرس الكتب

التى وردت فى أثناء نصوص النوادر

مراجع الشرح والتحقيق

اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، للمقريزي ، تحقيق الدكتور الشيال . دار الفكر ١٣٦٧ .

الإحاطة ، في أخبار غرناطة . طبع الموسوعات ١٣١٩ .

أخبار عبيد بن شرية الجرهمي ، حيدر أباد ١٣٤٧ .

إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للقفطي . السعادة ١٣٢٦ .

أدبيات اللغة العربية ، لجنة من رجال نظارة المعارف . بولاق ١٩٠٦ .

أساس البلاغة ، للزمخشري . دار الكتب ١٣٤١ .

أسد الغابة ، لابن الأثير . الوهبية ١٢٨٦ .

الاشتقاق ، لابن دريد ، تحقيق وستنفلد . جوتنجن ١٨٥٤ .

الإصابة ، في أسماء الصحابة ، لابن حجر . السعادة ١٣٢٣ .

الأصمعيات ، اختيار الأصمعي . ليبسك ١٩٠٢ م .

الاعتبار ، لأسامة بن منقذ . نشرة فيليب حتي . جامعة برنستون ١٩٣٠ .

إعجاز القرآن ، للباقلاني . السلفية ١٣٤٩ .

أعجب ما كان ، في الرق عند الرومان ، لمصطفى كامل . المحروسة ١٣١٠ .

الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني . الساسي ١٣٢٣ .

ألف باء ، للبلوي . الوهبية ١٢٨٧ .

الألفاظ الفارسية المعربة ، لأدي شير . بيروت ١٩٠٨ م .

الأمالي ، لأبي علي القالي . دار الكتب ١٣٤٤ .

الأناجيل الأربعة .

إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم . دار الكتب ١٣٦٩ .

الأنساب ، للسمعاني . ليدن ١٩١٢ م .

الإنصاف والتحري ، لابن العديم . ضمن تعريف القدماء . دار الكتب ١٣٦٤ .

بدائع البدائه ، لابن ظافر الأزدي . بولاق ١٢٧٨ .

بغية الوعاة ، للسيوطي . السعادة ١٣٢٨ .

البيان والتبيين ، للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٦٩ .

تاج العروس ، للزبيدي . الخيرية ١٣٠٦ .

تاريخ الإسلام ، للذهبي . مخطوط دار الكتب رقم ٤٢ تاريخ .

« « ، للذهبي . القدسي من سنة ١٣٦٧ .

« الأمة القبطية ، لجنة التاريخ القبطي . المقتطف ١٩٢٥ م .

« بغداد ، للخطيب البغدادي . القاهرة ١٣٤٩ .

« دمشق ، لابن عساكر . مخطوطة المكتبة التيمورية رقم ١٠٤١ تاريخ .

« الطبري . الحسينية ١٣٢٦ .

تاريخ طرابلس الغرب، لابن غلبون. السلفية ١٣٤٩.

» قضاة الأندلس، للنباهي. تحقيق بروفنسال. دار الكاتب المصري ١٩٤٨ م.

» مختصر الدول، لابن العبري. أكسفورد ١٦٦٣.

التبصر بالتجارة، للجاحظ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب. الرحمانية ١٣٥٤.

التحقيق في شراء الرقيق، لمؤلف مجهول، مخطوط بالمكتبة التيمورية رقم ٤٨ فضائل ورذائل.

تذكرة أولي الألباب، لداود الأنطاكي. الشرفية ١٣١٧.

تذكرة الحفاظ، للحافظ الذهبي. حيدر آباد ١٣٣٤

تذكرة الطالب النبيه، عن نسب إلى أمه دون أبيه. لأحمد بن خليل اللبودي. مخطوط بالتيمورية رقم ١٤٠٧ تاريخ.

التصريح، بمضمون التوضيح، للشيخ خالد الأزهري. الأزهرية ١٣٤٤.

تعريف القدماء، بأبي العلاء، للجنة من رجال وزارة المعارف. دار الكتب ١٣٦٣.

تفسير أبي حيان، وهو البحر المحيط. السعادة ١٣٢٨.

» الطبري. بولاق ١٣٣٠.

تكملة التكملة. طبع مدريد ١٩١٥ م.

تكملة الصلة، لابن الأبار، تحقيق كوديرا. مدريد ١٨٨٧ م.

تهذيب التهذيب، لابن حجر. حيدر آباد ١٣٢٥.

التنبيه والإشراف، للمسعودي. الصاوي ١٣٥٧.

التنبيه على أوهام القالي، لأبي عبيد البكري. دار الكتب ١٣٤٤.

التيجان، في ملوك حمير، لوهب بن منبه. حيدر آباد ١٣٤٧.

ثمار القلوب، في المضاف والمنسوب، للثعالبي. الظاهر ١٣٢٦.

جذوة المقتبس، للحميدي. تحقيق محمد بن تاويت. السعادة ١٩٥٣ م.

جمل أحكام الفراسة، لأبي بكر الرازي. حلب ١٣٤٧ م.

جمهرة أنساب العرب، لابن حزم. تحقيق بروفنسال. دار المعارف ١٩٤٨ م.

جمهرة خطب العرب، لأحمد زكي صفوت. الحلبي ١٣٥٢.

حاشية ابن عابدين. بولاق ١٢٩٩.

حسن المحاضرة، في أخبار مصر والقاهرة، للسيوطي. السعادة ١٣٢٤.

الحلة السيراء، لابن الأبار. ليدن ١٨٥١ م.

حلية الفرسان، لعلي بن عبد الرحمن الأندلسي. تحقيق محمد عبد الغني حسن. دار المعارف ١٣٦٩.

الحماسة، لأبي تمام. السعادة ١٣٣١.

الحماسة البحترى. الرحمانية ١٩٢٩ م.

الحماسة لابن الشجري. حيدر آباد ١٣٤٥.

الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون. الحلبي ١٣٥٧ — ١٣٦٤.

خاص الخاص، للثعالبي. السعادة ١٣٢٦.

خريدة القصر، للعماد الأصفهاني، تحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس. لجنة التأليف ١٩٥١ م.

خزانة الأدب، للبغدادي. بولاق ١٢٩٩.

خطط المقريزي، وهو المواعظ والاعتبار. مطبعة النيل ١٣٢٤.

خلاصة الأثر ، في أعيان القرن الحادي عشر ، للمولى المحبي . الوهبية ١٢٨٤ .
الخيل ، لابن الأعرابي . ليدن ١٩٢٨ م .
» ، لابن الكلبي . ليدن ١٩٢٨ م .
دائرة المعارف الإسلامية . الترجمة العربية .
» » البريطانية .
الدرر الكامنة ، في أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر . حيدر آباد ١٣٥٠
درة الغواص ، للحريري . الجوائب ١٢٩٩ .
الديارات للشابشتي ، تحقيق كوركيس عواد . بغداد ١٩٥١ م .
ديوان الأخطل . بيروت ١٨٩١ .
» الأرجاني . بيروت .
» أسامة بن منقذ . نسخة دار الكتب رقم ١٦٨٧٧ ز .
» الأعشى ، بتحقيق جاير . فينا ١٩٢٧ م .
» امرئ القيس . هندية ١٣٢٤ .
» البحتري . هندية ١٣٢٩ .
» بشار ، بشرح ابن عاشور . لجنة التأليف ١٣٦٩ .
» أبي تمام ، لشرح محي الدين الخياط . بيروت ١٣٢٣ .
» تميم بن المعز . مخطوط دار الكتب رقم ١٦٠٢٥ ز .
» جرير . الصاوي ١٣٥٤ .
» حاتم الطائي . الوهبية ١٢٩٣ .
» حسان بن ثابت . الرحمانية ١٣٤٧ .
» الحطيئة . التقدم ، بالقاهرة .
» الخنساء . بيروت ١٨٨٨ م .
» ابن الدمينة . المنار ١٣٣٧
» زهير بن أبي سلمى . دار الكتب ١٣٦٣ .
» سلامة بن جندل . بيروت ١٩١٠ م .
» أبي طالب . مخطوطة الشنقيطي بدار الكتب رقم ٣٨ ش .
» طرفة بن العبد . قازان ١٩٠٩ م .
» العباس بن الأحنف . الجوائب ١٢٩٨ .
» عمر بن أبي ربيعة . الميمنية ١٣١١ .
» الفرزدق . الصاوي ١٣٥٤ .
» ابن قيس الرقيات . فينا ١٩٠٢ م .
» لبيد . فينا ١٨٨٠ ، ١٨٨١ م .
» المتنبي ، بشرح العكبري . الشرفية ١٣٠٨ .
» أبي محجن . الأزهار .
» المعاني ، لأبي هلال العسكري . القاهرة ١٣٥٢ .
» ابن المعتز . المحروسة ١٨٩١ م .
» معن بن أوس . ليبسك ١٩٠٣ م .

ديوان مهيار الديلمي ، دار الكتب ١٣٤٥ .
« النابغة . من مجموع خمسة دواوين .
« أبي نواس . العمومية ١٨٩٨ م .
« الهذليين . دار الكتب ١٣٦٩ .
الذخيرة ، لابن بسام . مخطوطة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٢٢ .
الرق في الإسلام ، لأحمد شفيق ، ترجمة أحمد زكي . بولاق ١٣٠٩ .
روضات الجنات ، في أحوال العلماء والسادات ، لمحمد باقر الموسوي . العجم ١٣٠٤ .
الروضتين ، في أخبار الدولتين ، لأبي شامة . وادي النيل ١٢٨٨ .
زهر الآداب ، للحصري . الرحمانية ١٩٢٥ .
سفر التكوين .
سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، لمحمد خليل المرادي . بولاق ١٣٠١ .
سمط اللآلي ، للراجكوتي . لجنة التأليف ١٣٥٤ .
سير النبلاء ، للذهبي . مصورة دار الكتب رقم ١٢١٩٥ ح .
السيرة ، لابن هشام . جوتنجن ١٨٥٩ م .
شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي . القدسي ١٣٥١ .
شرح الحماسة ، للتبريزي . بتحقيق فريتغ . بون ١٨٢٨ م .
« « للمرزوقي بتحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٢ .
« شواهد شروح الألفية ، للعيني . بهامش خزانة الأدب .
« « المغني ، للسيوطي . البهية ١٣٢٢ .
« المضنون به على غير أهله ، لعبيد الله بن عبد الكافي . السعادة ١٣٣١ .
« المفصل ، لابن يعيش . محمد منير .
شرح المفضليات لابن الأنباري ، تحقيق ليال . بيروت ١٩٢٠ .
« نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد . الميمنية ١٣٢٩ .
شروح سقط الزند ، للتبريزي والبطليوسي والخوارزمي . دار الكتب ١٣٦٨ .
الشعر والشعراء ، لابن قتيبة . بتحقيق أحمد شاكر . الحلبي ١٣٧٠ .
شفاء الغليل ، للخفاجي . السعادة ١٣٢٥ .
الشقائق النعمانية ، في علماء الدولة العثمانية ، بهامش وفيات الأعيان .
صبح الأعشى ، للقلقشندي . دار الكتب ١٣٤٠ .
الصلة ، لابن بشكوال . مدريد ١٨٨٢ م .
الطالع السعيد ، الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، للأدفوي . الجمالية ١٣٣٢
طبقات الأطباء ، لابن أبي أصيبعة ، وهو عيون الأنباء . الوهبية ١٢٩٩ .
طبقات الشعراء ، لابن سلام . السعادة .
الطبيخ ، للبغدادي . الموصل ١٣٥٣ .
عصر إسماعيل (من تاريخ الحركة القومية) للرافعي . مطبعة النهضة ١٩٣٢ م .
العقد الفريد ، لابن عبد ربه . لجنة التأليف ١٣٦٢ .
العمدة ، لابن رشيق . هندية ١٣٤٤ .

عمدة القارى ، شرح صحيح البخارى ، للعينى . محمد منير ١٣٤٨ .
عيون الأخبار ، لابن قتيبة . دار الكتب ١٣٤٣ .
عيون التواريخ ، لابن شاكر الكتبى . مخطوطة دار الكتب رقم ١٤٩٧ تاريخ .
غرر الخصائص ، للوطواط . بولاق ١٢٨٤ .
الفائق ، للزمخشرى . حيدر أباد ١٣٢٤ .
فتح البارى ، شرح صحيح البخارى ، لابن حجر . بولاق ١٣٠١ .
فتح القدير ، لكمال بن الهمام . بولاق ١٣١٨ .
الفراسة ، لأفليمون . حلب ١٣٤٧ .
الفصل ، فى الملل والأهواء والنحل ، للشهرستانى . الأدبية ١٣١٧ .
الفصول والغايات ، لأبى العلاء المعرى . حجازى ١٣٥٦ .
الفهرست ، لابن النديم . الرحمانية .
فوات الوفيات ، لابن شاكر . بولاق ١٢٨٣ .
فيض الخاطر ، للدكتور أحمد أمين . لجنة التأليف .
القانون الرومانى ، للدكتور محمد عبد المنعم بدر . لجنة التأليف ١٩٣٧ م .
قلائد العقيان ، للفتح بن خاقان . بولاق ١٢٨٣ .
الكامل فى التاريخ ، لابن الأثير . محمد منير ١٣٤٨ .
الكامل ، للمبرد . ليبسك ١٨٦٤ م .
الكتاب ، لسيبويه . بولاق ١٣١٦ .
كتاب : حرب بكر وتغلب . النجف ١٣٥٥ .
الكتاب المقدس . الأمريكانية ١٩٠٦ .
كشف الظنون ، لحاجى خليفة . تركيا ١٣١٠ .
الكنايات ، للثعالبى . السعادة ١٣٢٦ .
« ، للجرجانى . السعادة ١٣٢٦ .
كنى الشعراء لابن حبيب ، ملحق بكتابه أسماء المغتالين . مخطوط دار الكتب ٢٦٠٦ تاريخ .
لباب الآداب ، لأسامة بن منقذ ، تحقيق أحمد شاكر . الرحمانية ١٣٥٤ .
لسان الميزان ، لابن حجر . حيدر أباد ١٣٣٠ .
مجالس ثعلب . بتحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف ١٣٦٩ .
مجلة الجمعية الألمانية الشرقية : (Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft)
مجمع الأمثال ، للميدانى . البهية ١٣٤٢ .
مجموع خمسة دواوين . الوهبية ١٢٩٣ .
مجموعة المعانى ، لمؤلف مجهول . الجوائب ١٣٠١ .
محاضرات الأدباء ، للراغب الأصفهانى . الشرفية ١٣٢٦ .
المختار من شعر بشار ، للخالديين . الاعتماد ١٣٥٣
مختارات ابن الشجرى . القاهرة ١٣٠٦ .
مختصر تاريخ دمشق ، لابن بدران . روضة الشام ١٣٣٢ .

المخصص ، لابن سيدة ، بولاق ١٣١٨ .
مخطوطات الموصل ، للدكتور داود چلبي . الفرات ببغداد ١٩٢٧ م .
مروج الذهب ، للمسعودي . السعادة ١٣٦٧ .
مسالك الأبصار ، لابن فضل الله العمري . مصورة دار الكتب ٢٥٦٨ تاريخ .
مشارق الأنوار ، للقاضي عياض . السعادة ١٣٣٢ .
المعارف ، لابن قتيبة . الإسلامية ١٣٥٣ .
معاهد التنصيص ، للعباسي . البهية ١٣١٦ .
المعتمد في الأدوية المفردة ، لابن رسولا . الحلبي ١٣٢٧ .
المعجب ، للمراكشي . السعادة ١٣٢٤ .
معجم الأدباء ، لياقوت . دار المأمون ١٣٢٣ ومرجليوث .
معجم البلدان ، لياقوت . السعادة ١٣٢٣ .
معجم الشعراء ، للمرزباني . القدسي ١٣٥٤ .
المعجم الفارسي الإنجليزي : (Persian English Dictionary by F. Steingass)
معجم المجمع الملكي الأسباني : (Dictionario de La lingua Española)
المعرب ، للجواليقي ، بتحقيق أحمد شاكر . دار الكتب ١٣٦١ .
المعلمة الكبيرة للمعارف العامة : (The Great encyclopedia of universal knowleges)
المعمرين ، للسجستاني . السعادة ١٣٢٣ .
المغرب لابن سعيد . مخطوطتي دار الكتب ٢٧١٢ تاريخ و ١٠٣ تاريخ م .
« « « ، بتحقيق الدكتور شوقي ضيف . دار المعارف ١٩٥٣ م
المغني ، لابن قدامة الحنبلي . دار المنار ١٣٦٧ .
مفاتيح العلوم ، للخوارزمي . محمد منير ١٣٤٢ .
مفتاح الأفكار في النثر المختار ، للشيخ أحمد مفتاح . مطبعة جريدة الإسلام ١٣١٤ .
مفرج الكروب ، لابن واصل . مخطوطة مكتبة باريس رقم ١٧٠٢ .
المفضليات ، بتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . دار المعارف ١٣٦١ .
مقاييس اللغة ، لابن فارس ، بتحقيق عبد السلام هارون . الحلبي ١٣٦٦ — ١٣٧١ .
مقدمة ابن خلدون . البهية ١٩٢٨ م .
المؤتلف والمختلف للآمدي . القدسي ١٣٥٤ .
النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي . دار الكتب من سنة ١٣٤٨ .
نزهة الألباء ، لابن الأنباري . القاهرة ١٢٩٤
نفح الطيب ، للمقري . نشرة محمد محيي الدين السعادة ١٣٦٩ .
النقائض ، رواية أبي عبيدة . ليدن ١٩٠٥ .
النقود العربية وعلم النميات ، نشر الأب أنستاس ماري الكرملي . العصرية ١٩٣٩ م .
النهاية ، لابن الأثير . العثمانية ١٣١١ .
نهاية الأرب ، للنويري . دار الكتب ١٣٤٢ .
الوزراء والكتاب ، للجهشياري . الحلبي ١٣٥٧ .
الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للجرجاني . صيدا ١٣٣١ .
وفيات الأعيان ، لابن خلكان . الميمنية ١٣١٠ .
يتيمة الدهر ، للثعالبي . دمشق ١٣٠٣ .

استدراك وتذييل

١ — ص ٢٢ س ٥ العبارة بكمالها كما ورد فى الخريدة : « وقد تعاور الشعراء وصف وقوع الشعاع على صفحات الماء » .

٢ — ص ٢٣ س ٢ — ٣ البيتان كما فى الخريدة :

بشاطئ نهر كأن الزجاج وصفو اللجين به ذوبا

إذا جشته الصبا بالضحى توهمته زرداً مذهبا

انظر ص ١١٦ من نوادر المخطوطات .

٣ — ص ٥٤ س ٧ — ٨ البيتان رواهما العماد فى الخريدة ٢ : ١٢٠ منسوبين إلى العيبى المصرى ثم قال : « ووجدت هذين البيتين فى رسالة أبى الصلت منسوبين إلى ظافر الحداد » .

٤ — ص ٣٧ س ١٢ إلى ص ٤١ س ١٢ . هذا الكلام ورد فى إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للقفطى ص ١٥٩ .

٥ — ص ١٤١ س ١٢ انظر لهذا البيت نهاية الأرب ٤ : ٢٧١ .

٦ — ص ١٤٢ س ١٦ وقع فى الحاشية سقط ، وتمامها كما فى الكامل :
« وقد فضل نصيب على الفرزدق فى موقفه عند سليمان بن عبد الملك ، وذلك أنهما حضرا فقال سليمان للفرزدق : أنشدنى » . إلخ

٧ — ص ١٤٧ س ٨ نسب ابن خلكان فى ترجمة (يزيد بن المهلب) هذا البيت إلى بشر بن قطبة الأسدى .

٨ — ص ١٦٨ س ٢ البيت ليزيد بن الجهم الهلالى ، كما فى الحماسة ١٧٣٠ س ١ بشرح المرزوقى .

٩ — ص ٢٨٨ س ٦ « أبى عبيد المختار » ، كذا فى الأصل ، وصوابه « ابن أبى عبيد المختار » . وهو المختار بن أبى عبيد .

١٠ — ص ٢٣٤ س ٤ « للاخورى » . جاء فى مروج الذهب ٤ : ٢٢٤ :

« وخفيف الثقيل منهما يسمى بالماخوري . وإنما سمي بذلك لأن إبراهيم بن ميمون الموصلي — وكان من أبناء فارس وسكن الموصل — كان كثير الغناء في هذه المواخير بهذه الطريقة » .

١١ — ص ٣٢٤ س ٥ « السلمان » جاء في مروج الذهب ٤ : ٣٢١ : « والسلبان ، وله أربعة وعشرون وترا ، وتفسيره ألف صوت » .

١٢ — ص ٣٢٤ س ٥ « الصنج » ، وهي في الأصل « الصلح » بدون إعجام . وورد في مروج الذهب ٤ : ٣٢١ : « ولهم الصلنج وهو من جلود العجاجيل » .

١٣ — ص ٣٢٤ س ٥ « الكنكلة » في مروج الذهب : « وللهند الكنكلة، وهو وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام العود والصنج » .

١٤ — ص ٣٨١ س ٣ « لخلخة » صوابها « لخلخه » ، وهي فارسية ، ومعناها ضرب من الطيوب مركب من العود والعنبر والمسك واللادن والكافور انظر الألفاظ الفارسية لأدى شير ص ١٤١ واستينجاس ١١٢٠ .

١٥ — سيضم (فهرس اللغة) الخاص بهذا المجلد إلى نهاية المجلد الثاني ليكون فهرساً للمجلدين معاً بعون الله .

فهرس مضامين المجلد

الفهارس العامة

صدر من هذه السلسلة

١ – ديوان أبي الطيب المتنبي	تحقيق د. عبد الوهاب عزام
٢ – الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي	تحقيق د. عبد الرحمن بدوي
٣ – قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد	تحقيق : سعيد عبد الفتاح
٤ – ديوان الحماسة لأبي تمام جـ ١	تحقيق : د. عبد المنعم أحمد
٥ – ديوان الحماسة لأبي تمام جـ ٢	تحقيق : د. عبد المنعم أحمد
٦ – رسائل إخوان الصفا جـ ١	
٧ – رسائل إخوان الصفا جـ ٢	
٨ – رسائل إخوان الصفا جـ ٣	
٩ – رسائل إخوان الصفا جـ ٤	
١٠ – كتاب التيجان	
١١ – ألف ليلة وليلة جـ ١	
١٢ – ألف ليلة وليلة جـ ٢	
١٣ – ألف ليلة وليلة جـ ٣	
١٤ – ألف ليلة وليلة جـ ٤	
١٥ – ألف ليلة وليلة جـ ٥	
١٦ – ألف ليلة وليلة جـ ٦	
١٧ – ألف ليلة وليلة جـ ٧	
١٨ – ألف ليلة وليلة جـ ٨	
١٩ – تجريد الأغاني جـ ١	

٢٠ - تجريد الأغاني جـ ٢

٢١ - تجريد الأغاني جـ ٣

٢٢ - تجريد الأغاني جـ ٤

٢٣ - تجريد الأغاني جـ ٥

٢٤ - تجريد الأغاني جـ ٦

٢٥ - الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة جـ ١

٢٦ - الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة جـ ٢

٢٧ - حلبة الكميت

٢٨ - البرصان والعرجان والعميان والحولان جـ ١

٢٩ - البرصان والعرجان والعميان والحولان جـ ٢

٣٠ - رسائل ابن العربي جـ ١

٣١ - رسائل ابن العربي جـ ٢

٣٢ - منامات الوهراني

٣٣ - الكشكول جـ ١

٣٤ - الكشكول جـ ٢

٣٥ - أخبار الاول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول

٣٦ - بدائع الزهور في وقائع الدهور (الجزء الأول - القسم الأول)

٣٧ - بدائع الزهور في وقائع الدهور (الجزء الأول - القسم الثاني)

٣٨ - بدائع الزهور في وقائع الدهور (الجزء الأول - القسم الثالث)

٣٩ - بدائع الزهور في وقائع الدهور (الجزء الثاني)

٤٠ - بدائع الزهور في وقائع الدهور (الجزء الثالث)

٤١ - بدائع الزهور في وقائع الدهور (الجزء الرابع)

٤٢ – بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الجزء الخامس)

٤٣ – بدائع الزهور في وقائع الدهور (الفهارس – الجزء الأول – الأعلام– القسم الأول)

٤٤ – بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الفهارس– الجزء الأول– الأعلام – القسم الثانى)

٤٥ – بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الفهارس – الجزءالثاني– الموظفون والوظائف)

٤٦ – بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الفهارس – الجزء الثالث–الاماكن و البلدان)

٤٧ – بدائع الزهور فى وقائع الدهور

(الفهارس – الجزء الرابع–المصطلحات– القسم الأول)

٤٨ – بدائع الزهور فى وقائع الدهور

(الفهارس – الجزء الرابع–المصطلحات– القسم الثانى)

٤٩ – فتوح مصر والمغرب الجزء الأول

٥٠ – فتوح مصر والمغرب الجزء الثانى

٥١ – المواعظ والاعتبار الجزء الأول

٥٢ – المواعظ والاعتبار الجزء الثانى

٥٣ – المواعظ والاعتبار الجزء الثالث

٥٤ – المواعظ والاعتبار الجزء الرابع

٥٥ – سيرة أحمد بن طولون

٥٦ – مجموعة مصنفات الشيخ إشراق الجزء الأول

٥٧ – مجموعة مصنفات الشيخ إشراق الجزء الثانى

٥٨ – اتعاظ الحنفا الجزء الأول

٥٩ – اتعاظ الحنفا الجزء الثانى

٦٠ – اتعاظ الحنفا الجزء الثالث

٦١ – مقالات الإسلاميين

٦٢ – ديوان أبى نواس هانئ الحكمى الجزء الأول

٦٣ – ديوان أبي نواس هانئ الحكمي الجزء الثاني

٦٤ – ديوان أبي نواس هانئ الحكمي الجزء الثالث

٦٥ – ديوان أبي نواس هانئ الحكمي الجزء الرابع

٦٦ – ولاة مصر تأليف محمد بن يوسف الكندي

٦٧ – المنتخب من الأدب العربي الجزء الأول

٦٨ – الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي، ومسكويه

٦٩ – المنتخب من الأدب العربي الجزء الثاني

٧٠ – نوادر المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون

رقم الايداع : ٢٠٠١/١٥٧٠١

شركة الأمل للطباعة والنشر
(موراقيتلي سابقاً)